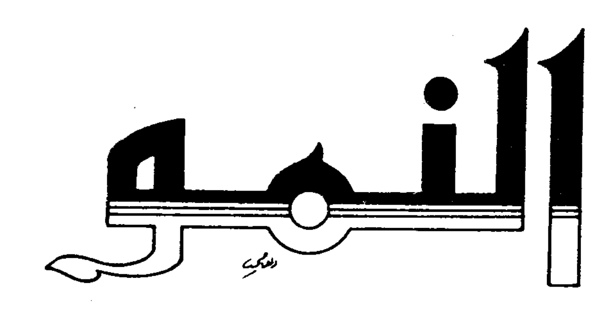


الكتاب الجامعي ٣



النمو من الطفولة إلى المراهقة

دكتور محمد جميل محمد يوسف منصور
دكتور فاروق سيد عبد السلام

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
المكتبات المدرسية

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة، المملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا
خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ
فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ
طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم
مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ
شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ . (سورة الحج : آية ٥)

صدق الله العظيم

النـاشـر
تهـامـة
جـدة . المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ . هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

مقدمة

إنه ليسرنا أن نقدم للقارئ طالباً وباحثاً وأبا وأما ومربياً ومربية هذا الكتاب الذى يتناول النمو النفسى من الطفولة الى المراهقة . ونرجو من الله العلى القدير أن يكون اسهاماً علمياً حديثاً للمكتبة العربية .

وقد روعى أن تشمل فصول الكتاب جميعها على جانبين أساسيين هما الجانب النظرى البحت والجانب الوصفى والتطبيقى لكل مرحلة من مراحل النمو .

وليس من الممكن لأحد المؤلفين أن يضع في كتابه كل البحوث والنظريات التى تجمعت عبر التاريخ العلمى حول نمو وسلوك الأطفال والمراهقين ـ ولذا فقد تم بحمد الله وتوفيقه انتقاء المعلومات التى تضمنها الكتاب بعناية بحيث تؤكد النظريات والمبادئ والبحوث التى تعد أكثر فائدة في مجال الفهم العميق الشامل لسلوك الأطفال والمراهقين في تفاعلهم مع المجتمع .

وقد كشفت الخبرة الطويلة بالتدريس الجامعى أن كثيراً من الطلاب الذين يدرسون النمو النفسى ليست لديهم خلفية في النواحى العلمية تمكنهم من فهم الأمور الفسيولوجية والبيولوجية المرتبطة والمفسرة لعملية النمو .. لذا فقد تضمن الكتاب الكثير من التفاصيل العلمية التى تمكن القارئ من الربط بين التغيرات البيولوجية والنفسية بصرف النظر عن الخلفية الدراسية .

ونظراً لأهمية فترة المراهقة في حياة الفرد والجماعة ، وحيث تقابل هذه الفترة مرحلتين هامتين من مراحل التعليم العام ـ وحيث تتبلور شخصية الفرد في المراهقة ـ فقد أعطيت اهتماماً خاصاً في هذا الكتاب مع تركيز على الجوانب الاجتماعية والانفعالية وعلى بناء الشخصية ومشكلاتها .

وإننا لا ننسب لأنفسنا كل الفضل في اعداد هذا الكتاب ، بل يشاركنا فيه كل مؤلف وباحث سبقنا وأضاف الى المعرفة الانسانية ، كذلك طلابنا الذين مكنونا من تنمية واختبار مالدينا من أفكار ، وكذلك كل قارئ مدقق يكتب الينا موجهاً إيانا نحو جوانب القصور فيما قدمناه وما يجب أن يجده في هذا الكتاب ، والله ولى التوفيق ·

المؤلفان

دكتور محمد جميل منصور ــ دكتور فاروق عبد السلام

مكة المكرمة ـ محرم ـ ١٤٠١ هـ


النمو
من الطفولة إلى المراهقة

الفصل الأول

مدخل إلى علم نفس النمو

مقدمة

أصبح هناك اهتمام كبير في السنوات الأخيرة بالسلوك الانسانى كيف يبدأ وكيف ينمو ، وقامت كثير من البحوث وتجمعت نتائج كثيرة تدور حول طبيعة الطفل مما جعل النمو النفسى علماً قائماً بذاته وفرعاً هاماً متطوراً من فروع علم النفس العام . وساعد ذلك على تفسير كثير من الحقائق حول أنواع السلوك المختلفة .

وفي دراستنا للنمو المبكر للكائن الحى فاننا نحاول فهم الأصول التى ينشأ منها السلوك ويتطور ـ أى الأنماط الأولية للسلوك والوسائل التى عن طريقها يمكن أن تتغير تلك الأنماط السلوكية . وكيف يتحول المخ الى عقل يلعب دوراً غاية في الأهمية في تحديد ذكائنا وشخصياتنا وكيف تلعب الوراثة والبيئة أدوارهما في احداث التغير والتطور في هذه الأنماط السلوكية وكيف يتحول عالم الطفل حديث الولادة المتصف بالاضطراب والتشوش الى عالم منظم .

وبتطور الكائن ونموه سنعرف كيف يسلك وكيف يتشكل هذا السلوك ، كيف ينتبه ويفكر ويبدع ويوجه سلوكه . وقابلية السلوك للتشكيل لا نهاية لها

بسبب قدرة الفرد على التعلم من خلال نتائج أفعاله ومن خلال ملاحظته للآخرين ، وقدرته على تعلم العلاقات المجردة من خلال استعمال الرموز ليصف ويتذكر الكثير من العلاقات .

وتكمن فردية الانسان في قدرته على التعلم ، وفي تعقد عملياته العقلية ، وفي مدى حساسية جهازه الادراكى ، والمدى الواسع من الحالات النفسية التى تدفع سلوكه وتحفزه . ويرى بعض علماء النفس أن الكمال الذى يتصف به الكائن البشرى يظهر في قدرته المدهشة على قهر الطبيعة ، وفي نظر البعض فان عظمة الانسان ، تبدو في سيطرته على نفسه أى الضبط الداخلى الذى يمارسه على وظائفه الفسيولوجية أو في الأنظمة الاجتماعية التى ابتدعها لتساعده على التغلب على ضعفه كفرد عن طريق القوة الجمعية والاستفادة من تنوع المواهب وتخصصها ، الى جانب أنه من خلال الجماعة يجد الحب والشهرة وتأكيد أهميته . ومن الواضح أن الانسان حيوان اجتماعى ، يبحث بنشاط دائم عن صحبة الآخرين ويتجمع معهم في مدن كبيرة وغالباً ما يكون أكثر استجابة للواقع الاجتماعى لمجتمعه أكثر من استجابته لواقعه الجسمى الخاص ببيئته الطبيعية . ولكننا ننظر للانسان في نفس الوقت ليس كفرد لديه القدرة على التوحد مع آخرين فقط بل لديه شخصية فريدة أيضاً .. فهناك مجموعة من الدوافع والقيم يسعى الانسان

الى الحصول عليها من الجماعة كالصحبة والحنان ـ حنان الآخرين عليه والارتباط بالآخرين الذى يستمد منه بعض الناس القوة والسلطة والتأثير والقيادة .

وقد أصبح الأطفال من أكثر الظواهر التى تستحق الاهتمام في هذا العالم فان مجيئهم من الأخبار الطيبة ، كما أنهم وسيلة جيدة للاعلان والنشر والدعاية ، وأقوالهم الذكية تظهر في مئات الصحف والمجلات .

ودراسة الأطفال من الأعمال الهامة ، فتوافر معلومات سليمة عن الأطفال ونموهم يساعد على المساهمة الايجابية في تقدم الانسان ، كما أن الفهم السليم للأطفال يوفر تطبيقات هامة وضرورية لأى نظرية عن السلوك الانسانى . ولا

شك ان أعظم عطاء يمكن أن تقدمه دراسة الأطفال لرفاهية الانسان ينبع من الأهمية الخاصة لفترة الطفولة وتأثيرها على الصحة العقلية . فنحن لا ننكر الآثار الضارة المترتبة على التنشئة السيئة والأسر المتصدعة ونبذ الوالدين أو الرعاية الوالدية غير السليمة خلال مراحل الطفولة ، والتعرف على هذه الآثار الضارة لتلك الخبرات المبكرة من الحياة قد بدأ متأخراً ، وبسبب عدم توافر المعلومات السليمة الكافية عن تربية الطفل لم يكن لدينا الا قدراً ضئيلاً من المعرفة عن أفضل تصرف لمواجهة أو ابطال تلك الآثار الضارة . وهناك فوائد جمة ستتحقق في مجال تربية الطفل وصحته النفسية بالبحوث الميدانية والمعملية والجهود التى تتميز بالمثابرة .

وهناك أمور عديدة تبين أهمية الدراسة والبحث في نمو الأطفال ، فالاتجاهات النفسية والاجتماعية تنشأ وتقوى خلال مراحل الطفولة ، كما أن الاستقرار العائلى بين الأجيال القادمة انما يعتمد الى حد ما على أنماط التوافق والتلاؤم والتكيف بين أطفال اليوم ، كما أن دقة السلوك الحركى والمهارات الحركية المتعددة شأنها في ذلك شأن التفكير العلمى الدقيق .. كلها أمور مطلوب اكتسابها خلال المراحل الأولى من العمر . وتغيير الاتجاهات وتحسين فن التعليم وبناء أساليب فعالة لمقاومة الآثار الضارة للقلق ، ومواجهة المشكلات المعقدة التى تواجه الأفراد . كلها تبين مدى أهمية دراسة وفهم النمو النفسى وأهمية الجهود التى تبذل للبحث في هذا المجال .

دوافع الاهتمام بدراسة الأطفال

تهدف دراسات النمو قديما وحديثاً الى تحقيق مجموعة من الدوافع :

أولاً : كان العلماء مدفوعين بواسطة بعض المشاكل العملية المتعلقة بسلوك الطفل أو بالعناية به . وكان أقدم دافع للاهتمام بدراسة النمو هو الرغبة في تحسين عملية التعليم . وفي فترة قريبة قامت دراسات لأطفال ما قبل المدرسة على أمل القاء الضوء على مشاكل تتعلق بتدريب الطفل وتهذيبه . وقد درس الطفل حديث الولادة بغرض الكشف عن أى العادات السلوكية فطرى وأيها مكتسب .

ثانياً :قامت الدراسات حول الطفل بدافع الرغبة في التحقق من صحة النظريات القائمة أو توضيحها . وعلى سبيل المثال فان نظرية ثبات معامل الذكاء (IQ) قد أثارت عدة دراسات ولمدة طويلة عن نمو الذكاء .

ثالثاً :أصبح لدى العلماء شغف بالمعتقدات القديمة وقد دفعهم ذلك الى دراسة مجالات السلوك التى تتعلق بها على أمل اثبات صحتها أو عدم صحتها . فمثلاً : هل من يتعلم بسرعة ينسى بسرعة ؟ وإذا كان ذلك صحيحاً فلماذا ؟ .

رابعاً :ومما أثار دوافع العلماء لدراسة النمو بعض الحقائق الجديدة التى كشفت عنها الدراست العلمية ، فما هى العوامل المسئولة عن أنماط السلوك التى وجدت متماثلة بين الأطفال في الأعمار المختلفة ؟ وتحت أى الظروف يمكن

توقع ظهور هذه الأنماط من السلوك ؟ فمثلاً : لماذا تكون نوبات الغضب كثيرة التكرار بين أطفال ما قبل المدرسة ؟ ، ولماذا تصبح أقل تكراراً وأقل شدة كلما كبر الأطفال ؟ .

وأول المجالات التى تناولتها الدراسة العلمية بالبحث كانت تلك التى اعتبرت أكثر أهمية لعملية التطبيع الاجتماعى مثل : الامساك بأصابع اليد الأخرى ، قيام الطفل من الوضع النائم ، والمشى ، والكلام . وعندما أصبحت هناك حقائق كافية حول هذه الامور انتقل العلماء الى دراسة الفروق الفردية وأسبابها . ومن الا سباب العلمية الجوهرية لدراسة النمو النفسى ما يلى :

١ - فهم الطفل :

أ ـ بمعنى أن يصبح لسلوك كل طفل معناه الواضح .

ب ـ ان وجود معايير أو مقاييس للنمو نقارن بها الأطفال أمر يعيننا على تشخيص مشكلات النمو الجسمى والنفسى على السواء .

جـ ـ ان علم نفس النمو يتضمن كذلك دراسة للطفل من نواحى وراثية وتكوين جسمى ، وما يدور بداخله من عمليات بيولوجية وكيمائية وفسيولوجية ، وما يتعرض له من قوى البيئة . وهذه النواحى جميعها تعمل معاً لتؤثر في نموه الجسمى والعقلى وفي صحته النفسية وتكيفه الاجتماعى . كما أن فهم هذه العوامل وما يقوم بينها من علاقات قد يساعد على حل أنواع المشكلات السلوكية للأطفال .

د ـ ان جنوح الأحداث كثيراً ما يعود في نهاية الأمر الى مشاعر عميقة عند الطفل بنبذ الآخرين له وبانعدام الأمن والطمأنينة في حياته الأسرية .

٢ - فهم سلوك الراشدين :

أ - ان دراسة علم نفس النمو تزودنا بالأساس الذى لابد منه لكى نفهم سلوك الراشدين بدقة أكثر .

ب - ان سوء التوافق الشخصى والاجتماعى الذى يشيع بين الكبار انما يعود بصفة دائمة تقريباً الى الخبرات التى مر بها الفرد في حياته المبكرة .

جـ - اننا نقول بصفة عامة ان فهم مشكلات الراشدين بعمق وتدبر يحتاج الى أن ندرس تاريخ نمو الفرد في المراحل المبكرة .

٣ - فهم المشكلات الاجتماعية :

فالمشكلات الاجتماعية الجوهرية وثيقة الصلة بتكوين ونمو شخصية الفرد والعوامل المحددة له .

الفصل الثانى

تاريخ النمو النفسي

مقدمة

يعد النمو الانسانى مجالاً واسعاً يتضمن العديد من المبادئ والقوانين التى تفسر كيف يحدث النمو . والفرد الانسانى ينمو نمواً كلياً متكاملاً ، فالجانب العضوى بأجهزته وأعضائه وأجزائه ينمو متجهاً نحو النضج بصورة تدريجية . وتحدث تغيرات في الجانب العقلى بأفعاله ومهاراته المتناسقة في أداء كامل . ويصاحب النمو في الجوانب السابقة نمواً في الجوانب الانفعالية والاجتماعية كما أن النمو في الجوانب العضوية يصاحبه نمواً في الجوانب الوظيفية المختلفة ، وكلها تتغير مع الزمن كلما كان هناك تدريب وتعليم مناسبين .

ان اهتمام هذا العلم يدور حول التغير التطورى الذى يحدث في الجوانب العضوية والجوانب الوظيفية أو ما نسميه بالنمو النفسى . وقد يكون من المناسب أن نلقى نظرة سريعة على أهم الأحداث التى صاحبت تطور هذا العلم .

ربما كان الاختلاف بين الانسان وغيره من الكائنات الأخرى هو وعيه بنفسه في علاقته بما يحيط به ، وأنه يسلك طبقاً للظروف المتعددة التى يدركها فيما حوله ، ووعيه وقدرته على أن يفكر في الماضى أى في الأحداث التى سبق أن مرت بخبرته اذا ما أحس بحاجته اليها . وعندما بدأ الانسان البحث عن الفهم - بدأ

يخمن ويفترض ويضع النظريات فبدأت الفلسفة .

والفلسفة هى طريقة البحث عن الحكمة ، هى التفسير العقلى للأمور التى يواجهها الانسان . أو هى المبادئ العامة التى يمكن في ضوئها تفسير كل الحقائق التى نلاحظها ، أما الفلسفة الحديثة فتعنى نظاماً عاماً وظيفته تنظيم نتائج العلوم المتعددة وتكاملها حتى يكون لها معنى في علاقتها بمشاكل الحياة .

وعلم النفس كواحد من أحدث العلوم تمتد جذوره في الفلسفة وان كان قد انفصل عنها منذ وقت ليس ببعيد . وقد أثرت بعض أفكار الفلاسفة الأوائل على تطور هذا العلم ، فقد كانت لهم كثير من الأفكار التى تدور حول طبيعة الانسان ووظائفه .

الفلسفة اليونانية القديمة (حوالى القرن السادس قبل الميلاد)

نظر فلاسفة اليونان الى الانسان في البداية على أنه مادة ـ وبالتالى فهو جزء من العالم المادى ، وان ما يبدر منه من أشكال مختلفة من السلوك انما ينبع من داخله وأنه يشارك غيره من الكائنات الحية الصفة الخاصة بالحياة ، كما أنه على وعى بأنه حى .

وكانت الفلسفة السابقة لسقراط تدور حول تكوين ذلك الانسان ـ وكان هناك مفهوم سائد على أن الانسان يتكون من أربعة عناصر هى التراب والهواء والنار والماء . لقد كانت الفلسفة السابقة لسقراط فلسفة عضوية قائمة على ملاحظات مادية طبيعية .

سقراط : Socrates

وبظهور سقراط بدأت مرحلة جديدة في تاريخ علم النفس . فقد بدأ الانسان

يسأل نفسه أسئلة كثيرة مثل : « كيف وماذا » . فالمعرفة يجب أن تقوم على تحديد الأسباب وتقديم التفسير . ويرجع لسقراط الفضل فيما شاع في عصره من أفكار سواء من حيث الفكر أو المنهج . كان كثير الأسئلة والنقد لما كان موجوداً من عقائد وأخلاق .

وربما كان ميلاد المنهج العلمى نابعاً مما قاله سقراط رداً على متهميه حيث قال :

« اننى أحبكم وأكرمكم يارجال أثينا ولكننى سأتبع الحقيقة لا أنتم .. ولن أتخلى عن تعليم الفلسفة طالما أنا حى ، ولن أغير طريقى حتى ولو فنيت في سبيله » .

افلاطون : Plato

يعد أفلاطون واحداً من أكبر فلاسفة اليونان لسببين :

الأول : أن بعض الأوصاف الفسيولوجية التى وضعها قد عادت للحياة من جديد على يدى من أتوا بعده من الفلاسفة .

الثانى : الفروض العامة التى وضعها حول طرق الحصول على المعرفة ـ والتى كان لها تأثير فيما بعد على كثير من واضعى النظريات العلمية . وتتلخص هذه الفروض فيما يلى :

أ ـ ان هدف التعليم هو تشكيل الانسان الذى يتصف بالحكمة من خلال التزاوج بين العقل والفضيلة .

ب ـ يجب أن يكون هناك توازن بين الحصول على المعرفة وبين العقل والقيم الخلقية .

جـ ـ ان التعليم هو الرعاية للعقل .

لقد اتبع افلاطون الطريق الذى سلكه سقراط ولكنه أضاف أن المعرفة الصحيحة يمكن الحصول عليها فقط لمن يستخدم أداة العقل « فهو أول من حدد الاتجاه العقلى في تفسير السلوك الانسانى . والانسان في نظر افلاطون لا يحتاج لأن يتعلم من الخبرة لأن بذور المعرفة والأفكار موجودة في عقله منذ الميلاد . كما أن كثيراً من الأفكار والمبادئ التى عبر عنها حول طبيعة الدافعية والادراك والعاطفة ما زالت باقية في علم النفس الحديث . وأحد المبادىء الهامة هو « الارتباط » حيث يقرر أن الكائن البشرى يمكنه أن يربط بين شيئين أو حدثين أو أكثر في ذاكرته لأنها سبق أن حدثت معاً في خبرته . ويرى أيضاً أن هناك اتحاد بين العقل والبدن .

ويرى أفلاطون أيضاً أن الأطفال يختلفون فيما بينهم في قدراتهم وان أى تدريب أو تعليم يجب أن يضع هذه الاختلافات في الاعتبار . وفي الخطوط الرئيسية التى وضعها لتقوم عليها الدولة الفاضلة ـ وضع نظاماً دقيقاً للتربية والتعليم وضبط سلوك الأطفال حتى يمكن ادماجهم في بناء اجتماعى يتعلم فيه كل الناس عن طريق الدولة الى أقصى ما تسمح به قدراتهم .

أرسطو : Aristotle

يعد أرسطو أحد تلاميذ افلاطون ومؤسس المنهج العلمى ومن أهم آرائه أن العلم هو كم منظم من المعرفة المنسقة والمصنفة . وقام بتصنيف المعارف التى تجمعت في عصره . ويرى أن حياة الانسان هى نتيجة لاتحاد عدة وظائف من بينها الوظيفة النمائية ، وأن هناك وظائف حيوانية ووظائف عقلية . ويتصف الانسان دون غيره من الكائنات بالوظيفة العقلية . ولكن حياة كل الحيوانات تشير الى وحدة في الوظائف النمائية والحيوانية . ان هذه الأوصاف التى ذكرها ارسطو قد أمدتنا بأول الأسس التى قام عليها علم النفس .

وعلم النفس الحديث قد بدأ عندما حاول تحقيق صحة الآراء المتعارضة ثم نمى تدريجياً عازلاً نفسه عن الافلاطونيات ثم التدقيق في آراء ارسطو وطريقته العلمية .

ديكارت : Descartes

يعد رينيه ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠) مسئولاً عن نظرية كان لها تأثير هام مضمونها أن العقل والجسم كليات منفصلة تماماً ، وعلى الرغم من استقلالها عن بعضها فهى في تفاعل دائم . وقد أحدث ديكارت بذلك نوعاً من التكامل بين مفهوم ارسطو عن الجسم كتنظيم عضوى أفعاله هى استجابات انعكاسية للمثيرات الخارجية ـ ومفهوم افلاطون عن الانسان ككائن يختلف عن الحيوانات في اختصاصه بالعقل الذى يعمل كمخزن للأفكار .

وأدرك ديكارت أن هناك تفاعلاً بين العقل والجسم ، فالجسم يستقبل توجيهاته من العقل كما يستقبل العقل التأثيرات (الصور والأفكار) من أفعال الجسم . ويعد ديكارت أيضاً من الشخصيات الهامة في تاريخ دراسة الانفعالات وتاريخ مذهب الفطرة Motivism فهو يعتقد أن ادراك الفرد من حيث البناء والمحتوى ـ فطرى وليس مكتسباً .

جون لوك : John Locke (١٦٣٢ ـ ١٧١٤)

تعلم جون لوك الطب في اكسفورد ومارس المهنة بصورة غير رسمية طوال حياته . ومن أهم ماذكره « أن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء ورفض مبدأ الأفكار الفطرية لافلاطون قائلاً أن مثل هذه الأفكار لم توجد في عقول الأطفال أو البدائيين . فما يشكل الطفل بالصورة التى سيكون عليها انما هو الخبرة والاحساس والاقتران . ونظر لوك للانسان على أنه كائن مفكر لديه القدرة على ضبط نفسه فقال :

« ان أكبر أساس للفضيلة والقيمة يكمن في قدرة الانسان على التحكم في رغباته وميوله واتباعه لتوجيهات العقل نحو ما هو أفضل » .

جان جاك روسو Jean Jacques Rousseau (١٧١٢ ـ ١٧٧٨)

تحدث روسو في كتابه « اميل » عن الطفل على أنه كائن همجى نبيل ، وأنه

مزود ببصيرة معرفية عن الصحيح والخطأ ، واذا تركناه لينمو بنفسه فسيكون فاضلا ومنتجا . ولكن المجتمع بعامة ، والأسرة بخاصة تدنسانه بالميول الشريرة التى يكشف عنها فيما بعد . ولهذا يجب تحرير الطفل من أية قيود عند استكشافه للعالم من حوله . وأفترض « روسو » أن الطفل نشط في استجابته للعالم المحيط به حيث قال :

« اننى أبين له (أى إميل) طريق المعرفة ـ وعلى الرغم من انها عملية غير محدودة فان الأمر ليس صعبأ . وهى عملية بطيئة وطويلة ومرهقة في متابعتها . وهو مجبر على أن يتعلم بجهوده الذاتية مستخدماً عقله لا عقل الآخرين . وكثير من أخطائنا مصدره الآخرون وقليل منها ما يكون مصدره من داخلنا ، وان التدريب المستمر يقوى العقل كما يقوى الجسم عن طريق العمل والجهد .

ومن الواضح أن آراء جون لوك وجان جاك روسو على طرفى نقيض . حيث يعتقد جون لوك ان الطفل يتشكل بالخبرة والتعليم ، وأنه يجب أن يتعلم كيف ينجح ، وأن المكافأة والعقاب مهمان في تهذيب الطفل وتشكيله في صورة عضو خير منتج في المجتمع . أما روسو على الطرف الآخر فيرى ان أقل تدخل من قبل الوالدين هو الأفضل .

بداية علم النفس كعلم :

بدأت الثورة العلمية في أوربا في أواخر عصر الاصلاح (القرن ١٤ ـ ١٦) وقد مهدت أعمال جاليليو ونيوتن الطريق حيث تقدم الفكر والمنهج العلمى بخطوات كبيرة . وبدأ علم النفس يحتذى حذو العلوم الطبيعية وبدأ في استخدام الأساليب الموضوعية في دراسة الظواهر المختلفة . وقد أدت ملاحظات كثير من العلماء وتجاربهم وأفكارهم الى اثراء ميدان علم النفس نذكر منهم :

جوستاف فخنر : Gustav Fechner (١٨٠١ ـ ١٨٨٧)

في منتصف القرن ١٩ نشر جوستاف فخنر ما يسمى « بالعناصر النفسجسمية » وبحث موضوعات كالاحساس والادراك ـ فقد كان فخنر يبحث عن قانون عام يحاول به أن يربط بين الظاهرة العقلية والأحداث العضوية التى سببتها . وتمثل محاولته أول الطرق الخاصة في الدراسة التجريبية في علم النفس .

ولهلم ڤونت : Wilhelm Wundt (١٨٣٢ ـ ١٩٢٠)

ويرجع اليه الفضل في ارساء قواعد علم النفس التجريبى كتنظيم علمى منفصل ، وهو صاحب المدرسة البنائية في جامعة ليبزج سنة ١٨٧٩ وقام كثير من تلاميذه بدور هام في تقدم علم النفس كعلم سواء في المانيا أو في أمريكا وانجلترا

هيرمان ابنجهلوس hermman Ebbinghaus (١٨٥٠ ـ ١٩٠٩)

وهناك دور هام في تاريخ علم النفس ذلك هو العمل الذى قام به هيرمان ابنجهلوس عن الذاكرة .. وتتلخص دراسته عن ذاكرته هو في انها كانت عاملاً هاماً في وضع بدايات المعامل غير الفسيولوجية لدراسة ما يسمى بالعمليات العقلية العليا .

تشارلس دارون : Charles Darwin (١٨٠٩ ـ ١٨٨٢)

ويعد مسئولاً عن أول دراسة هامة عن النمو النفسى للانسان . لقد كرس حياته لدراسة التعبيرات الانفعالية عند الانسان والحيوان .

سير فرانسيس جالتون : Sir Francis Galton (١٨٢٢ ـ ١٩١١)

ويرجع الفضل اليه في وضع اساس القياس النفسى للفروق في الذكاء

والشخصية وكان اهتمامه منصباً على تحسين الجنس البشرى ، واعتقد ان الشخصية والذكاء موروثان عن طريق الآباء والاجداد ولذلك كان اهتمامه الأول منصباً على الوراثة . وكان احدث من حدد العلاقة بين التأثير النسبى لكل من عاملى البيئة والوراثة . وقد رأى جالتون أن أول خطوة في الدراسة الموضوعية للفروق الفردية هى وضع مقاييس موضوعية للامكانيات العقلية البشرية .

وللوصول الى هذا الهدف وضع اكثر الوسائل الاحصائية اهمية في معالجة نتائج البحوث وهى « معامل الارتباط » الذى ساعد في دراسة وتحديد مدى العلاقة بين الامكانيات المختلفة .

ايفـان بافلوف : Ivan Pavlov (١٨٤٩ ـ ١٩٣٦)

كانت بداية نظرية التعلم في علم النفس التجريبى على يدى ايفان بافلوف والخاصة « بالانعكاس الشرطي » . وكان رأى بافلوف في التعليم مخالفاً لرأى ثورنديك (١٨٧٤ ـ ١٩٤٩) في التعليم الآلى .

جيمس كاتل : James Mckeen Cattell (١٨٦٠ ـ ١٩٤٤)

وهو من تلاميذ فونت النابغين الذين أثروا على تطور علم النفس بأمريكا . وقد اشتهر بوضعه للطرق الكمية في علم النفس . وكان اهتمامه الأساسى منصباً على الفروق الفردية في زمن الرجع التى يمكن ملاحظتها . كما اشتهر بمعمله النفسى بجامعة كولومبيا ، ودراساته عن زمن الرجع وميدان الاختبارات والتحليل الاحصائى .

ادوارد تتشنر : Edward Titchener (١٨٦٧ ـ ١٩٢٧)

وهو انجليزى المولد ـ يمثل اكثر من غيره المدرسة البنائية Structuralist

في أمريكا ، وكان أكثر الناس إصراراً على ذلك . ونظر إلى الشعور على أنه علة الوجود في علم النفس . فموضوعية علم النفس هي في تحليل الشعور إلى عناصره وهي الحس والإدراك والصور العقلية .

ستانلى هول : Stanley Hall (١٨٤٦ ـ ١٩٢٤)

يعد ستانلى هول ثالث اشهر تلاميذ فونت من الامريكيين ، وأهميته الخاصة في انه وضع بداية علم نفس الطفولة . فقد كان اهتمامه منصباً على بحث ودراسة محتوى عقول الأطفال في اطار المبدأ البنائى وعمله يعد اكثر من غيره فتحا جديداً بالنسبة للعمل المنظم في علم نفس الطفولة في الولايات المتحدة الامريكية

وهناك نظريتان كان لهما تأثير هام وكبير في تطور علم النفس هما النظرية الوظيفية (التى تهتم بالكيفية التى يتكون بها الشعور ـ بالاسباب والامكانيات والطاقات) . ومن أهم اصحاب هذه النظرية علماء بارزون مثل وليم جيمس ، جيمس انجيل ، جون ديوى ، هارفي كار . والنظرية الأخرى هى النظرية البنائية (وتهتم بمحتوى الشعور ـ أى العناصر التى يتكون منها الشعور) .

وقد حدد « آنجيل » علم النفس الوظيفى على انه علم نفس العمليات العقلية بالمقارنة بعلم نفس العناصر العقلية (علم النفس البنائى) وان العقل يعمل كوسيط بين البيئة وبين حاجات الكائن الحى .

ونجد أيضاً ان موضوع علم النفس التجريبى كما فهمه « فونت » هو تحليل الشعور الى عناصره عن طريق الاستبطان لأن الشعور هو موضوع الدراسة ـ طريقة تحليلية ذرية منصبة على معرفة عناصر الشعور وهى الحس والصور الحسية والمشاعر . كما كانت طريقته ارتباطية لانها تتم عن طريق الارتباطات والعلاقات بين هذه العناصر فيحدث الادراك ويظهر المعنى .

النظرية البنائية والنظرية الوظيفية

ثورنديك : E.L. Thorndike

وهو من تلاميذ وليم جيمس وكان اهتمامه منصبا على ذكاء الحيوانات ، وأحد المجالات التى اشتهر بها ميدان علم النفس التعليمى ·

السلوكية Behaviorism

وقد نبعت السلوكية من الوظيفية · حيث نجد جون وطسون وهو تلميذ آنجل قبل في أول الأمر مفاهيم النظرية الوظيفية فيما يختص بالشعور · ولم يكن راضيا عن وسائل الاستبطان · وطبقا لواطسون ، فانه اذا كان على علم النفس ان يبقى كعلم فان عليه ان يتخلص من الطرق غير العلمية · وأن يعتمد على الطرق الواضحة الصحيحة وهي السلوك الملاحظ · وطبقا لمبدأ السلوكية فان الأمور الهامة لديها هي : ان الكائن يسلك ، ويخضع لعملية استثارة ويستجيب لها بشكل ما · وان المعرفة الصحيحة بعملية الاستثارة تمكننا من التنبؤ بالاستجابة ومن وجهة النظر هذه فانه لايهم مايحدث في الشعور أو اللاشعور · ونظر « السلوكيون » الى الشعور كشئ لا أهمية له في علم النفس ، فهدف علم النفس كما اعتقدوا يجب أن يكون التنبؤ وضبط السلوك ·

ولسنا هنا بمجال مناقشة آراء واطسون ونقدها ، ولكن مايهمنا أن المبادئ التي نادى بها اثارت العديد من التجارب ذات الأهمية البالغة · وربما كان أكثرها أهمية هو التأكيد على الاسلوب المعملى والمنهج العلمى ·

وقد تبنى واطسون مفهوم الانعكاس الشرطى لبافلوف عالم الفسيولوجى كبديل للمفهوم العقلى للارتباط ، وبذلك أصبح السلوك موضوعا لعلم نفس المثير والاستجابة ، وبظهور السلوكية أصبح علم النفس علما حقيقيا ونظاما نمطيا في أساليبه ووسائله بعد الطبيعة والكيمياء .

الجشـــتالت : Gestalt

في الوقت الذى ظهرت فيه السلوكية في أمريكا ظهرت مدرسة أخرى معاصرة في المانيا .. هي علم نفس الجشتالت .. وكلمة جشتالت تعنى « الشكل أو التكوين » ولكنها لا تحمل المعنى الحقيقى لوجهة نظر الجشتالت . وربما كانت أكثر خصائصها دقة أنها تعنى « كليات » في الشعور أكثر من كونها تختص بالعناصر التى يتركب منها الشعور ، هذه الكليات اعتبرت ظاهرة للدراسة النفسية ، فالكل اكثر من مجموع الاجزاء . فالمقطوعة الموسيقية تدرك كتكوين موسيقى أو كل وليس كتجمع لعدة نغمات ، وبالتالى فان المواقف تدرك بصورتها الكلية بما فيها الأجزاء المكونة لها كمدرك كلى متكامل ، وطبيعة عملية الأدراك تعد محورا لاهتمام علماء الجشتالت .

ومن أهم علماء هذه المدرسة : كيرت كوفا ، وولفجانج كوهلر ، ماكس فرتيمر وكيرت ليفين . وقد كان اهتمام كيرت ليفين مركزا على مشاكل الدافعية، وبعد ذلك بعدة سنوات توصل الى نظرية المجال

كان لكل من هاتين المدرستين السلوكية الموضوعية والعقلية الجشتالتية اطاره النظرى ، ومنها ظهرت عدة نظريات تتعلق بالتعلم البشرى الذى يعد ذو أهمية حيوية بالنسبة لعلماء النمو كعملية تغيير .

التحليل النفسى :

ورائد هذه المدرسة هو سيجموند فرويد الذى تعلم الطب ثم تخصص في علاج

الهستيريا ـ وهى حالة يبدو على المريض فيها بعض الاعراض العضوية ولكن دون وجود أى اساس أو سبب عضوى . وقد تأثر فرويد بأعمال السابقين من أمثال جانية وشاركوة وايتارد . ولقد لاحظ ان اعراض الهستيريا كثيراً ما تقل بالايحاء عندما يكون المريض تحت تأثير التنويم المغناطيسى.

وقد بدأ بحثه في طبيعة الهستيريا بالتعاون مع جوزيف بروير وهو أيضاً طبيب نمساوى . وتوصل من خلال خبرته بعدد كبير من حالات الهستيريا التى ترددت على عيادته الى ان اعراض الهستيريا هى نتيجة لقوى مضللة يبديها الشخص الهستيرى وتكون عادة تحت مستوى الشعور . وبدراسة ماضى المريض ـ يتبين ان نموه خلال مراحل الطفولة قد انتابته انواع من الصراع والخجل ومشاعر الذنب نبعت من الجنسية الطفلية ، وكانت تكبت أو تعاقب من الضمير .

وقد أدت النتائج التى توصل اليها فرويد الى وضعه لاطاره النظرى الخاص بالتحليل النفسى والذى يتميز بثلاثة أبعاد هى :

١ ـ تفسير نظرى لبناء الشخصية وللنمو النفسى الجنسى .

٢ ـ طريقة لعلاج العصاب .

٣ ـ وسيلة لجمع حقائق علمية لا يمكن جمعها بأى طريقة أخرى .

وحيث كان تعليم فرويد طبيا فقد أحس ان كل الامراض العقلية لها اسباب عضوية وان كثيرا من الاعراض العضوية لها اسباب نفسية . ويعتبر مجال نمو الطفل من المجالات التى انتشرت فيها مفاهيم فرويد وفكره ومدرسته .

الفصل الثالث

نظريات عن نمو الطفل

مقدمة

هناك العديد من النظريات عن كيفية نمو الطفل ونضجه وتطوره ، فهناك من مدارس الفكر من ينظر الى الطفل كسلسلة من الاستجابات للمثيرات ، وأن هذه الاستجابات تتم دون اختيار من جانب الطفل .. ويعبر آخرون عن النمو بأنه الخبرات الماضية ويركزون على أثر نماذج معينة من الخبرات المؤلمة .

وعلى هذا فان العلاقة الشخصية والمهنية بالأطفال ستتأثر بوجهة النظر التى نتبناها ، وفيما يلى عرض لبعض النظريات التى اثرت في بحوث نمو الطفل وتربيته .

وهذا الاستعراض سيساعدنا على فهم القضايا التى ستناقش في الفصول التالية من هذا الكتاب ، وأيضاً ستساعدنا في معرفة الانجازات الخاصة بتصميم الابحاث الدراسية أو التوصيات العملية لتوجيه الطفل ، ومع ان ما نقدمه ليس منهجاً لدراسة نمو الطفل بحيث يغطى نظريات نمو الطفل بالتفصيل ـ الا ان الصلة وثيقة بحيث يجب ان نكون على وعى بموقف النظرية التى وضعها الآخرون والتى سيتبناها المربون في معاملتهم للاطفال .

وجهة نظر علماء النفس التحليليين :

لقد زودتنا نظرية علماء النفس التحليليين في السنوات الاخيرة ببعض الآثار القوية على نظرية نمو الطفل وتدريبه . وقد حاولت النظرية التحليلية تفسير كلا من النمو الشعورى واللاشعورى ، وقد كان سيجموند فرويد رائداً لهذه المدرسة الفكرية وكان أثره كبيرا على تفكير علماء النفس وعلماء الامراض العقلية وعلماء النفس التحليليين ومع ان عمله في البداية كان مع المراهقين الا انه اعطى نظرة لها اعتبارها لخبرات الطفولة وأكد على أهمية تاريخ النمو العقلى في دراسة الطفل ، وقد أكدت نظريته على الدور الحيوى لخبرات الطفولة المبكرة في تكوين انماط معينة من السلوك .

وقد ينظر الى وجهة نظر علماء النفس التحليليين على انها نظرية بيولوجية مع ان الدوافع البيولوجية توجد في نطاق النسق الاجتماعى .

وترى النظرية انه اذا لم تشبع الدوافع الاساسية خلال المراحل الأولى فان الطفل سيترك مرحلة الطفولة ولديه شئ من التثبيت الذي يعوقه لدرجة ما عن التوافق والتكيف مع مواقف الحياة ، فعندما تكون الإثابة خلال المواقف الناجحة للنمو غير كافية (احباط) فان الطفل سوف يرتد على عقبيه الى انماط سابقة من السلوك طلباً للإثابة ، وهذه العملية هى ما يسميها المحللون النفسيون بالنكوص : **Regression**

هذه المفاهيم عن الاحباط والنكوص ترتبط بتتابع النمو ، وترى نظرية فرويد ان الشخصية تتقدم من المرحلة الفمية الى المرحلة الشرجية ، الى الجنسية ، فالخبرات التى تحدث خلال كل مرحلة يعتقد بأنها تؤثر في الملامح الواضحة للشخصية طيلة حياتها ، وقد أكد فرويد الدور الحاسم للطفولة المبكرة في ارساء البناء الأساسى لشخصية الفرد .

وتفترض نظرية التحليل النفسى بناءا نفسيا ، وهذا البناء يتكون من ثلاثة مكونات : الهي ، الأنا ، الأنا العليا .

وتوجد الهى من لحظة الميلاد ، وهى تهتم فقط بارضاء الحاجات ويتحكم فيها مبدأ اللذة وتبحث دائماً عن اللذة وتتجنب الألم ، وتظهر الانا في طى الحاجات الداخلية ويكون وضوحها عن طريق الهى ومطالبها الخارجية ، وتلعب الانا دوراً كبيراً حيث انها تمثل مبدأ الواقع طالما هى تضع الحدود لمبدأ اللذة عند الهى . وللانا دور هام في عملية النضج وتحمل المسئولية ـ أما الانا العليا فهى تمثل المنظم الاجتماعى للبناء النفسى ، مثل قيم الاسرة والاشكال المعرفية عند المراهقين ، واحيانا يشار الى الضمير الذى يجد من الانا العليا وكيلا مراقبا ، فهناك وظيفة واحدة للانا هى ان تكون حلقة الوصل بين طبيعة المرء العدوانية الواضحة (الهى) والمؤثرات والحدود والمعايير الاجتماعية (الانا العليا) وتحفظهم في توازن .

ويعتقد فرويد بأن عملية النمو تركبت من سلسلة من المراحل الثابتة والتى (عبرها) كل طفل في نظام متسلسل ، ولا يتم ذلك اذا حدث تثبيت للطفل على مرحلة معينة.ويفترض فرويد بأن الفرد يمتلك من الدوافع ما يمكنه من اختيار واستخدام الطاقة النفسية للحصول على السعادة من المناطق المختلفة للجسم أثناء انتقاله من مرحلة لأخرى ، وهذه الطاقة الدافعة الموجهة أسماها فرويد الطاقة النفسية (الليبيدو) .

وأول المراحل الاربعة التى وضحها الفرويديون هي المرحلة الفمية والتى فيها يكون الامتصاص هو اعظم المصادر تنظيما في اثابة الطفل ، فالتوتر والارتياح يدور حول الحاجة الملحة للامتصاص ، وهذا الاعتقاد جعل من عملية الامتصاص ، كما يرى « ايركسون » عملية ينمى الطفل عن طريقها مشاعر القبول والثقة أو عدم الثقة في الناس ، وهذه المرحلة في الحياة يغلب عليها الاعتماد السلبى .

وفي المرحلة الثانية وهى المرحلة الشرجية تحدث عندما يكون الطفل مستعداً لأن يتحكم في وظائفه الاخراجية ، وخلال هذه المرحلة يتمكن الطفل من السيطرة على العضلات العاصرة للمثانة والمستقيم وتنظيم عمليات الاحتفاظ والتخلص من الفضلات ، وفي هذا الوقت تكون المنطقة الشرجية ذات أهمية كبيرة في نمو الطفل ، وحاجاته المستمرة من اجل الحب والأمن . ويصبح التدريب على

النظافة من وقت لآخر ونمو القدرة على التحكم في عضلات الاخراج والحاجة للأمن في حالة صراع ، بيد أن التحكم في التبول والسيطرة عليه يمكن ان يعطى الطفل احساسا بالقوة المتزايدة واحترام النفس ، أو ان يكون ذلك مصدراً لقلق الطفل وهمه .. وقد تبعث المرحلة الشرجية في الطفل روح الكفاح من اجل السيطرة على عالمه الخارجى ، ويعتقد بانه في هذا الوقت تنمو الملامح المرتبطة بالنظام والدقة والاقتصاد ، كما تكون السلبية من ملامح المرحلة الشرجية .

والمرحلة الثالثة .. المعروفة (بالمرحلة الامامية) أو (المرحلة الاوديبية) هى المرحلة التى يصبح فيها الطفل واعياً بالفروق الجنسية ، وتعرف هذه المرحلة التى يكون فيها الطفل اكثر وعياً بحبه لأبويه ، وهذا الحب يكون موجها لكلا الابوين في بداية الأمر ، ويعتقد الفرويديون بأن الطفل تنمو عنده عاطفة متزايدة نحو الأب من الجنس المخالف رجوعا في هذا الى عقدة اوديب فالطفل على سبيل المثال ينمو عنده شكل من الحب لأمه ويحس بأبيه كمنافس له ، وهذه المشاعر المختلطة عن الأب يمكن ان تخلق عنده القلق . والطفل في هذه المرحلة ـ من الناحية السلوكية ـ يندر تعاونه ، ومن الصعب معايشته . وتبدأ هنا الشخصية في التبلور وتتضح الميكانيزمات الدفاعية والطريقة الذاتية في التعامل مع المشكلات التوافقية .

وفي المرحلة الرابعة : « مرحلة الكمون » يبدأ الكبت الأولى في الظهور وتوصف هذه المرحلة بأنها الوقت الذى يميل فيه الطفل اكثر من اية مرحلة سابقة الى جماعة الرفاق ويصبح الطفل في هذه المرحلة منهمكا في التعلم والاهتمام بالمجتمع الخارجى وتنمية أناه العليا ، وقد مال التحليليون لأن يصفوا هذه المرحلة بالهدوء الذى يسبق عاصفة البلوغ .

وقد بنيت نظرية فرويد عن الطاقة الانفعالية النفسية المستمدة من الدوافع البيولوجية الاولية على اساس أن هذه الطاقة هى طاقة جنسية والتى عن طريقها تصبح أعضاء معينة في الجسم (غير جنسية) مصدراً للذة التى يشتقها من وظائف هذه الأعضاء ، كالأكل وتنظيم الأمعاء .

ويضع المحللون النفسيون أهمية اولية على هذه الطاقة عندما يصفون الدوافع المحركة للبشر . وعلى هذا يرى الفرويديون أن الطفل يمر بمراحل تتركز في كل منها الطاقة الليبيدية على منطقة معينة من الجسم ، ولو ان القلق في أى مرحلة أصبح عظيما جدا فلربما يرتد الطفل الى مرحلة سابقة طلبا للثواب ، ويفترض الفرويديون بناء تنظيم محدد في الشخصية مرتبط بنمو ميكانزمات دفاعية

معينة تتضمن التثبيت والنكوص والتخيل والرفض والتحويل والكبت وأشياء أخرى للتخفيف من حدة التوتر .

ومن انجازات فرويد أيضاً تعريفه للدوافع اللاشعورية ، فلقد أشار بأن الفرد غالباً ما لا يكون واعيا بها ، ولقد كان اهتمامه بالدوافع اللاشعورية ، ذا أثر على علم النفس في معالجته لأسباب السلوك البشرى بدلا من وصفه ماذا يعمل الناس .

ومع ان صلة فرويد بالأطفال كانت محدودة الا ان العديد من تلاميذه بذلوا الكثير مع الاطفال ، ومنهم ميلان كلين وأنافرويد وطبقا لما تراه « كلين » فان الأطفال يخبرون الدوافع الجنسية والقلق منذ سنوات حياتهم الأولى .. وقد طورت فن اللعب كبديل للتداعي الحر ، وركزت أيضاً على الطبيعة الرمزية لنشاط اللعب وأهميته في العلاج.ولقد اتبعت أنًا فرويد سلسلة من الخطوات المحددة في علاجها الأطفال بالتحليل النفسى ، فلقد اكدت على اهمية تنمية الجو التعاونى والتدعيمى المتزايدة للطفل ، ومدخلها هذا لا يركز كثيراً على التفسير غير المباشر كما ترى « كلين » لقد اعتقدت في أهمية اللقاءات مع كل من الآباء والمدرسين لتقوية التقدم الذى يمكن الحصول عليه في التحليل النفسى للطفل .

وتؤكد وجهة نظر علماء النفس التحليليين مكانة الدوافع الأساسية ، ويعتقد المحللون النفسيون بأن الرسوب المتكرر في اثابة هذه الدوافع يؤدى الى شخصية مشوهة تحتاج لعلاج .

ويؤكد الفرويديون على الحاجات الفطرية والمواهب ويركزون على العناية بمجهود الانا العليا التى تعمل من أجل احداث توازن بين المطالب الداخلية والخارجية .

ويؤدى بنا هذا المدخل لنتعرف على كيفية عمل الميكانيزمات الدفاعية

المختلفة لتقليل التوتر ، فالميكانيزمات الدفاعية يمكن ان تساعدنا على فهم سلوك الطفل وتعطينا الدلالات المباشرة لمعنى تصرفه .

وجهة النظر الأدلرية :

تختلف افتراضات علماء النفس الأدلريون تماماً عن اولئك المحللين النفسيين، ومع أن الفريد ادلر كان أساسا مرتبطا بفرويد ـ الا انه نما بعض المبادئ المختلفة اساسا والتى ارتبط بها اسمه وعلى الدارس ان يتبين الفروق بين الفرويديين والادلريين من المقارنة التالية :

الادلريــون	الفرويديـون
علم النفس يقوم على أساس (الاتجاه الذاتى) وتفسيرات ذاتية سببية	علم النفس يدعو الى الموضــوعية ، تفسيرات بيولوجية سببية (علية)
ـ قوانين تطبق على الفرد	ـ قوانين عامة
ـ الكلية ، فكرة (الصور) عن الكائن العضــوى	ـ علم نفس يقوم على الكيف عن دقائق الأمور والتحليل الى عناصر
ـ وصفه للظواهر الطبيعية	ـ وصف ميكانيكى
ـ التركيز على الاغراض والحاجات الاجتماعية	ـ التركيز على الدوافع البيولوجية

من هذه القائمة يمكن أن نرى اهتمام الأدلريين بالقوانين النفسية المستخدمة في فهم الفرد ، فهم ينظرون للسلوك كتعبير عن الادراك الحسى للفرد في الموقف ، وقد أكدوا كثيرا على نظريتهم للسلوك وارتباطه بالموقف الكلى .

وترى النظرية الادلرية حرية الفرد في تحديد سلوكه فهو اكثر من نتاج

لمؤثرات خارجية أو عوامل وراثية ، فالطفل غرضى ومكافح ومنهمك في اتخاذ القرارات ومشغول بالانشطة التى تمكنه من الوصول الى هدفه .

ويعرف الادلريون الانسان اساساً ككائن اجتماعى ، فكل سلوك له معنى اجتماعى ، ويمكننا فهمه بطريقة افضل حينما ننظر اليه في الاطار الاجتماعى الذى يعيش فيه الطفل سواء أكان هذا النسق للأسرة أو الفصل أو جماعة الرفاق أو أية جماعات اخرى .

ويحس الادلريون بأن معظم السلوك غرضى وأن الأفعال والحركات دائماً موجهة الى هدف ، ولكى نرى الغرض من السلوك علينا أن نفهمه ، ويتخذ الادلريون المدخل الغائى (من غايات) في فهمهم للسلوك ، ويفترضون وجود اختلافات في الحالات النفسية نتيجة لذلك .

وطبقاً لنظرية ادلر فان الانسان يتم فهمه في مجال البيئة الطبيعية التى يعيش فيها ، وانه لاكثر اهمية ان نعرف كيف يرى الطفل الموقف أو كيف يحس به من ان نعرف ما قد حدث بالفعل ، كما يفترض أن سلوك الطفل يتخذ معناه من الطريقة التى يرى بها العالم من حوله ، فهو لايغد فقط مستقبلا لمثير ، بل عنده من المقدرة ما يمكنه من ان يفسر ويعين معانى الاحداث التى تدور حوله . وتوضح نظرية ادلر الدور الذى يلعبه الفرد في اعطاء معانى لخبراته ، وهى أيضاً تعطى الاولوية لحرية الفرد في الاختيار ، وتؤكد على الانتماء كحاجة اساسية ، فهم يعتقدون بان الحاجة لأن يكون عضوا في جماعة وان تحتل المكانة وتنتمى يفسر كل ذلك نماذج كثيرة من السلوك .

أدى تركيز نظرية أدلر على التركيب الكلى للعوامل واعتباره أساسا في دراسة الانسان الى مفهوم اسلوب الحياة الذى يتضمن تقويم الانسان لنفسه ، والناس من حوله وعالمه ، ومكانه في هذا العالم ـ فالفرد يكوّن نموذجه الشخصى من الاستجابات والاتجاهات ـ والقيم والافتراضات الاساسية .

وتقول النظرية الأدلرية بأن أفعال الطفل ربما تبنى على افتراضات خاطئة

أو آراء غير صحيحة ، وهى تبحث عن تعريف للحقيقة يبدو فيها سلوك الطفل غير مناسب . فالطفل منذ الميلاد يتفاعل مع الناس من حوله ، وخلال هذا التفاعل يتعلم القواعد والحدود الخاصة بمجتمعه ، ويستمد خبراته الأولى من أعضاء اسرته ، فهو يلاحظ ويجمع هذه الخبرات وينمى اتجاهات والقتناعات معينة . ويعتقد الادلريون انه من المهم ان نأخذ في الاعتبار تلك العوامل الخاصة بالجو الاسرى والجماعة الاسرية .

فالجو الأسرى يشير الى العلاقات القائمة في المنزل والتى يحصل منها الطفل لأول مرة على خبراته عن الحياة الاجتماعية . فالاتجاهات الاجتماعية في داخل الأسرة تؤثر في الاتجاهات التى تنمو لديه . والأسرة هى المكان الذى ينقل الى الطفل المؤثرات الخاصة بالمجتمع لأول مرة وبصورة مبسطة ، فالعلاقات التى ينميها الطفل انما تعكس الجو السائد داخل الأسرة ، ومع ان الجو الاسرى لايعد بالظرورة محددا مباشرا للسلوك ـ الا انه يعرض الطفل لمواقف تنافس وتعاون عليه ان يختار منها كى يتوافق معها أو يرفضها .

والمجموعة الأسرية تشير الى مكانة الطفل بين اخوته ، وتلعب مكانته دوراً هاماً في تنمية شخصيته ، وكلا من الجو التنافسى والتعاونى بين الأخوة غالبا ما يعبر عنه بالاختلافات والتشابهات الاساسية في الشخصية ، وبينما لا ينظر الادلريون الحديثون للوضع الترتيبى للطفل الاكبر فالثانى فالأوسط فالاصغر أو الطفل الوحيد ـ ففى حالات معينة من هذه الحالات نجد كل اهتمامهم منصب على تقييم الطفل لوضعه داخل المجموعة الاسرية وكيف يرى العالم المحيط به . مع الأخذ في الاعتبار الاستجابة النفسية ازاء ةضعه في الأسرة .

وبالنسبة للتعامل مع الطفل المشكل أو المزعج ، يرى الادلريون انه من المهم أن نتعرف على أهداف الطفل ، ويعتقد «دريكرز» (Drekers) بأن أهداف الطفل ربما تكون سالبة أو موجبة ، ويمكن ان تستخدم وسائل بناءة أو هدامة .

كما يعتقد بأن هذا النموذج الاساسى من النشاط توضع اسسه في وقت مبكر من الحياة ومن الصعب تغييره ، ومن الواضح أن هذا النموذج انما هو انعكاس

لنموذج حياة الطفل ، ونماذج السلوك الاربعة التى يذكرها «دريكرز» هى :

١ ـ موجب بناء ٢ ـ موجب هدام
٣ ـ سالب بناء ٤ ـ سالب هدام

فالطفل الموجب البناء يكون عنده من الطموح المتزايد لأن يكون أول فصله وهو يوجه هدفه الى النجاح ، والطفل الموجب الهدام هو ذلك الطفل الذى من الممكن ان يكون وقحاً ـ عدوانياً ـ شرسا ـ أو متنمرا ٠
أما الطفل السالب البناء فانه ينال أهدافه لكونه جذابا ويتلقى اهتماما خاصا لكونه جذابا وليس لما يفعله ـ أما الطفل السالب الهدام فانه يشخص بكونه كسولا وربما يبدو كسله في أفعال متدرجة من استجابات باطلة الى أعمال البته ، ولقد صور « دريكرز » الأهداف الاربعة للسلوك السئ فيما يلى :

١ ـ الحصول على الانتباه ٢ ـ القــوة
٣ ـ الانتقام أو الرغبة في الرد على الأذى بمثله ٠
٤ ـ عدم تمثيل الحقيقة أو التصور غير الكافي والاحساس بالضعة ٠

نظرية النمو عن طريق النضج :

يؤكد أصحاب هذه النظرية وعلى رأسهم ارنولد جيزيل على مفهوم النضج ، فهم يعتقدون بأن النمو يحدث بطريقة ثابتة ومنظمة داخلية ومتدرجة . وهذا القول يشمل نمو الانسجة والأعضاء ، ويشتمل أيضاً على الوظائف والسلوك والثقافة والبيئة التى تعتبر مؤثرات ثانوية ٠ ويرى أصحاب هذا الرأى بأن العوامل البيئية ربما تكيف النمو ولكنها لا تولده ولا تحدث تقدما فيه ، فالنضج يتم خلال الميكانيزمات المنتظمة المسئولة عن تحديد اتجاه كل نمو ، والنضج هو المسئول عن النمو الطبيعى والذى يبدو انه يتم بطريقة منتظمة وغير معتمد على أى تدريب ٠

لقد كان جيزيل ذا أثر كبير في ارساء تكنيكات هامة عن تشخيص النمو لأطباء الاطفال والباحثين في مجال نمو الأطفال ، وقد وضعت معايير السلوك الخاصة بالنمو على يد الباحثين في مركز دراسة الطفل في جامعة ييل ، وقد رأى «جيزيل» بأن سلوك الطفل نمطى ويمكن التنبؤ به .

ويصف أصحاب نظرية النمو مراحل معينة للنمو ولكنهم لا يحددون الوقت الذى يصل فيه الطفل لهذه المراحل . ويوضح «جيزيل » ويحذر بأن معايير العمر ليست موحدة . فهناك فروق فردية يمكن ملاحظتها في كل مرحلة من مراحل النمو .

ونظرية النمو باشارتها الى أهمية الطبيعة المرحلية للنمو والسلوك يمكن التعبير عنها بصورة افضل في القائمة التالية المأخوذة من كتاب «سلوك الطفل» .. «لالج وايمز» .

التتابع الدورى لمراحل السلوك :	سنة	سنة	سنة
سلس ومتماسك	٢	٥	١٠
انفصـالى	٢	٥ـ٦	١١
متكامل ـ متزن	٣	٦	١٢
منطـــو	٣	٧	١٣
قوى ، منبسط	٤	٨	١٤
منطو ومنبسط ، مضطرب ، عصابى	٥	٩	١٥
سلس ، متماسك	٥	١٠	١٦

ويذكلا «جيزيل» أن الشخصية ودرجة النمو والقدرات الخاصة يمكن ان تكون فردية وتختلف من شخص لآخر . ويلح اصحاب نظرية النمو على تعريف كل طفل بمفرده ، ويرون بأن نماذج معينة من السلوك سوف تحدث بغض النظر عن

أى مؤثرات خارجية ولذا فهم يركزون على أهمية تعريف واحترام فردية الطفل من لحظة ميلاده .

وينظر «جيزيل» وتلاميذه الى النمو على انه محدد بالفطرة في داخل الاعضاء وأن البيئة ذات دور ثانوى في تكييف السلوك .

وعلى هذا فسواء في المنزل أم في المدرسة فان «جيزيل» يدافع عن سياسة ترك الطفل ينمو على راحته ، وسواء اجبرنا الطفل أم حددنا سلوكه فلن يخلق فيه ذلك سوى السلبية والنقص في الانتاج .

ولقد أثر «جيزيل» اثرأ كبيرافي مجال نمو الطفل ، وذاعت كتاباته اكثر من غيرها في ذلك الوقت .

نظرية علم الاجتماع الحضاري :

يضع علماء الاجناس الحضاريين كثيراً من التأكيد على المؤثرات البيئية ، فهم يرون أن الطفل ما هو الا وظيفة للقوى الاجتماعية الحضارية التي يصطدم بها . وهم يؤكدون بأن القيم والمؤسسات الخاصة في كل حضارة تنتج نموذجاً محدداً من الشخصية ، ومعنى هذا أن الفرد في مجتمع ما مضطر لأن يسلك بطرق معينة وهكذا فان الحاجات ترتبط بحضارات خاصة ، ولا يتجاهل علماء الحاجات العضوية أو الفسيولوجية ، ولكنهم يرون بأن الطرق التي تقابل بها هذه الحاجات انما هي وظيفة للثقافة المعينة .

ويوضح « آشلي مونتاجو » وجهة النظر هذه عندما يشير إلى الشخصية على أنها نتاج التفاعل المستمر بين الأعضاء والمجتمع والمؤثرات الاجتماعية المتفاعلة والثقافة ، وتفاعل هذه المتغيرات يشكل الطفل بصورة معينة .

ولقد افترضت « مارجريت ميد » بأن الاتجاهات الثقافية تتداخل مع الاتجاهات الطبيعية ومن هذا التداخل تبنى الشخصية .

ولقد ردت « بندكت » Benedict بأن ملامح السلوك تختار ثقافياً وهي ترى بأن العادات التي يولد فيها الطفل تشكل خبراته وسلوكه منذ الميلاد ، لقد وسعت هذه النظرية من أسس فهم طبيعة نمو الطفل ، وعلى الانسان أن ينظر إلى العوامل البيولوجية والثقافية والاجتماعية والنفسية ليصل إلى فهم سليم للطفل
ولقد وضح « هانج هيرست » مطالب النمو كما يلي :

مطلب النمو هو المطلب الذي يبزغ في مرحلة معينة من حياة الفرد ، والنجاح الذي يمكن الحصول عليه يؤدي إلى سعادة ونجاح الفرد ، بينما الفشل يؤدي إلى الشقاء والرفض من المجتمع وصعوبات في مراحل لاحقة .

وهذه المطالب يعبر عنها بالتعليم الخاص الذي يحتاجه الفرد من مجتمعه الخاص ، الأمر الذي يساعد الإنسان على أن يرى العلاقات بين الحاجات والعمليات النضجية والمتطلبات الحضارية .

وبفحص قائمة مطالب النمو نرى أنها مبنية على عوامل نفسية وحضارية ، ومفهوم مطالب النمو مفيد بدرجة خاصة لأنه يساعد في توضيح المطالب المهمة لأطفال المدرسة في الأعمار المختلفة ، ولتحديد أكثر الأوقات أثراً في الجهود التعليمية ، ويوضح استمرار النمو على أنه مطالب في مستويات عمرية مختلفة مرتبطة بمطالب سابقة . وقائمة مطالب النمو المذكورة بعد تعطي صورة أوضح عن مفهوم « هانج هيرست » .

مطالب النمو في مرحلة المهد والطفولة المبكرة :

١- تعلم المشي : فيما بين الشهر التاسع والخامس عشر عندما تكون العظام والأنسجة والأعصاب قد نمت إلى الدرجة المناسبة فإن الطفل يبدأ المشي ، وفي السنين التالية يتعلم كيف يجري ويقفز ويثب .

٢- تعلم تناول الأطعمة الجافة :

مع نمو الجهاز الهضمي والقدرة على المضغ يصبح الطفل بالتدريج قادراً على

التحول من الأطعمة السائلة إلى شبه الجافة إلى الجافة ، وتتأثر شخصية الطفل بطريقة إطعامه وفطامه .

٣- تعلم الكـلام :

يكون الطفل مستعداً لأن يتحدث باختصار بعد الميلاد ، فهو يبدأ باصدار بعض الأصوات التي يربطها من يحيطونه بمعنى ، فبين الشهر الثاني عشر والثامن عشر يتفوه بصوت في موقف معين ويعني به كلمة معينة ويتطور من هذا بسرعة إلى الجملة ذات الكلمة الواحدة ، ومن هذا إلى الجمل ذات الكلمات المتعددة ، وتنمو عنده قائمة الكلمات أكثر من معرفته بالقواعد ، ويتم نضج البنات قبل البنين .

٤- تعلم التخلص من فضلات الجسم :

فيما بين السنة الثانية والرابعة تكون الأعضاء والعضلات التي تتحكم في التبول والتبرز قد نمت تماماً ، ويعتبر الطفل متمرناً تمتماً عندما يكون قد امتلك التحكم في التبول والتبرز ، وتعلم مسئولية الحفاظ على نفسه جافاً ونظيفاً ، فالتدريب على دورة المياه يكون أول تدريب أخلاقي يتلقاه الطفل ، وطرق التدريب تؤثر في شخصيته أخيراً .

٥- تعلم الفروق الجنسية والنمط الجنسي :

يتعلم الاختلافات التشريحية بين الجنسين ويتعلم كذلك كيف يتصرف بالطرق المناسبة لجنسه والمطابقة (المتمشية) مع حضارته .

٦- الحصول على الثبات الفسيولوجي :

لا يتم قيام معظم الميكانيزمات الحيوية بوظائفها المؤثرة حتى سن الخامسة ،

وهذا فرض بيولوجي بحت .

٧- تكوين مفاهيم بسيطة عن الجنسية الاجتماعية والطبيعية :

يبدأ الطفل بالتدريج في تكوين التعميمات من العالم المحيط به ويكون بعض المفاهيم مثل : رجل ، حيوان ، حول ، وهنا لابد وأن تكون أعضاؤه قد نمت إلى مستوى معين ، ولابد وأنه قد تزود ببعض الخبرات قبل تكوين هذه المفاهيم .

٨- تعلم الارتباط العاطفي بالوالدين والرفاق والناس الآخرين :

يقلد الطفل لا شعورياً ما حوله من الناس وبالتدريج يتعرف على نفسه بالنسبة للآخرين خصوصاً والديه ، والطريقة التي يتم بها هذا المطلب لها أهميتها في تحديد علاقاته الاجتماعية في حياته التالية .

٩- تعلم تمييز الصواب والخطأ وتنمية الضمير :

يتعلم الطفل مفاهيم الخير والشر ممن يحيطونه من الناس وأخيراً يبني الشخصية على هذا الأساس .

مطالب النمو في الطفولة الوسطى :

١- تعلم المهارات الجسمية للألعاب العادية :

يكتسب المهارات أثناء نمو العظام والعضلات ، وتكافىء جماعة الرفاق الطفل من أجل النجاح ، ويتوقع أن يقوم الأولاد بهذه المهارات أفضل من البنات .

٢- تكوين الاتجاهات السليمة تجاه نفسه ككائن حي نام :

ويتكون هذا المطلب من العادات النامية عن النظافة والأمان والأمن

والاستقرار والاتجاهات السليمة عن الكفاية واللذة في استخدام الجسد كاتجاه متكامل نحو الجنس ٠

٣- تعلم مسايرة رفاق السن :

ويتعلم الطفل مسايرة الأطفال خارج الأسرة وينظر إلى رفاق السن طلباً للقبول الاجتماعي ٠

٤- تعلم الدور الاجتماعي الذكري والأنثوي المناسب :

حيث لا يوجد اختلاف بينه وبين جنسه في النشاط الطبيعي أثناء هذه المرحلة كذلك فهناك اختلاف زائد في السلوك الاجتماعي ٠

٥- تنمية المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب :

في سن السادسة يكون الجهاز العصبي قد نضج بدرجة كافية لتعلم هذه المهارات ولكن في حالات كثيرة تكون عضلات العين لم تنمو بدرجة كافية حتى منتصف هذه المرحلة ٠

٦- تكوين المفاهيم الضرورية للحياة اليومية :

قبل أن يصل الطفل إلى المدرسة يكون الطفل قد نمى مفاهيم كثيرة مبسطة ، ومن خبراته المتماسكة ينمي الكثير من المفاهيم ، ومع نموه فإنه يصبح قادراً على تشرب مفاهيم ذات مستوى عال من التجريد ٠

٧- تنمية الضمير والأخلاقيات والقيم :

يتلقى الطفل أولى قواعد السلوك عن طريق الأسرة وأخيراً يتعلم الطفل كل قواعد النشاط ، وينمي قائمة من المفاهيم طبقاً لمتطلبات ثقافته ٠

⑧- الاستقلال الشخصي :

يحرر الطفل نفسه من الالتصاق بوالديه وبالتدريج يصبح قادراً على أن يصنع خططه بنفسه ويختار أنشطته وأصدقائه .

٩ - تكوين الاتجاهات نحو الجماعات والمؤسسات الاجتماعية :

تتكون الاتجاهات بالتقليد أو بالخبرات السارة وغير السارة ، وخلال هذه الفترة يتعلم الطفل الاتجاهات ممن هم خارج المنزل .

نظرية جان بياجيه :

اهتم جان بياجيه عالم النفس السويسري بالأبحاث النظرية والتجريبية المتصلة بالتكوين العقلى ، وقد شغل نفسه في منهج دراسي طويل عن النمو المعرفي وتوصل إلى نظرية عن النمو العقلي والفكري . وقد درس بياجيه لغة الطفل واستدلاله وأحكامه الأخلاقية وتركيبه المعرفي ونموه الذهني خلال الملاحظة الواعية للسلوك التلقائي للطفل ، ويميل عمل بياجيه لأن يكون وصفيا أكثر من أن يكون تنبؤياً .

ويعتقد بياجيه بأن العمليات الذهنية لا توجد بمعزل عن كل ما يحكمها وهذ هو المبدأ المنظم ، ومن الضروري أن نتبينه .

وقد درس تكوين النمو العقلي ووظيفته ومحتواه ، فالمحتوى هو السلوك الملاحظ ، بينما الوظيفة هي العملية التي بها يمتص الجديد ويتوافق مع القديم. وقد سلم بياجيه جدلاً بوجود تكوين معرفي بين الوظيفة والمحتوى . واستمر في دراسته التفصيلية عن التطور والنمو في هذه التكوينات ، باحثاً عن تحديد مستويات النمو المعرفي ، ويمكن أن يشخص عمله بأنه اهتمام بالتحديد الوصفي للنمو .

ويرى بياجيه أن كل السلوك الذي يأتيه الطفل يمكن أن يفهم كنظام كلي وأنه من المحتمل أن تفسر مجموعة من أنواع السلوك غير المرتبطة في إطار تكوينها الكلي ، وقد توصل بياجيه إلى سلسلة من مراحل النمو للسلوك الملاحظ الصادر عن نظام ثابت وغير متغير ، وكل منه يرتبط بالمرحلة السابقة عليه ـ أي أنه يمر بمرحلة أولية من الإعداد وينتهي إلى مرحلة أخيرة يتسم فيها بالإنجاز ، وهناك عمليتان حيويتان من أجل النمو .

١ - التمثيل : حيث يدمج الطفل عناصر جديدة في التركيب الموجود .
٢ - التكيف : حيث يتواءم التركيب نفسه مع العناصر الجديدة .

وفي هذا المنهج ينظر للطفل كوجود منظم يلائم نفسه مع البيئة الخارجية ، وهذا الموقف يمثل بوضوح موقف تفاعلي مجالي منظم واضعاً في الاعتبار النضج والتعلم مع التركيز على عملية التفاعل .

ويتركب النمو المعرفي من أفعال تصبح بمرور الأيام متعارفاً عليها ويؤدي التمثيل ، والتكيف إلى التوافق والنمو . وقد قسم بياجيه المقياس المعرفي إلى ثلاث فترات ذات تتابع ثابت ، ومع أن التقدير الزمني لكل فترة من الممكن أن يتذبذب ، فإن هذه الفترات هي :

١ - الذكاء الحسي منذ الميلاد حتى السنة الثانية وهذه هي الفترة التي يتحرك فيها الطفل من التمركز حول الذات الى التفريق بين نفسه وما حولها من أشياء ، وهذه هي فترة النمو في إدراك المسافة والوقت والتقليد والسببية ، والذكاء المحرك بالاحساس يكون فقط قادراً على أن يربط بين المواقف الناجحة الواحدة منها بالآخر .

٢ - فترة الاستعداد للعمليات العقلية المنظمة الثابتة من ٢ : ١١ سنة وهذه هي الفترة التي يبدأ فيها تفكير الطفل ، وهذا التفكير عنده من السعة لتنظيم الأحداث المتفرقة في كلّ ذي معنى ، وهذا التفكير متحرر من حدود الحقيقة الثابتة وإن كان يسمح بعرض المهارات اليدوية .

٣ - فترة العمليات الشكلية من سن ١١ إلى ١٥ سنة وفي هذه الفترة يصبح التفكير

قادراً على أن يتفاعل مع العالم الخارجي بمشاكله .

وتقترح نظرية الملاحظات الوصفية للنمو الاهتمام بالفترات الخاصة باعادة التنظيم المعرفي عند الطفل .

وقد كون « بياجيه » نظرة فاحصة عن مراحل التكوين النفسي للطفل مستنتجاً التفكير الناتج عن التغيرات التنظيمية التي أخذت لها مكاناً في العمليات العقلية النامية عند الطفل ، وبينما لا يعد « بياجيه » عالماً تطبيقياً فإنه قد ساهم بنظام زودنا بإطار عام يمكن الرجوع إليه ، وهذا النظام يوضح لنا الخطوط الرئيسية للنمو المعرفي للطفل ، كما أضاف إلى مجال دراسة الطفل عدداً كبيراً من الأبحاث والتجارب الجديدة والشيقة التي يمكن الاعتماد عليها ، فقد ساهم « بياجيه » بمدخل وصفي للنمو يمثل نموذجاً لتطور السلوك مع العمر .

النظرية السلوكية الجديدة :

كان « سكنز وكيلر وبيير » أحسن من عالجوا وجهة نظر السلوكيين التي تعلق أهمية كبرى على دراسة أنماط السلوك الظاهري ، فهم ينظرون إلى تطور الطفل على أنه مجموعة متسلسلة من التغيرات تنتج من تفاعل الطفل مع بيئته ، وهم يعرفون السلوك بأنه مجموعة من الاستجابات لمجموعة معينة من المثيرات ، ومن هنا فإن البيئة تمثل مجموعة من القوى التي تؤثر في شخصية الطفل المتغيرة . ولذا فإن التغير يحدث نتيجة للطريقة التي يتفاعل بها الكائن العضوي مع منبه ما من البيئة . انهم ينظرون للسلوك باعتباره وظيفة للأحداث المنبهة أو نتيجة لها ، واختصر « بايير » هذا القول على النحو التالي :

السلوك = دالة (المثير).

والمثيرات هي تلك التي تقوم بوظيفتها في الحال أثناء التفاعل والتي قامت بوظيفتها في الماضي ، ويعد السلوك عندهم وظيفة لاحداث الموقف الحاضر

وجميع التفاعلات السابقة ويعتقد السلوكيين أن أهم النواحي في علم نفس النمو هي ما يركز على الخبرات السابقة للكائن العضوي ٠

وينظرون إلى الطفل على أنه عبارة عن مجموعة من الاستجابات المترابطة للمثيرات ، وبينما يركزون على الأحداث الواضحة والخارجية وحدها فإنهم يعترفون أيضاً وإلى حد ما أننا ربما احتجنا أثناء عملية التحليل النفسي للسلوك أن ننظر للأحداث الأخرى ٠

وعبر « بيجو وباير » عن هذا بقولهم :

تنبعث بعض المثيرات من البيئة الخارجية ويتولد بعضها الآخر من سلوك الطفل نفسه ، كما يتولد بعضها الآخر من تركيبه البيولوجي وقيام جسمه بوظائفه ، ومن ثم فليس الطفل فحسب مصدراً للاستجابات وإنما هو أيضاً مصدراً لبعض المثيرات ، وبناء على وجهة النظر هذه يكون جزء من بيئة الطفل الداخلية نابعاً من داخله ٠

ومعنى هذا أن هناك عوامل أخرى غير العوامل الخارجية قد تؤثر في النمو ، ولكن النقطة التي يركز عليها السلوكيون هي الاهتمام بالحقائق الخارجية الواضحة التي يمكن إخضاعها للتجارب العملية ٠ وفي رأي السلوكيين أن سلوك الطفل يتكون من نمطين من الاستجابات وهي الاستجابية والفعالية فأنماط الاستجابية استجابات تتحكم فيها مثيرات سبقتها ، بينما الأنماط الفعالة استجابات تتحكم فيها مثيرات لاحقة ، وبناء على هذا التقسيم يستطيع السلوكيون تصنيف أي استجابة إلى إحدى فئتين موضوعيتين واضحتين ٠

ويبدو أن « بيجو وباير » وسعا من النظرية السلوكية بحيث شملت أهمية المثيرات التي تترتب على سلوك الطفل نفسه والتي تؤثر في سلوكه اللاحق ، وهما يسلمان بأن المثيرات التي يولدها الطفل تكشف عن أنماط معينة من السلوك تضعف أو تقوي السلوك السابق أو تقوم بعمل مثير للسلوك اللاحق ٠

وتصور هذه النظرية الطفل بأنه مجموعة من أنواع السلوك الاستجابية

والفعالية المترابطة ، وهي لا تكاد تفترض أي فروض حول ما لا يمكن ملاحظته من سلوك ، وهي تعترف بأن الطفل يمنح غيره من الناس مثيراً اجتماعياً ولكنها تؤكد أن أهم مثير هو الذي يتولد من خارج الكائن .

ويعمد السلوكيون إلى التركيز على وظيفة المثير والطرق الموضوعية التي يتحكم بها ذلك المثير في السلوك ، وهم يعتقدون أن المثيرات تنتج سلوكاً في المواقف الجديدة أو تقويه أو تضعفه ، وقد يعمم السلوك في مواقف ومشاكل جديدة . وتنقسم المثيرات إلى أنماط ثلاثة على أساس وظائفها (لوحظ وجود ثلاثة أنواع من الوظائف للمثيرات) وظيفة التوضيح وترتيب الأحداث إنتظاراً للاستجابة المناسبة ، وتقوية تلك الاستجابة بقدرتها على تغيير المثير .

فموقف السلوكيين يمكن تسميته بالحتمية ومعناه أن السلوك يمكن التحكم فيه وصياغته ، وأن مجموعة من الأحداث تشترك في أحداث مثير معين . ويعتقد السلوكيون بامكان تفسير المثير والتنبؤ به بناء على الخبرات السابقة وعملية التعزيز .

ولا يقبل السلوكيين أية نظرية معينة عن الشخصية في دراستهم لمراحل النمو إذ أنهم أميل إلى الاعتقاد بعدم توفر المعلومات الكافية لاصدار قوانين معممة . ومن ثم فإن دراستهم للمراحل تقوم على الأحداث البيئية وتغيرات النضج والمظاهر السلوكية ، وعلى ذلك يكون الطفل هو نتيجة لبيئة ومثيراته التي تحدث في مجال البيئة ، ويتكون النمو من مسلسلة من التغيرات المتتالية تتضمن طرقاً مختلفة من التفاعل مع البيئة .

ويعتقد « سكنز » أن الهدف من علم النفس هو التنبؤ بسلوك الكائنات الحية والتحكم فيه ، وان علم النفس بوصفه علماً ينبغي أن يدور فقط حول السلوك الصريح ، والاشراط الفعال عملية أساسية تتضمن عملية تعلم تجعل الاستجابة أكثر احتمالاً وأكثر حدوثاً عن طريق تدعيم أو تقوية الاستجابة ، وهو يدفع بأننا بتغيير احتمالات التدعيم نحو سلوك مرغوب فيه إنما نقيم صرح التعليم ، والاحتمال إنما هو تتابع يعقب فيه مثير مدعم بإحدى الاستجابات .

وتنظر النظرية السلوكية إلى المعلم كمهندس معماري وباني لسلوك التلميذ . فعملية تحليل أثر التدعيم ووضع خطط لاحتمالات التدعيم النوعية الخاصة بحيث يمكن وضع السلوك تحت تحكم يتصف بالضبط والدقة بصفة مستمرة . يجعل من عملية استمرارية مؤدية بنجاح إلى المجموعة التالية من المثيرات ، ان عمل المعلمين والآباء في هذا النظام هو صياغة الاستجابات الصحيحة . وحسب طريقة « سكنر » يحدث تدعيم السلوك المرغوب فيه بكثرة وبسرعة ، وهو يرى أن التعليم المؤثر إنما يتوقف على الارجاعات الأولية (التغذية الرجعية) .

ولا يبحث « سكنر » في داخل الكائن الحي ـ أي تفسير للسلوك ـ كما أنه لا يهتم بدراسة الخبرة الباطنية للإنسان ، وهو يرى أن في الإمكان إيجاد وسائل فنية لدراسة السلوك بمعالجة الإمكانيات الخارجية النوعية الداعمة ، وبناء على وجهة نظره فعلى من يهتمون بنمو الأطفال إدخال السلوك تحت تحكم عوامل إجرائية يمكن التنبؤ بها .

نظريـة الكائن الحـي :

يرى من اهتموا بوجهة نظر الكائن الحي بصفة رئيسية بالعلاقات المتبادلة في ناحيتي النمو والتطور ، وكانت الأبحاث نحو وصف النمو بالخطوط البيانية والمنحنيات الرياضية ووحدات قابلية التغير ومبادىء الأعمار ـ موضع اهتمام عظيم ، فتم ارتياد كثير من مظاهر العلاقات النمائية المتبادلة ، ويصف « ويلارد أولسن » نظرية الاهتمام بالكائن الحي بأنها تركيز على الكائن العضوي ككل من حيث هو موجود في نطاق الإطار الاجتماعي .

وقام « استيوارت كورنز » بدراسة عميقة وموسعة لدورات النمو ، وهو من رواد نظرية الكائن الحي ، وقد عرف « كورنز » دورة النمو بأنها فترة نضج نوعي فيها تكون القوى والعناصر التي تعمل داخلها ثابتة ، مع السماح بوجود بعض أخطاء الضبط والقياس يمكن التسامح فيها ، وقد تبين له أنه في ظر

الحالات المعيارية والثابتة يحدث النمو التطوري بحيث أننا إذا عبّرنا عنها بطريقة اللوغاريتمات فاننا نجد أن مقادير متساوية من النمو تحدث في مقادير متساوية من الزمن بالنسبة للفرد ، ويقيس « كورتس » النمو بوحدات تسمى وحدات الزمن ، وهو يصف الوحدة الزمنية بأنها تساوي ١٪ من مجموع الزمن المنقضي بين بداية الدورة وحتى النضج ، وفي داخل هذا السياق يكون معنى النضج هو النقطة التي يتوقف عندها النمو سواء أكانت تلك النقطة « هضبة » في منحنى النمو عند بلوغ نهاية دورة معينة ، أو النقطة التي يتوقف عندها الكائن الحي عن النمو ، وهنا يكون التركيز موجها الى أهمية الدورات في تطور نمو الطفل .

ويرى « ميلارد » في تفسيره لنظرية الكائن العضوي أن جميع نواحي نمو الفرد تسير وفقا لنمط واحد لا يتغير ، كما أنه يؤمن بفردية النمو ومابين معدلات النمو من فروق ، ومن بين الامور التي عبر عنها ذلك التتابع المنظم للنمو ودورات النمو والأختلاف في معدلات النمو والتداخل القائم بين جميع مراحل النمو .

واستخدم كل من « ولسون وهيوز » مبدأ العمر بتوسع في النظرية العضوية للعمر ، ويصف بناؤها النظري تغيرات النمو بمصطلح العمر الذي يصل عنده النمو الى نقطة معينة ، مثال ذلك أنه اذا كان الولد المتوسط يبلغ عمره ٩ سنوات يبلغ من الطول ٥١ بوصة فان رقم الواحد والخمسون بوصة تمثل ١٠٨ شهراً من متوسط الطول في عمر معين ، بغض النظر عن العمر الزمني الذي يتم فيه بلوغ البوصات الأحدى والخمسين .

وقد تم تطوير المعدلات العمرية اللازمة لتحويل المقاسات الى أعمار نمائية في سبع مجالات ، فالعمر العضوي يساوي متوسط الأعمار التالية : العمر الطولى ، العمر الوزني ، العمر الاسناني ، العمر الرسغي أو العظمي ، العمر القبضي أو الضغطي ، العمر العقلى ، العمر القرائي .

ويمكن الحصول على العمرين الطولى والوزني بالقياسات الجسمية ـ أما العمر

الاسناني فيحدده عدد الاسنان الدائمة ، وأما العمر العظمي فيأخذ في الحساب نمو الهيكل العظمي كما تبينه صور أشعة أكس لعظام الرسغ حيث يفحص عددها وحجمها وكثافتها ، ويستخدم جهاز قياس حركة اليد في قياس قوة قبضة اليد التي توصلنا الى العمر القبضى .

أما مقياس الذكاء فيقيس العمر العقلى للطفل ، ويمكن الحصول على العمر القرائي من اختبارات التحصيل ، والفلسفة العامة لهذه النظرية كما تطبق على الطفل النامي ، انما هي فلسفة بسيطة اذ ينبغي أن تتم مساعدة كل طفل على النمو طبقا لقدراته الطبيعية دون حرمان ولا اجبار من بيئته وبواسطة عملية تزوده أيضا بتوجيه اجتماعى نحو التحصيل .

نظرية التعلم الاجتماعى :

أهتم « هارى ساليفان » وهو طبيب نفسي - بنمو الطفل ، وقد قام بتحليل مراحل النمو مركزا على طريقة تكيف الطفل للامور وطريقته في ادراك العالم . واهتم « ساليفان » بنمو الذات في علاقتها بالآخرين ذوى الأهمية في بيئة الطفل .

وكان يعتقد أنه ينبغى تقسيم أهداف السلوك البشري الى قسمين كبيرين : الأشباع والامن ، حيث يشير الاشباع الى الحاجات الحيوية ، بينما يشير الامن الى حالة نفسية تتضمن الشعور بالأنتماء والقبول من الغير ، اذ تنشأ معظم المشاكل النفسية من السعى وراء الأمن ، وتتألف الخبرات المبكرة للوليد في هذه النظرية من حالات من الراحة تعرف بالاتزان ، وحالات من التعب (عدم الشعور بالراحة) تعرف بعدم الاتزان ؛ اذ لايزال الطفل معتمدا اعتمادا كليا على عناية الآخرين به في اشباع حاجاته ، ويتهيأ للطفل منذ خبراته الأولى أثناء إرضاء الحاجات أن ينمى اتجاهات اساسية من الثقة وعدم الثقة التي يشار اليها بأنها الشعور بالأمن والاطمئنان أو عدم الشعور بالأمن .

ويؤكد ساليفان على أن اتجاهات الأفراد المسئولين عن رعاية الطفل تنتقل للطفل عن طريق التسرب الوجداني (التقمص الأنفعالى) ، وكان هذا التقمص الانفعالى وسيلة لنقل الأنفعال ، واذا كانت الأم قلقة على طعام الطفل ونومه مثلا انتقل هذا القلق بطريقة ما الى الصغير ، وتطور هذا الشعور على أساس اشارات دقيقة بين الأم والحضين .

وتوضح الأسس الأولى « الأساسية » لمفهوم الذات من رأي الآخرين ذو الأهمية في حياة الطفل .

وكان ساليفان يعتقد أن في الأمكان تحليل خبرات الطفل الى ثلاث مستويات :

أولاً : عدم الوعى الادراكى . Protataxic

ثانياً : الربط بين الأشياء Parataxic حيث يكون الطفل قادراً على المايزة بين خبراته وايجاد معنى لها ، ومع هذا فان كثير من هذه المعاني تنطوى على الميل لإشباع الرغبات .

ثالثاً : في النهاية تصبح معاني الطفل مشتركة أو متقاسمة مع الغير ، وسميت هذه الخبرة باسم طريقة التركيب الارتباطى بين الكلمات وتدل على أن معاني الطفل تتبع الواقع والمنطق على الصورة التي يتقبلهما بها الناس .

ويشير « ساليفان » الى أن التوجيهات الوالديه سيكون لها أثر مخالف في نمو الفرد في كل من هذه المستويات الثلاث .

وأوضح « ساليفان » أن هذه المستويات ترتبط بطريقة ما بالأعمار التطورية النمائية ولكن ليس بطريقة طردية ، وأن هذه المستويات توجد في الأفراد طوال حياتهم بأكملها ، وهي ليست مشابهة لمراحل « جيزيل » .

وقد أنشأ سلسلة من المراحل النمائية تمتد من الحضانة حتى المراهقة ، تتصف كل واحدة منها بظهور حاجات جديدة ، وعلاقات جديدة . وكان « ساليفان» يعتقد أن من المهم ادراك أن بداية أي حقبة تطورية له أثر كبير على تطور الاستجابات المناسبة أو غير المناسبة في مجال الشخصية .

وأسهم « ساليفان » اسهاما كبير بما اضافه لنظرية النمو مما أفاد كثيراً في التعلم الأجتماعي . وأهم ما أسهم به « ساليفان » في مجال نمو الأطفال يكمن في تحديده لمراحل نمو معينة واضحة المعالم تستند على النظرة الذاتية للفرد وعلى اتصالاته الاجتماعية .

مكانة نظريات النمو وأهميتهـا :

كان لكل النظريات التى سبق عرضها تأثيرها على ما يتم من أبحاث وما يجرى في حجرات الدراسة وما يتبعه الآباء في تربية أبنائهم . ولقد لقيت هذه النظريات القبول لدى العديد من العلماء ولكن بدرجات متفاوته ، كما كان لبعض هذه النظريات تأثير كبير وهام على أطباء الأطفال ، وبعضها الاخر على الاباء ، والبعض على المعالجين النفسيين والاطباء والمرشدين . لقد قدمت هذه النظريات خدمات هامة ومحددة للاباء والاساتذة والمدرسين عن أفعال الطفل وردود فعله ، ومن الواضح أن الذى يعتقد بأن الطفل ما هو الا نتاج سلسلة من الدوافع الغريزية سوف يتعامل مع الطفل بصورة مختلفة عن الشخص الذى يعتبره كائنا حيا موجها بهدف معين .

وبالتأكيد فان المدرس أو النظام المدرسى الذى يتبع وجهة نظر « سكنر » سوف يتصرف بطريقة مختلفة تماما عن ذلك الذى يتبع فكر « جيزيل » أو المدخل العضوى في نمو الطفل . وملاحظة وتحليل دراسة الطفل سوف تتأثر بوجهة النظر التى يتبناها الفرد بالتالى . وسيصبح الدارس على معرفة بوجهات النظر المختلفة في نمو الطفل وستكون عنده وفرة من « المعلومات التى سترشده في اتخاذ القرارات الصحيحة مستقبلا سواء من الناحية المهنية أو الشخصية في تعامله مع الأطفال » . عندما يلم بالنظريات المختلفة للنمو .

وهذه النظريات أو وجهات النظر لا تكون بالضرورة متعارضة فكلها تهتم

بالتفاعل الذى يتم بين الأجهزة العضوية والمجال الذى يتحرك فيه الطفل وهى تميل لان تؤكد على مفاهيم معينة ووجهات محددة للسلوك . وبدون شك فجميعها تحوى جانبا من الحقيقة ، وليس الهدف أن نقرر هنا أى مدخل نتقبله ، ولكن أن نتأقلم مع كثير من وجهات النظر حتى يمكننا أن نكتشف تأثيرها جميعا على البحث ودراسة نمو الطفل .

ونشير هنا الى ملحوظة هامة وهى الا نتقبل أو نتبنى وجهة نظر خاصة في بداية الأمر ، فغالبا ما يؤدى القبول الساذج لنظرية معينة بالدارس الى البعد عن النظريات الأكثر نضجا . وطالما اننا نطلب المزيد من الدراسة والبحث في مجال النمو فاننا سنجد أنه من الضرورى ومن الأصوب أن ندرس بكثير من الدقة وجهات النظر المختلفة ، وأن نضع في حسابنا العوامل المختلفة التى ركزت عليها كل منها .

الفصل الرابع

طرق دراسة النمو

مقدمة

يمكن أن نعرف العلم بأنه مجموعة من المعارف المنظمة تدور حول فئة معينة من الظواهر ، استخدم المنهج العلمى في جمعها وترتيبها وتنظيمها للوصول الى القوانين والمبادىء العامة التى تفسر تلك الظواهر والتنبؤ بحدوثها . أما المنهج فهو الطريقة والاسلوب الذى يتبعه الباحثون للاجابة على الاسئلة التى يثيرها موضوع البحث . والمنهج العلمى هو ذلك المنهج الذى يضع حدا فاصلا بين ما هو علمى وما هو غير علمى . وعلم النفس لم يتقدم في مختلف فروعه ويصبح علما كالعلوم المادية الأخرى الا باتباعه الاسلوب العلمى في البحث عامة ، وباتباعه المنهج التجريبى خاصة ، فهو يشترك مع العلوم الاخرى في أنه يهدف الى الكشف على القوانين التى تحكم الظواهر السلوكية المختلفة والتى تساعد على التنبؤ بحدوثها مستخدما في ذلك منهج البحث العلمى ، غير أنه يختلف عن العلوم الأخرى الطبيعية والبيولوجية في طبيعة الموضوعات التى يهتم بها . وهنا فلا بد أن يختلف منهجه من بعض النواحى عن منهج العلوم الأخرى .

امكانية القياس في علم النفس :

يعتمد علم النفس بفروعه المختلفة على المنهج العلمى في البحث معبرا عما يصل اليه من نتائج تعبيرا كميا . والواقع أن القياس هو روح العلم ، وليس من السهل لأية مجموعة من البيانات والمعلومات أن تصبح علمية الا اذا أمكن التعبير عنها تعبيرا كميا بالارقام والرموز .

وميدان القياس في علم النفس لا يختلف عن القياس في العلوم الطبيعية الأخرى فكليهما يقيس ظواهر خارجية موضوعية . فلا يمكن قياس القدرة الحسابية أو الذكاء الا اذا أمكن التعبير عنها باللغة أو بالحركات . وهناك من العلوم الطبيعية ما يعتمد في بعض نتائجه على التعبيرات الكيفية مثل الجيولوجيا أو البيولوجيا .

والانسان في حياته العادية كثيرا ما يعبر عن القدرات العقلية والصفات الخلقية بعبارات تشير الى الكم ، كالحكم على تلميذ بين زملائه بأنه أكثر أو أقل ذكاء ، والامتحانات التى تعد من أقدم الوسائل للتقدير والقياس الكمى .

كما أن توافر وسائل القياس النفسى من أدوات وأجهزة واختبارات واستفتاءات تهدف الى قياس الذكاء والقدرات والاتزان الانفعالى والاتجاهات الى غير ذلك من الأمور ، مكن الباحثون من قياس هذه الظواهر بعد أن كان البعض يعتقد في صعوبة قياسها .

خطوات المنهج العلمى في الدراسة والبحث :

يقوم المنهج العلمي عامة على عدد من العمليات تتعلق بخطوات التفكير

العلمى التى يسير فيها الباحث حتى يصل الى اجابة لفروضه وتساؤلاته . وقبل أن نستطرد في الحديث عن خطوات المنهج العلمى أود أن نفرق بين مصطلحين هامين في هذا المجال هما الاسلوب والمنهج . فالاسلوب العلمى مصطلح يشير الى اطار فكرى معين يعمل بداخله عقل الباحث ، في حين تشير كلمة المنهج العلمى الى تلك الخطوات التطبيقية لذلك الاطار الفكرى . ففى أى دراسة علمية لأى ظاهرة نفسية معينة تتخذ العمليات العقلية في ذهن الباحث ترتيبا وتنظيما متكاملا يوجه خطواته التطبيقية . وهذ ما يميز الباحث العلمى عن الشخص العادى .

وخطوات الاسلوب العلمى في التفكير تكاد تكون هى نفسها خطوات أى منهج بحثى مع وجود بعض التفاصيل التى تختلف باختلاف مناهج البحث ، الا أن الاسلوب الفكرى هو الذى ينظم أى منهج بحث . وتتمثل هذه الخطوات في الشعور بمشكلة تحير الباحث فيضع لها حلولا محتملة أو اجابات محتملة هى الفروض ، ثم تأتى بعد ذلك الخطوة الثالثة وهى اختبار صحة الفروض والوصول الى نتيجة معينة . ومن الطبيعى أن يتخلل هذه الخطوات الرئيسية عدة خطوات تنفيذية مثل تحديد المشكلة وجمع البيانات التى تساعد على اختيار أنسب الفروض والوصول الى تعميمات وتطبيق هذه التعميمات . وهكذا يسير المنهج العلمى على شكل خطوات أو مراحل لكى تزداد عملياته وضوحا ، الا أن هذه الخطوات تتميز بالمرونة ، كما قد تختلف في مقدار الجهد الذى تستغرقه — فبعضها قد يحتاج جهدا ضئيلا — والبعض الاخر قد يستغرق وقتا طويلا .

وتعتبر الطريقة المستخدمة في دراسة النمو مسئولة الى حد كبير عن دقة النتائج التى تصل اليها . ولا توجد طريقة واحدة لدراسة ظاهرة سلوكية معينة — بل أن هناك طرقا متعددة ، نظرا لأن الظواهر السلوكية بطبيعتها ظواهر معقدة يتدخل فيها العديد من العوامل ، الى جانب ذلك فالظاهرة النفسية قد لا تخضع للملاحظة المباشرة ولكن نستدل عليها من اثارها ونتائجها . والباحث في علم نفس النمو يحاول أن يصل من خلال ما يتبعه من طرق الى المبادىء والقوانين التى تساعده على فهم سلوك الأطفال ، أي تحديد الظروف التى تؤدى الى سلوك الطفل بطريقة معينة ، كما يحاول أن يتنبأ بهذا السلوك اذا ما وجد الطفل في مواقف أخرى . وعن طريق تعديل الظروف المحيطة بالطفل يستطيع أن يغير من

سلوكه في الاتجاه المطلوب . ويحاول العلماء الوصول الى تحديد هذه العلاقات أو صياغة هذه المبادئ في صورة لفظية أو كمية والربط بينها في صورة عامة ، ولقد لجأ العلماء الى وسائل مختلفة لدراسة سلوك الأطفال منها الملاحظة المنظمة والتجريب .

أولا : الملاحظـــة :

نقطة البداية في دراسة أي ظاهرة دراسة علمية هي الملاحظة . وتستخدم الملاحظة في كثير من العلوم ، ففى علم الكيمياء مثلا نلاحظ التفاعلات بين المواد المختلفة . وفي الطبيعة نلاحظ خواص المادة ونلاحظ نتيجة تأثرها بالعوامل المختلفة. كما يعتمد علم الفلك على الملاحظة لدراسة الأجرام السماوية وتحركاتها. واذا لم تساعدنا حواسنا على القيام بعملية الملاحظة فاننا نستعين عادة بأجهزة مختلفة بعضها للكبير وبعضها للتقريب .

كذلك يعتمد علم النفس على الملاحظة المنظمة المقصودة ، وتتلخص خصائص الملاحظة العلمية فيما يأتى :

١ ـ أنها تسمح بتسجيل السلوك وقت حدوثه وفي الحال ، كما أنها تسجل السلوك التلقائى ولا تترك المجال للاعتماد على الذاكرة .

٢ ـ كثيرا ما يقوم الأفراد بأنماط من السلوك قد لا تكون لديهم القدرة اللغوية على شرح هذه الأنماط . وهناك أنماط من السلوك تعد عادية في نظر الفرد الذى يقوم بها دون أن تسترعى انتباهه ، بينما يتمكن الباحث من ملاحظتها وتفسيرها .

٣ ـ غالبا ما تكون الملاحظة مستقلة وغير متأثرة برغبة الشخص الذى تجرى عليه التجربة أو عدم رغبته .

وهناك عدة شروط ينبغى مراعاتها عند القيام بالملاحظة :

١ ـ تحديد عدد الأفراد الذين نضعهم تحت الملاحظة بحيث يمثلون تمثيلا صادقا ذلك القطاع من المجتمع الذى نرغب في دراسته .

٢ - تحديد جانب السلوك موضوع الدراسة تحديدا دقيقا يساعدنا على اختيار عدد من المواقف المعبرة عن هذا السلوك تعبيرا صادقا .

٣ - ينبغى أن يكون الملاحظ على درجة كبيرة من الوعي بحيث لا يخلط بين ما يحدث وبين تفسيره لما يحدث ، بل يكتفى بدور الة التصوير أو التسجيل ، ولا شك أن هذا يتطلب تدريبا معينا .

٤ - أن يقوم بالملاحظة أكثر من شخص واحد حتى اذا أغفل أحدهم أمراً لا يغفله الاخر وأن نكتفى بذلك القدر من الحقائق .

ومن الموضوعات التى نلجأ فيها الى الملاحظة العلمية رصد أحاديث الأطفال وهم يسلكون في حياتهم اليومية العادية بعيدا عن تأثير الباحث نفسه . وهذا يقتضى من الباحث أن يجمعها كما هى ، أي كما تحدث .

ومدة الملاحظة قد تستمر عدة دقائق الى عدة ساعات ، وأحيانا لا توافق السلطات على طول وقت الملاحظة ، ولكنها تتفق على أنه كلما قصر وقت الملاحظة كلما زادت الفرصة لأن تسجل الأحداث تفصيليا وبدقة أكثر . ويختلف الوقت الملائم للملاحظة حسب نشاط الطفل وقدرة الملاحظ .

ويمكن عن طريق الملاحظة جمع معلومات عن نمو الطفل في نواحى عامة جسمية وعقلية واجتماعية وانفعالية . ويمكن للملاحظ أن يسجل بيانات عن الشكل العام للطفل ، كيف يلبس ؟ وهل ملابسه نظيفة ، وهل تبدو صحته جيده ، ويلاحظ طوله وعلاقته بوزنه وسنه وحركات جسمه وهل هو سريع أو بطئ ، وكيف تتناسب حركاته في الجرى والقفز والرمى ، وكيف يعبر عن مشاعره نحو جسمه ، وهل يتعب بسرعة ، وما أنواع النشاط الذى يجهده وأنواع النشاط التى يفضلها ومع من يلعب ، وما نوع علاقاته الاجتماعية ، وهل يزاول نشاطا جماعيا وهل يتحاشى الوجود مع الأطفال الاخرين واتجاهه نحو الكبار .

ويمكن أن يجد الملاحظ دلائل النشاط العقلى للطفل في قدرته على اتباع التعليمات وفي الطريقة التى يوضح بها أراؤه في الفصل وفي الاجتماعات الأخرى ، وما الأشياء الأخرى التى يهتم بها وما مقدار ادراكه للتفاصيل ، وما قدرته على

التذكر ، وما مقدار تقدمه في العمل المدرسي وهل اجاباته في لب الموضوع ، وهل لديه قدرة على الاستنتاج .

وغالبا ما يوجه النقد التالى الى طريقة الملاحظة :

١ ـ أنها مقيدة بفترة الملاحظة ـ فاذا أردنا دراسة تاريخ حياة الفرد فلن نتمكن من ملاحظته مدى الحياة .

٢ - هناك من مظاهر السلوك ما نعجز عن ملاحظته مثل السلوك الجنسى والمشاكل العائلية الداخلية وغير ذلك .

٣ - قد يتحيز القائم بالملاحظة فلا يسترعى انتباهه إلا كل شاذ وغريب .

٤ - قد يتحيز الباحث بأن يعطى تفسيرات للسلوك بدلا من وصف السلوك نفسه .

لهذا يجب أن يدرب الباحثون على الملاحظة والتسجيل دون تحيز ودون اصدار أحكام شخصية تشوه الحقائق .

طرق تسجيل الملاحظات :

تسجل الملاحظات بطريقتين مختلفتين :

١ - التسجيل المقنن المبنى على الجداول والوحدات والدرجات التى تعطى للأنشطة المختلفة .

٢ - التسجيلات الشخصية الخاصة .

التسجيل المقنن :

يستخدم التسجيل المقنن في دراسة أنواع السلوك العادية حيث تستخدم جداول قياس خاصة . وقبل أن نقوم بملاحظة سلوك ما يجب مراعاة ما يلى :

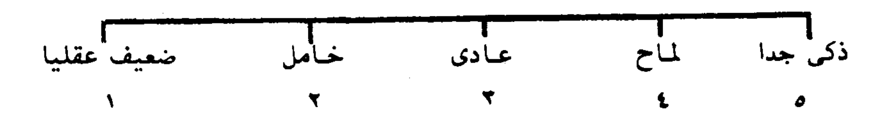
(١) تحديد أنواع السلوك التى سيقوم الملاحظون بملاحظتها بدقة حتى يمكن أن يصلوا الى نتائج تكاد تكون متشابهة باستخدام نفس جداول القياس .

(٢) تحديد كل سمة من السمات التى ستلاحظ بدقة بحيث يكون لها نفس المعنى لدى الملاحظين مهما اختلفوا .

(٣) تحديد المواقف التى تؤدى الى ظهور السمة بحيث يمكن تكرار ملاحظتها وتسجيلها بدقة .

ومن أشهر جداول الملاحظة المستخدمة في ذلك هو المقياس البيانى الذى وضعه « هاجارثى » - « أولسون » - ويكمان » لقياس سلوك الأطفال حيث توضع كل سمة من السمات المراد قياسها على خط متصل ذى خمسة تقديرات تبدأ من أعلى تقدير للسمة وينتهى بأقل تقدير لها وعلى الملاحظ أن يضع علامة التقدير المناسب للسمة التى يلاحظها كالتالى :

١ - ما مقدار ذكاء الطفل :



٢ - هل الطفل نظيف المظهر :

معتنى بهندامه	يهتم نسبيا بمظهره	غير ملفت للنظر	مهمل نسبيا لمظهره	غير مهندم ومهمل جدا
٥	٤	٣	٢	١

٣ - هل هو هادىء أو كثير الكلام :

يتكلم بسرعة دون هوادة	يتكلم أكثر من نصيبه	يتوقف في نهاية كلامه	هادىء عادة	نادرا ما يتكلم
٥	٤	٣	٢	١

٤ - هل يتحول عن هدفه بسهولة أم أنه مثابر :

عنيد	يصر حتى يقتنع بالخطأ	يعطى كل شىء محاولة أخرى	يتراجع قبل المحاولة الثانية	ينهار أمام العقبات التافهة
٥	٤	٣	٢	١

وفي نهاية الأمر تحول التقديرات الوصفية الى تقديرات كمية يمكن أن تعطى صورة واضحة عن الطفل . وهذه الطريقة تسمح بتفاصيل أكثر ودراسة أدق للطفل .

التسجيلات الشخصية الخاصة :

هناك تسجيلات كتبها مدرسون سابقون عن الطفل وتساعد هذه التسجيلات الى حد كبير في فهم الدور الذى لعبته الخبرات الماضية على شخصية الطفل كما تساعد على فهم تيار المواقف الذى مرت بالطفل وما استفاده من خبرات . وهذا النوع من التسجيلات يمثل تصويرا لفظيا للأحداث التى مرت بحياة الطفل . وعند ما يتم فحص تشابك وتداخل هذه الأحداث فانها تعطى صورة متكاملة عن الطفل. ويعطى « برسكوت ودانيل » قائمة من سبعة مصادر للحصول على معلومات تاريخية عن الطفل :

١ – ملاحظة أفعال الطفل في الفصل والملعب وأى مكان آخر سواء داخل وخارج المدرسة وتدوين ملاحظات وصفية تاريخية عن خصائص السلوك وخاصة الجوانب المميزة أو المعبرة .

٢ – دراسة التسجيلات التراكمية المدرسية وتسجيل بيانات معبرة عن الطفل في سجل الملاحظات .

٣ – القيام بزيارات لمنزل الطفل ومناقشة الوالدين عن سلوك الطفل في المنزل والمدرسة وتسجيل ما لاحظه في البيت ، وتسجيل الأجزاء الهامة من الحديث الذى تم مع الأب أو الوالدين .

٤ – دراسة حياة الطفل مع عمل تسجيل وصفى عنها ، وتسجيل ملاحظات عن الطفل وعن حياته وعن عمله المدرسى .

٥ – الاتصال بالمدرسين الذين درسوا للطفل في الماضي أو في الحاضر والذين كانت لديهم الفرصة لملاحظته أثناء عمله ، وتسجيل ما يقدمونه

من حقائق أكثر من تسجيل رأيهم الشخصى في هذه الحقائق أو في الطفل ٠

٦ - جمع وفحص نماذج من أعمال الطفل في المدرسة - منها أعماله المكتوبة في المواد المختلفة ورسوماته الملونه وأى نشاط يدوى أوابتكارى وحفظ عينات من هذه الأعمال ٠

٧ - الحديث مع الطفل على انفراد وبصفة غير رسمية بعد انتهاء اليوم الدراسى أو أثناء فترات الراحة بين الحصص وتسجيل أجزاء من الحديث ٠

ويختلف الأطفال في نوع ومقدار المعلومات الشخصية التى تتجمع عنهم وعلى المدرس أن يجتهد بقدر الامكان في تسجيل شىء عن كل طفل شهريا ، فمن المهم أن يصف الطفل في مواقف متعددة في المدرسة وفي المعلب وفي وقت الراحة وعند الغذاء وفي الاجتماعات وفي الفصل وفي الرحلات وفي الأنشطة التعاونية ٠ ويجب عند تسجيل الصفات الشخصية أن يعطى المدرس أهمية لتكوين العادات وخاصة غير الطبيعى منها ، وكيف يتصرف في المواقف والظروف المختلفة ٠

ويعطى التسجيل معلومات لا يسهل الحصول عليها بطرق أخرى ، فهى تعطى المدرس بصيرة لا يمكن استخلاصها من المعلومات الفنية والاحصائية ٠ فمن خلال التسجيلات الشخصية لتعبيرات وجه الطفل واللمحات العاطفية والمحادثات والأحداث يمكننا أن نتعرف على صورة من عالم الطفل وكيف يبدو له هذا العالم ويمكننا أن نلم بأهدافه ٠ كما أن الأنماط المتكررة من السلوك كما تصفها التسجيلات الوصفية تساعد على معرفة الأعمال النامية التى يقوم بها الطفل ومقدار ما يلاقيه من سهولة أو عسر أثناء قيامه بها ، ومنها يمكننا التعرف على المشكلات الفعلية التى يعانى منها ٠

التجــريب

ما زال التجريب هو حجر الزاوية في تقدم العلوم المختلفة ٠ ويشير التجريب في مضمونه العلمى العام الى قياس تأثير موقف معين على ظاهرة ما ٠ وأهم ما

يميز البحث التجريبى هو افتراض فرض معين وتغيير الظروف بطريقة خاصة وبقصد معين ثم ملاحظة النتائج وتحليلها . ويهدف اجراء التجارب أساسا الى اختبار صحة الفروض العلمية ومعرفة العلاقات السببية والوظيفية بين العوامل المتفاعلة والمتداخلة في الموقف .

ويعتبر التجريب من أفضل طرق البحث لعدة أسباب :

١ - أنه أقرب طرق البحث الى الموضوعية ، فالملاحظة بأنواعها أكثر موضوعية من الاستطبان ، ولكنها أقل موضوعية من الطرق التجريبية .
٢ - يتميز التجريب بالضبط والتحكم في كل المتغيرات الداخلة في الظاهرة المراد دراستها ، والتحكم معناه تثبيت هذه المتغيرات أو المساواة بينها حتى لا تؤثر في نتائج التجربة .
٣ - تتميز التجربة بالعزل ، أى استخلاص المتغيرات المراد دراستها واعطائها الفرصة للتفاعل واحداث الأثر .
٤ - يتميز التجريب بالقياس ، ويقصد به رصد نتائج التفاعل رصدا علميا دقيقا يعتمد أساسا على الأرقام ويخضع بذلك للتحليل الاحصائى والرياضى .

ويحاول الباحث عند استخدامه لهذه الطرق أن يصمم الموقف الذى يتشابه مع الموقف الطبيعى موضع الدراسة الى أقصى حد ، والذى يستطيع فيه الباحث ان يحدد العوامل أو المتغيرات التى ستلعب دورها في هذا الموقف كما يستطيع ان يغير في العوامل أو المتغيرات التى يهدف الى دراسة أثرها على الجانب السلوكى موضع الدراسة. ويقوم الباحث قبل تصميم الموقف التجريبى بعملية مسح للمتغيرات أو العوامل التى يظن أن لها صلة بالظاهرة موضع الدراسة ثم يقوم بتقسيم هذه المتغيرات الى ثلاث أنواع :

أولا : المتغير المستقل - وهو المتغير أو العامل الذى يغير الباحث في مقداره ليدرس الاثار المترتبة على ذلك في متغير اخر .

ثانيا : المتغير التابع ـ وهو المتغير الذى يتغير بتغير المتغير المستقل ، أى هو العامل الذى يتبع العامل المستقل ٠

ثالثا : المتغيرات الأخرى ـ وهى المتغيرات الدخيلة أو الغريبة التى قد تؤثر في المتغير التابع والتى يحاول الباحث أن يتخلص من آثارها بعزلها أو تثبيتها ٠

ويجد الباحثون كثيرا من المشقة في تثبت تلك العوامل الغريبة التى لا يرغبون في السماح لها بالتأثيرات على المتغير التابع ٠ وقد يكون ذلك من الأسباب التى أدت الى انتشار استخدام الحيوانات في تجاربهم ٠ غير أننا في مجال علم نفس النمو ملزمون بالعمل مع الأطفال ودراسة نموهم في جوانبه المختلفة ٠ وللتغلب على هذه العوامل تستخدم أكثر من مجموعة واحدة من الأفراد للمقارنة وتسمى أحدها بالمجموعة التجريبية والأخرى بالمجموعة الضابطة أو المقارنة ٠ وتكون بمثابة الأساس الذى تتم المقارنة بالنسبة إليه ٠

فإذا أردنا دراسة أثر اتجاهات المدرس على سلوك الأطفال ـ نقوم أولا بتحديد الطريقة التى سيتم بها تهيئة جو من التفاعل بين المدرس والتلاميذ يتميز باتجاهات محددة نحو التلاميذ ، ثم اختيار المعيار الذى يستخدم في قياس ما حدث من تغير في سلوك التلاميذ ، ثم حصر العوامل الأخرى التي قد تؤثر في سلوك التلاميذ ونحاول تثبيت هذه العوامل ٠ يقوم الباحث باختيار مجموعتين متكافئتين من التلاميذ من حيث هذه العوامل يسمى احداهما بالمجموعة الضابطة أو المقارنة وهى المجموعة التى ستعمل في ظل ظروف من التفاعل السائد في المدرسة ، أما المجموعة الأخرى وتسمى المجموعة التجريبية وهى التى ستخضع لجو مغاير من التفاعل بين المدرس والتلاميذ ٠ ثم يقارن بين المجموعتين بعد فترة زمنية محددة ٠ ويستطيع الباحث في ضوء هذا التصميم التجريبى أن ينسب التغير الذى حدث في سلوك تلاميذ المجموعة التجريبية إلى تغير أسلوب التفاعل بين المدرس والتلاميذ حيث أن العوامل الأخرى تعمل على نفس المستوى في المجموعتين ٠

ويأخذ التجريب عدة صور منها :

١ ـ التجريب بإستخدام مجموعة ضابطة :

وفي هذا النوع توجد مجموعتان إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة ، ويشترط في المجموعتين أن تكونا متكافئتين في كل النواحى ، ثم ندخل العامل المراد قياس أثره على المجموعة التجريبية ونترك المجموعة الضابطة كما هى . وبعد مدة نقارن بين المجموعتين ، والفرق بينهما يمكن أن يعزى إلى المتغير التجريبى . ومن صعوبات هذا النوع من التجارب هو إيجاد مجموعتين متكافئتين تماما عند بداية التجربة . فإذا لم يتحقق ذلك فاننا نعجز عن أن نعزو ما نصل إليه من نتائج إلى أثر العامل أو المتغير الذى أدخلناه فقط ، فقد يعزى الإختلاف بين المجموعتين إلى الفروق الأساسية الموجودة أصلا بين المجموعتين .

٢ - التجريب باستخدام مجموعة واحدة :

في هذا النوع تستخدم مجموعة واحدة من الأفراد تكون تجريبية وضابطه في نفس الوقت . حيث تدرس المجموعة قبل التجربة ، ثم تطبق عليها الظروف الجديدة ، ثم تعاد دراستها بعد التجربة . وتتم المقارنة بين حالتها قبل التجربة وبعدها وحينئذ يمكن للباحث أن يعزو الفروق ان وجدت الى الظروف الجديدة . وتتميز التجارب من هذا النوع بأنها من صعوبة اختيار مجموعتين متكافئتين كما هو الحال في النوع السابق . ولكن عيوبها أن الفروق التى قد نجدها قد لا تعود الى العامل الذى نريد قياس أثره ولكن إلى عوامل أخرى تعرض لها الأفراد ـ عوامل خارجة عن إرادة الباحث .

٢ - التجريب باستخدام مجموعات ضبط مزدوج :

ويشمل هذا النوع مزايا النوعين السابقين ، إذ توجد مجموعتان متكافئتان أحدهما تجريبية والأخرى ضابطه . وتقاس المجموعتان قبل

التجربة ، ثم نقوم بإجراء التجربة على المجموعة التجريبية ، ثم تقاس المجموعتان بعد التجربة . ثم نأخذ المجموعة الضابطة ونقيس الفرق بينها وبين حالتها في البداية وحالتها في النهاية . وبما أن هذه المجموعة لم تجر عليها التجربة فأي فرق يطرأ عليها يمكن أن يعزى لعوامل خارجة عن نطاق التجربة . وبما أنه من المحتمل أن تكون المجموعة التجريبية قد تعرضت لنفس هذه الظروف . فيمكن طرح هذا الفرق الذى طرأ على المجموعة التجريبية ليكون الصافي نتيجة للعامل التجريبى وحده .

وسائل قياس النمو

يتم إستخدام الوسائل التالية أو بعضها عند دراسة النمو :-

١ - المقابلة .
٢ - الإستفتاء .
٣ - الإختيار المقنن .
٤ - الأجهزة العلمية .
٥ - الملاحظات .
٦ - تقارير تاريخ الحياة .
٧ - سيرة الحياة .
٨ - كتابات ورسوم الأطفال ومذكراتهم .

طرق قياس النمو :

هناك اتجاهان رئيسيان في قياس النمو النفسي هما الاتجاه الطولى والاتجاه العرضى .

الاتجاه العرضى مقابل الطولى في الدراسة .

يمكن الربط بين المعلومات المستمدة من المصادر المختلفة كالاستفتاءات

والملاحظات وتقارير تاريخ الحياة وبين الحقائق المستمدة من درسات أخرى لكى تحصل على صورة كاملة عن نمو الطفل . ويسمى ذلك بالاتجاه العرضى . لأننا نحصل على معايير لكل مجال من مجالات النمو المختلفة بدراسة عدة مجموعات على مدى زمنى قصير . وعندما نختار عينات ممثلة للمجتمع يمكننا الى حد كبير أن نتحكم في المؤثرات البيئية المؤثرة فيها . ويمكننا بالتالى أن نلاحظ النمط المعيارى للنمو .

أما الدراسة الطولية للنمو فتعنى اعادة اختبار نفس الأطفال على فترات زمنية متتالية خلال مراحل الطفولة والمراهقة . ولقد ذكر «Dennis» أن علم نفس الطفولة كان المجال الوحيد الذى ينفرد بالدراسة الطولية . ويؤكد أن أحد الثغرات الموجودة في معلوماتنا عن الأطفال تكمن في أن الدراسات الطولية تتميز بالبطء .

وتأخذ الدراسة الطولية سمة معينة أو مجموعة سمات لتكشف عن مدى ثباتها أو تغيرها تبعا لعامل الزمن . فمثلا بدراسة نفس الفرد على مدى عدة سنوات يمكن الكشف عما إذا كانت سمة معينة ، العدوان أو الجبن الذى أظهره قبل المدرسة سيستمر عبر المراهقة وحتى البلوغ ، أو إذا ما كانت هذه السمة ستصبح أقوى أو أضعف بمرور الزمن ، أو إذا ما كانت ستختفى وتترك مكانها لسمات أخرى . وبالمثل ـ فهل مجموعة من السمات كالتى تشكل التسلطية ستستمر أو تتغير أو تختفى .

وتصمم الدراسات الطولية لتحديد ما هى سمات الطفولة التى يمكن أن نعتمد عليها في تحديد خصائص البالغين . فبدراسة الطفل خلال أهم مراحل حياته التكوينية يمكن أن نتنبأ بنوع ذلك البالغ الذى سيكونه مستقبلا ، وأى السمات أو مجموعة السمات التى ستستمر باقية ويحتمل أن تؤدى الى تكيفه أو عدم تكيفه .

أما مادة الدراسة الطولية فيمكن الحصول عليها عن طريق اتجاهين أحدهما يتعلق باسترجاع الماضى والآخر يتعلق بالمستقبل وتوقعاته . ففى الأخير نبدأ الدراسة بالطفل متتبعين إياه حتى المراهقة أو البلوغ ، بينما في الأولى ـ نبدأ الدراسة

بالمراهق أو البالغ ثم نعود إلى طفولته لنضع أيدينا على بدايات السلوك الحالى . وفي كلتاهما فان مادة الدراسة نحصل عليها من خلال الملاحظات وتاريخ الحياة والعيادات النفسية .

الطريقة الطولية

المميزات :

- تسمح بتحليل النمو لكل طفل على حدة .
- تمكننا من دراسة أى زيادة تطرأ على النمو .
- تتيح فرصة تحليل العلاقات بين عمليات النضج وعملية التدريب .
- تتيح فرصة دراسة تأثير كل من المتغيرات البيئية والثقافية على السلوك والشخصية .

العيوب :

- تحتاج عادة لدراسة تتبعية على مدى طويل نظرا لطول الزمن الذى تستغرقه .
- مكلفة .
- المادة العلمية المستمدة بهذه الطريقة كثيرة ومتنوعة ومن الصعب معالجتها .
- صعوبة الاستمرار في دراسة العينة الأصلية من الأفراد .
- كثيرا ما يقع الباحث في أخطاء معينة عندما يعتمد على التقارير الذاتية التى يكتبها الأفراد عن أنفسهم .

الطريقة العرضية

المميزات :

- توفر كثيرا من الوقت .
- تعطى صورة واقعية لخصائص الأطفال في الأعمار المختلفة .
- أقل تكلفة نسبيا .
- يمكن أن يقوم بها باحث واحد .

العيوب :

- تقدم تصورا تقريبا لعملية النمو
- لا تعطى أهمية للفروق داخل العمر الواحد .
- لا تعطى أهمية للتغيرات الثقافية والبيئية عبر الزمن .

معوقات دراسة الأطفال

ان معوقات الدراسة العلمية موجودة دائما . ومن تلك المعوقات الكثيرة التى واجهها العلماء في محاولاتهم لدراسة الأطفال ـ الحصول على عينة من الأطفال من أجل الدراسة العلمية ، وايجاد الوسائل العلمية الملائمة لدراستهم والضبط أو التحكم في سلامة الأجهزة أو المواد التى تستعمل خارج المعمل والوصول الى حالة الإنسجام مع الأطفال .

أولا : مشكلة عينة الأطفال اللازمة للدراسة العلمية :

من أكبر الصعوبات التى تعترض الباحث الذى يرغب في دراسة الأطفال ايجاد العينة اللازمة للدراسة . لقد كان الحصول على مجموعات كبيرة غير منتقاة من الأطفال للدراسة العلمية من الأمور العسيرة منذ مدة طويلة . أما الآن فإن كثيرأمن الأطفال يولدون في المستشفيات . وأصبح الأمر متاحا للباحث أكثر من ذى قبل . كما أن الشعور بأن الطفل رقيق جداً ليكون موضوعا للدراسة أصبح أقل إنتشارا عن ذى قبل .

وفي هذه الأيام فإن مدارس الحضانة ورياض الأطفال وعيادات الصحة النفسية تقدم جميعها فرصا عظيمة أمام عالم النفس لكى يدرس أطفال ما قبل المدرسة . كما أن كثيرا من الآباء يأتون بأطفالهم إلى تلك المراكز للتدريب والعناية الطبية وللتوجيه والتغلب على أنواع السلوك المشكل . وبالتالى فإنهم بذلك يمنحون علماء النفس فرصة دراسة أطفالهم على فترات منتظمة .

ومع ذلك فهنالك معوقات خطيرة تعترض دراسة أطفال المدارس . فعلى الرغم من أن كثيرا من رجال التعليم يتعاونون مع الباحث . حيث قد يشعرون بأنهم يعاملوا كحيوانات التجارب ، أو أن الاختبار يعد مضيعة لوقتهم الى جانب ما سبق من معوقات التحديد الذى يوضع حول ما يمكن دراسته فغالبا ما لا

تسمح السلطات المدرسية للباحث بالحرية خاصة في الجنس والعلاقات بين الآباء والأبناء أو بين الأشقاء وبعضهم أو الدين .

استخدام عينات بشرية في الدراسة :

من العقبات الهامة أيضا في طريق دراسة الأطفال تلك الطرق التى أثبتت أنها أكثر ثباتا وأقل ضررا عند تطبيقها على الحيوانات ولم يمكن استخدامها مع البشر بسبب الخوف من التأثير النفسى السيء ومن زاوية علمية وعملية أيضا فمن المهم مثلا أن نعرف مقدار نمو الطفل الذى يمكن رده لعوامل النضج (للعوامل الداخلية) ومقدار النمو الذى يمكن رده الى الخبرة . ففى دراسة العوامل الوراثية للحيوانات يمكننا حرمان تلك الحيونات من فرص التعليم بعزلها عن الأفراد الاخرين من نفس النوع ، أو حفظهم في أقفاص بحيث لا تتاح لهم الفرصة لكى يقلدوا الأفعال التى تميز أفراد النوع الذى ينتمون إليه . فإذا ما ظهر السلوك كان منطقيا أن نقول أنه يرجع إلى العوامل الوراثية الخاصة بهذا النوع .

وقد استخدمت أساليب العزل على عينات من الناس ولكن سرعان ما تم التخلى عنها بسبب صعوبة الحصول على موافقة الآباء على استخدام أطفالهم في هذه الدراسات وبسبب وجود اعتراضات قوية من الآباء وغيرهم مؤداها أن عملية العزل عملية ضارة وقد تدمر الطفل الى حد لا يسهل معه أن يعود الى الحالة الطبيعية بعد ذلك وفي الدراسات التى استخدمت التوائم المتماثلة - التى يفترض أنها تتماثل في النواحي الجسمية والنفسية - قام بعض الاكلينيكيون بتجربة على توأمين سمى الأول « أ » والثانى « ب » حيث أعطى التوأم « أ » (التوأم التجريبى) تدريبا على أعمال مختلفة ، بينما لم يقدم للتوأم « ب » (التوأم الضابط) أى تدريب وبعد فترة زمنية معينة قورنت نتائج تدريب التوأم « أ » بانجازات التوأم « ب » . وهنا نواجه الصعوبة العملية التى تواجهنا عند محاولة الحصول على عدد مناسب من الحالات الذين يوافق آباؤهم على مشاركتهم في مثل هذه التجارب . فأحد التوأمين قد يضار نفسيا بحرمانه من فرص التعلم ويضار الآخر لأننا جعلناه يشعر بالتفوق .

وقد أثبتت الدراسات الوراثية للمجموعات الكبيرة أنها عملية اذا ما قورنت بعملية العزل أو بطريقة الضبط المستخدم فيها التوائم . والمبدأ الأساسى في الدراسات الجينية (الوراثية) هو أنه عندما نتمكن من ضبط العوامل البيئية بتحديد بعض العوامل مثل السلالة والمستوى الاقتصادى والاجتماعى والدين والذكاء والعوامل الجسمية بين أفراد العينات المستخدمة ـ فاننا نتمكن من التحكم في المؤثرات البيئية ، وأى تشابه في أنماط النمو بين أطفال المجموعة يمكن وصفه بأنه من المؤثرات الوراثية .

ثانيا : مشكلة دراسة الأطفال :

العقبة الثانية في طريق دراسة الأطفال علميا ـ هى ايجاد الوسائل التى تصلح للتطبيق على الأطفال في الأعمار المختلفة والتى تعطى نتائج صادقة من الناحية العلمية . ومشكلة طرق القياس في حالة الأطفال مشكلة مقلقة دائما . فقد تم التخلى عن كثير من الطرق لأنها أثبتت عدم ثباتها أو أنها أكثر تعقيدا . وعلى سبيل المثال فانه نادرا ما إستخدمت طرق الإستفتاء أو تحليل تاريخ حياة الأطفال هذه الأيام لأن من الصعب التحكم في صحتها .

والواقع أنه لا يوجد أسلوب أو طريقة واحدة من طرق القياس تصلح لكل الأعمار أو لكل أنواع السلوك . ولذا يجب استخدام وسائل مختلفة لدراسة الأطفال الذين تنقصهم القدرة على التعبير اللفظى عن أفكارهم وأولئك الذين أمكنهم أن يتكلموا، كما يجب أن تستخدم وسائل قياس مختلفة في حالة الأطفال الذى يمكنهم القراءة والكتابة أو الذين لا يمكنهم ذلك . وتعد الوسائل السوسيومترية ذات قيمة كبيرة في الدراسات الخاصة بالنمو الاجتماعى ، ولكنها لا تكون ملائمة أو صالحة لدراسة النمو اللغوى أو الحركى .

وكنتيجة لتلك المعوقات كان تراكم المعرفة حول نمو الأطفال بطيئا . وقد ووجهت هذه الصعوبات بالاستعانة بوسائل تستخدم في مجالات قريبة من هذا المجال من البحث كالطب وعلم الاجتماع وعلم النفس التجريبى . وحيث أن كثيرا من هذه الوسائل قد صمم للكبار أو المراهقين في المدارس الثانوية أو الكليات فانها يجب أن تعدل قبل استخدامها مع الأطفال .

ثالثا : مشكلة الدراسة المعملية والميدانية :

كانت معظم البحوث النفسية العلمية تتم في بداية الأمر في المعامل حيث يمكن ضبط العوامل والظروف التى تؤثر على سلوك الفرد . وقد أصبح واضحا الان أن الموقف المعملي نفسه يثير المخاوف في نفس الأطفال Apprehensive كما أن السلوك الذى يظهر عليهم في المعمل كموقف لا يمثل صورة حقيقية لسلوكهم في الحياة اليومية بل أنه يمثل فقط صورة لسلوكهم في المعمل .

ولتجنب هذا الخطأ أو للوصول الى بحث سليم . فقد بدأ بعض العلماء في اجراء دراسات على الأطفال في المجال الطبيعى الذى يتحركون فيه كالمنزل والمدرسة وأماكن اللعب . هذه الدراسات التى سميت بالدراسات الميدانية . قد أوضحت النتائج المستمدة منها أنها لا تتفق في كثير من الحالات مع تلك المستمدة من الدراسة المعملية . ونتيجة لذلك قامت دراسات ميدانية كثيرة عن الغضب والتدريب والتفاعل الأسرى ، والسلوك الاجتماعى بالمدرسة ومع الجيران ، والمخاوف المدرسية ، وعدة أنواع أخرى .

من أنماط السلوك :

وهناك تجربة قام بها « فاول » « Fawl » تبين لماذا أصبح كثير من الباحثين في شك من نتائج الدراسات المعلمية التى تجرى على الأطفال . قارن فاول نتائج دراسة معملية عن الاحباط قام بها « باركر » ، « ديمبو » « Dembo » ، « وليفين » « Lewin » حيث هيأوا موقفا صناعيا احباطيا للطفل ـ وقارن نتائجه بنتائج دراسة ميدانية قام فيها بملاحظة وكتابة تقرير عن رد فعل الأطفال للمواقف الاحباطية في الحياة الواقعية ، وكانت نتائج الدراستين مختلفتين الى حد كبير . وحقيقة الأمر أن الدراسات الميدانية تعطى تقييما صحيحا إلى حد كبير عن الأطفال وخصائصهم الإستجابية للمواقف الاحباطية .

هذا الكلام لا يعنى أن الدراسات المعملية يجب التخلى عنها ، كما أنها لا تعنى أن الدراسات الميدانية يشيع الاعتقاد بتفوقها . فالدراسات الميدانية نادرا ما تقارن بالدراسة المعملية من حيث القدرة على ضبط الظروف التجريبية التى قد تؤثر على استجابات الفرد . وفي الحديث عن وسائل الدراسات الميدانية - مميزاتها وخواصها يذكر « باركر » « أن هذه الوسائل تأكدت الحاجة اليها وشاع عنها أنها غالبا ما تحقق شيء ما ، وأما التجارب فتؤتى نتائج أفضل . وميزتها تبدو في بساطتها النسبية ، التى تجعلها مفيدة كوسائل جاهزة لتحديد مشاكل جديدة وعلى الأخص تحديد المتغيرات التى تتضمنها التجارب .

تأثير المعوقات المنهجية :

أدت المعوقات المنهجية الى تراجع بعض العلماء عن دراسة كثير من مجالات السلوك الهامة للأطفال . مما أدى الى كثير من الثغرات الموجودة حاليا في معرفتنا حول كيفية نمو الأطفال بالطريقة التى ينمون بها . وقد وضح « أندرسون » الحاجة الماسة للتغلب على هذه العقبات قائلاً : يواجه العاملون في مجال علم نفس الطفولة مشاكل مختلفة بطرق متعددة ولكن يلاحظ عليهم الاهتمام المتزايد المستمر بالمنهج . فعلم نفس الطفولة قد أصبح أكثر نضجا إذ أنه يفحص بعناية تامة في مناهجه ويدقق في نتائجه ، ويعمل على تصميم التجارب المناسبة . وفي كثير من المجالات نجد أن دراسة الطفل قد تطورت من مجال الكشف الى مجال البحث الواعى على مدى زمنى طويل . إن بحوث هذه الأيام مهما كانت غير دقيقة إلا أنها نبعت من أكثر وسائل البحث تطورا . فعالم اليوم أمامه فرص طيبة أكثر مما تمتع به عالم الأمس لا في ميله أو قدرته ولكن في الوسائل المتطورة التى لم تتوفر في الماضى ، ولكى نفهم النمو والتطور الذى يبدو معقدا فإننا محتاجون الى عدد كبير من الباحثين في تخصصات مختلفة .

سـلامة المادة العلمية :

من العقبات الهامة التى يواجهها العلماء في دراساتهم لنمو الطفل صعوبة تأكيد سلامة المادة العلمية المستمدة خارج المعامل . وبصرف النظر عن الطريقة

المستخدمة فان هذه العقبة تعرقل البحث ، وتترك ثغرات في معلوماتنا وكثيرا ما تثير الشك لدى المجربين في صدق نتائجهم .

وتتعرض الملاحظات التي نجمعها عن الأطفال إلى انخفاض صدقها لسببين :

السبب الأول :

لا يمكن للفرد الواحد أن يلاحظ كل شيء يفعله الطفل أو يقوله ثم يضع تسجيلا سليما لما يراه . ولكى نزيد من صحة تلك الملاحظات يذكر « جيزل » أنه من الضروى استخدام أجهزة التصوير المتحركة في الدراسة حيث يقوم الباحث بتصوير كل ما يفعله الطفل ثم يدرس ما صوره بعد ذلك باستخدام طريقة العرض البطىء وهنا يمكن للملاحظ أن يلاحظ كل أجزاء الجسم وهى تتحرك . ويمكن اعادة عرض الفيلم إذا ما فات على الملاحظ حركة ما في ملاحظة ما . وتمتاز هذه أيضا بأنها تخلص الباحث من أى محاولة لتفسير ما يلاحظه ، وبالتالى فإنه بهذه الطريقة يرى نشاط الطفل بطريقة أكثر موضوعية عما لو كان يقوم بالملاحظة معتمداً على نفسه فقط .

والملاحظة الصحيحة صعبة على الأخص في الدراسات الميدانية . وكلما توفرت امكانية استخدام الكاميرات المتحركة أو التليفزيون أو الوسائل الأخرى للحصول على تسجيل دائم لسلوك الطفل كلما أمكن دراستها عدة مرات .

وهناك صعوبة أخرى في مجال بحوث الكلام ، فلكى نفهم كيف ينمو الكلام يجب أن نعرف ما الاشكال اللغوية السابقة للكلام التى يستخدمها الطفل . وقد قامت دراسات قليلة في هذا المجال لسبب صعوبة تحليل الأصوات التى تسمعها الأذن وبسبب كون الذاكرة السمعية غير ثابته . وللتغلب على صعوبة الملاحظة في هذا المجال استخدم « Synib » شريط تسجيل مغناطيسى وآلة تصوير طيفى يمكن عن طريقها الحصول على تحليل تصويرى Pictorial analysis لعينات صوتية سجلها المسجل . ومن هذه التسجيلات الصحيحة السمعية والبصرية يمكن أن نقرر كيف تتغير الأصوات السابقة للكلام

بمرور الزمن حتى تصبح سهلة التحديد كلفة .

والملاحظة الصحيحة في مجال الكلام تعتبر من المشاكل الهامة بالنسبة للدراسات الميدانية بالمقارنة بالدراسات المعملية . ولقد أستخدمت شرائط التسجيل بنجاح في دراسة ما يقوله الأطفال عندما يكونوا منفردين بعيدا عن العيون التى تلاحظهم أو الآذان التى تسمعهم من الآباء أو المدرسين أو المجربين . وما يقولونه لأعضاء الأسرة على مائدة الغذاء أو ما يقولونه لطبيب الأسنان عندما يقوم بتنظيف أسنانهم .

السبب الثانى :

الذى يقلل من صحة الملاحظات التى تجرى على الأطفال يكمن في أن أكثر الأطفال لا يسلكون بنفس الطريقة عندما يكونوا منفردين أو مع أطفال آخرين أو عندما يعلمون بأنهم ملاحظون من الكبار . ومن عدة سنوات اقترح « جيزيل » طريقة للتخلص من هذه العقبة باستخدام ستائر من زجاج يتيح الرؤية من جانب واحد فقط - وبذلك يمكن للعالم أن يلاحظه . ويلاحظ أن الأطفال بعد سن الثالثة يجدون طرقا متعددة للكشف عما خلف الستائر الزجاجية وسريعا ما يكتشف أنها وسيلة لمراقبته فتصبح فائدتها محدودة .

ويرى العلماء أحيانا أنه من الضرورى إستخدام المادة العلمية التى يدونها المدرسون والآباء والأشخاص والآخرون الذين تكون لديهم فرص طيبة لملاحظة الأطفال في مواقف طبيعية ولزيادة مدى صحة المادة المستمدة يقدمون للاباء والمدرسين تدريبا على كيفية ونوع ما يلاحظونه ؛ وما يدونونه ونوعيته . هذا التدريب لا يضمن الوصول الى سيطرة تامة على الموقف ، فاتجاهات الملاحظ نحو سلوك الأطفال من حيث إعتبار هذه الأنواع من السلوك عادية أو مشكلة تتأثر بنوع شخصيته وبمهاراته الوظيفية وبخبرته وبألفته بالأطفال .

وحتى عندما يضع الباحث اطارا منظما محددا لجميع الملاحظات ، فان ما يجمعه الملاحظ من مادة علمية يتأثر بأفكاره هو عن الملاحظات الهامة

بالنسبة للمشكلة موضوع الدراسة ، كما يؤثر إدراك الملاحظ على ما سيدونه من ملاحظات فقد ينظر الملاحظ إلى حالة الاستياء التي يبديها الطفل عندما يحظى شقيقه باهتمام أكثر منه على أنه حدث بسيط وأنه مجرد علامة على الغيرة وبالتالي فلا يدونها . وفي المنزل تلعب التوقعات الوالدية دوراً هاماً في تحديد ما سوف يلاحظونه ويسجلونه فالأمهات ـ كقاعدة ـ لديهم توقعات أكبر للسلوك الطيب من بناتهن أكثر من أولادهن . ولذلك يملن لأن يكن أكثر نقداً وحساسية لسلوك بناتهن . ويتوقع الآباء من أولادهم أن يكونوا أكثر ميلاً للعدوان من البنات ، ولذلك يضع الآباء تفسيرات مختلفة للسلوك العدواني عندما يظهر لدى البنين أو البنات .

كذلك فإن التحيز يؤثر على صحة ما يجمعه الملاحظون من ملاحظات . فمقومات السلوك المشكل تعتمد على الاطار المرجعى للمدرس . وبالنسبة للمدرس فإن أى شىء يقلل من فعالية التدريس أو قطع الهدوء اللازم للدراسة كما في حالة الضحك بصوت عالى جدا ومتقطع ـ أو التحدث مع تلميذ ـ يدخل في هذا الاطار .

وبالنسبة للأكلينيكى حيث الاطار المرجعى له يتعلق بتأثير أنواع السلوك المختلفة على تكيف الطفل في الحاضر والمستقبل ـ فان السلوك السابق ذكره يعد أقل أهمية . كما أن أنواع السلوك الأخرى المؤدية إلى سوء التوافق تسمى « سلوكا مشكلا » عند الأكلينيكى . لذا تختلف الملاحظات التى يجمعها المدرس والاكلينيكى لنفس المجموعة من الأطفال بدرجة واضحة . ولتجنب تأثير اتجاهات التحيز على عملية الملاحظة يستخدم الكلينيكيون أحيانا طريقة استدعاء التحيزات المبكرة ، ورؤية الموقف في اطار زمنه . وذلك فان الملاحظ سيكون أقل قدرة على تفتيت ملاحظاته وهذا الموضع يصلح فقط أو على الأخص في حالة العلاقات الوالدية الطفلية ، حيث مضايقات اللحظة الراهنة يمكن أن تؤثر في تقارير الآباء .

وبينما يمكن تجنب التحيز ـ فان عوامل أخرى مؤثرة على صحة التقارير كالنسيان وتغير الاتجاه والرغبة في قول ما يعتقد أنه حقيقة أو تبرير الفعل

وأحيانا تعمد التشويه ليظهر الطفل أو والديه في صورة مرغوبة ـ كل ذلك قد يجعل من تذكر الماضى Retrospection أقل ثباتاً من الملاحظات الفورية ·

وهناك مصدر آخر يقلل من صحة تقارير الآباء مصدرها النواحى الانفعالية · فمثلا لو كان الطفل مريضا فان مخاوف الأم أو قلقها قد يؤثر في تقريرها · وحسب درجة خطورة المرض يكون التأثير أكبر · وبمرور الوقت قد تتذكر أن حالته أخطر مما هى عليه · ويذكر « Whiting and Whiting » أنه إذا كان لدراسة الأطفال أن تكون دراسة علمية منطقية فإن صدق التقارير يصبح أمر ذا أهمية بالغة ·

رابعا : الألفة بالأطفـال :

المعوق الرابع للدراسة العلمية للأطفال هى صعوبة الوصول الى حالة من الألفة بأفراد عينة الدراسة من الأطفال فإذا كان علينا أن نحصل على مادة علمية سليمة كان على الأطفال أن يتكلموا وأن يتصرفوا بصورة طبيعية ، فلا يجب أن يستعرضوا أمام الملاحظ ليؤثرا عليه ، كما لا يجب أن يتأثروا بالملاحظ أو بغرابة الموقف نفسه ·

وقد ظهرت أهمية الألفة الطيبة في الأيام الأولى لاختبارات الذكاء · حيث ينصح القائمون بتطبيق الاختبارات بأن يخبروا الأطفال أنهم مطلوبون للقيام معا بلعبة ما · وأن يمضى وقتا حتى تنشأ علاقات صداقة قبل بدء الاختبار · وهنا يمكن للمختبر أن يحصل على صورة سليمة للقدرات الفعلية للطفل ·

وما يصدق على الموقف الاختباري يصدق أيضا على الموقف التجريبى وخاصة المعملي منه · فيجب أن يشعر الطفل بالإطمئنان في البيئة الجديدة ومع المختبر اذا ما كان عليه أن يستجيب في ضوء خصائصه وبطريقة طبيعية · ويستغرق ذلك الأمر وقتا ولكنه يزيد من مدى صحة النتائج · ففى معامل التدريب في علم

نفس النمو ، يتعلم باحثوا المستقبل الطرق الفنية التى تمكن من الوصول الى درجة أفضل من الألفة مع الأطفال . حيث ينصح كل منهم بأن يدعو نفسه السيد « فلان » مثلا بدلا من دكتور « فلان » ، فمن الصعب على الأطفال أن يكونوا علاقة بأفراد يفحصون أجسامهم أو يشكونهم بالأبر.كما ينصح الباحثون بأن يشعروا الأطفال بالارتياح بزيارتهم للمعمل وتشغيل بعض الأجهزة أمامهم . كما ينصحون أيضا بأن يردوا على كل الأسئلة التى يثيرها الأطفال أو التى يخاف الأطفال من أن يسألوها لأنفسهم .

ويجب ألا يبدأ الباحث بتجاربه على الأطفال إلا بعد التأكد من قيام حالة من الألفة بينه وبينهم . وقد يستغرق ذلك وقتا طويلا . وقد يتطلب ذلك أن يحضر الطفل معه أحد أصدقائه الى المعمل حتى يشعر بالاطمئنان ويصبح راغبا في الحضور أو التخلى عن استخدام هذا الطفل كأحد أفراد العينة . كل ذلك يزيد من تكاليف البحث من حيث الزمن والمجهود والمال ، ولكنها تؤدى الى سلامة النتائج والثقة فيها .

ومن الصعب أن نتنبأ بقدرة الباحث على تحقيق درجة كافية من الألفة بالأطفال في الأعمار المختلفة التى ينوى دراستها . لقد بينت السنين الطويلة من الدراسة والبحث سواء في المعامل أو الميدان إن الأنواع المختلفة من الناس قد تكون أكثر نجاحاً مع أعمار مختلفة من الأطفال . فمثلا بالنسبة للأطفال في سن المهد . فإن الأنثى صغيرة السن التى تحب الأطفال الرضع والتى تعودت التعامل معهم يمكنها أن تصل الى درجة أفضل من الألفة معهم أكثر من الذكور من الباحثين لأن المرأة الصغيرة تذكر الرضع بأمهاتهم . والرضع الذين يعتمدون على اخوتهم عادة ما يستجيبون للباحثين بصورة ايجابية أكثر من أولئك الذين لم يتعودوا إلا على أمهاتهم فقط . ولو كانت أخوات الأطفال في متوسط العمر أو هناك عجائز كالجدات مثلا كان الأطفال أقل ميلا للخوف من الباحث .

وتعتمد سرعة تآلف طفل ما قبل المدرسة مع القائم بالتجريب على مدى تعوده على أن يكون مع غرباء . هذا من جهة . ومن جهة أخرى نوع الشخص الذى تعود أن يتواجد معه . كما أن الطفل الذى التحق بمدرسة للحضانة أو رياض

الأطفال مثلا لا يشعر بالغربة عندما يكون مع الغرباء كالأطفال الذين لم يسبق لهم الإلتحاق بهذه المدارس والذين كانت حياتهم متركزة في المنزل . فصغار الأطفال لا يرون إلا عددا قليلا من الرجال خارج الأسرة ، وعلى العكس من السيدات الباحثات يجد الرجال من الباحثين صعوبة في إقامة جو من الألفة مع الأطفال .

وعلى الرغم من أن أطفال المدارس لهم خبرات كثيرة بالغرباء فقد يجدون صعوبة في إقامة نوع من الألفة مع القائمين بالتجريب . ولا يرجع ذلك الى الخوف مثلا - ولكن لأنهم يقاومون الإجابة على الأسئلة الموجهة إليهم من الكبار - ونفس هذه المشاعر تدفعهم إلى قضاء أغلب وقتهم مع أقرانهم ، وفي هذا السن يحقق الذكور من الباحثين نفس نجاح الاناث منهم تقريبا ، ولكن مع عينة الذكور ، وما تزال البنات يفضلن الباحثات ، وهو نفس السن الذى يفضل الباحثات صغار السن وخاصة لو كن جذابات ولديهن الميل للتعامل مع الصغار .

كذلك تعتمد الألفة الحسنة بين الطفل والمجرب على اتجاهات الطفل نحو المجرب وأيضا على إتجاهات المجرب نحو الطفل كشخص ونحو الأطفال كجماعة ، وعلى خبرة المجرب سواء كان ذكرا أم أنثى بالأطفال كبديل للوالدين عندما كانوا أطفالا أو عندما كانوا مشرفين على التلاميذ أو مدرسين أو آباء .

علم نفس الطفل أم نمو الطفل :

كان تركيز الدراسات العلمية للأطفال في بداية الأمر منصبا على مجالات محددة من سلوك الأطفال ، مثل الكلام والإنفعالات والميول نحو اللعب والنشاطات المختلفة وسمى هذا النوع من الدراسات « علم نفس الطفل » وهو اسم يفترض ان الاهتمام كان مركزا على الظاهرة النفسية لطفل المدرسة وما قبلها .

وقد أصبح واضحا أن دراسة المجالات المختلفة لسلوك الطفل في الأعمار المختلفة ليس كافيا . فهى لا تضيف إلى فهمنا شيئأ عن تغير الخصائص السلوكية

كلما تقدم الأطفال في العمر وما الذى يؤدى الى تغيرها . ولذلك فان الإهتمام بدا في الإنتقال من علم نفس الطفل الى « نمو الطفل » ليؤكد أن التركيز أصبح على نمط النمو الذى يحدث للطفل وليس على عناصر معينة من النمو .

وهناك تغير هام أيضا ـ فبعد ان كان التركيز على أطفال ما قبل المدرسة والأطفال الذين في سن المدرسة امتد مجال الدراسة في الاتجاهين . أى إلى الطفل المولود حديثا والمراهق . ومنذ أن اكتشفت الدراسات الطبية أن البيئة التى يعيش فيها الطفل قبل الميلاد ذات تأثير دائم على الطفل فقد امتدت الدراسة الى هذه المرحلة .

وحيث نظر للطفل على أنه شخص صغير يقع مكانه بين الطفولة والشباب أصبح مجال نمو الطفل هو ذلك الفرع من الدراسات النفسية الذى يدرس الفرد من الاخصاب حتى يصبح شابا ، أو شخصا ناضجا جنسيا ، ومع ذلك لا ينظر اليه على أنه ناضجا بدرجة كافية ليحصل على الحقوق والواجبات والمسئوليات الخاصة بالبالغين . وإننا لنجد هذه الأيام أن التركيز الأكبر في مجال نمو الطفل منصب على اكتشاف التغيرات المميزة في المظهر والسلوك والميول والأهداف والتى تحدث كلما مر الطفل من مرحلة نمو لأخرى . بالإضافة الى محاولة اكتشاف متى تحدث هذه التغيرات ، وما المسئول عنها ، وهل هي فردية أو عامة ؟ .

الفصل الخامس

خصائص النمو

مقدمة

الهدف الأساسى من دراسة نمو الطفل هو الكشف عن النمط العام المميز للطفل العادى ، وتحديد مدى التباين في هذا النمط ، ومعرفة عوامله . لقد تأخرت دراسة نمو الطفل الى حد معين بسبب الثغرات التى وجدت في معارفنا حول عمليات النمو المختلفة .

وهناك خطورة أكبر من وجود هذه الثغرات وهى ميل بعض الكتاب الى تطبيق المادة العلمية المستمدة من الكبار والمراهقين على الصغار . كما يفترض بعض الناس أنه ما دامت بعض جماعات المراهقين جانحة تكون جماعات الأطفال جانحة أيضا وهو افتراض خاطىء إذ أن جماعات الأطفال لا تتطابق في تكوينها وأهدافها مع جماعات المراهقين .

ما المقصـــود بمصطلح النمـــو ؟

١ - النمو يعنى تغيرات كمية في الحجم والبناء . فالطفل لا يكبر جسيما فقط . بل يزداد الحجم والبناء الداخلى للأعضاء الداخلية والمخ أيضا . وكنتيجة لنمو المخ يصبح الطفل أكثر قدرة على التعلم والتذكر والفهم . فهو ينمو عقليا كما ينمو جسميا .

٢ - والنمو يعنى أيضا تغيرات كيفية ، قد نشير اليها على أنها سلسلة منظمة مترابطة من التغيرات التقدمية . وكلمة تقدمى تعنى أن التغيرات تتجه للأمام وليس إلى الخلف . وكلمة منظمة مترابطة تعنى وجود علاقة محددة بين كل مرحلة والمراحل السابقة واللاحقة لها . وكما يقول « اندرسون » فالنمو ليس مجرد إضافة أطوال إلى الطول أو قدرة إلى قدرة . بل هو عملية معقدة تهدف الى تكييف البناء الجسمى لأدوار وظيفية معينة . وبسبب هذا التكامل بين البناء الجسمى ووظائفه فإن كل تغير يعتمد على ما سبقه . وهو بدوره يؤثر على ما يليه .

وقد وضح « نيوجارتن » كيف أن التغيرات الكيفية في النمو تؤثر على الشخص كلما زاد نموه فيقول « يتغير الناس سواء إلى الأحسن أو إلى الاسوأ كنتيجة لتراكم الخبرة ، حيث تترك الأحداث آثارها في الكائن . ويختلف الأفراد في قدرتهم على تجريد آثار هذه الخبرات ثم بناء معايير أكثر دقة لتفسير الأحداث الجديدة . كما أن التنظيم العقلى لا ينمو فيصبح كبيرا فقط ولكنه يزداد تنظيما عبر الزمن أيضاً . ولا يتميز البالغون بأنهم أكثر تعقيداً عن الأطفال بل أنهم يختلفون عن بعضهم البعض أيضا ، ويزداد الإختلاف كلما اتجهوا من الشباب الى الأعمار الكبيرة .

أنــواع التغــير :

لا يتصف الإنسان بالثبات أبدا منذ الأخصاب وحتى الوفاة - بل هو في تغير مستمر ، وفي كل عمر تبدأ تغيرات حيث تتجه بعض التغيرات نحو قمتها والبعض يسير في اتجاه الإنحدار . ويمكن تقسيم التغيرات المختلفة إلى أربعة فئات رئيسية :

أ - تغيرات في الحجم :

وتتضمن التغيرات الجسمية في الطول والوزن والأبعاد والأعضاء الداخلية والتغيرات العقلية في الذاكرة والفهم والإدراك والخيال الإبتكارى .

ب - تغيرات في النسب :

تغيرات في نسب أبعاد الجسم المختلفة من الطفولة الى المراهقة إلى الرشد .

جـ - اختفاء مظاهر قديمة :

عندما تصبح بعض الظواهر غير ذات جدوى فإنها تختفى تدريجيا مثل الغدة التيموسية وشعر الطفولة والأسنان اللبنية . ونفس الأمر بالنسبة لبعض السمات السلوكية والنفسية كمجموعة الحركات الخاصة بالمشى والكلام والخيال الوهمى المميز للطفولة .

د - اكتساب مظاهر جديدة :

تنمو بعض المظاهر الجسمية والعقلية الجديدة خلال عملية النضج والبعض من خلال التعلم . ومن هذه المظاهر الجسمية الجديدة : ظهور الأسنان الدائمة ، والخصائص الجنسية الأولية والثانوية . أما المظاهر العقلية الجديدة فتضمن الحافز الجنسي والمعايير الخلقية والمعتقدات الدينية .. الخ .

وقد تكون بعض التغيرات التى تحدث في النمو من النوع العكسي بينما البعض الآخر مرتبط بإتجاه النمو الطبيعي . ويلاحظ ذلك في تغيرات الجسم والنسب . فزيادة حجم الجسم يصحبها تحورات في تكوين الجسم . وزيادة الوزن في الطفولة المبكرة مثلا لا تتأتى فقط من زيادة الأنسجة الدهنية ولكن من الزيادة في الأنسجة العصبية والعظام والغدد والأنسجة العضلية ، أما في الطفولة المتأخرة فتأتى الزيادة أساساً من أنسجة العظام . وفي البلوغ تأتى من تراكم الأنسجة الدهنية .

وتتضح التغيرات المرتبطة في الحجم والنسبة في الخواص العقلية للطفل . فإنفعالات الطفل الصغير ينقصها التدرج ، فالإندفاع المزاجى العنيف قد لا تكون له صلة قوية بالموقف الإحباطى . وبازدياد نمو الذكاء والخبرة يصبح الطفل قادرا على ضبط غضبه حتى تقبله جماعته الإجتماعية . وقد يكون نمط النمو عادى وصحى ، وقد يكون غير عادى وغير صحى ، وقد يكون غير عادى وغير صحى . فالشخص الذى يحقق أفضل درجات التكيف مع الحياة ينمو في اطار صحى فما هو الاطار الصحى للنمو ؟

يذكر « شيلمان » « Chilman » ان الناس الذين ينمون بطريقة صحية يتحركون في دوائر ولكن لاعلى كما لو كانوا يرتقون خلال دوامة . وفي خلال كل دائرة من دوائر النمو يتعلمون مهارات جديدة ويكتسبون قوة نفسية جديدة . وتتغير الدوافع . إذا ما سارت كل الأمور على ما يرام ، وبتقدم السن يصبح السلوك ملائما للسن ومقبولا ومرغوبا فيه .

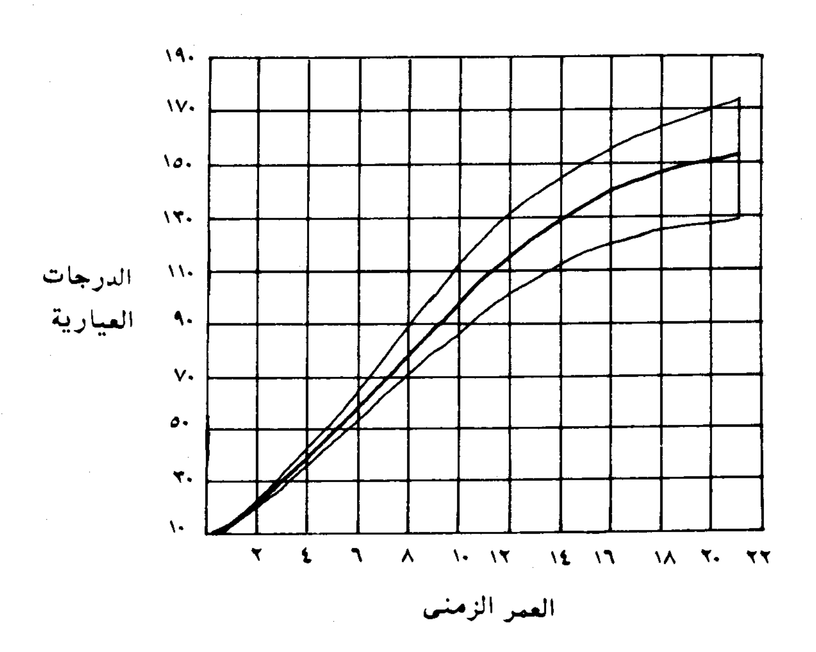
سرعة النمو :

ان سرعة النمو سواء كان جسميا أو عقليا ليست سرعة موحدة في المراحل المختلفة فالنمو الجسمى سريع جدا في الشهور التسعة الأولى السابقة للميلاد ، إذ ينمو الفرد من خلية صغيرة ميكروسكوبية الى رضيع يصل حوالى ٧ أرطال في الوزن و ٢٠ بوصة في الطول . ومما هو جدير بالذكر ان وزن الطفل يزداد خلال مرحلة ما قبل الميلاد حوالى ١١ مليون مرة .

ويستمر النمو الجسمى في معدل سرعته خلال مرحلة المهد وحتى سن ٣ سنوات والزيادة هنا ليست محدودة بالحجم ولكنها تتضمن أيضا النسب . ولكى نتصور مدى سرعة التغيرات التى تحدث فان على الفرد أن يقارن بين طفل ٣ سنوات والطفل حديث الولادة . فخلال هذه المرحلة يمكن للفرد أن يلاحظ نمو الطفل من أسبوع لأسبوع .

ومن سن ٣ - ٦ سنة يستمر الطفل في النمو السريع ولكن بمعدل أقل عن الفترة السابقة . ومن حوالى سن ٦ سنوات وحتى قبل المراهقة تتناقص سرعة النمو ويصبح بطيئا حيث تحدث تغيرات في نسب الجسم أكثر من تغيرات الحجم . ويلى تلك المرحلة مرحلة انطلاق في نمو سريع يستمر ٢ - ٣ أعوام . وفي هذه الفترة يكون الفرد على أبواب النضج . ويكون طوله حوالى ١٥٠ - ١٨٠ سم تزيد أو تقل قليلا ، ووزنه من ٣٨ - ١١٠ كجم ، ويحدث كل هذا التغير في حوالى ½ دورة الحياة ككل .

ويسير النمو الجسمي متوازياً مع النمو العقلي . فعندما يكون النمو الجسمي سريعاً يكون النمو العقلي سريعاً . وإذا كان النمو الجسمي يتميز بتغيرات في نسب الجسم وزيادة في الحجم ، كذلك فإن النمو العقلي يتميز بسرعات مختلفة من حيث النمو في حالة الذاكرة والفهم والقدرات العقلية الأخرى . ويمكن أن نصور النمو العقلي خلال الأعمار المختلفة بالرسم البيان التالي :



نمط النمو العقلي من الميلاد وحتى سن ٢٠
والمساحة المظللة تمثل الإنحرافات المعيارية في مختلف الأعمار

التوقعات الاجتماعية :

تتوقع الجماعة الاجتماعية من الطفل أن يحقق درجة معينة من التكيف خلال كل مرحلة من مراحل النمو . وعندما يصعب عليه التكيف فإن النمو يبطىء ويتجه نحو الإنحدار . وعندما يسهل التكيف فإن النمو يسرع الخطى . ويرى « شيلمان » أن بعض المراحل أكثر حساسية وصعوبة عن البعض الاخر . وهناك فترات من الاستقرار أو الهدوء .

المبادىء العامة أو الخصائص العامة للنمو :

تفسر كلمة النمو بأنها التغير الذي يعتري السلوك نتيجة مرور الزمن . وقد وجد من الدراسات التي جمعت عن التطور في سلوك الطفل ـ أن هناك بعض الصفات العامة التي يسير عليها هذا التطور بصرف النظر عن المرحلة الخاصة التي يمر بها ـ ومن هذه المبادىء التي توصل إليها العلماء ما يلي :

أولاً : مبدأ اتجاه التطور :

ان التطور في بناء الجسم ووظائفه عند الجنين وبعد الولادة ـ يسير في اتجاهين :

أ - الاتجاه الرأسذنبي ـ أي أن الأجزاء العليا من الجسم تسبق الأجزاء السفلى منه في النمو ـ فيحدث النمو في منطقة الرأس قبل المنطقة القريبة من العجز أي منطقة الأطراف ، ومناطق الأذرع تظهر قبل الساقين . ومن الناحية السلوكية نجد أن الطفل يستجيب لوخز الدبوس إذا ما أصاب وجهه ولكنه لا يستجيب إذا أصاب رجليه ـ كما أنه يستخدم أذرعه قبل رجليه في عملية المشي .

ب - الاتجاه الجداري ـ حيث نجد فيه أن نمو عضلات الأكتاف يكتمل قبل نمو عضلات الأصابع · وأن نمو الكائن الحي يتم من الداخل وليس من الخارج وأن نموه كلي وليس جزئياً ـ فالنمو يحدث في الكائن الحي من حيث أنه وحدة واحدة · وأن أي زيادة في النمو انما تأتي من الداخل وليس من الخارج ·

ثانياً : النمو يتم من العام غير المتميز إلى الخاص المتميز :

لقد لوحظ على حيوان السلاماندر (حيوان مائي) أنه يقوم بحركة جسمه كله ـ قبل أن تظهر الأطراف التي يستخدمها في حركة العوم · فالسلوك يبدأ كلياً ـ ثم تظهر التفصيلات بعد ذلك · كذلك فالطفل يمسك بالأشياء بكفه كله ثم بعد ذلك يستخدم أجزاء بسيطة من يده ـ كذلك عندما يشك طفل بدبوس في أيامه الأولى ـ في جسمه ـ فإن جسمه كله يقوم بحركة انتفاضة ـ نتيجة لاستجابته للمؤثر ، وإذا شد من شعره ـ يلعب فمه كما لو كان يرضع ـ ففي أول الأمر تكون الاستجابة عامة أو المثيرات عامة ثم يحدث تخصص سواء في نوع الاستجابة أو المثير ·

كذلك بالنسبة للادراك فإن الكل يسبق الأجزاء الداخلة فيه ـ وينطبق هذا على النمو الانفعالي والنمو الاجتماعي واللغوي ·

ثالثاً : مبدأ الفروق الفردية :

كل فرد ينمو وفقا لمعاييره الخاصة به ـ وكل طفل له درجة من التطور خاصة به ـ سواء في الذكاء أو السلوك الحركي · فالصفات المختلفة تسير في نموها بدرجات مختلفة بين الأطفال ، كما تتوزع أي صفة أخرى بين الناس عامة طبقاً للمنحني الاعتدالي · وكما توجد فروق فردية بين الأطفال في الصفات ـ توجد فروق في سرعة النمو من الناحية الجسمية · وقد وجد أن الفروق بين الجنسين في النواحي العقلية أو في القدرات أو النواحي الجسمية أبسط بكثير منها بين أفراد الجنس الواحد من حيث الميول والصفات الشخصية ·

رابعاً : مبدأ التعقد والتداخل :

عندما نصف عملية النمو من النواحي المختلفة ، فلا يعني هذا أنها مستقلة عن بعضها – وإنما نبتدع التقسيم لأغراض التحليل العلمي فقط ، حيث تتم عملية التقسيم إلى نواحي اجتماعية وانفعالية وحركية وعقلية وجسمية .. الخ لسهولة الوصف والتحليل العلمي فقط . ولا يمكننا أن نفهم أي مظهر من هذه المظاهر دون أن نفهم المظاهر الأخرى المتعلقة به ، فنحن لا نستطيع أن نفهم النمو الجسمي دون أن نفهم النمو الاجتماعي والانفعالي والحركي ، ونحن نعرف أن الناحية الانفعالية تؤثر في النمو ولا نستطيع أن نفسر النمو العقلي دون أن نفهم باقي مظاهر النمو وكلها متعلقة ببعضها البعض .

فإذا أخذنا استجابة بسيطة مثل استجابة الحياء أو الخجل عند الأطفال في سن ٨ إلى سن ٩ عند مقابلتهم لشخص غريب ، وجدنا أنها تتضمن جانباً انفعالياً وجانباً اجتماعياً . وإذا أخذنا حركة المشي مثلاً ، وهي سلوك حركي ، وجدنا أنها توسع دائرة المعرفة عند الطفل ، فهو عندما يمشي يتصل بأفراد آخرين مما يؤثر على نموه الاجتماعي . كذلك يؤثر المشي في النواحي الانفعالية ، كما تتعلق القدرة على المشي بالنمو الجسمي ، كل هذا يوضح لنا أن عملية النمو عملية معقدة تتداخل فيها المظاهر المختلفة بعضها بالبعض ولا يمكن أن نصفهاالا اذا درسنا كل ناحية من هذه النواحي وعلاقتها بالمظاهر الأخرى .

خامساً : مبدأ الاستمرار والتفاعل :

رغم اختلاف الأطفال فيما يستطيعون أن يقوموا به ، ورغم اختلافهم أيضاً في معدل السرعة التي يسير عليها نموهم من مرحلة لأخرى ، فإننا نجد أنهم جميعاً مهما اختلفت سرعة نموهم ومهما اختلفت خبراتهم وأنواع سلوكهم ، لابد أن يمروا جميعاً بمراحل واحدة . أي أن هناك اتفاق كبير في ترتيب المراحل التي يمر بها كل طفل . وبمعنى آخر فإن هناك درجة كبيرة من التشابه من حيث ترتيب ظهور مراحل النمو المختلفة ، ومن حيث تماسكها ، ومن حيث اعتماد اللاحق منها على السابق .

فعملية النمو عملية متصلة مستمرة بمعنى أن الفرد لا ينتقل من مرحلة لأخرى فجأة، ولكن يمهد لظهور صفات معينة في كل مرحلة مراحل سابقة لابد أن يمر بها الفرد . وكل سلوك ينمو ويظهر عند الفرد يؤدي الى ظهور السلوك الذي بعده ويؤدي الى ظهور صفات أخرى بطريقة أخرى من حيث الترتيب . فكل خطوة من خطوات النمو متأثرة بالخطوة السابقة لها وتؤثر في الخطوات اللاحقة لها . فالطفل لا يتعلم الكلام الا بعد أن يمر بمرحلة المناغاة كما أنه يجلس قبل أن يقف ، ويقف قبل أن يمشي ويرسم الدائرة قبل المربع ويعتمد على الآخرين قبل أن يعتمد على نفسه . وهذا هو المقصود بالاستمرار والتفاعل .

سادساً : مبدأ اختلاف السرعة في المراحل المختلفة :

فسرعة النمو ليست مطردة ، ولا تسير بمعدل واحد في كل المراحل . ويعني هذا أن هناك فترات نمو سريعة يمر بها الطفل ، كما أن هناك فترات نمو نطيئة فالنمو مثلاً في فترة الحضانة سريع بينما في مرحلة المدرسة الابتدائية بطيء نسبياً ، كذلك فإن النمو العقلي يستمر مطرداً في سرعته حتى بداية المراهقة ، ثم يبطىء قليلاً حتى يقف في سن ٢٠ تقريباً . الا أن هذا لا يعني أن المرحلة التي يبطىء فيها النمو لا تشتمل على تغيرات هامة .

سابعاً : مبدأ اختلاف السرعة في مظاهر النمو المختلفة :

فإذا كان النمو الجسمي يسير بمعدل معين فليس هذا المعدل هو نفسه الذى يسير عليه النمو العقلي ، فمظاهر النمو المختلفة جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً لا تسير بمعدل واحد في سرعة نموها .

مطالب النمو

يتعلم الناس في أي جماعة ثقافية معينة أنماطاً سلوكية ومهارات معينة

بسهولة ونجاح في مراحل معينة دون غيرها . وتتوقع الجماعة من كل فرد من أفرادها أن يسلك طبقاً لجداول زمنية للنمو . وهذه التوقعات الاجتماعية تعرف « بواجبات النمو » . ويذكر « نيوجارتن » Neugartin أن الأعمار الزمنية في كل مجتمع تأخذ شكلاً متدرجاً ، وأن كل مجتمع له تنظيم من التوقعات الاجتماعية فيما يختص بالسلوك الملائم لكل عمر . ويمر الفرد خلال حلقات من التنظيم الاجتماعي منذ الميلاد وحتى الموت بالضبط كمروره في الحلقات البيولوجية ـ وهنا يوجد ما يوصف اجتماعياً بالجدول الزمني لترتيب أغلب أحداث الحياة . ورغم أن المعايير تختلف من جماعة اقتصادية اجتماعية سلالية أو عقائدية لأخرى ـ فإنه بالنسبة لأي جماعة اجتماعية يكون من السهل تقرير أن المعايير وحدوثها الفعلي ذو علاقة وثيقة .

والناس في كل الأعمار على وعي بتلك الساعات الاجتماعية ، فحتى صغار الأطفال يعلمون مما يقوله الناس لهم وما يطلبونه منهم أن هناك أشياء معينة متوقعة منهم . وفي الحال يكتشفون ـ من القبول أو عدم القبول لسلوكهم ـ أن هذه التوقعات الاجتماعية تحدد طريقة تعلمهم إلى حد كبير .

وفي الثقافات التي تتميز بالثبات النسبي ـ تظل واجبات النمو دون تغير يذكر جيلاً بعد جيل . أما في الثقافات المتغيرة ـ فالجيل الجديد عليه أن يستوعب واجبات نمو جديدة ، حيث تصبح بعض واجبات النمو القديمة أقل أهمية أو يجب التخلص منها . وفي الثقافة التي تتغير من الأعمال اليدوية إلى الأعمال الميكانيكية مثلاً ـ يصبح تعلم المهارات اليدوية أقل أهمية من تعلم تشغيل الماكينات .

ويعرف « هافجهرست Havighurst واجب النمو على أنه « مطلب ينشأ في مرحلة معينة من حياة الفرد ، وانجاز ناجح يؤدي إلى سعادته ونجاحه في واجبات تالية ، بينما يؤدي الفشل إلى التعاسة وعدم تقبل المجتمع له ، وصعوبة مع الواجبات التالية » .

وتنشأ بعض واجبات النمو أساساً كنتيجة للنضج الجسمي (تعلم المشي) .

والبعض الآخر ينشأ أساساً من الضغوط الثقافية للمجتمع (تعلم القراءة وتعلم أدوار جنسية ملائمة) ، والبعض الآخر ينمو من قيم الفرد وطموحاته (الاختيار والاعداد للمهنة) وأغلب واجبات النمو ينشأ من تفاعل كل العوامل الثلاث السابقة .

واجبات النمو في مرحلة الطفولة :

واجبات النمو من الميلاد وحتى سن ٦ سنوات :

- تعلم المشي .
- تعلم تناول الأطعمة الصلبة .
- تعلم الكلام .
- تعلم ضبط الاخراج .
- تعلم الفروق الجنسية والاحتشام الجنسي .
- تحقيق الاستقرار الفسيولوجي .
- تكوين مفاهيم بسيطة حول الحقائق الاجتماعية والجسمية .
- تعلم الارتباط الوجداني بالوالدين والأشقاء والناس الآخرين .
- تعلم التمييز بين الصح والخطأ وتنمية الضمير .

واجبات النمو من ٦ ـ ١٢ سنة :

- تعلم المهارات الجسمية الضرورية للألعاب الشائعة .
- بناء اتجاهات صحيحة نحو الذات ككائن نامي .
- تعلم التعامل مع أقرانه من نفس السن .
- تعلم دور جنس ملائم سواء كان ذكرياً أو أنثوياً .
- تنمية المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب .
- تنمية المفاهيم الضرورية للحياة اليومية .
- تنمية الضمير والخلق ومعايير قيمية .
- تحقيق الاستقلال الشخصي .
- تنمية اتجاهات سليمة نحو الجماعة والمؤسسات الاجتماعية .

الأعمار الملائمة لتعلم واجبات النمو :

إن الأعمار التي يتوقع للطفل فيها أن يسيطر على واجبات النمو التي تحددها ثقافة الجماعة تعد أعماراً حرجة من جهة أنها تمثل الوقت الذي يكون الفرد فيه مضطراً لتعلم نمط جديد من السلوك . وبصرف النظر عما يحتاجه الطفل لكي ينمو فإن الانتقال من مرحلة نمو لأخرى عادة ما يكون مصحوباً بالاضطرابات الانفعالية . وهذا يعني التخلص من عادات قديمة وإحلال عادات جديدة محلها يمكن اكتسابها عن طريق تعلم طويل ومتعب .

هذه الأعمار تعد حرجة أيضاً لأن طريقة أداء الطفل ستحدد مدى ما سيكون عليه من سعادة وكيف ستكون أحكام الجماعة عليه . فإذا ما تمكن من واجبات النمو فإن سعادته الآن ومستقبلاً يحتمل تحقيقها ، ولكن الأهم هو أن يتأكد لديه قبول الجماعة له .

الفشل في تحقيق واجبات النمو :

لا ينجح كل الأطفال عادة في تحقيق كل واجبات النمو التي ترى الجماعة أنها ملائمة لسنهم . وأحد الأسباب العديدة لذلك تأخر مستوى النمو . فالطفل الذي يتأخر في دخوله مرحلة البلوغ يجد أن تأخر نموه الجسمي يعوق نجاحه في إقامة علاقات اجتماعية مع أقرانه من نفس السن . ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى أن نموه النفسي لا يسير متوازياً مع نموه الجسمي ، كما أنه يميل لأن يكون غير ناضج في ميوله وسلوكه لعدم نضج مظهره .

وسبب آخر من أسباب الفشل قد يكمن في نقص فرص التعليم . فالطفل الصغير الذي يتمتع بحماية زائدة من أم قلقة عليه قد لا تتوفر له فرصة تعلم الاعتماد على نفسه واكتساب مهارات اللعب التي يقوم بها أقرانه من نفس السن . لقد بينت دراسات الأطفال الذين يودعون في المؤسسات أنهم يتخلفون في الحبو والجلوس والوقوف والمشي والكلام لأنهم لم يحصلوا إلا على فرص ضئيلة من

المساعدة والتشجيع على تعلم هذه الأنواع من السلوك وذلك إذا ما قورنوا بأطفال في نفس العمر نشأوا في بيوتهم وبين آبائهم ووجدوا التشجيع على تعلم هذه المهارات الحركية .

وهناك سبب شائع للفشل هو نقص الدافعية . فالطفل الذي يستسهل الاعتماد على الوالدين أو المدرسين لمساعدته دون أن يقوم من جانبه بعمل أي شيء لنفسه لن يتمكن من أنماط السلوك التي تمكن منها أقرانه من نفس السن بل تعدوها أيضاً والفشل في تعلم القراءة والكتابة في السن الملائم مثال لذلك ، فعندما يكتشف الطفل عجزه الذي يعاني منه ـ قد يكون في ذلك دافع له . وهنا نجد أن هناك واجبات أخرى عليه أن يتعلمها ويواجه بحقيقة هامة وهي أن عليه أن يتعلم القديم والجديد ـ وهنا تكمن الصعوبة .

وهناك ثلاث نتائج للفشل في تعلم واجبات النمو الملائمة :

الأول : شعور الفرد بالنقص مما يؤدي إلى التعاسة .
الثاني : تؤدي إلى عدم التقبل الاجتماعي الذي يكون مصحوباً عادة بالنبذ الاجتماعي .
الثالث : أنه يجعل من الصعوبة تعلم واجبات نمو جديدة وسيتأخر الطفل إلى الوراء كل عام لأنه لن تتوفر لديه الأسس التي يبنى عليها الجديد من الأمـور .

ويذكر « كوري وهيريك » « Corey and Herrick » أن واجبات النمو تشبه الدروس التي يجب تعلمها إذا ما كان على الفرد أن يتكيف بدرجة سليمة وصحية مع ثقافته . والشخص الذي يفشل في التعلم يعاقب بطرق متنوعة وقد يكون العقاب محسوباً وعلنياً كما في حالة الأشخاص الذين يقعون في اتصالات جنسية محرمة ، أو قد يكون العقاب داخلياً كما في حالة قلق الجبان .

السيطرة المبكرة على واجبات النمو :

عندما يتمكن الطفل من واجبات النمو التي تحددها الجماعة يكون جزاؤه تقبل الجماعة له وتقبله لنفسه ، مما يؤدي إلى سعادته . وتقبل الفرد اجتماعياً يدفعه نحو آداء الأدوار القيادية لأن جماعته (أقرانه من نفس السن) تنظر إليه على أنه أكثر تفوقاً في مهاراته وفي نضجه العام . ويؤدي تقبل الذات الى الثقة بها وتزود الفرد بدافع قوي لأن يعيش على مستوى التوقعات الاجتماعية والذاتية .

والتمكن المبكر من واجبات النمو قد يعكس مستوى أعلى من المتوسط من حيث الذكاء . وربما يكون ذلك مرجعه الظروف التي تساعد على النجاح . فالطفل الذي يساعده ويشجعه الوالدان على سرعة النضج الجسمي بالعناية المفضلة به من قبل الميلاد ـ وهو في بطن الأم ـ يكون أقوى وأكثر حيوية من الطفل العادي من نفس سنه . والحيوية تلعب دوراً هاماً في التمكن من كل واجبات النمو ـ بينما تؤدي القوة إلى ميزة أخرى بجانب الحيوية وهي التمكن من المهارات المطلوبة .

كما أن البيئة التي تقدم لأطفالها فرصاً طيبة للتعلم المصحوب بالتشجيع ، ويغتنم أطفالها مثل هذه الفرص ، سيتمكنون مبكراً ـ إذا كانت كل الظروف متساوية ـ من واجبات النمو الملائمة . كما أن الأطفال الذين يحصلون على توجيه من الوالدين أو الأشقاء الكبار أو المدرسين أو الكبار الآخرين أميل لأن يتعلموا أسرع من أولئك الذين يتعلمون أساساً بالمحاولة والخطأ أو من التقليد للأنماط السلوكية الطفلية .

الفصل السادس

العوامل المؤثرة على النمو

مقدمة

أول ما يتساءل عنه الآباء عند ميلاد طفل هو إذا ما كان ولداً أم بنتاً ؟ هذا التساؤل يكشف فكرة الآباء واتجاهاتهم نحو مولودهم الجديد . ومتى بدأت رحلة الحياة فإن التفاعل المستمر بين الآباء والطفل يغير الآباء تغييراً عميقاً ربما قد يكون له أثر أقوى من أي عامل آخر على اتجاه ونوع نمو الطفل .

والطفل ـ هذا الكائن البدائي صغير الحجم المعقد التركيب ـ يخرج إلى الحياة مزوداً برأس وأذرع وأرجل وجذع ومجموعة من الأعضاء الحسية التي تجعله على اتصال بالعالم المحيط به . وما ينقله هذا العالم إليه من خلال حاسة البصر والسمع واللمس سوف يحدد طريقة نموه ويشكلها ، كما ستحدد بنائه الجسمي وحالته الصحية والجنسية ومظهره العام أيضاً .

والنمو النفسي ظاهرة معقدة ـ لأن السلوك الذي يعد تعبيراً عن الظاهرة النفسية سلوك معقد يخضع لعوامل كثيرة . بعض هذه العوامل يرثه الإنسان والبعض الآخر يرجع إلى التفاعل المستمر بين الإنسان وبيئته الخارجية . ويظهر النمو النفسي للطفل بوضوح في ما يحدث في سلوكه من فترة لأخرى من فترات

النمو من تغيرات . فالأطفال تعتريهم تغيرات كثيرة نلحظها يوماً بعد يوم . وما نتوقعه من طفل في الرابعة من العمر من أساليب يختلف عما نتوقعه من طفل آخر أو من نفس هذا الطفل في سن التاسعة سواء في طريقة التفكير أو أسلوب السلوك الانفعالي أو الاجتماعي . فهناك تغير مستمر في نمو الفرد . هذا التغير تحكمه عوامل خاصة بتكوينه وما توارثه عن الآباء والأجداد باعتباره فرد ينتمي إلى الجنس البشري ، وعوامل أخرى خاصة بالبيئة التي خضع لتأثيراتها المتنوعة الكثيرة .

عامـل الوراثــة

ينظر للإنسان الناضج كفرد متميز ، ولكننا نعرف أن الفردية هي تكامل عدة قوى وأنظمة ديناميكية . فالعوامل الحسية والعقلية والاجتماعية والانفعالية جميعها تحدث تأثيرات متكاملة مع بعضها لتشكل الإنسان خلال مروره في عاملي الزمن والخبرة .

وتبدأ حياة الفرد باتحاد حيوان منوي مع بويضة في الجهاز التناسلي للأنثى ومن هذا الاتحاد تتكون كل الخلايا التي تكون جسم الإنسان ، ومن تلك الخلية المخصبة البسيطة الأساسية يتخذ مفهوم النمو معناه .

ولكي نبدأ بدراسة الفرد يجب أن ندرس الأصل الذي نشأ منه . ولكي ندرس الأصل يجب أن ندرس آباؤه . فعملية الاتصال الجنسي والتي تؤدي إلى الاخصاب تحت ظروف معينة ـ تؤدي إلى دخول الحيوانات المنوية القادمة من الجهاز التناسلي للذكر إلى مهبل الجهاز التناسلي للأنثى . والتكاثر المترتب على الاتصال الجنسي ليس هو البداية بالنسبة لعملية التكاثر ، ولكنه أحد الحلقات في سلسلة طويلة من الأحداث تعطي فرصة الحياة للفرد . فهناك الكثير الذي تم حدوثه قبل الاتصال الجنسي يعد ذو أهمية بالغة وغير محدودة للكائن البشري الذي سينمو فيما بعد . وسنوضح فيما يلي بعض حلقات هذه السلسلة الطويلة من الأحداث التي تبلغ ذروتها بظهور الفرد .

الجهاز التناسلي للذكر :

يتكون الجهاز التناسلي للذكر من :

١ - خصيتان معلقتان في كيس الصفن .

٢ - عدد كبير من الأوعية الناقلة في كل خصية تتجمع مع بعضها لتكون وعاءاً واحداً اسطوانياً يخرج من الخصية .

٣ - قناتان منويتان تتجمع فيهما الأوعية الناقلة الكثيرة العدد وتتصلان بالحويصلة المنوية الموجودة خلف المثانة .

٤ - غدة البروستاتا الصغيرة الحجم والتي تحيط بالحالب والقناة القاذفة .

٥ - القنوات القاذفة والتي تبدأ من الحويصلة المنوية إلى قناة الحالب المجمعة .

٦ - زوجان صغيران من غدد « كوبر » خلف الحالب ومتصلتان به بواسطة زوجان من الأوعية الصغيرة .

٧ - الحالب نفسه الذي يبدأ من القناة القاذفة وخلال القضيب إلى الخارج .

وتحتوي كل من الخصيتين على عدة أوعية قصيرة تتكون فيها الحيوانات المنوية عن طريق تكاثر الخلايا المحيطة بهذه القنوات . ويتراوح عدد الحيوانات المنوية في القذفة الواحدة بين ٥ ـ ٥٠ مليون ، حيث تخرج الحيوانات المنوية سابحة في كمية قليلة من سائل مغذي هلامي القوام قلوي تقوم بإفرازه غدة البروستاتا ويسمى هذا السائل بالمني أو النطفة .

أنابيب أفرنتيا

الأنبوبة المجمعة

والجرثومة أو الحيوان المنوي الذي يتكون في أنابيب « أفرنتيا » في الخصيتين يمر خلال هذه الأنابيب إلى الأنبوبة المجمعة والتي تسمى « الأبيد يدم » . ومن أنابيب « أفرنتيا » الجرثومية إلى أنابيب « الأبيد يدم » المجمعة يختلط الحيوان المنوي بسوائل كل من البروستاتا والأوعية المنوية وتتجمع الجراثيم (الحيوانات المنوية) في القناة القاذفة لقذفها خلال القناة البولية إلى الخارج خلال عملية القذف التي تنهي الاتصال الجنسي .

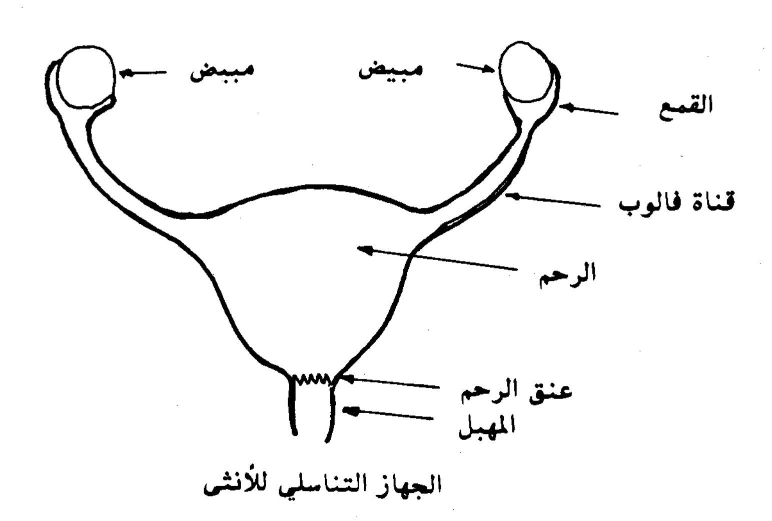
هذه العملية برمتها ترتبط تماماً بالنظام الغددي ـ بهرمونات تفرزها الغدة النخامية والكظرية وتعد حيوية لوظيفة جهاز التناسل .

أما خلية الحيوان المنوي ـ فهي خلية دقيقة للغاية تتكون من رأس هو جسم الخلية وبه نواة ويتصل بالخلية ذيل طويل نسبياً · تحتوي هذه الخلية على ٢٣ كروموزوم تمثل نصف عدد الكروموزومات الموجودة في الخلية العادية للإنسان · ففي الخلية العادية للإنسان يوجد ٢٣ زوجاً من الكروموزومات أو ٤٦ كروموزوم وهذه خاصية الخلايا الجنسية الناضجة ـ أنها تحتوي على نصف عدد من الكروموزومات الموجود في الخلية العادية ـ مما يعطيها القدرة على الاتحاد عند الاخصاب وبدء حياة جديدة مستقلة وفريدة ·

الجهاز التناسلي للأنثى :

يتكون الجهاز التناسلي لأنثى الإنسان من الآتي :

١ - زوج من المبايض في الجزء الأسفل من التجويف البطني ·
٢ - زوج من قنوات فالوب (قنوات المبيض) التي تبدأ من حول المبيض إلى الرحم ·
٣ - رحم يشبه البوق حيث ينمو الجنين ·
٤ - المهبل الذي يصل الرحم بالخارج ·



الجهاز التناسلي للأنثى

وتحتوي جدران الرحم على عضلات ناعمة تنقبض بقوة أثناء عملية الولادة . ويتكون السطح الداخلي للرحم والذي يسمى « الأندومتريوم » من طبقة من الأوعية المخاطية كثيرة الانتشار والتي قد تتصل بها البويضة المخصبة .

أما قناتي « فالوب » فيصل طول كل منهما حوالي ثلاث بوصات وتمتدان من أعلى جانبي جدار الرحم ويحيط الطرف الآخر منها بأحد المبيضين . ويلاحظ أن قناتى فالوب لا تتصلان عضوياً بالمبيضين - ولكن الطرف النهائي منها يشبه القمع حيث يستقبل البويضة عند خروجها بعد تمزق سطح المبيض (حوصلة جراف ruptured Follicle)

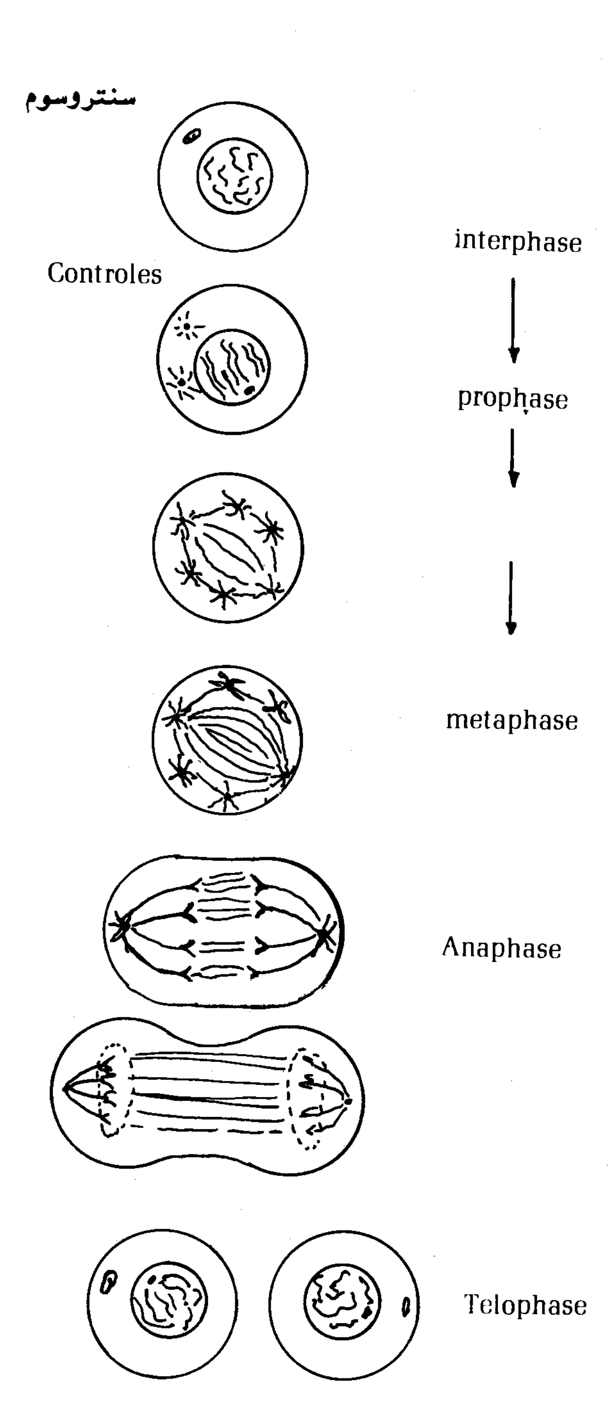
وبالدخول في مرحلة النضج الجنسي (البلوغ) تبدأ الأنثى في عملية التبويض أو إنتاج بويضات ناضجة من حويصلة « جراف » Graefian follicles ويوجد لدى الأنثى عند ميلادها كل البويضات التي ستفرزها طوال عمرها ، ويصل العدد في هذا الوقت المبكر من الحياة إلى ٤٥٠٫٠٠٠ بويضة . وتفرز الأنثى العادية بويضة كل ٢٨ يوماً ولمدة حوالي ٢٥ عاماً تقريباً .

إنقسام وتكوين الخلايا الجنسية

هناك عمليتان أساسيتان في انقسام الخلايا تسمى الأولى بالانقسام العادي أو المباشر أو « الميتوزي » ، والأخرى تسمى بالانقسام الاختزالي أو « الميوزي » . وسواء كان هذا الانقسام أو ذاك فلا بد أن يسبق عملية الانقسام مستوى معيناً من النضج قبل أن يصبح الانقسام ممكناً . وعمليتا الانقسام « الميتوزي » و « الميوزي » عمليتان أساسيتان في النمو ، ولذلك سنتحدث عن كل منهما بالتفصيل .

الانقسام العادي Mitosis

الانقسام الميتوزي هو العملية الطبيعية لانقسام الخلية والمستمرة في كل


سنتروسوم
Controles
interphase
prophase
metaphase
Anaphase
Telophase

الكائنات الحية سواء حيوانية أو نباتية . وهي عملية تنقسم فيها الخلية الى خليتين كل منها طبق الأصل من الخلية الأصلية . وقد قسم علماء الحياة عملية الانقسام الميتوزي الى خمسة مراحل واضحة . فالحالة العادية للخلية تسمى « إنترفير » « Interphase » وليست في واقع الأمر خطوة من خطوات الانقسام « الميتوزي » ، ولكنها تمثل حالة الخلية عندما لا يكون هناك إنقسام .

أما المراحل الأربعة الأخرى (البروفيز ، الميتافيز ، والأنافيز ، والتيلوفيز » فيتميز كل منها بنشاط محدد وهام بالنسبة لعملية انقسام الخلية .

ويلاحظ في مرحلة الأنترفيز أن نواة الخلية تحتوي على أزواج من الكروموزومات التي تظهر طويلة وملتفة حول بعضها بإحكام . ويقال أننا لو أمكننا أن نوصل أطراف الكروموزومات الموجودة بنواة الخلية ببعضها البعض فإنها تصل إلى خمسة أقدام تقريباً . والكروموزومات في هذه المرحلة تكون غاية في الدقة ولا ترى إلا بمعاملات خاصة . وخارج نواة الخلية يوجد جسم صغير يسمى سنتروسوم . وإشارة البدء في الانقسام هي انقسام السنتروسوم الى قسمين وبدء الخطوة الثانية وهي البروفيز . ومع ملاحظة أن مرحلة الانترفيز هي مرحلة راحة من انقسام الخلية إلا أنها مرحلة نشاط غذائي على مستوى عال ، وخلال هذه الفترة ، تقوم الخلية بصنع المادة التى يتكون منها النسيج الحي .

مرحلة البروفيز : prophase

تبدأ مرحلة البروفيز بانقسام السنتروسوم إلى جزئين يسمى كل منهما سنترويل ويبتعد كل منهما عن الآخر . وفي الخطوة الثانية من هذه المرحلة يظهر كل كروموزوم في كل زوج من الكروموزومات واضحاً ومنفصلاً عن الآخر إلا عند الطرف حيث يظلان ملتصقان .

كما يلاحظ أيضاً أنه كلما ابتعدت السنترولات عن بعضها البعض تظهر بينها خطوط تشبه الأشعة تسمى الأشعة النجمية Astral rays التي تشع من كل سنترويل . كما يلاحظ أيضاً أنه بابتعاد السنترولات أكثر فإن غشاء النواة يبدأ في الانحلال .

مرحلة الميتافيز : Metaphase

تبدأ مرحلة الميتافيز من الانقسام الميتوزي عندما تصبح السنترولات في اتجاهين متضادين أي يصبح كل منهما عند أحد قطبي الخلية ، وتكون الكروموزومات منتظمة حول خط ينصف الخلية · ويلاحظ أن الخيوط الظاهرة في الخلية تربط أزواج الكروموزومات من جهة بالسنترول المقابل · كما يلاحظ أن الخيوط تمتد من نقطة اتصالها بالكروموزومات الى كلتا السنترولين أي في اتجاه قطبي الخلية وتسمى بالخيوط المحورية « Spindle fibers وقد تكونت من الأشعة النجمية التي سبق ذكرها في مرحلة البروفيز · وفي الخطوة الأخيرة من مرحلة الميتافيز تبدأ نقطة اتصال كل كروموزومين ببعضها في الانفصال ، وتسمى نقطة الاتصال هذه بالسنترومير Centromere التي تصبح سنتروميرين واحد لكل خيط محوري ·

مرحلة الأنافيز : Anaphase

وتبدأ هذه المرحلة عندما تنجذب الكروموزومات إلى بعضها مكونة مجموعتين متميزتين وينجذب السنترومير إلى السنترول جاذباً معه الكروموزوم المتصل به · ويذكر بعض العلماء أن الخيوط المحورية تمثل قوة جاذبة ميكانيكية تعمل على فصل الكروموزومات عن بعضها في الانقسام الميتوزي ·

مرحلة التيلوفيز : Telophase

وفي هذه المرحلة يكون السنترومير الخاص بكل كروموزوم قد قطع كل الطريق في اتجاه السنترول (قطب الخلية) ، وأصبح السنترول سنتروسوماً ثانية ، ويبدأ غشاء نووي جديد في التكوين حول كل مجموعة من الكروموزومات ثم يحدث انضغاط في منتصف الخلية ـ يزداد تدريجياً حتى تنقسم الخلية إلى خليتين لكل منهما نواتها التي تحتوي على كل محتويات وخصائص النواة الأصلية وتماثلها تماماً · وتتم عملية الانقسام الميتوزي بذلك وتستغرق حوالي ساعة واحدة ، كما أنها تعد عملية أساسية عن طريقها يزداد عدد الخلايا باستمرار وتتجدد أنسجة الكائن ·

الإنقسام الميـوزي Meiosis

تتكون خلايا التكاثر بعملية تزاوج أثناء انقسام الخلايا تسمى الانقسام الميوزي الذي يؤدي إلى تكوين خلايا تحتوي على نصف العدد من الكروموزومات الموجودة عادة في الخلية العادية لنفس الكائن ، وتتكون من انقسامين للنواة مصحوب بانقسام واحد فقط للكروموزومات . وكلا النوعين من الانقسام الميوزي لهما نفس المراحل التي سبق وصفها في الحديث عن الانقسام الميتوزي وهي البروفيز والميتافيز والأنافيز والتيلوفيز .

وعملية الانقسام الميوزي في كلا الجنسين واحدة في الجزء الأكبر منها . حقيقي أن هناك فروقاً معينة وهامة ـ فالانقسام الميوزي في الذكور يؤدي إلى تكوين الحيوانات المنوية ، ويؤدي في الإناث إلى تكوين البويضات .

تكوين الحيوانات المنوية : Spermatogenesis

تسمى العملية التي تتولد بها الخلايا الجنسية الذكرية في الجهاز التناسلي الذكري بتكوين الحيوانات المنوية . وكما سبق أن ذكرنا فإن الخصيتين تحتويان على آلاف من أنابيب شعرية دائرية يحيط بجدرانها من الداخل طبقة من الخلايا الجرثومية تسمى الخلايا الطلائية epithelium وسميت كذلك لأنها تكون الحيوانات المنوية ، كل خلية من هذه الخلايا الطلائية بها ٤٦ كروموزوم ـ وتعد هذه الخلايا المادة الخام التي تتكون منها ـ أي من انقسامها ـ الخلايا الجنسية الذكرية .

وعندما يصل الفرد إلى مرحلة النضج الجنسي ـ فإن بعض الخلايا المولدة للحيوانات المنوية تستمر في الانقسام الميتوزي حتى تحقق تدعيماً مستمراً من الحيوانات المنوية . والبعض الآخر من الخلايا المولدة للحيوانات المنوية تتجه نحو الانقسام الميوزي الضروري لتكوين الخلايا الجنسية أو الجراثيم الذكرية .

ويبدأ توالد الخلايا الجنسية Spermatogenesis عندما تزداد الخلايا الطلائية Spermatogonia في الحجم مكونة الخلايا الجنسية الأولية Spermatocytes وهذه الأخيرة تدخل في مرحلة انقسام ثان لتكوين خلايا من نفس الحجم تسمى الخلايا الجنسية الثانوية Spermatocyter. وهذه الأخيرة تحتوي على نصف العدد من الكروموزومات الموجودة في الخلايا الجنسية الأولية . ثم تنقسم الخلايا الجنسية انقساماً ميوزياً لتعطي أربعة بويضات تسمى Spermatid تدخل في مرحلة نضج لتصبح خلية جنسية ناضجة mature spermatozoa

تكوين البويضات : Oogenesis

إن عملية تكوين البويضات في الأنثى تشبه تكوين الحيوانات المنوية في الذكر . حيث يحتوي المبيضين على طبقة من الخلايا الطلائية التي ينقسم كل منها انقساماً ميتوزياً لتعطي خلايا جرثومية Oogonia . وعندما تصل الأنثى إلى مرحلة النضج الجنسي - وتحت التأثير المنشط للهرمونات - تكبر الخلايا الجرثومية مكونة بويضة أولية primary oocyte تحتوي على مح يعمل كمصدر للغذاء عندما تخصب البويضة ، كما تحتوي على العدد الكلي من الكروموزومات وهو ٤٦ كروموزوم .

واستكمالاً لعملية نمو البويضة الأولية - تنقسم الانقسام الميوزي الأول الذي يؤدي إلى تكون خليتين حجمهما غير متساوي . حيث تحصل أحدهما على كمية المح الموجودة في البويضة الأولية الأصل وعلى أكبر كمية من السيتوبلازم ، وهي التي ستستمر في النمو . أما الخلية الأخرى وهي أصغر كثيراً من الأولى فتسمى

وتحتوي كلتا الخليتان الناتجتان وهما polar body , secondary oocyte first polar body على نصف العدد الأصل من الكروموزومات (أي يحتوي كل منهما على ٢٣ كروموزوم) . وتدخل كل منهما في انقسام ثاني يؤدي إلى تكوين Ootid أو بويضة غير ناضجة و second polar body كما يؤدي انقسام first polar boby إلى

خليتين متساويتين في الحجم · وعلى أية حال فإن
لا وظيفة لها ولذلك تبدأ في التحلل وتختفى أما البويضة غير الناضجة
فتبدأ سلسلة من النضج بدون انقسام خلوي وتصبح في النهاية بويضة ناضجة ·

ويلاحظ أن انقسام الخلية الذكرية الجنسية الواحدة Spermatogensis يؤدي إلى تكوين أربعة خلايا جنسية ذكرية Spermatids ، أما انقسام الخلية الجنسية الأنثوية الواحدة فإنه يعطي فقط بويضة واحدة Ootid و ثلاث خلايا ·

مقارنة بين الانقسام الميتوزي والانقسام الميوزي :

يشبه الانقسام الميوزي الانقسام الميتوزي إلى حد كبير ـ إلا في حالة مرحلة الأنافيز في الانقسام الميوزي فإنها تختلف عنها في الانقسام الميتوزي · ويرجع الاختلاف إلى أنه في حالة الانقسام الأول للخلية الميتوزية فإن عدد الكروموزومات يتضاعف · كما أن نتيجة عملية الانقسام الميتوزي هي خليتان كل منهما تحتوي على نفس العدد الأصلي من الكروموزومات الذي بدأ به الانقسام وهو ٤٦ ، أما في حالة الانقسام الميوزي فإن نتيجته خليتان بكل منها ٢٣ كروموزوماً ـ أي نصف العدد الموجود بالخلية الأصلية التي بدأ منها الانقسام إلى جانب أن عملية الانقسام الميوزي في حالة الذكور تنتهي بتكوين أربعة خلايا جنسية لكل خلية ، أما في حالة الإناث فإن انقسام الخلية الواحدة يؤدي إلى تكوين بويضة واحدة ·

تأثير الغدد الصماء على التكاثر :

يعد إفراز هرمونات الغدد الصماء أمراً حيوياً لكل خطوات عملية الانقسام التي يقوم بها الجهاز التناسلي وعلى الأخص عند الأنثى ·

ففي الأنثى يفرز الفص الأمامي من الغدة النخامية هرموناً يسمى **FSH** الـفولـيـكوتروفين **Follicle Stimulating Hormone**

الذي ينشط حوصلة جراب المبيض ويؤثر في نمو البويضة ونضجها وتنظيم دورة الطمث الشهري ، وفي افراز هرمون الأستروجين estrogens من الجسم الأصفر . ويقوم الأستروجين بالتالي بمنع استمرار إفراز هرمون الفوليكوتروفين وبذلك يمنع نضج بويضات أخرى ، حيث يقف عمل هرمون FSH بتأثير هرمون الأستروجين ، ويبدأ إفراز هرمون Leutinizing Hormone LH من النخامية الأمامية (وهو هرمون منشط للجسم الأصفر في المبيض) . وبافراز هرمون LH تنشط عملية التبويض وتتمزق حوصلة جراف وتبدأ البويضة الناضجة رحلتها خلال قناة فالوب . ويؤثر هرمون LH أيضاً على تحول حوصلة جراف إلى جسم أصفر يقوم بدوره بإفراز هرمون البروجسترون progestrone وهو الهرمون المسئول عن إعداد الرحم لعملية الحمل وزرع البويضة المخصبة في الرحم . وعلى ذلك فإنه إذا توافرت بويضة مخصبة فإن الرحم يكون مستعداً لاستقبالها . أما إذا لم تخصب البويضة ـ يبدأ الاستعداد لدورة شهرية جديدة وهكذا .

الدورة الشهرية : Menstruation

إذا لم يحدث إخصاب فإن الجسم الأصفر يستمر في إفراز هرمون البروجسترون الذي يقوم بدوره بمنع إفراز هرمون LH من النخامية الأمامية . وهذا النقص في إفراز هرمون L.H. يساعد على تمزق الجسم الأصفر فيتوقف بالتالي إفراز هرمون البروجسترون الذي يفرزه الجسم الأصفر . وبدون تأثير هرمون البروجسترون يبدأ نسيج الرحم Uterine Lining في التمزق ـ ويخرج الدم والأنسجة الناتجة عبر المهبل إلى الخارج ، وهو ما نسميه بالطمث أو الدورة الشهرية . ويحدث الطمث تقريباً بعد أسبوعين من عملية التبويض ، كما يعطي إشارة إلى دورة جديدة من الاستعداد للحمل .

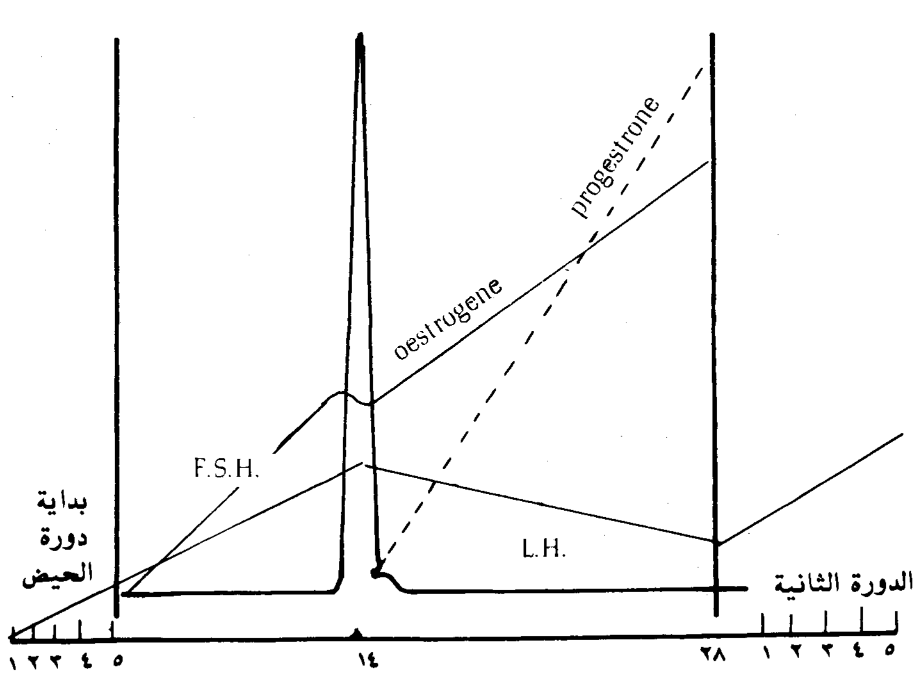
وتنقسم الدورة الشهرية إلى ثلاث أطوار :

الطور الأول : مرحلة الطمث ويستمر من أول أيام الدورة الشهرية إلى اليوم الرابع . وفيها يحدث الطمث عندما تفشل الاستعدادات التي قام بها الرحم لاستقبال بويضة مخصبة من قبل .

الطور الثاني : مرحلة التبويض ويمتد من اليوم الخامس وحتى اليوم الرابع عشر ، وخلال هذه الفترة يحدث انقسام الخلايا ونمو البويضة وحدوث التبويض بتأثير هرمون LH والأستروجين .

الطور الثالث : وهو طور الافراز ـ حيث يفرز هرمون البروجسترون . كما تبدأ استعدادات الرحم لاستقبال وزرع البويضة المخصبة .

« أنظر الشكل التالي » :



النشاط الهرموني خلال دورة الحيض

إنتقال الصفات الوراثية :

بعد أن عرفنا كيف يحدث الاخصاب ـ يواجهنا سؤال حول القوى المختلفة التي تؤثر على الفرد من الاخصاب حتى الموت . فهناك العوامل الطبيعية وعوامل التغذية ، كما أن هناك العوامل الوراثية التي تضع الحدود القصوى التي يمكن أن يصل إليها النمو .

سبق أن أشرنا إلى أن الحيوان المنوي والبويضة يحتوي كل منهما على نصف العدد من الكروموزومات الموجودة في الخلايا الأخرى (العادية) وعندما يدخل رأس الحيوان المنوي الغشاء الخلوي المحيط بالبويضة ـ فإن رأسه تتحلل وتتجه كروموزوماتها نحو كروموزومات البويضة . وفي نفس الوقت تتمزق نواة البويضة لتطلق كروموزوماتها الثلاثة والعشرون ـ وتمثل الكروموزومات الثلاثة والعشرون القادمة من الأب ـ الصفات الوراثية التي سيتلقاها الطفل عن أبيه ، كما تمثل الكروموزومات الثلاثة والعشرون القادمة من الأم ـ الصفات الوراثية التي سيتلقاها الطفل من أمه . ولذلك فإن كل الحدود القصوى التي يمكن أن يصل إليها الطفل تتحدد عن طريق الاتصال القائم بين هذه الكروموزومات الستة والأربعون بما تحمله من صفات وراثية تحملها الجينات الموزعة على هذه الكروموزومات .

الجينـــات :

يحمل كل كروموزوم عددا كبيرأ من الجينات . ويتكون كل جين **gene** من انزيم كيمائي يسمى حامض ديوكسيريبو نيوكليك **Deoxyribonuclic acid** واختصاره **DNA** و **DNA** هو جزىء الوراثة ، وهناك حوالي ١٠٠ر٠٠٠ جزىء **DNA** (جين) لكل خلية ، بمتوسط حوالي ألفي جين لكل كرمومزوم .

ومن المعروف أن الجين هو وحدة الوراثة وأنه يتحكم في تكوين البروتين أو المادة التي تتكون منها الخلية الحية ، وهي المسئولة عن كل الخصائص الوراثية في الإنسان وعندما نتصور أن هناك ١٠٠ر٠٠٠ جين لكل خلية وأن كل جين من هذه

الجينات يتكون من سلسلة مزدوجة من العديد من النيوكلينيدات ، فإن عدد العلاقات الممكنة يمكن أن يصل إلى عدد ما بالكون من كواكب سيارة . وهذا هو السبب في التنوع الكبير الموجود في الجنس البشري .

الاحتمالات الوراثيـــة :

يختلف الأطفال في الأسرة الواحدة لسبب بسيط هو أنهم يستقبلون من الوالدين عوامل وراثية مختلفة ، الا في حالة التوائم المتماثلة التي تكونت من خلية مخصبة واحدة حدث أن انقسمت أول انقسام لها الى خليتين كل منهما تحتوي على نفس الخصائص الوراثية ثم استقلت كل منها عن الأخرى وبدأت انقساماتها مكونة كائناً مستقلاً عن الأخرى .

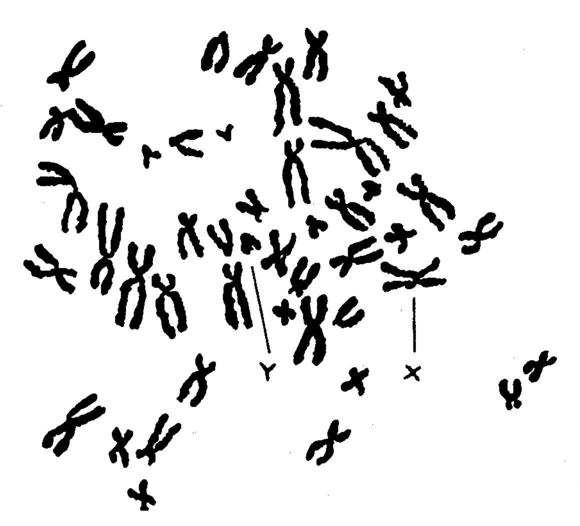
أما أسباب الاختلاف بين الأخوة ـ فإنه في حالة تزاوج الكروموزومات في الانقسام الميوزي سواء بالنسبة للبويضات أو بالنسبة للحيوانات المنوية ـ فإن الكروموزومين المتزاوجين عندما ينفصلان في الخطوة التالية ـ لا ينفصلان بنفس الخصائص التى دخلا بها عملية التزاوج . بل يحدث أثناء التزاوج إنتقال لبعض الجينات من كروموزوم الى آخر تسمى « العبور » ويقال أنه إذا لم يحدث عبور فسيكون هناك على سطح الأرض ٦٤ تريليون نوع مختلف من الأطفال . ويزداد هذا العدد بصورة رهيبة لا يمكن حصرها إذا حدث العبور ، فالعبور يؤدي إلى احتمالات وراثية غير معروفة بل يمكن القول أنها احتمالات لا نهائية .

العوامل المحددة للجنس :

يحتوي كل من الحيوان المنوي والبويضة على عدد من الكروموزومات الجنسية . حيث تحتوي البويضة على كروموزومات × فقط وسميت كذلك لأنها طويلة وكبيرة وعندما تتصل ببعضها فإنها تكون شكل × من الكروموزومات المزدوجة .

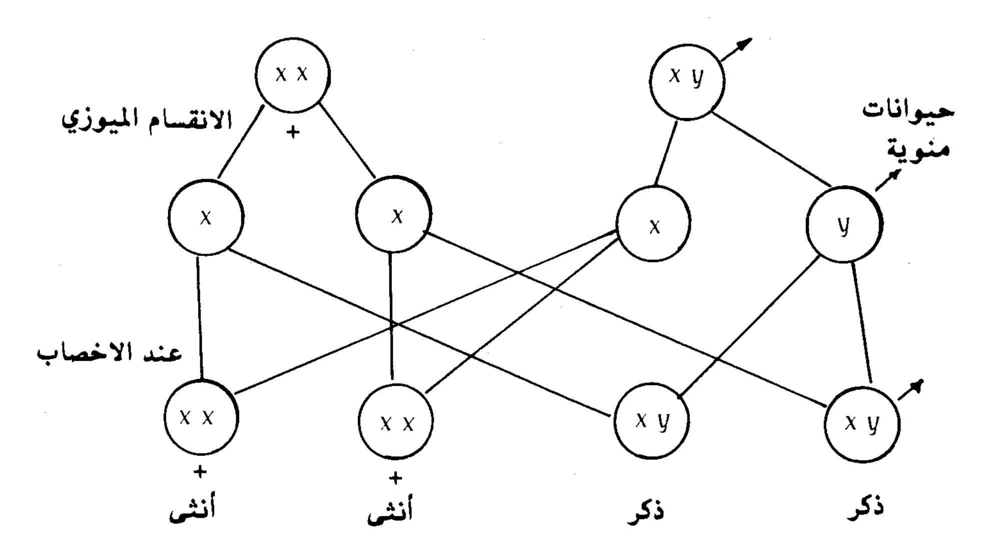
أما في حالة الطفل الذكر فإننا سنجد أحد أزواج الكروموزومات لا يحتوي

على الشكل × حيث أحد أطراف حرف × ناقصاً ، ويكون الناتج كروموزوماً يأخذ شكل حرف y وهو العامل المحدد للذكورة . ولذلك إذا اتحد كروموزوم × من الأم مع كروموزوم × من الأب فإن الناتج سيكون أنثى ، أما إذا اتحد كروموزوم × من الأم مع y من الأب فإن الناتج سيكون ولداً (أنظر الشكل التالي) ، فكروموزوم y له السيادة على كروموزوم × دائماً .



كروموزومات الانسان مكبرة ٧٥٠ مرة مأخوذة من خلايا الجلد ويتضح فيها كروموزومات الذكورة y وكروموزومات الأنوثة × .

تحديد جنس المولود



الجينات السائدة والمتنحية :

درس العالم النمساوي « جريجور مندل » سنة ١٨٥٧ نوعاً من البسلة وتمكن في دراسته من الوصول إلى ما نعرفه اليوم بقوانين « مندل » الوراثية . ووجد أن الجينات تنتقل من جيل إلى آخر وتظل دون تغيير إلا إذا حدثت طفرة mutation . كما وجد أن الجينات توجد دائماً في أزواج . وعندما يوجد زوج من الجينات أفراده مختلفة عن بعضها فإن أحد هذه الجينات يسود الآخر . ويسمى الجين المسئول عن حالة السيادة هذه بالجين السائد ـ Dominant gene ـ أما الجين غير السائد فيسمى الجين المتنحي Recessive gene.

وتتحدد كثير من المظاهر البشرية عن طريق هذه الجينات السائدة أو المتنحية مثل : لون العين ولون الشعر ونوع الدم والصلع وغير ذلك من الخصائص الجسمية ولنفرض أن لون العين البني سائد على لون العين الأزرق ، فهذا يعني أن الجين المسئول عن العين البنية سائد على الجين المسئول عن العين الزرقاء . وتكون هناك ثلاث احتمالات في الطفل :

- فقد يستقبل جينان سائدان (واحد من كل من الوالدين) وفي هذه الحالة ستكون عيونه بنية .
- وقد يستقبل جيناً سائداً وجيناً متنحياً (جين سائد من أحد الوالدين والآخر متنحي من الأب الآخر) وفي هذه الحالة ستكون عيونه بنية أيضاً .
- وقد يستقبل جينان متنحيان (واحد من كل من الوالدين) وهنا ستكون عيونه زرقاء .

الوراثة كعامل مؤثر في النمــو

نعلم أن كل خصائص الانسان هي نتيجة التأثيرات الجينية التى تتفاعل مع الظروف المحيطة بالكائن . أما مدى هذا التأثير فنحن لا نعرفه لعدة أسباب أهمها:

أولاً : أن بعض الخصائص مشكوك في علاقتها بالنواحى الوراثية .

ثانياً : ان الخصائص الوراثية يمكن أن تختلف بتأثير عامل النضج. فبعض السمات لا تظهر حتى البلوغ أو بعده بكثير ، بينما قد يظهر البعض الآخر في الطفولة ويختفى بعد ذلك .

ثالثا : كما أن قوة التأثيرات البيئية تختلف من سمة لأخرى ومن وقت لآخر ، ولذلك لا توجد في الواقع سمة يمكن أن ترتبط كلية بالوراثة أو بالبيئة .

رابعاً : تنوع السمات تنوعا واسعا في طبيعتها وتعقيدها .

ويمكن أن نلخص تأثير الوراثة كما يلى :

١ - ان الوراثة كعامل ـ ذات تأثير مباشر على التكوين التشريحى والوظائف الفسيولوجية ، وعليه ـ فقد تمثل استعدادا قوى التأثير بالنسبة لكثير من نواحى الضعف الجسمى أو الأمراض الجسمية .

٢ - ان دور الوراثة وعلاقته بالسمات والعلاقات الوظيفية « مثل : الميول المزاجية والسمات العقلية » دور غير مباشر ، هذه الخواص تعد وظائف للكيان الجسمى . فالوراثة تضع حدود الامكانيات العقلية ، ولكن حتى الان لانعرف مدى التأثير المباشر للوراثة على الوظائف العقلية .

٣ - هناك بعض الآراء التى تقول أن الأمراض العقلية تعد ظاهرة وراثية . ويبدو أن الفروق في الميل أو الاستعداد للمرض العقلى تعد وراثية ولكنها تحتاج لمثيرات بيئية لتنشيطها .

أما من ناحية السمات النفسية عموما فان التكوين الوراثى للشخص هو الذى يحدد الاستجابة الملائمة بالنسبة للمثيرات البيئية ، لأن هناك علاقة قوية بين الوظائف الفسيولوجية والوظائف النفسية . كما يبدو أن هناك علاقة محددة بين بعض السمات النفسية وبين العوامل الوراثية ، والبعض لا توجد له علاقة محددة بها .

عامل النضج والتعلم

منذ وقت طويل والجدل كبير حول الأهمية النسبية لكل من دور الوراثة والبيئة في تحديد الخصائص الجسمية والعقلية للطفل النامى . ورغم اتساع الاهتمام العلمى والعملى بهذه المشكلة فان الوضوح الكافي المقنع مازال بعيدا عن وضع حل ملائم لهذه المشكلة . ولم يمكن حتى الآن عزل تأثير عوامل الوراثة عن تأثير عوامل البيئة بطريقة مقنعة . أما ما يمكن قبوله هو أن تطور الخصائص الجسمية والعقلية يرجع في جزء منه الى عملية النضج الداخلى لهذه الخصائص والجزء الآخر يرجع الى التدريب والجهود المبذولة من قبل الفرد . أما من يلعب الدور الأهم منهما فمازال مجالا للجدل .

النضـــج :

النضج الداخلى هو انطلاق الخصائص الكامنة في الفرد ، ويرجع ذلك الى عوامله الوراثية . ويعرف (جيزيل) النضج قائلا : « انه الحدود القصوى للتأثيرات الوراثية في دورة الحياة المحدودة للفرد . ويضيف جيزيل أنه يكمن في هذا التعريف أهم مفتاح لمعرفة مكونات فرديته .

ففى عملية تطور النوع نجد أن الوظائف الشائعة بين أفراد النوع كالزحف والحبو والجلوس والمشى تقل فيها أهمية التدريب ، والتحكم في البيئة بطريقة ما لتقليل فرص التدريب قد يعطل النمو . أما الوظائف الخاصة بالفرد كالسباحة وركوب الدراجة .. الخ ، فان التدريب يصبح أمراً أساسيا وبدونه لن يتم النمو . وعلى الرغم من كل ماذكر فان أى اتجاه وراثى لا يصل الى النضج تماما بدون توفر الظروف البيئية الملائمة . فالبيئة التى يحدث فيها النمو تؤثر على هذا النمو .

التعلــم :

التعلم هو ذلك النمو الذى يأتى عن طريق التدريب وبذل الجهد . وخلال التعلم يكتسب الطفل الاقتدار على Competence استخدام امكاناته الوراثية ، وهنا تظهر أهمية توافر فرص التعلم أمام الطفل . فالطفل الذى يتميز بتنظيم عضلى عصبى عال مثلا - قد يتميز بقدرة عالية على الآداء الموسيقى ولكنه اذا حرم من فرص التدريب المنظم فسوف لا تنمو امكاناته الوراثية .

ويأتى بعض التعلم من التدريب أو من مجرد تكرار فعل ما . ويمكن أن يوصف ذلك بالتقنيد وفيه يتطابق الطفل شعوريا مع ما يراه من الآخرين . وقد يتكون التعلم من عملية تقمص ، حيث يحاول الطفل أن يتبنى لنفسه قيم واتجاهات ودوافع وسلوك الأشخاص الآخرين الذين يحبهم أو يعجب بهم .

وقد يأتى التعلم عن طريق التمرين - أي من النشاط الاختيارى الموجه الهادف حيث يوجه الطفل في سلوكه عن طريق الكبار أو الاطفال الأكبر سنا الذين يحاولون تشكيل سلوكه الى أنماط يمكن أن تحقق له الرضا وتكون مقبولة من أفراد جماعته الاجتماعية .

التفاعل بين النضج والتعلم :

يعتمد النمو في بطن الأم أساسا على عامل النضج والى حد قليل جدا على النشاط . ويلاحظ أن نشاط الجنين يتعلق بنمو بعض أنواع الآداء الحركى الذى ينشأ خلال المراحل الجنينية الأولى . كما يلاحظ أن الأطفال الذين تميزوا بنشاط زائد وهم أجنة يكتسبون المهارات في وقت مبكر عن الاطفال الأقل نشاطا في نفس الفترة . فهناك علاقة وثيقة بين النضج والتعلم فيما بعد الميلاد ، وكل منهما يؤثر في الآخر . وهناك ارتباط عال بين النمو الجسمى الزائد والقدرة على استخدام أجزاء الجسم التى نمت .

لذا فان النمو يعتمد على التفاعل بين العوامل الوراثية والقوى الاجتماعية والثقافية للبيئة .. ويشير « جيزيل » الى أن التفاعل بين الامكانيات الوراثية والقوى البيئية تحكمه العوامل المورفولوجية الدينامية الموروثة التى ترجع الى علاقات بعضها موروث من السلالة التى ينتمى اليها الفرد والبعض الاخر من

الاسرة . ولهذا السبب فان طفلا ينتمى لنوع معين في ثقافة معينة ـ نجده يميل لأن يعرض في كل مرحلة عمرية معينة سمات أكثر أو أقل تطابقا مع الجماعة باعتبارها ممثلة لمكوناته الذاتية . لذلك فان النضج يقدم المادة الخام اللازمة للتعلم ولتحديد الانماط والنتائج العامة لسلوك الطفل .

أهمية العلاقة بين النضج والتعلم :

هناك عدد من الحقائق العلمية ذات القيمة النظرية والعملية ترتبت على وضوح طبيعة العلاقات الداخلية بين النضج والتعلم :

أولاً : **هناك علاقة واضحة بين النضج والتعلم يفسرها التباين الملحوظ في** أنماط النمو للاطفال المختلفين . فاذا كان النمو البشرى يرجع الى النضج فقط كما في حالة بعض أنواع الحيوانات فلن **يكون هناك شيء أسمه** الفردية .

ثانياً : للنضج حدود لا يمكن للنمو أن يتعداها حتى مع تشجيع عملية التعلم . ويذكر « جيزيل » أن ذلك النمو الداخلى يعد منحة الطبيعة ، ويمكن توجيهه ولكن لا يمكن خلقه ، كما لايمكن زيادته عن طريق التعلم .. وقديما كان يظن أن الشخص يمكن أن يفعل أو يصبح مايريد طالما لديه الارادة والرغبة في العمل الشاق طالما أعطيت له الفرص الملائمة . ويؤكد « جون واطسون » أنه يمكن أن يعلم أى طفل عادى ليصبح أى نوع من المتخصصين يريده ـ طبيباً أو محاميا أو فنانا أو حتى متسولا أو لصا بصرف النظر عن مواهب الطفل أو قدراته وميوله أو أصله السلالى . وهذه النظرية القديمة التى تؤكد أهمية دور التعلم قد تم التخلى عنها تدريجيا ؛ فقد كشفت دراسات الذكاء والقدرات والنمو الجسمى عن فروق في القدرة لا ترجع الى المؤثرات البيئية الى حد كبير . كما أن ضعف القدرة على التعلم لدى الأطفال المعوقين عقلياً يمثل صورة عملية للحدود التى تضعها الوراثة .

ثالثاً : قليل من الناس يصلون الى الحدود القصوى لنضجهم وكثير من التلاميذ المتفوقين عقليا يصبحون أقل تحصيلا في المدرسة ، ونادراً ما يعرفون

امكاناتهم العالية . وعندما يصلون الى مستوى معين من التعلم يتصورون أن هذا المستوى هو حدودهم النهائية .

رابعا : بالنسبة لتمام النمو ـ فان الامكانيات الموروثة يجب اثارتها بالعوامل البيئية ويذكر « نوبلوك وبازامانيك Pasamanick & Knoblock أن

« العوامل البيولوجية تقرر الحدود الفسيولوجية والحدود الكامنة في الكائن . ومن جهة أخرى فان العوامل الاجتماعية والثقافية تشبه التربة التى تغذى النبات وعن طريق التغذية والرعاية الطيبة يمكن للسلوك البشرى الكامن أن يظهر أو يبزغ ليصل الى الحدود الملائمة أو ليبذل فلا يحققها » .

واثارة نمو القدرة الكامنة يأتى عادة من البيئة ، ولكنها أحيانا تأتى من الطفل نفسه . فعندما يضع الطفل لنفسه هدفا سيحاول الوصول اليه . وغالبا ما يرسم لنفسه طريقا مستخدما كل المصادر التى زودته الطبيعة بها الى أقصى حد ، وخاصة عندما يكون الهدف أبعد من أمكاناته . ويمكن أن يكون توجيه الذات ذو فاعلية في اثارة النمو كموجه خارجى.

والعامل الأول قليلا مايكون في مرحلة الطفولة ، ولكن بعد أن يكون الطفل قد تعلم مدى أهمية الانجاز وبخاصة في علاقته بالشهرة الاجتماعية ، يصبح لديه الدافع ليطمح في أهداف عليا .

خامسا : ربما كانت أهم نقطة في العلاقة بين النضج والتعلم هي أن فعالية التعلم تعتمد على التوقيت الملائم . فالطفل لايمكن أن يتعلم الا عندما يكون مستعدأ للتعلم . وهذا يعنى أن الاسس الجسمية والعقلية الملائمة يجب أن تكون مستعدة قبل أن تبنى القدرات الجديدة عليها . وبينما نجد أن النمو البنائى والوظيفى يسيران متوازيان في مرحلة الطفولة ، نجد أن النمو الجسمى عادة يسبق الوظيفى . ويصدق ذلك على المهارات الحركية والعقلية والسلوك الجنسى .

واذا كان الطفل غير مستعد للتعلم ـ فان التعلم يصبح مضيعة للوقت والجهد . وقد يؤدى الى سلوك مقاوم « resistant » يعطل التعلم الناجح . ويذكر « سكوت » Scott أنه قد يؤدى الى تعلم

عادات سيئة أو تعلم ألا يتعلم وكلاهما سيكون معوقا . ومن جهة أخرى لو وصل الطفل الى درجة كافية من النضج الذى يمكنه من التعلم ولكن لم تتح له الفرصة فقد يفقد الاهتمام . وفيما بعد نجد أنه عندما يقرر الآباء والمدرسون أن الوقت قد أصبح ملائما لتعليمه قد لا تكون لديه الرغبة في أن يبذل الجهد اللازم .وكما يؤكد هاريس Harris فان الطفل الذي يتأخر في تعليمه قد لايعرف الحدود الحقيقية لأمكانياته ..

وقد أشار هافجهرست Havighurst الى الاستعداد للتعلم على أنه وقت التعلم . فعندما ينضج الجسم ، ويصبح المجتمع في حاجة اليه ، والذات مستعدة لتحقيق مطلب معين ، نقول أن الوقت الملائم للتعلم قد بدأ وتصبح الجهود التى تبذل في التعلم قبل ذلك مضيعة للوقت . أما في وقت التعلم الملائم ، يأتي التعلم بأحسن الثمار عندما يكون من الواجب تعلم مطلب معين من مطالب النمو .

العوامل الثقافية والاجتماعية

تتأثر الطريقة التى ينمو بها الطفل بأسلوب الحياة السائد عند ولادته ، وبالفرص التعليمية المتاحة له ، وبخصوبة البيئة وصحتها الانفعالية كما يدركها بحواسه وأجهزته العضلية . وليس من الممكن عمليا أو منطقيا أن نفصل بين ماهو وجدانى أو عقلى أو جسمى في النمو . فأفضل بيئة مهيأة وجدانيا لايمكنها أن تمنع الصعوبات المتوقعة للصم أو العمى أو المعوقين جسميا من الأطفال - ومن جهة أخرى فان الاطفال الذين يتمتعون بأجهزة عضلية قوية وحسية فعالة يمكنهم أن يتغلبوا الى حد كبير على العوامل البيئية غير الملائمة .

اننا نعيش محاطين بجماعة فيها الصغير والكبير ، ويتميز بعضهم بالطول والنحافة ، والبعض بالقصر والسمنة والبعض متوسط وعضلى . وقد يتميز البعض بالسعادة أو الحزن أو بالسلبية أو بالنشاط ، البعض ذو ذكاء لامع والبعض غبى . البعض لديه المال والبعض يفتقر اليه ، البعض اجتماعى والبعض انطوائى أو هروبى . الى جانب ذلك من العوامل الأخرى مثل الوزن والطول والبناء العظمى

ولون العين وتجعيد الشعر والاختلافات الواضحة التى تبدو للفرد العادى والتى ترجع الى حد كبير للفرص الادراكية والاجتماعية والانفعالية والتعليمية التى أتيحت لهؤلاء الناس . والمصطلح المستخدم لوصف كل هذه العوامل المكتسبة هو الثقافة . والى حد ما فكل مجتمع له ثقافته الخاصة مادامت هناك اختلافات في العادات . فساكن مدينة في الشمال يختلف عن ساكن مدينة في الجنوب . وساكن المدينة يختلف عن ساكن القرية . وساكن السهول يختلف عن ساكن الجبال . لقد لاحظ « البورت وبيتجرو » (١٩٥٧) في دراسة لهما على قبائل الزولو الأفريقية أن لغتهم لا تتضمن أي لفظ يشير الى الشكل المربع ، وأن منازلهم عبارة عن أكواخ مستديرة وحتى حظائر المواشي مستديرة الشكل وتبين أن الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين سن ١٠ ، ١٤ من العمر ـ وهم الذين أجريت عليهم الدراسة ـ لا يدركون الشكل المربع . ان كل العلوم المختصة بدراسة نمو الانسان تتفق بصورة عامة على أن الفروق الموجودة بين الناس الذين ينتمون الى ثقافات مختلفة ترجع الى الفرص التعليمية التى تقدمها تلك الثقافات أكثر من كونها ترجع الى الفروق الجوهرية في حجم المخ أو استعدادات النمو العقلى والاجتماعى والانفعالى .

تعريف الثقافة :

ان كلمة ثقافة كلمة مطاطة وغير ثابتة ـ وهي تشير للاسلوب الشامل الذي ينظم به جماعة من الناس حياتهم من الميلاد حتى الوفاة . ويتضمن الطرق الأساسية التى تستخدمها الجماعة في مواجهة مشاكل الحياة الشائعة . وتتضمن ماهو موجود من أنظمة اجتماعية وسياسية ، وانماط السلوك الدينى ، والوسائل التى تتبعها غالبية الجماعة في تربية الطفل . فالبعض مثلا يلحق أطفاله برياض الاطفال ودور الحضانة اذا توافرت وذلك قبل التحاقهم بالمدارس ، وأن يلتحق الأطفال بالصف الأول الابتدائى في سن ٦ ، ويتفق معظم الناس على أن المدرسة الثانوية هي الحد الادنى من التعليم الذي يجب أن يحصل عليه جميع الأطفال ، وبدخول الأطفال مرحلة المراهقة يبدأ بعض الآباء في فقد سيطرتهم على أبنائهم .. ويشكو الكثيرون من لا مبالاة أبنائهم وعجزهم عن الاستعمال الصحيح لعامل الاستقلال . ويأمل الآباء ذوو الدخول المحدودة أن يعتمد الأبناء على

أنفسهم في وقت مبكر « ١٧ أو ١٨ من العمر » وأن يعدوا أنفسهم للعالم المهنى مبكراً ومن المتوقع أن يتزوج الفرد في سن ٢٠ فأكثر حتى سن ٢٨ ، وهنا تتدخل كثير من العوامل التى تؤخر أو تبكر من الزواج بعضها يرجع الى ظروف اجتماعية والبعض الى ظروف اقتصادية أو هما معاً . كما ينتظر من الاولاد أن يعملوا عملا منتظما حتى يعولوا أسرهم بنجاح . أما المرأة فيتوقع منها أن تكون ربة بيت تحسن العناية ببيتها وأولادها وزوجها وأن تعمل لتدعم دخل الأسرة وترفع من مستواه . ومن المعروف أن الاطفال أثناء نموهم يجب أن يربطهم بآبائهم رباط متين ـ وان كان ذلك الرباط غير شائع بين البالغين حيث لايحملون المسئولية الكاملة تجاه آبائهم . والموت يمثل مناسبة كئيبة مصحوبة باستعدادات جنائزية مرتبطة بالعادات الدينية . وكل فرد مهما صغر شأنه في المجتمع له حقوق وعليه واجبات . وأحيانا ماتوجد بعض أنواع التمييز ضد سلالة أو سلالات معينة على الرغم من أن الغالبية تنكر تلك المشاعر .

ويأمل صغار الناس أن ينجحوا في أعمالهم وأن يصبح لديهم كثير من المال ويتمتعوا بمكانة أفضل من آبائهم ويتمنون مثل ذلك لأبنائهم . والرجل هو رب الأسرة عادة بينما تكون الأم مسئولة عن ادارة المنزل والعناية بالابناء والحياة الاجتماعية للاسرة وتوزيع مصاريف البيت .

من كل ماسبق تتكون الثقافة . فهى تتكون من جهة ـ من التنظيمات الرسمية لمجتمع معين بما في ذلك دور العبادة والتنظيمات السياسية ، ومن جهة أخرى تتكون مما هو مقبول من معايير السلوك الشائعة في مجالات كالزواج والجنس والعمل والأبوة والصداقة والتعاون وهى الأمور التى ينظم الناس بها حياتهم اليومية . كما تشمل أيضا الفنون الشعبية والعلوم وتختلف الثقافة من مجتمع لآخر .. ومن جماعة لاخرى . فثقافة الايطاليين تختلف عن ثقافة الألمان . وثقافة شمال وجنوب ايطاليا تختلفان . وفي الهند نجد ثقافة البراهمة تختلف عن ثقافة الأنجاس .. وفي أفريقيا تختلف ثقافة الأبانجى عن الزولو ..

كما توجد داخل المجتمع الواحد ثقافات فرعية بحسب مدى انعزال الجماعات جغرافيا وتعليميا ، فمجتمع سكان الجبال يختلف عن سكان السهول ، والقرية

تختلف عن المدينة ، والشمال يختلف عن الجنوب . ولذلك فان الثقافة تميل لأن تكون أكثر تنوعا وأقل سهولة في تحديدها . كما أن أي ثقافة فعالة لايمكن أن يكون لها نفس التأثير على فردين أو عائلتين في اطار مجتمع محلى صغير ومحدود . وفي المجتمعات الكبيرة نجد أنه ليس من السهل أن يكون لعامل واحد معين نفس التأثير على غالبية الناس .

وعليه فان الثقافة تتكون من الأنماط الاجتماعية والمؤسسات الرئيسية التى تنتمى اليها مجموعة محددة من الناس مهما كان حجمها صغيراً أو كبيراً . ويمكن أن ينطبق هذا المفهوم على جماعة فرعية صغيرة .

نماذج من التنوع الثقـافي :

يمكن أن نكشف المدى الواسع من الأنماط الثقافية من خلال عرض العادات المتعلقة بالزواج كأحد العادات الشائعة في كل المجتمعات . والملاحظات التالية مأخوذة من الدراسات الانثروبولوجية لأوروبا الغربية حتى استراليا .

١ - يتقدم الفتى في الولايات المتحدة « في الزواج غير الرسمى » وعندما تقبله الفتاة ، يتعاونان في الحصول على وثيقة زواج بالذهاب مع شاهدين لقاضى عدل حيث يتم الزواج .

٢ - يتقدم الفتى للفتاة في الولايات المتحدة « في الزواج الرسمى » وتقبل الفتاة بعد الدراسة الطويلة ثم يتحدثا مع والد الفتاة . ثم يحدد موعد للخطوبة حيث يقدم الماس كشبكة .. وتنقضى فترة تعد فيها العروس ملابسها وجهازها والمدعوين والمستقبلين ، تحجز الكنيسة ليوم العرس وتطلب الزهور ويدعى الضيوف ويستعد الأهل لاستقبالهم .

وأثناء استقبال المدعوين تستبدل العروس رداءها الستان الأبيض بملابس السفر والعريس يستبدل ملابس الصباح الى زي رجل الأعمال . ثم يخرج العروسان الى الباب الخارجى وترش عليهم ذرات الملح والأرز وقطع الورق الملون ويذهبون الى شهر العسل .

٣ ـ وفي البلاد العربية يتقدم الفتى مع أهله لخطبة الفتاة .. فاذا تمت الموافقة يعقد عليها بعد أن يقدم لها شبكة ومهراً في احتفال متفق عليه يحضره الأهل والاصدقاء ثم يستقلان بحياتهما .

٤ ـ في الصين ـ يقرر أحد الآباء أن أبنة أحد الآباء الآخرين مناسبة لأبنه ، ويتوجه الى أبيها ، وتتم بعض الاجراءات المالية ، حيث تناقش هدايا البنت ، والمستقبل المالى للولد ، ثم الوصول الى اتفاق بهذا الصدد . ويمضى الزمن ـ الذي يصل الى عدة سنوات ـ بالنسبة للولد والبنت اللذين لم يريا بعضهما أبداً حتى يكبرا وعندما يصلا الى سن ملائم يعلن الزواج رسميا مع الاحتفال . وفي ليلة العرس قد يرى العريس والعروسة بعضهما لأول مرة .

٥ ـ وفي بعض القبائل الافريقية ـ يقابل الفتى الفتاة فيعجب بها ويعمل على الفوز بها . وعندما تثبت أنها قادرة على منحه طفلا سليما صحيا ـ يتم الزواج في احتفال يجمع أقارب الولد والفتاة ، وأسرة الفتاة عادة تدفع للعريس وأحيانا يتم ذلك عن طريق أسرة الولد .

٦ ـ وفي بعض قبائل استراليا ـ يقابل الولد وينجذب نحو فتاة ما ـ وتظل علاقتهما سرية حتى لا يحكم عليهما كبار القبيلة بالموت اذا ما شكوا في وجود حب أو علاقة زواجية . وفي وقت متفق عليه يهربان بكل سرعة ويختفيان تماما ويطاردهما كبار القبيلة .. وتسامحهما القبيلة اذا تمكنا من الوصول الى جزيرة معينة وعادا بعد فترة ومعهما طفل فيسقط حكم الاعدام عنهما .

ولا يوجد في الواقع نمط شائع بين كل الناس يحدد كيفية تعامل الناس مع الأمور الأساسية في الحياة البشرية . فهناك تنوع شاسع جداً من العادات المرتبطة بأمور محددة كولادة الطفل والعناية به والزواج والبحث عن الطعام ، والكبر ثـــم المـــوت ..

الوضـــع الاجتماعى

سبق أن حددنا تنوع الثقافة من زاوية جغرافية الى حد كبير . ولكن هناك

تحديدات أخرى لمفهوم الثقافة وتأثيرها كما تتأثر بالطبقة الاجتماعية . والطبقة كما يعرفها دافيز ، دولارد Davis & Dollard 1940 مفهوم يشير الى الجماعة التى يتزاور معها الفرد ويتزوج منها وينتمى اليها . والى التنظيمات التى يحددها أساساً المستوى الاجتماعى . فمثلا في الولايات المتحدة - يقسّم كثير من علماء الاجتماع المجتمع الى ثلاث طبقات :

١ - الطبقة العليا : واتصالاتها واسعة ، يحترمون القانون ، على وعى قل أو كثر بتفوقهم ، ولكنهم حريصين ألا يضيعوا هذا الأمر في محور انتباه الآخرين وألا يتحدثوا عن أنفسهم كثيراً .

٢ - الطبقة المتوسطة : طموحة - تحترم القانون - على وعى بالمجتمع أكثر من الذات ، تعطي قيمة كبيرة للتعليم واحتراما كبيراً له وللمكانة التى يمكن أن يحققها ..

٣ - الطبقة الدنيا : حيث أغلب خبرات الحياة مخيبة للآمال ، وحيث الشعور بعدم الأمن هو النمط السائد ، وحيث لا توجد الا فرص ضئيلة للترقى الاجتماعى والمهنى أو للحصول على درجات جامعية أو تحقيق مكانة وظيفية . وحيث يشيع العنف ، وحيث السلوك الجنسى كثيراً مايتم بطريقة مباشرة وصريحة عما هو موجود في الطبقتين السابقتين .

وهناك طرقاً عديدة لتحديد الطبقة الاجتماعية ، وكثيراً أيضا من المشاكل المرتبطة بقياسها . فالبعض يحددها عن طريق المستوى التعليمى للآباء Kinsey, Pomeroy Ruartini 1948 وكلما ارتفع المستوى التعليمى ارتفعت بالتالى الطبقة الاجتماعية .

ويستخدم البعض الآخر المستوى المهنى للأب كدليل على الطبقة الاجتماعية Sears, Maccoby & Levin 1957 فالمهنيون كالاطباء أو المحامون على سبيل المثال يوضعون في قمة التصنيف ، والعمال غير المهرة في أدنى التصنيف

الاجتماعي .. وان كان لوفنجر loevinget قد انتقد مفهوم الطبقة الاجتماعية قائلاً انه مفهوم غامض ومضلل وغير ذي فائدة .

الطبقة الاجتماعية اذن ترتبط باختلافات هامة في أنماط تعلم الخبرة التى يتعرض لها أي طفل ودرجة الأمن المادي المتوفرة له ، وطريقة التحاقه بالمدرسة ، وطريقة مواجهته لمواقف العدوان والجنس . كما تلعب دوراً هاماً جداً في طريقة تغذيته وتدريبه على الاخراج وضبطه ، وعلى تعليمه النظام . فالطبقة الاجتماعية للطفل ينظر اليها على انها تلعب دوراً هاماً للغاية بالنسبة للأهداف التى يضعها الفرد لنفسه في اطار حياته بالنسبة لأهداف الزواج والمهنة والأبوة .

تأثير الغـدد على النمو

هناك نوع من التكامل العصبى والكيميائى تحققه المراكز العصبية والدورة الدموية التى تنتشر أوعيتها في جميع أجزاء الجسم حاملة اليها المواد الكيماوية لتغذيتها وتنشيطها . ومن بين هذه المواد افرازات الغدد التي تصب في قنوات خاصة الى أماكن التأثير ـ أو الى الدم مباشرة كما في حالة الغدد الصماء التي تذهب افرازاتها الى العضلات والغدد الأخرى فتجعلها تستجيب في أنماط متكاملة من السلوك .

ويحدث التكامل العصبى بسرعة كبيرة « من ربع ثانية الى نصف ثانية حسب نوع المنبه وحالة الجسم وتهيؤ الذهن » أما التكامل الكيميائى فهو أقل سرعة اذ يستغرق وصول افراز الغدد الصماء الى جميع أعضاء الجسم حوالى ١٥ ثانية . ويلاحظ أن هناك تفاعل مستمر بين الجهاز العصبى والغدد الصماء وأن كلا منهما يؤثر في الآخر . فبعض الغدد الصماء تتلقى التنبيه من غدة صماء أخرى ، كما أن تنشيط الجهاز العصبى يتوقف جزئياً على بعض افرازات الغدد الصماء ، بحيث يمكن القول أن لدينا دوائر غددية ودوائر عصبية وأخرى عصبية غدية معا وجميعها تؤثر على السلوك والنمو .

أنـواع الغـدد :

يحتوى الجسم على ثلاثة أنواع من الغدد :

١ - غدد قنوية أو ذات قنوات تفرز افرازا خارجيا ، وهذه تصب افرازاتها في قنوات صغيرة داخل تجاويف في الجسم كالغدد اللعابية والمعدية والمعوية التي تقوم بهضم الطعام . أو أنها تصب افرازاتها على سطح الجسم كالغدد العرقية والدمعية . وبعضها يقوم بعمليات الاخراج والتخلص من الفضلات كالكليتين .

٢ - غدد مشتركة ـ تفرز افرازا خارجيا وداخليا معا كالبنكرياس الذي يقوم بإفراز انزيمات هاضمة يصبها في القناة الهضمية ، كما يفرز هرمون الأنسولين الذي يصبه في الدم مباشرة وهو المسئول عن توازن السكر في الدم . ومن الغدد المشتركة أيضا الغدد الجنسية التى تكَون الخلايا الجنسية ـ البويضات لدى الأنثى والحيوانات المنوية لدى الذكر ـ وتفرز افرازا داخليا في الدم هو الهرمونات الجنسية .

٣ - غدد لا قنوية أو صماء وليست لها قنوات خارجية لنقل افرازاتها بل هي تصب افرازها الداخلى مباشرة في الدم . وتسمى افرازات الغدد الصماء بالهرمونات وهى مواد منشطة كمياتها صغيرة جداً « بضعة ملليجرامات يوميا » ولكنها ذات تأثير كبير وتقوم بدور العوامل المساعدة والمعدلة في العمليات الحيوية التالية :

أ ـ نمو الجسم .
ب ـ عمليات الهدم والبناء .
جـ ـ النمو العقلى .
د ـ السلوك الانفعالى .
هـ ـ نمو الخصائص الجنسية الثانوية .
و ـ تحقيق التكامل الكيمائي .

أهم الغـدد الصـماء :

١ ـ الغدة النخامية .

٢ ـ الغدة الدرقية .
٣ ـ الغدد جارات الدرقية .
٤ ـ الغدة الادرينالية أو فوق الكلوية أو الكظرية .
٥ ـ البنكرياس .
٦ ـ الغدد الجنسية « المبيضان عند الانثى والخصيتان عند الذكر » .
٧ ـ الغدة التيموسية والصنوبرية .

وتصاب هذه الغدد الصماء بنوعين من الأمراض :

١ ـ أمراض تتلف الغدة أو تصيبها بالضعف والقصور .
٢ ـ أمراض تدفعها الى زيادة نشاطها والافراط فيه .

وسنناقش فيما يلى كل غدة من الغدد الصماء وتأثيرها على النمو في حالة قصورها وفي حالة زيادة نشاطها ..

أولاً ـ الغدة النخامية :

توجد الغدد النخامية عند قاع المخ ويتراوح وزنها بين ٣٥٠ ـ ١١٠٠ مجم وتتكون من فص خلفى وفص أمامى وبينهما فص متوسط . ولكل من الفص الأمامي والخلفى افرازاته الخاصة به ، أما الفص المتوسط فلا يعرف له افراز معين

أ – افرازات الفص الخلفي للنخامية : Pituitary Gland

يفرز الفص الخلفى هرمون البتويترين أو النخامين الذي يتكون من عنصرين هما : هرمون رافع الضغط ، وهرمون معجل الولادة يسمى بمانع ادرار البول . وعدم افراز النخامين يؤدي الى زيادة كمية البول الى ١٠ ـ ١٥ لترأ يوميا بدلا من ١,٥ لتر في الحالات العادية .

وتؤدي التوترات الأنفعالية الى اضطراب الوظيفة البولية بالنقص أو بالزيادة ، واذا لم يعالج نقص افراز النخامين الذي يسبب زيادة في كمية البول فان ذلك يؤدي الى مضاعفات خطيرة .

ومن آثار هرمون النخامين انقباض عضلات الرحم خاصة أثناء الوضع ، كما

يعمل على تنشيط ادرار اللبن ، وانقباض العضلات اللاارادية في جدران المثانة عند التبول ، وجدران الشعب الرئوية ، وجدران الأمعاء في التبرز .
ب - افرازات الفص الأمامى للنخامية :
ويفرز خمسة أنواع من الهرمونات ذات تأثير هام على الغدة الدرقية والكظرية والتناسلية وهي :

١ - هرمون النمـو :

في حالة زيادة الأفراز في الطفولة والمراهقة يؤدي الى العملقة حيث يصل طول القامة الى مترين ونصف . وفي حالة الزيادة بعد المراهقة أي بعد توقف نمو العظام فان عملية النمو تستأنف سيرها في الاجزاء الغضروفية مما يؤدي الى حالة تعرف بالأكروميجالى Acromegaly أي تضخم الأجزاء الطرفية كالأذنين والأنف والفك السفلى واليدين والقدمين مع تحدب الظهر ونتوء عظام الصدر في بعض الحالات .
أما في حالة نقص الافراز فأنه يؤدي الى القزامة حيث لا يزيد طول القامة عن حوالى ١ متر وربع مع تناسب الأعضاء وسمات الوجه .

٢ - هرمون الجونادوتروفين : Gonadotropic Hormone

يسمى الهرمون الحافز للغدد الجنسية ونموها ونشاطها وافراز الهرمونات الجنسية لدى الجنسين .. وينقسم الى قسمين :
أ ـ هرمون الفوليكوتروفين :
وهو منشط لحوصلة جراف المبيض ، ويؤثر في نمو البويضة ونضجها وتنظيم الطمث الشهرى ، كما يؤثر على نمو الحيوانات المنوية في الخصيتين لدى الذكور.

ب ـ هرمون منشط الجسم الأصفر في المبيض :
وينشط الجسم الاصفر لدى الأنثى والخلايا التخللية للخصية لدى الذكر .
ويؤثر على افراز هرمون البروجسترون لدى الانثى والتستسيرون لدى الذكر .
يؤدى نقص الجوناتروفين الى توقف نمو الجهاز التناسلى وأصابة الطفل

بالسمنة المفرطة وعدم نمو جهازه التناسلى والميل الى النعاس والسلبية والخضوع الى جانب تأثير حالته هذه في شخصيته بطريق غير مباشر .

أما زيادة افراز هذا الهرمون نتيجة لتضخم الخلايا المفرزة له فيصاحبه عدم النضج الجنسي . وقد تؤدي الزيادة الى تبكير النضج الجنسي مما يصاحبه تعثر في النمو الجسمي . وفي الحالات السوية يكون هناك توازن بين الهرمونين .

٣ - هرمون البرولاكتين :

وهو هرمون منشط لادرار اللبن لدى الأم بعد الوضع ، كما يؤثر في النشاط الافرازي للجسم الأصفر في المبيض لدى الأنثى غير الحامل .

٤ - هرمون الثيروتروفين : Thyrotrophic .H

وهو هرمون حافز للغدة الدرقية وتنشيطها ويحول دون ضمرها . وزيادة افرازه يؤدي الى تضخم الغدة الدرقية وزيادة نشاطها الافرازي .

٥ - هرمون الكوريتكوتروفين : Adernocorticotrophic .H

ويذهب هذا الهرمون الى قشرة الغدة الادرينالية لضبط حجمها وافرازها الهرموني . كما يقوم بضبط مستوى السكر في الدم .

وفيما يختص بتأثير هرمونات الفص الأمامي للنخامية في بناء الشخصية والسلوك فليس من السهل أن نميز بين التأثير المباشر لزيادة الافراز أو نقصانه ، وبين التأثير غير المباشر الذي يتمثل في استجابات الشخص لنظرة الآخرين له ، وتتخذ هذه الاستجابات شكل ردود أفعال تعويضية أو تكيفية سلبية . فالمصاب بالعملقة يكون في العادة شارد الذهن عاجزا عن تركيز أفكاره سريع التهيج . والمصاب بالأكروميجات تغلب عليه سمات الشجاعة والاقدام والمبادأة . ويلاحظ على الأقزام السلوك العدواني غير أن العدوانية في هذه الحالة ليست الا رد فعل تعويضى للنقص الجسمي .

ثانيا ـ الغـدة الدرقية :

توجد الغدة الدرقية في مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة تحت الجلد وأمام الحلقات الغضروفية العليا من القصبة الهوائية . وتتكون الغدة من فصين يتراوح وزنهما بين ١٠ ـ ٥٠ جم ويزداد حجمها مؤقتاً أثناء البلوغ والحمل وفي فترة الحيض .

وظيفة الغـدد الدرقية :

تقوم الغدد الدرقية بوظيفتين هامتين هما :

أ ـ تخزين مادة اليود .

ب ـ افراز هرمون الثيروكسين الذي يؤثر في عمليات النمو وعمليات التمثيل الغذائى « عمليات البناء والهدم » .

وتتأثر الدرقية بغيرها من الغدد الصماء الأخرى وخاصة النخامية عن طريق هرمون الثيروتروفين . وكمية الثيروكسين التى تفرزها الدرقية ضئيلة ولكنها هامة جداً لاستمرار النمو السوى .

اضطرابات الغـدة الدرقية :

يصيب وظيفة الغدة الدرقية بعض الاضطرابات التي تكون اما نقصا أو زيادة في الافراز .. كما قد تصاب الغدة نفسها بالتضخم .

حالات نقص الافـراز :

قد يكون نقص الافراز منذ المرحلة الجنينية فيؤدي ذلك الى اصابة الطفل بمرض القصاع أو القماءة Cretinism ، أو قد يحدث في مرحلة النضج وعادة بعد سن الثلاثين وخاصة في النسـاء ويسمى في هذه الحالة ميكسوديما .

١ - مرض القصـاع :

ومن أعراض مرض القصاع بطء النمو واضطرابه وغلظ اللسان وجفاف الجلد

وبرودة الجسم وقصر القامة مع عدم تناسب أعضاء الجسم على خلاف القزم الذي يعانى قصوراً في افراز هرمون النمو من الفص الأمامي للنخامية حيث يحتفظ الجسم بقدر أكبر من التناسب .

ولاتظهر أعراض هذا المرض الا بعد ستة شهور من الولادة ، ففى خلال هذه الفترة يكون الطفل معتمدا على هرمون الثيروكسين الذي استمده من الأم ، وبعد هذه الفترة تبدأ الأعراض المرضية في الظهور . ويبدو الطفل وديعا ساكنا لا يصرخ وفمه مفتوح دائما ولسانه في حالة جحوظ مستمر في الفم . ومن الناحية النفسية يتوقف النمو العقلى لدي المريض فيظل جامد العاطفة عاجزاً عن كف اندفاعاته الحيوانية ، ولا تتجاوز نسبة ذكائه ٥٠ ٪ ويمكن أن تزول هذه الأعراض بحقن الطفل يوميا بهرمون الدرقين بكمية تتراوح بين ٠،١٥ ـ ٠،٢ مجم ، ويستأنف النمو الجسمى والنفسى بصورة طبيعية . أما اذا تأخر العلاج فقد تزول الأعراض الجسمية دون التغلب على التأخر العقلى ـ لأن نشاط النمو في خلايا المخ يكون كبيراً جداً خلال السنة الأولى من العمر ، ونقص الثيروكسين في هذه الفترة يؤدي الى ضمور وعطب الخلايا العصبية في لحاء المخ بصورة لا يمكن تداركها . لذا فنمو الذكاء والنمو النفسى للفرد يحتاج لهرمون الثيروكسين في الدم بكمية مناسبة خلال السنوات الأولى .

٢ - مرض المكسيديما :

وفي هذا المرض يغلظ الجلد ويترهل الجسم ويزداد الوزن ويتساقط شعر الرأس والحواجب ، ويظهر انتفاخ بسيط أسفل العين وفي الجفن السفلى وتنخفض درجة حرارة الجسم مع انخفاض معدل التمثيل الغذائي . ويميل المريض الى النعاس والكسل ويصاب بالبلادة ويفقد اهتمامه بالعالم الخارجي ، ولا يستطيع القيام بأعماله اليومية خصوصاً السيدات . وعادة مايصاحب هذا المرض أعراضا نفسية وعقلية في معظم الحالات . ويكثر هذا المرض بين النساء بنسبة ٤ ـ ١ من الرجال خاصية بعد سن الثلاثين . ويشفى هؤلاء المرضى اذا أخذوا الكمية المناسبة من هرمون الثيروكسين .

حالات زيادة الافراز « مرض جريف » :

في حالة زيادة الافراز تزداد سرعة عملية الهدم والبناء وسرعة النبض ويزيد ضغط الدم ويقل وزن الجسم ويصاب المريض بالأرق وسرعة التهيج العصبى وعدم الاستقرار الحركي والانفعالى ويكاد يكون في توتر مستمر وتكون زيادة الافراز مصحوبة عادة بتضخم الغدة وجحوظ العينين وانكماش الجفن وارتعاش الأطـراف وكثرة العرق وارتفاع بسيط في حرارة الجسم . وزيادة الافراز لها علاقة وثيقة بالحالة الانفعالية للفرد .

ويمكن القول أن الغدة الدرقية تعمل على التحكم وتنظيم وحفظ :

١ ـ وزن الجسم ومقدار المواد الدهنية به .
٢ ـ حرارة الجسم .
٣ ـ تنظيم النمو في الاطفال .
٤ ـ الذكاء .
٥ ـ الحالة النفسية والانفعالية للفرد .

ثالثا ـ الغدد جارات الدرقية :

وهي أربعة موجودة في ثنايا الغدة الدرقية ، كل اثنتان منهما على ناحية وواحدة فوق الأخرى . وتقوم هذه الغدد بالآتي :

١ ـ ضبط عملية تمثيل الكالسيوم والفوسفور .
٢ ـ تساهم في تكوين العظام .
٣ ـ تساهم في النشاط العصبى والعضلى .

حالات نقص الافــراز :

يؤدي قصور افراز الغدة الى هبوط نسبة الكالسيوم في الدم ، وبالتالى الى سرعة التهيج العصبى الارتعاشى واختلاج العضلات وتشنجها .

حالات زيادة الافــراز :

يؤدي تضخم الغدة وزيادة افرازها الى زيادة نسبة الكالسيوم في الدم ويقل في العظام مما يؤدي الى لينها وسهولة كسرها والى تشوه الهيكل العظمي وتكون حصوات في الكلية . وتبدو على المريض علامات الملل والتعب الزائد وقد يقع في حالة شبه غيبوبة .

ويسمى الهرمون الذي تفرزه جارات الدرقية بالباراثورمون ، ولاتقع هذه الغدة تحت سلطان النخامية الأمامية .

رابعا ـ البنكرياس :

غدة تقع خلف المعدة ويتراوح وزنها بين ٨٠ ـ ٩٠ جم ، وهي غدة مشتركة تفرز افرازا خارجيا عن طريق قناة تصب في الأمعاء الدقيقة انزيمات مساعدة لعملية الهضم ، وافرازاً داخلياً هو هرمون الأنسولين من خلايا متخصصة داخلية تسمى جزر لانجرهانز . ووظيفة الانسولين ضبط مستوى السكر في الدم .

حالة قصـور الافراز :

يؤدي القصور في افراز الانسولين الى زيادة نسبة السكر في الدم وهو مايعرف بمرض السكر ـ والمريض بالسكر تنتابه من الناحية النفسية حالات من الخلط الذهني والذهول .

حالة زيادة الافـراز :

يزداد افراز الانسولين في حالة تورم جزر لانجرهانز مما يؤدي الى هبوط سريع في نسبة السكر بالدم ـ والجهاز العصبى وخاصة المخ الذي يعتمد في وقوده وغذائه على نسبة السكر في الدم « الجلوكوز » . ومن أعراض نقص السكر الشعور بالجوع الشديد والاحساس بالتعب وصعوبة المشى ، وتعذر القيام بالحركات

الدقيقة وازدياد افراز العرق وشحوب الوجه والاحساس بالبرد . ويصبح المريض قلقا مهموما سريع التهيج وسلوكه يشبه سلوك المعتوه . وأحيانا تنتابه نوبات شرود وتصرفات هستيرية ثم يصاب باضطرابات عقلية كالهلوسة والهذيان المصحوبان بتشنجات صرعية تنتهى بوقوع الشخص في غيبوبة عميقة تنتهى بوفاته ان لم يعالج فوراً بحقنة جلوكوز مركز في الوريد .

خامسا ـ الغدة الادرينالية أو فوق الكلوية أو الكظرية :

توجد فوق كل كلية غدة يتراوح وزنها بين ١٥ ـ ٢٠ جم تعرف بالادرينالية وتتكون من جزأين هما : النخاع والقشرة وهما مختلفتان تماما من الوجهة البنائية والوظيفية .

نخاع الغدة الادرينالية :

ويفرز النخاع نوعين من الهرمونات هما الادرينالين والنورادرينالين بنسبة ٨٠ ٪ للأول و٢٠ ٪ للثاني . ويؤدي الادرينالين دوراً هاماً في الحالات الانفعالية ويساعد الجسم على تعبئة كل طاقاته لمواجهة الطوارئ بصورة ايجابية فعالة ومن أهم وظائفه ما يلى :

١ ـ توسيع حدقة العين .
٢ ـ زيادة ضربات القلب وقوة دقاته .
٣ ـ انقباض الشرايين الصغيرة والشعرية في الجلد ، وانقباض الاوعية الدموية في الاحشاء مع توسيع الأوعية الدموية الذاهبة الى القلب والعضلات المخططة التي تحيط بالهيكل العظمى .
٤ ـ ارتخاء عضلات الشعب الهوائية .
٥ ـ كف نشاط جدران الأمعاء واغلاق العضلات .
٦ ـ تحويل الجليكوجين في الكبد الى سكر « جلوكوز » وانقباض جدران المرارة .
٧ ـ ارتخاء جسم المثانة وانقباض العضلة العاصرة .
٨ ـ مقاومة التعب العضلى ويزيد من قابلية العضلة للتنبيه .

٩ ـ زيادة نسبة الأيض القاعدي ٠
١٠ ـ زيادة عدد الكرات الحمراء في الدم كما يزيد من سرعة تكوين الجلطة الدموية منعاً للنزيف ٠

أما وظائف النورادرينالين فتشبه وظائف الادرينالين غير أن مفعوله أقوى في رفع ضغط الدم ، وأضعف في ارتخاء العضلات الملساء وفي ثأثيره في عمليات الأيض « الهدم والبناء » ٠ ويؤدي ورم الغدة الادرينالية الى زيادة افرازها مما يتسبب عنه أعراض قلق نفسى شديد مع زيادة ضربات القلب وضغط الدم وشحوب قشرة الغدة الادرينالية :

وهى تحيط بنخاع الغدة الادرينالية ويتراوح سمكها بين ٠,٥ ـ ٥ مم ٠ وهى خالية من الأطراف العصبية ويصلها التنبيه من أحد هرمونات النخامية وهو هرمون الكورتيكوتروفين ٠ وهي ضرورية للحياة واستئصال الغدة الادرينالية كلها يؤدى الى الموت في ظرف ٤ ـ ٥ أيام ٠ وتساعد هرمونات قشرة الادرينالية على مساعدة الجسم على البقاء حيا في وجه المؤثرات الضارة المختلفة والتصدي لها ٠ وعندما تحدث مشكلة للكائن الحي يحس بها الجهاز العصبى ويدركها ويترجمها الى نبضات عصبية تستحث الغدة النخامية على اطلاق هرمون الكورتيكوتروفين الذي يعمل بدوره على حفز قشرة الغدة الادرينالية على زيادة ما تنتجه من هرمونات ٠ وتفرز القشرة ثلاثة أنواع من الهرمونات ٠

١ - الكورتيزول والكورتيزون :

ويلعب دوراً في عمليات البناء والهدم وزيادة نسبة السكر في الدم ورفع ضغط الدم ، وزيادته تنتج من ورم القشرة الادرينالية وتسبب مرض كوشنج حيث يشكو المريض به من زيادة الوزن والضعف العام ، وزيادة الشعر في الجسم خصوصا في النساء وزيادة حب الشباب في الوجه والجسم ، كما تظهر خطوط قرمزية في البطن وأمام الأبط ويرتفع الضغط ٠

أما قصور الافراز بسبب التهاب أو ضمور القشرة فيؤدي الى مرض « أديسون » ويتميز المريض به بالضعف العام والفتور ونقص الوزن مع تلون الفم والشفه بلون بني ، ونقص في ضغط الدم وانخفاض في نسبة السكر في الدم وعدم القدرة على القيام بأي نشاط ٠

٢ - الالدوستيرون :

وله علاقة بنسبة المواد المعدنية في الدم « كالبوتاسيوم والصوديوم » وزيادة افرازه تسبب مرض « كون » Conn ويتميز المريض به بزيادة شديدة في ضغط الدم وزيادة افراز البوتاسيوم في البول مما يؤدي الى نقص في الدم مما يؤدي الى الضعف الشديد في العضلات وأحيانا الى شلل بها ٠

٣ - أندروجين :

وهو مجموعة من الهرمونات التي تشبه الهرمونات الجنسية التي تفرز الخصيتان والمبيضان ٠ ولا تظهر آثارها الا في الحالات المرضية عندما تتورم قشرة الغدة ٠ وزيادة افرازها يؤدى الى تضخم سمات الرجولة والى تغلب هذه السمات لدى المرأة فيغلظ صوتها ويتساقط شعر الرأس وينبت شعر اللحية ٠ وتؤدي لدى الطفل الى تبكير النضج الجنسي في سن ٤ أو ٥ مع ظهور كل العلامات الذكرية الثانوية من شارب ولحية الى شعر العانة وتضخم القضيب ٠ مثل هذه التغيرات تحدث استجابات سلوكية شاذة لدى صاحبها ٠

سادساً ـ الغدد الجنسية :

الغدد الجنسية هي الخصيتان عند الذكر والمبيضان عند الأنثى ولهما نوعان من الافراز :

١ ـ خارجي ـ وهو تكوين الخلايا التناسلية : الحيوانات المنوية عند الذكر ، والبويضة عند الأنثى ٠

٢ ـ داخلى ـ وهو افراز الهرمونات الجنسية .

الخصـــيتان :

تفرز الخصيتان ثلاثة أنواع من هرمونات الذكور أهمها التستستيرون Testosterone كما تفرز أيضا كمية من هرمونات الانوثة استروجـين Oestrogens والذي ينشط افراز الخصيتين لهرمون التستستيرون هو الجونادوتروفين الذي تفرزه الغدة النخامية . فعندما يقل افراز التستستيرون يزداد افراز الغدة النخامية فيفرز هرمون التستستيرون وعندما تزداد كميته يقل نشاط افراز النخامية للجونادوتروفين .

ويبدأ افراز التستستيرون عند بدء مرحلة البلوغ ، ويقل افرازه بتأثير نقص التغذية وخاصة فيتامين « ب » لذا لايجب أن يعطى الشخص السليم أية هرمونات ذكرية بغرض تقوية الدافع الجنسى أو القوة الجنسية لأن ذلك سيؤدى الى خفض نشاط الغدة النخامية وبالتالى الى نقص هرمونات الذكورة التي تفرز من الخصيتين وتتلخص وظائف هرمونات الذكورة في الآتي :

١ ـ نمو أعضاء التناسل وظهور الخصائص الجنسية الثانوية وهي خشونة الصوت وظهور الشعر في بعض مناطق الجسم مثل الشارب واللحية والعانة ، الى جانب زيادة النمو العضلى وخشونة الجلد .

٢ ـ زيادة حيوية الحيوانات المنوية وقدرتها على الاخصاب كما يحافظ على سلامة الأوعية المنوية .

٣ ـ تؤثر في النمو الانفعالى للمراهق وتقوى الدافع الجنسي لديه ، كما أنها تحدد الى حد ما الاتجاه السليم نحو الجنس الآخر ، وتسهم في ظهور السمات النفسية للرجولة ولكنها ليست العامل الوحيد في بناء الشخصية .

ويلاحظ أن معظم حالات الضعف الجنسي أو سرعة القذف التي تصيب الشباب هي حالات من القلق النفسي وليس لها علاقة بافراز الخصيتين .

المبيضان :

يفرز المبيضان نوعان من الهرمونات :

١ ـ مجموعة هرمونات الأستروجين .

٢ ـ هرمون البروجستيرن .

ويفرز الايستروجين من حوصلة جراف المبيض بعد انتهاء الحيض مباشرة ويبدأ افراز البروجستيرون عند تكوين الجسم الأصفر بعد خروج البويضة عند منتصف الدورة الشهرية . ويتوقف الافرازان في حالة عدم اخصاب البويضة قبل حوالي يومين من بدأ الحيض . أما في حالة الحمل فيستمر الأفرازان كما يستمر نمو الجسم الأصفر حتى نهاية الشهر السادس من الحمل . وتقوم المشيمة أيضابافراز الهرمونات الجنسية أثناء الحمل . والهرمونات الجنسية لدى الأنثى خاضعة في افرازها لافرازات الغدة النخامية (الجونادوتروفين) وهو الهرمون المنشط للحوصلة والهرمون المنشط للجسم الأصفر (I.H) .

وظيفة الايستروجين لدى الأنثى هي :

١ ـ نمو أعضاء التناسل وظهور الخصائص الجنسية الثانوية في مرحلتى المراهقة والبلوغ مع النمو العام للجسم وتكوين الثديين .

٢ ـ تنشيط الدافع الجنسي وتثبيت السمات الأنثويةالنفسية وتوجيه النمو الجنسي في اتجاهه السليم .

٣ ـ تعجيل نمر العظام كما تدفع إلى توقف نموها (وقد يكون ذلك هو السر في أن النساء أقصر من الرجال عامة) .

٤ ـ تؤثر في ترسيب الدهن الأنثوى في جسم المرأة ، كما أنها تعمل على تمسك الجسم بما فيه من ماء وأملاح .

تأثير التغذية على النمو

قبل أن نتحدث عن تأثير التغذية على نمو الطفل سنناقش المكونات الرئيسية

للطعام وما الذي يستفيده الجسم منها . فالطفل النامي يحتاج لمجموعات من المركبات الغذائية اللازمة لبناء الجسم وتجديد أنسجته ، كما يحتاج الى الطاقة اللازمة للحركة والنشاط والى مواد أخرى تلزم للمحافظة على الجسم في حالة صحية سليمة . ومن هذه المواد ما يلي :

البروتين :

ويعد البروتين المادة الأساسية في بناء الجسم . فالعضلات والقلب والمخ والكلى تتكون جميعها الى حد كبير من البروتين . كما تتكون العظام من البروتين الذي امتلأ بالعناصر المعدنية فأصبحت صلبة قوية . ويحتاج الطفل الى طعام غني بالبروتين لتستمر زيادة أعضائه المختلفة في الحجم ولتتجدد أنسجته التالفة

وتحتوي أغلب الأطعمة على البروتين بكمية قليلة أو كثيرة ، فاللحوم والأسماك والبيض واللبن هي أغنى الأطعمة في البروتين ، كما أن هذه المواد تعد المصادر الرئيسية للبروتين الكامل الذي يحتاجه الجسم . يلي هذه المصادر البروتينية الهامة ـ مصادر أخرى للبروتين ولكنها أقل في غناها وهي الحبوب والخضروات والبقول ـ حيث تحتوي على بروتين غير كامل وعندما يحصل الطفل على خليط من هذه المصادر فإنها قد تزوده ببروتين لا يقل عما يحصل عليه من اللحم والسمك والبيض واللبن ولكنها لا يمكن أن تحل محلها .

العناصر المعدنية :

تلعب العناصر المعدنية المختلفة دورا حيويا في بناء الجسم وفي عمل كل جزء من أجزائه. فيعتمد تصلب العظام والأسنان على مادتي الكالسيوم والفوسفور . كما تعتمد المادة المكونة لخلايا الدم الحمراء التي تحمل الأكسجين لكل أجزاء الجسم على الحديد والنحاس . كما يعد اليود ضروريا لوظيفة الغدة الدرقية . وتحتوى الأغذية الطبيعية كالفاكهة والخضروات واللحوم والبقول والحبوب والبيض واللبن على مجموعة متنوعة من العناصر المعدنية ذات القيمة الكبيرة . لكن كثرة تخزين الحبوب أو كثرة غليانها في كميات كبيرة من الماء يفقدها كثيراً مما تحتويه من عناصر . ويعد أقل العناصر من حيث كميته في الأغذية عنصر

الكالسيوم ثم الحديد ثم اليود . أما الكالسيوم فيوجد بكميات قليلة في الخضر والفواكه ولكن بكميات في اللبن والجبن . ويوجد الحديد (اللازم للوقاية ضد الأنيميا أو فقر الدم) في الخضروات الورقية الخضراء ، وفي اللحوم والفواكه والحبوب ذات الفلقة الواحدة ، ويوجد هذا العنصر بوفرة في صفار البيض والكبد ولا يتوفر اليود في كل مكان . بل أن هناك بعض الجزر التي تفتقر اليه حيث لا يتوفر في مياهها ولا خضرواتها أو فواكهها ، ، ويتوفر بكثرة في النباتات والحيوانات البحرية ، وفي مثل هذه المناطق التى تفتقر الى اليود تقوم السلطات باضافة اليود الى ملح الطعام للوقاية من مرض تضخم الغدة الدرقية Goiter .

الفيتامينات :

تعد الفيتامينات مواد خاصة يحتاجها الجسم بكميات صغيرة جدا ليتمكن من أداء وظائفه على الوجه الأكمل ـ بالضبط كما تحتاج الماكينة الى بضعة نقط من الزيت أو كما يحتاج احتراق وقود السيارة الى شرارة كهربائية صغيرة . ومن هذه الفيتامينات ما يلي :

١ ـ فيتامين أ Vitamin A

وهو ضروري للمحافظة على سلامة الأنسجة المبطنة للشعب الهوائية والأمعاء والجهاز البولي والأجزاء المختلفة من العين بما في ذلك الأجزاء المسئولة عن الرؤية في الظلام . ويحصل الجسم على فيتامين «أ» من الزبدة وصفار البيض والخضروات والجافة ، ومن المستحضرات الصناعية ، والذين يعانون نقص فيتامين «أ» هم في الواقع أولئك الذين يتميزون بسوء التغذية ـ أو الذين لا يمكنهم الاستفادة من الغذاء بسبب أمراض الجهاز الهضمى الخطيرة ويتعرض مثل هؤلاء الناس الى أمراض البرد نتيجة لنقص هذا الفيتامين . وليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد بأن من يتناولون غذاء متزنا سيصابون قليلا بالبرد بحصولهم على كميات إضافية من فيتامين «أ» .

ب ـ فيتامين ب المركب V.B. Complex

اعتقد العلماء قديما بأن هناك فيتامين واحد يدعى «ب» يقوم بعدة

وظائف في الجسم . ولكن البحوث العديدة أثبتت وجود ١٢ فيتامين وغالبا ما توجد جميعها في نفس الغذاء . وعندما عرفت فيتامينات «ب» أصبح من المهم على الأفراد أن يتناولوا الأطعمة التي تحتوى على مجموعة فيتامين «ب» وليس على أحدها أو بعضها فقط . وربما كانت أكثر مجموعة فيتامينات «ب» أهمية للانسان والتي تسمى بأسمائها الكيمائية هي :

الثيامين **Thiamin** ، الريبوفلافين **Riboflavin** ، النياسين **Niocin** البيريدوكسين **Piridoxine** ، وتحتاج كل أنسجة الجسم لهذه الفيتامينات الأربعة .

(١) فيتامين ب **Thiamin B1**

ويوجد الفيتامين بكميات كبيرة في الحبوب (ذات الفلقة الواحدة) واللبن والبيض والكبد واللحم وأنواع محددة من الخضر والفواكه . ويتلف هذا الفيتامين بكثرة الغليان خاصة في وجود كربونات الصوديوم ، ويؤدى تناول كمية كبيرة من السكر والنشا إلى عدم حصول الأفراد إلى كمية كافية من الثيامين. ويسبب نقص الثيامين إلى فقد الشهية إلى الطعام وبطء النمو والاجهاد والاضطرابات المعدية والمعوية والعصبية .

(٢) فيتامين ب ٢ (الريبوفلافين)

ويوجد بكثرة في الكبد واللحم والبيض والخضروات الغضة والحبوب والخميرة وتقل كميته عندما تكثر النشويات والسكر في الغذاء . ويؤدى نقص هذا الفيتامين إلى تشققات على جانبي الفم والشفاه والجلد واضطرابات في الفم والعين

(٣) النياسين (حمض النيكوتين)

ويوجد بوفرة في نفس الأطعمة التي يتوفر فيها الريبوفلافين . ويؤدى نقصه إلى اضطرابات في الفم والأمعاء والجلد .

(٤) فيتامين ب ٦ (البيريدوكسين)

وينتشر وجوده في كثير من الأطعمة . وأعراض نقصه هي - الاضطرابات العصبية ونوبات التشنج والأنيميا والطفح الجلدى - تظهر فقط في عدد قليل من الأفراد الذي يتميزون بحاجة وراثية إلى مزيد من هذا الفيتامين .

(٥) فيتامين ب ١٢ (الكوبالامين)

وينتشر وجوده في الأطعمة الحيوانية بما فيها اللبن . ولكنه لا يوجد في الخضروات . ويؤدى نقصه إلى ظهور مرض الأنيميا الخبيثة .

جـ - فيتامين ج (حمض الأسكوربيك)

ويوجد بوفرة في البرتقال والليمون والجريب فروت وفي الطماطم وعصير الطماطم والكرنب . كما يوجد بكميات متوسطة في عدة أنواع أخرى من الفاكهة والخضر بما في ذلك البطاطس . ومن السهل أن يفقد هذا الفيتامين أثناء طهو الطعام . وهو ضروري لتكوين العظام والأسنان والأوعية الدموية وأنسجة أخرى ، ويلعب دورا هاما في أداء كثير من خلايا الجسم . ويكثر ظهور أعراض نقص فيتامين ج بين الأطفال الذين يتغذون على لبن الأبقار بدون عصير البرتقال أو الطماطم أو فيتامين ج المصنع طبيا ، وتظهر أعراض النقص في صورة آلام في العظام واللثة .

د - فيتامين د

ويحتاج نمو الطفل الى كميات كبيرة من فيتامين د وخاصة نمو العظام والأسنان فهو يساعد على امتصاص الكالسيوم والفوسفور من الطعام في الأمعاء ونقله عن طريق الدم إلى الأجزاء النامية من الأسنان . ولذلك يجب أن يضاف الى غذاء الأطفال خاصة في فترات النمو السريع في الطفولة . وتحتوي الأطعمة العادية على كميات قليلة من فيتامين د . وعندما تسطع أشعة الشمس وتسلط على الدهون المترسبة تحت جلد الانسان يتكون فيتامين د ، ولهذا السبب فمن الضروري تعريض الأطفال للشمس وخروجهم إلى الهواء الطلق وتخفيف ملابسهم

ويحتوي زيت كبد السمك على مصدر كبير لفيتامين د فالأسماك تخزن

فيتامين د في أكبادها بعد أن تتناول الكائنات الدقيقة الطافية على سطح الماء والتي تساعد أشعة الشمس على تكوين فيتامين «د» بها . ويؤدى نقص فيتامين «د» الى لين العظام وضعف الاسنان والعضلات وأربطة هذه العظلات . ويسمى هذا المرض بالكساح Rickets . ويعتبر البيض والزبدة والسمك وأشعة الشمس مصادر لتكوين فيتامين د . والطفل الذي لا يتعرض بدرجة كافية لأشعة الشمس يجب أن يحصل على كمية كبيرة من اللبن يوميا أو أدوية محتوية على فيتامين د صيفا وشتاء حتى يصل إلى قرب نهاية المراهقة . كما تحتاج الأمهات أيضا إلى كميات زائدة من فيتامين د خلال فترة الحمل وخلال فترة الرضاعة .

الماء :

صحيح أن الماء لا يزود الجسم بالسعرات الحرارية أو الفيتامينات - ولكنه حيوي وضروري لبناء الجسم وعمله ، فهو يكون ٦٠ ٪ من وزن الطفل ، ويجب أن يتاح للطفل فرصة تناول الماء مرة أو مرتين فيما بين الوجبات - وتزداد الكميات في الجو الحار . ويتكون جزء كبير من الأطعمة المختلفة من الماء ولذا فإن الناس يحصلون على جزء من احتياجاتهم اليومية من الماء من الأطعمة المختلفة .

المواد الخشنة Roughage

وهي الألياف الموجودة في الخضر والفاكهة والحبوب التي لا تتمكن الأمعاء من هضمها أو امتصاصها . ومثل هذه المواد تمر خلال الحركة الدورية للأمعاء دون فائدة ولكن على الرغم من ذلك فلها فائدة هامة من حيث أنها كتلة تختلط بمحتوى الأمعاء فتحفز الأمعاء على العمل . وعندما يعيش الطفل على أغذية خالية من هذه الألياف كاللبن والبيض والحساء فإنه يكون معرضا للامساك بسبب قلة فضلات هذه الأغذية في الأمعاء الغليظة .

الدهون والنشا والسكر

ما سبق ذكره من مواد يدخل في اطار المواد التي تبني الجسم والمواد التي

تمكن الجسم من أداء وظائفه جيدا ، أما الدهون والنشا والسكر فتدخل في اطار المواد المولدة للطاقة . فإذا نظرنا للجسم على أنه يشبه الآلة ـ كان في حاجة مستمرّة لطاقة تحركه كالسيارة تماما . وعندما يكون الشخص نائما يستمر القلب في ضرباته وتستمر بعض الأعضاء الأخرى في العمل مثل الأمعاء والكبد والكليتان . وعندما يستيقظ الفرد يتحرك فيما حوله ويعمل ويجري ويستهلك كمية أكبر من الوقود . وحتى الطفل سريع النمو فإن معظم غذائه يستهلكه كوقود .

ومصادر الطاقة أو وقود الجسم هي النشا والسكر والدهون (والى درجة بسيطة جدا يستعمل البروتين كوقود) . ويتكون النشا من سكريات تتحلل في الأمعاء قبل أن تمتص في الجسم . ولأن النشا والسكر يتشابهان الى حد كبير فانهما يوضعان تحت ما يسمى الكربوهيدرات .

لكن ما مصير الدهون في الجسم ؟ عندما يتناول الانسان مزيدا من الدهون والسكر والنشا والبروتين أكثر مما يحتاجه من الوقود فان الكمية الزائدة تتحول الى دهن يخزن تحت الجلد . وعندما يتناول كمية قليلة جدا من الغذاء فانه يستخدم بعضا من الدهن المخزون في جسمه ويصبح أكثر نحافة . وبالإضافة الى كون الدهن المخزون تحت الجلد يعد مخزنا للطاقة يستهلك عند الحاجة ـ فانه يعمل على تدفئة الجسم أيضا أو حفظه دافئا .

السعرات الحرارية :

تقاس القيمة الحرارية للغذاء بوحدات السعر . والماء والأملاح ليست لها سعرات حرارية ، فليست فيها طاقة في حد ذاتها . أما الدهن فغني بالسعرات الحرارية حيث تحتوي الأوقية على ضعف ما تحتويه أوقية النشا أو السكر أو البروتين من سعرات حرارية ، وتحتوي الزبدة والمسلى والزيوت النباتية على كمية كبيرة من السعرات كما أن السكريات وعصير الفاكهة المركز غنية بالسعرات الحرارية لأنها من الكربوهيدرات ولا تحتوي على الماء أو أية مواد خشنة . كما أن الحبوب والخبز والمكرونة والخضروات النشوية كالبطاطس والبقول والقمح

والذرة ذات سعرات عالية بسبب كمية النشا المكونة منه . أما اللحوم والدجاج والسمك والبيض والجبن فهي غنية بالسعرات الحرارية بسبب وجود الدهن بجانب البروتين ، ولكننا لا نحصل على كمية عالية من السعرات منها كالتي نحصل عليها من الحبوب والخضروات النشوية التي نأكل منها كميات أكبر في العادة ويعتبر اللبن مصدرا طيبا للسعرات بسبب ما يحتويه من السكر والدهن والبروتين وبسبب سهولة تعاطيها بكميات كافية . وتوجد كمية معقولة من السكر في الفاكهة الطازجة - والمحفوظة ، ولذلك فهي مصدر طيب للسعرات الحرارية ولكن بدرجة متوسطة . أما الخضر فتتنوع في كمية السعرات الحرارية التي يمكن أن تنطلق منها - فالبعض منها غني في السعرات مثل البسلة والبنجر والجزر والبصل والكوسة ، والبعض فقير في السعرات مثل القرنبيط والطماطم والسبانخ والخس .

وفيما يلي المواد الغذائية التي تعد من الاحتياجات اليومية الضرورية :

١ - اللبن (في أي صورة من صوره) من ٤/٣ الى كيلو .
٢ - اللحم أو الدجاج أو السمك .
٣ - البيض (ويلاحظ أن البيض يمكن أن يكون بديلا للحم والعكس ، ومن المستحب أن نعطي الطفل كلاهما) .
٤ - الخضروات الخضراء أو الجافة مرة أو مرتين في اليوم على أن يكون أحدهما خضراء .

٥ - الفاكهة بمعدل مرتين إلى ثلاث مرات . على أن يكون نصفها على الأقل في صورة طازجة ويتضمن ذلك عصير البرتقال (الزيادة من الفاكهة ممكن أن تحل محل الخضر الطازجة) .
٦ - الخضر النشوية مرة أو مرتين في اليوم .
٧ - الخبز المصنوع من الحبوب الكاملة والبسكويت وحبوب القمح المقشور وذلك مرة إلى ثلاث مرات يوميا .
٨ - فيتامين د (سواء من اللبن أو في صورة نقط) .

الفصل السابع

مراحل النمو

مقدمة

عندما يقسم المؤرخون التاريخ إلى فترات محددة زمنيا - إنما يقومون بذلك لأسباب عملية . وأحيانا ما تكون الأزمنة دقيقة ولكن كثيرا ما يقدمون تقدارات تقريبية . فمثلا أعتبر عام ١٥٠٠ نهاية للعصور الوسطى . وكل الأحداث التي تلت هذا التاريخ اعتبرت بدايات للتاريخ الحديث . ويمكننا أن نضع تواريخ أقل أو أكثر دقة للمكتشفات التي ظهرت أو الأحداث السياسية الهامة ولكن لا يمكننا بسهولة أن نحدد متى يبدأ التغير في أسلوب حياتنا ، ونفس الأمر بالنسبة للعادات والمعتقدات .

وحياة الإنسان تتكون من وحدة واحدة - وتتم عملية النمو من الداخل للخارج أي أن الإنسان ينمو نموا داخليا كليا ومستمرا في سنى حياته المتتابعة حتّى يقف عند مرحلة معينة يصل عندها الفرد إلى تكوينه النهائي .

وعملية تقسيم نمو الإنسان إلى مراحل عملية صعبة وذلك لصعوبة وضع حدود واضحة بين كل مرحلة وأخرى ولتداخل هذه المراحل فيما بينها ، فكل مرحلة تتداخل وتتأثر بما قبلها من مراحل كما أنها تتداخل وتؤثر فيما بعدها من مراحل وتعد لها .

ونحن نقوم بعملية تقسيم فترة النمو إلى مراحل لتسهيل دراستها علميا وعملياً . إنّنا نلاحظ خلال سنوات النمو المختلفة وجود تغيرات هامة تشمل جميع جوانب شخصية الطفل ، كذلك فإنّ بعض هذه التغيرات تظهر آثاره بوضوح في فترات معينة من العمر تختفي لتظهر بعدها تغيرات من نوع آخر مما يدفعنا باستمرار إلى تعديل أسلوب معاملتنا للأطفال طبقا لمرحلة النمو التي يمرون بها.

إننا في تقسيم النمو إلى مراحل نختار تلك الأحداث التي نعتبرها هامة بالنسبة للنمو في سن معينة ونعتبرها محددات لمرحلة معينة من مراحل النمو أو التغير في أبعاد النمو . إننا في دراستنا للنمو الإنساني إنما ندرس السلوك البشري وكيف تتطور الوظائف النفسية المختلفة على مدى حياة الإنسان ـ هادفين من ذلك إلى تحديد أفضل الشروط البيئية الممكنة التي تؤدي إلى أحسن نمو ممكن واكتساب أنجح أساليب السلوك والتكيف الإجتماعي .

ولذا فنحن نهدف من تقسيم النمو الى مراحل الى أمرين :
الأول : فهم العوامل الهامة التى تتحكم في أساليب سلوك الطفل في سن معينة .
الثاني : الملائمة بين خصائص الطفل النفسية والعقلية والمزاجية) وبين ما يتطلبه من تعليم وحياة اجتماعية .

وهناك عدة تقسيمات لمراحل النمو ، مهما اختلفت الأسس التي تقوم عليها فإنها تقسيمات اعتبارية هدفها تسهيل الدراسة للوصول إلى قيم عملية وعلمية يمكن الإستفادة بها في عملية تربية الأطفال ةتنمية شخصياتهم . وفيما يلي بعض هذه التقسيمات :

أولا :

- مرحلة ما قبل الميلاد .... من الاخصاب حتى الولادة
- مرحلة المهد .... من الميلاد وحتى نهاية السنة الثانية

- مرحلة الطفولة المبكرة .... من الثالثة وحتى نهاية الخامسة
- مرحلة الطفولة المتأخرة
(مرحلة المدرسة الإبتدائية .... من السادسة الى نهاية الحادية عشر
- مرحلة المراهقة (المرحلة الإعدادية
والثانوية) .... من ١٢ ـ ١٨

ثانيا :

- المرحلة الجرثومية .... من الإخصاب وحتى عمر أسبوعين
- مرحلة الجنين غير المكتمل .... من ٣ ـ ٨ أسابيع
- مرحلة الجنين المكتمل .... من ٨ ـ ٤٠ أسبوع وحتى الميلاد
- مرحلة الوليد .... من الميلاد وحتى عمر شهر (٤ أسابيع)
- مرحلة الرضيع .... من الأسبوع الخامس ـ إلى عام
- مرحلة المهد .... من عام إلى ٦ أعوام
- مرحلة الطفولة المتوسطة .... من ٦ ـ ١٠ أعوام
- مرحلة الطفولة المتأخرة
(أو البلوغ المبكر) .... من ١٠ ـ ١٣,٥ سنة
- المراهقة المبكرة .... من ١٣,٥ ـ ١٦ سنة
- المراهقة المتأخرة .... من ١٦ ـ ٢٠ سنة

ثالثا :

- مرحلة ما قبل الميلاد .... من الاخصاب الى الميلاد (١٠ أشهر قمرية)
- مرحلة الوليد .... الأسبوعان التاليان للميلاد .
- مرحلة المهد .... من الأسبوع الثالث الى سن ٢
- مرحلة الطفولة المبكرة .... من سن ٣ ـ ٥ سنة
- مرحلة الطفولة الوسطى .... من سن ٦ ـ ٨] المدرسة الابتدائية
- مرحلة الطفولة المتأخرة .... من سن ٩ ـ ١١]
- مرحلة المراهقة المبكرة .... من سن ١٢ ـ ١٤ المدرسة الاعدادية
- مرحلة المراهقة الوسطى .... من سن ١٥ ـ ١٧ المدرسة الثانوية
- مرحلة المراهقة المتأخرة .... من سن ١٨ فأكثر التعليم العالي

و لاغراض الدراسة العلمية سنقسم مراحل نمو الطفل طبقا للتقسيم الذي اتفق عليه أغلب العلماء والذي يتمشى في بعض مراحله مع المراحل التعليمية وهو :

- مرحلة ما قبل الميلاد .. .. من الاخصاب وحتى الميلاد
- مرحلة المهد .. .. من الميلاد وحتى سن العامين
- مرحلة الطفولة المبكرة .. .. من سن الثالثة وحتى الخامسة
- مرحلة المدرسة الابتدائية .. .. من السادسة وحتى الثانية عشرة
- مرحلة المراهقة .. .. من الثالثة عشرة وحتى الثامنة عشرة

مرحلة ما قبل الميلاد

إن سلوك الكائن الحي لا يبدأ من الميلاد وإنما قبل ذلك . وكثير من الأمهات تلاحظ حركة الجنين بعد حوالي أربعة شهور من الحمل ، والبعض يلاحظ ذلك من الشهر الثالث . ويعد سلوك الجنين استجابة للظروف الداخلية ، كما قد يكون استجابة للظروف الخارجية . وهناك الكثير من العوامل التي ثبت اثرها على حياة الجنين في بطن الأم ، بل يمتد أثرها في بعض الحالات إلى حياته بعد الميلاد .

الاهتمامات القديمة بالنمو فيما قبل الميلاد

كان الاهتمام قديما بمرحلة ما قبل الميلاد مركزا على أصل الحياة أكثر من نمو الطفل الذي لم يولد بعد . وكان هناك كثير من الأفكار القائمة على التأمل والتخمين عن الكيفية التي يأتي بها الإنسان إلى هذا العالم . فلم يربط البدائيون بين الإتصال الجنسي وميلاد الطفل ، وقامت كثير من النظريات التي ارتبطت بالخرافات والغموض لتفسر عملية الميلاد . وتحدث فلاسفة الإغريق عن الإتصال الجنسي كعملية سابقة للميلاد دائما ، وأن المرأة هي التربة المستقبلة والمنبتة للبذرة القادمة من الذكر .

ولم يتم التعرف على دور المرأة في عملية الإخصاب حتى القرن ١٧ . وخلال هذه الفترة افترض «دى جريف» De Graaf وهو طبيب دانماركي . أن المرأة مزودة ببيضة . وبعدها بعدة سنوات ذكر «فان ليفنهوك» ـ وهو صانع نظارات ـ أن هناك حيوانات صغيرة أو ما هو معروف الآن بالخلايا الجرثومية في السائل المنوي للرجل ، وهو الاسهام الذي يقدمه الرجل بالنسبة للكائن البشري الجديد .

الاهتمامات الحالية بالنمو فيما قبل الميلاد

كانت الاهتمامات العلمية القديمة منصبة على عوامل الوراثة . كيف يرث امكانياته من والديه وأجداده ، وماذا يرث عنهم ·

تحاول كثير من الخرافات أن تفسر تأثير خبرات الأم على الطفل الذي لم يولد بعد ، وقد حول علم الطب اهتمامه إلى ظروف بيئة الجنين التي تؤثر على النمو . وعموما فإن الدراسات الطبية تشير إلى أن بيئة الجنين هامة جدا للطفل بعد الميلاد . بالإضافة إلى ذلك يكشف العلماء أن نمط نمو الطفل بعد الميلاد يتأثر إلى حد كبير بالبيئة التي عاش فيها قبل الميلاد . فما الذي يحدث للجنين Fetus في داخل الرحم Womb وفي عملية الميلاد ـ وملائمة التغذية الرحمية ، وفرصه الطيبة أو السيئة عند الميلاد بالنسبة للعدوى أو الضرر ـ وكل هذه الأمور تبين دائما مدى أهمية البيئة الداخلية كأهمية الوراثة .

والاهتمامات الأخيرة التي تركزت عليها البحوث العلمية فيما يختص بالنمو الجنيني كانت تأثيرات اتجاهات الناس المهيمنين على الطفل خلال سنوات حياته الأولى ، هذه الاتجاهات وخاصة اتجاهات الوالدين والأشقاء تتكون قبل أن يولد الطفل .

وكثيرا ما تنشأ خلال خبرات طفولة الآباء ـ وعندما تتكون فانها تميل للاستمرار والتأثير على أسلوب معاملة الوالدين للطفل . كما أنها تؤثر على

الاستجابات الوجدانية للأم خلال فترة الحمل . وهذه بدورها تؤثر على المحتوى الكيماوي لدمها والذي يؤثر بالتالي على جنينها .

كيف تبدأ الحياة

تبدأ الحياة عندما يتم الاخصاب ـ أي الوقت الذي تخصب فيه الخلية التناسلية للأنثى وهي البويضة بواسطة الخلية التناسلية للذكر وتسمى «اسبرماتوزوا» . وتستغرق هذه المدة حوالي ٢٨٠ يوما قبل الميلاد . والفرق بين الخلية الذكرية والخلية الأنثوية يتضح من الجدول التالي :

الفروق الأساسية بين البويضة والحيوان المنوي

البويضة	الحيوان المنوي
ـ تتكون في مبيض الأنثى (في الغدد الجنسية الأنثوية)	ـ يتكون في الغدد الجنسية الذكرية (الخصيتين)
ـ من أكبر خلايا الجسم (قطرها حوالي ٠,١ مليمتر)	ـ من أصغر خلايا الجسم (قطرها حوالي ٠,٠٥ مليمتر)
ـ كروية الشكل	ـ مستطيل وله ذيل شعري دقيق
ـ يحتوي على مح لتغذية الكائن بعد الاخصاب .	ـ لا يحتوي على مح مما جعل حجمه صغيرا
ـ ليست لها أي وسائل للحركة. وتعتمد حركتها على حركة الانقباض التي تقوم بها الأجزاء المحيطة بها .	يتحرك بواسطة ذيل هدبي .
ـ بيضة واحدة كل دورة شهرية (٢٨ يوم)	ـ عدد مئات من الملايين من الحيوانات المنوية تتكون كل ٤ ـ ٥ أيام
ـ تحتوي البويضة الناضجة على ٢٣ كروموزوم عادي	ـ نصف عدد الحيوانات المنوية الناضجة يحتوي على ٢٣ كروموزوم عادي وكروموزوم واحد مفرد وهو الكروموزوم الجنسي .

وقبل أن يحدث الأخصاب فان البويضة والحيوان المنوى يجب أن يمران بعملية نضج . وهي عملية خاصة في تحديد ما سيكون عليه التكوين الوراثي في الكائن الجديد .

النمو في مرحلة ما قبل الميلاد

يحدث الإخصاب باختراق الحيوان المنوي للغشاء المحيط بالبويضة واتحاد كروموزومات كل منهما . وهناك وقت محدد فسيولوجيا لإتمام هذه العملية . فلو حدث الاتصال الجنسي بين الذكر والأنثى قبل حدوث عملية التبويض ، أو بعد انخفاض معدل افراز هرمون البروجسترون وضعف قدرة جدار الرحم على استقبال البويضة المخصبة فإن الحمل لا يتم . ولنفرض أن التوقيت كان صحيحا . ويحدث الاخصاب عادة بعد ٤ ـ ٦ ساعات من دخول الحيوان المنوي واختراقه للبويضة . ويحدث الإخصاب في قناة فالوب ، حيث أنه على الحيوان المنوي أن يقطع الرحلة خلال المهبل إلى الرحم إلى قناة فالوب ليقابل البويضة هناك . وهذا يفسر لنا لماذا يحتاج الإخصاب إلى عدد كبير جدا من الحيوانات المنوية يتمكن أقواها من مواجهة كل الصعاب بنجاح ويتم الهدف . وعليه فإن حيوانا منويا واحدا هو المسئول عن الإخصاب ويطرد الآخرون حيث يصبحون مواد تالفة لا لزوم لها .

وبحدوث عملية الإخصاب فإن البويضة المخصبة تسمى في هذه الحالة بالزيجوت Zygote . وتستغرق أول عملية انقسام لهذا الزيجوت ما بين ٢٤ ـ ٣٦ ساعة بعد عملية الاخصاب وتمثل أول عملية نمو بعد الإخصاب . وفي هذا الوقت تكون الكروموزومات قد انتظمت بشكل معين مستعدة لتكوين كائن كامل يحمل تكوينا جينيا معينا سيدخل في عملية النمو .

وينقسم النمو فيما قبل الميلاد إلى ثلاث مراحل أساسية هي :

١ ـ مرحلة الزيجوت Zygote

وتبدأ هذه المرحلة من الاخصاب وانتقال الزيجوت عبر قناة فالوب وزرع نفسه بجدار الرحم وتستغرق حوالي أسبوعين .

٢ ـ مرحلة الجنين الخلوي Embryo

وتبدأ بعد التصاق الزيجوت وامتداد جذوره بجدار الرحم وحتى الأسبوع الثامن حيث في خلال هذه الفترة تتحدد معالم الكائن .

٣ ـ مرحلة الجنين الكامل التكوين **Fetus**

وتمتد هذه المرحلة من الأسبوع الثامن وحتى الميلاد . أي حوالي ٤٠ أسبوعا بعد الاخصاب .

عملية نضج الخلايا التناسلية

عملية النضج هذه تتكون من خطوات تكاثر الكروموزومات خلال انقسام الخلايا . ويوجد داخل كل خلية أنثوية (بويضة) أو ذكرية (حيوان منوى) ٢٣ زوج من الكروموزومات قبل أن تأخذ عملية النضج مجراها . والكروموزوم عبارة عن أشكال خيطية بكل منها أجزاء دقيقة ميكروسكوبية تسمى الجينات . والجينات هي المادة الجسمية التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء حاملة السمات الوراثية . وخلال عمليات النضج ـ تنتظم كروموزومات كل خلية في أزواج عند طرفي نواة الخلية ، ويتكون كل زوج من كروموزوم أتى من الأم والآخر من الأب . وعندما ينفصل الاثنان عن بعضهما يتجه أحدهما إلى أحد الخليتين الجديدتين والآخر إلى الخلية الأخرى . ثم تنقسم الخليتان الناتجتان مرة ثانية ولكن انقساما عاديا في هذه المرة حيث نجد أن العدد الأصلي (وهو نصف عدد الكروموزومات الموجودة في الخلية العادية للإنسان) بين الكروموزومات يظل كما هو .

معنى ذلك أنه بعد تمام عملية للنضج ـ يكون لدينا ٤ خلايا لكل جنس ، وكل خلية جنسية ناضجة بها ٢٣ كروموزوم . وفي حالة الخلية الجرثومية ـ كل من الخلايا الأربعة الناضجة التي نتجت من خلية واحدة لديه القدرة على اخصاب البويضة ، ومن جهة أخرى فإن خلية أنثوية واحدة من الأربع خلايا الناتجة ـ

وهي التي تحتوي على أكبر حجم من المح - يكون لها القدرة على أن تخصب - أما الخلايا الثلاث الباقية والمسماة Polar bodies فإنها تمتص وتنتهي .

الاخصاب

في حالة الاخصاب العادي - تكون البويضة في احدى قناتي فالوب في طريقها من المبيض إلى الرحم . وكنتيجة للاتصال الجنسي يوضع عند فتحة الرحم عددا ضخما من الحيوانات المنوية وتتخذ طريقها تجاه قناة فالوب ، ويجذبها إلى البويضة قوة هرمونية قوية تشدها إلى داخل القناة (فالوب) . وبعد دخول الحيوان المنوي إلى داخل البويضة يتغير سطح البويضة بحيث لا يتمكن حيوان منوي آخر من اختراقها . ويصبح الاخصاب تاما عندما يتم الاتحاد مع حيوان منوي واحد . وعندما يخترق الحيوان المنوي جدار البويضة تتقارب نواة كلا من الخليتين ثم يتكسر الغشاء المحيط بكل منهما ثم تتحد النواتان . وتكون الخلية الناتجة بهذا مكونة من ٢٢ زوج من الكروموزومات نصفها أتى من خلية الذكر والنصف الآخر من خلية الأنثى .

فمن الوالدين يستقبل الطفل اتحادا جديدا بين جينات كل منهما . وهذا الاتحاد مكون من جينات استقبلها الوالدان أنفسهما من أبائهما اللذان بدورهما استقبلاها من آبائهما . بعض الكروموزومات التي يتلقاها الطفل من كل من الوالدين قد يأتي من أحد أو كلا أجداد الوالدين في هذه الأسرة . وكنتيجة لذلك قد تكون لدى الطفل كثير من السمات الموجودة في أحد أو كلا الوالدين ، وأيضا قد يشبه أحد أجداده أو أسلافه .

الدور الذي تلعبه الصدفه

لا يوجد لدينا فكرة عملية محددة عن كيفية انقسام أزواج الكروموزومات في المبيض أو الخصية خلال عملية النضج - فيفترض أن الإنقسام يتم إلى حد كبير عن طريق الصدفة فبعد أن يحدث الانقسام قد نجد ٢٠ كروموسوم من الأم وثلاثة

من الأب ، أو ٨ من الأم و ١٥ من الأب أو أي علاقة أخرى . ولهذا السبب فإنه عند اخصاب خلية ذكرية لبويضة الأنثى فمن الممكن والمحتمل أن تورث كثير من سمات الأسرة أكثر من أي سمات أخرى . وهذا يفسر انتقال السمات جيلا بعد جيل .

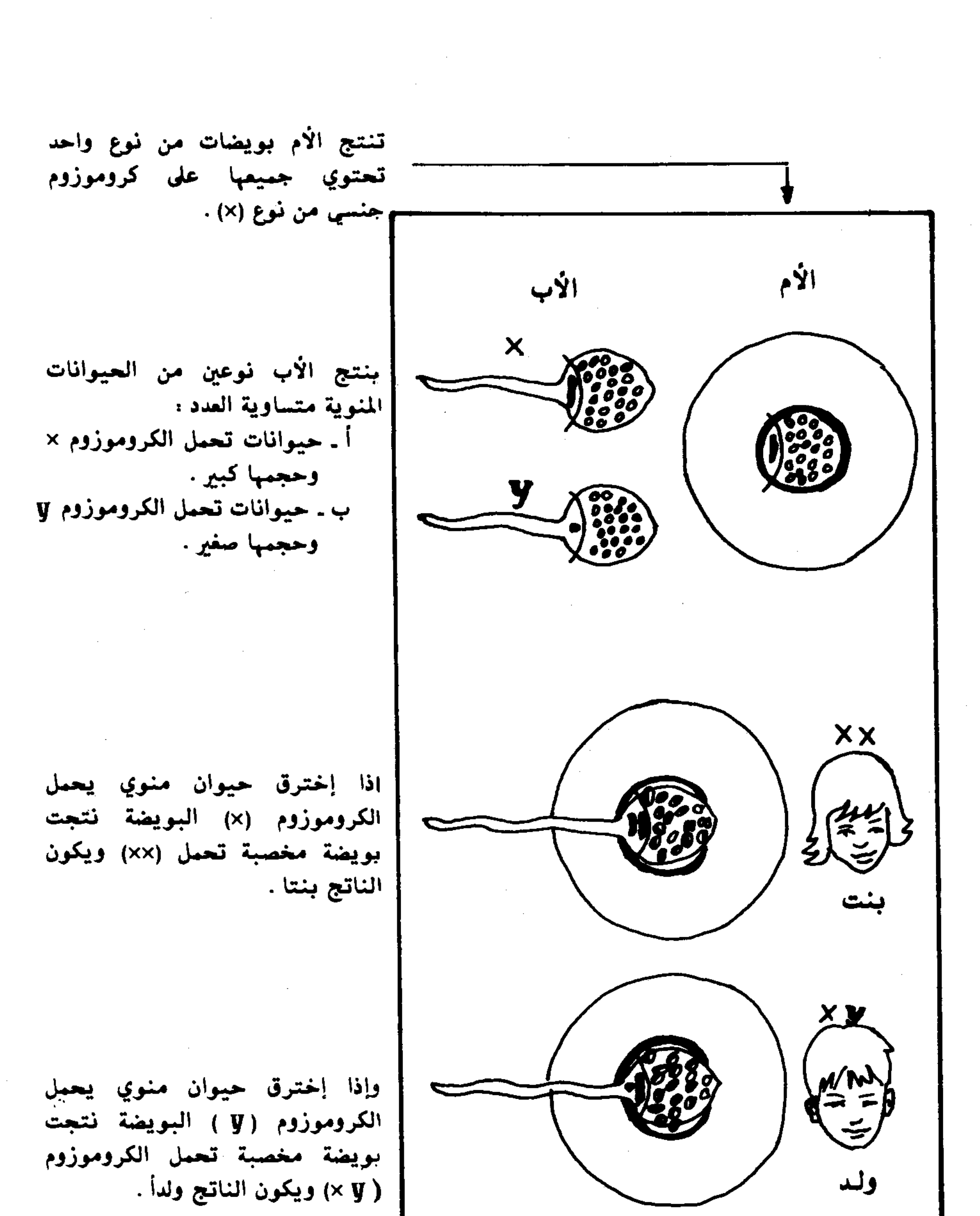
ولقد تأكد أن هناك حوالي ١٦,٧٧٧,٢١٦ توزيعا ممكنا للعلاقات بين الكروموزومات وتحت هذه الظروف يمكن فهم لماذا لا يكون لأطفال الأسرة الواحدة نفس التكوين الجنينى تقريبا.وحيث أن علاقات الكروموزومات ترجع إلى الصدفة فليس من السهل على الفرد أن يتنبأ بأي درجة من الصحة لما ستكون عليه خصائص الوليد العقلية والجسمية .

أهمية الإخصاب :

ان لحظة الإخصاب هي أحد الأوقات الهامة في حياة الشخص حيث تتقرر ثلاث أمور هامة : ما وهب من عوامل وراثية ، وجنسية ، وإذا ما كان سيكون وليدا فردا أو ولادة توامية اخوة . وبسبب الأهمية المرتبطة بنمو الفرد سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة سنناقش كلا من الأمور السابقة بالتفصيل .

الإخصاب والتكوين الوراثي للوليد :

عندما يتحد الحيوان المنوي بالبويضة تتحدد خواص الجنين الوراثية التي توارثها من أبائه وأجداده وأسلافه . كما يؤكد «كولن ، طومسون» **Kuhlen** Thompson ان الجينات التي يزود بها كل فرد ، يحصل عليها عند الإخصاب . وهناك ما بين ٤٠ ألف إلى ٦٠ ألف جين محمولة على كروموزومات خلية الذكر الناضجة ومثلها في البويضة الناضجة . وهذا يعني أن المحتوى الوراثي للوليد الجديد يقع بين ٨٠ ألفا ، ١٢٠ ألفا من الجينات ، كل منها يحمل امكانيات للسمات الجسمية والعقلية . ويمكن تصوير انتقال وراثة الجينات كما في الشكل الآتي :-



يجب معرفة أن الكروموزومات الجنسية لا تتزوج مثل بقية الكروموزومات

يستقبل كل رجل وكل إمرأة عند الإخصاب « ٢٣ » كروموزوما من كل من الوالدين أي « ٤٦ » كروموزوما .

في التزاوج يعطى كل من الأبوين نصف عدد كروموزوماته للطفل .

دور الأب هو مجرد إعطاء نصف عدد الكروموزومات عن طريق الحيوانات المنوية ولا يعني ذلك أن دور الأم يفوقه في ذلك عن الرغم من أنها تقوم بدور الحاضنة المغذية للبويضة .

تمثل الكروموزومات الست والأربعون كل ما تسهم به العوامل الوراثية بالنسبة للطفل .

وبما أن تكوين عدد كبير من الخلايا الجنسية لدى البالغين أكثر مما هو مطلوب ، ولأن كل من هذه الخلايا يحتوي على جينات من كلا الوالدين بأعداد مختلفة ، ولأن كروموزومات كل زوج قد يحدث بها ما يسمى بالعبور Cross - Over أو تبادل بعض أجزائهما معا خلال عملية النضج Maturation-Process فإن الصدفة تلعب دورا هاما في ما يوهب الفرد من عوامل وراثية - كما أن الصدفة أيضا تحدد عدد الكروموزومات التي تصل إليه من الأسلاف سواء من جهة الآباء أو الأمهات . واحتمال الوصول إلى شخص ذو خصائص معينة أي من اتحاد بويضة معينة بحيوان منوي معين . يحدث بنسبة ١ : ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ «ثلاثمائة مليون مليون » . وليس هناك بعد الإخصاب ما يمكن عمله بحيث نضيف أو نأخذ من العوامل الوراثية التي تمّ منحها للفرد . والاعتقاد بأن الأم تعطي للطفل مواهب معينة أو قدرات معينة إذا استقرت في نفس النوع من النشاط خلال شهور الحمل اعتقاد غير صحيح . ولكنها إذا هيىء لها بيئة طيبة لنمو الجنين من خلال العناية الجسمية والإتجاهات الصحيحة فإن الفرص الطيبة من النمو للجينات لتصل إلى أقصى امكانياتها تكون أكثر احتمالا ؛ فحيث نتحكم في البيئة فإننا إلى حد ما نتحكم في الوراثة ، فالوراثة تحدد ما يمكن أن نعمل والبيئة تحدد ما نعمل .

نمو الإمكانيات الوراثية :

بعض السمات الوراثية كلون العين والشعر لا تخضع نسبيا للمؤثرات البيئية وأغلب السمات الوراثية تتأثر بالبيئة ، فالطفل النامي قد لا يصل إلى أقصى ما تسمح به امكانيات الطول إذا حدثت له إعاقة مثل نقص التغذية والضوء ، أو اذا أجبر على القيام بواجبات ثقيلة لا يسمح جسمه النامي بالقيام بها ، أو إذا عانى لفترة طويلة مرض حاد . وفي مجال الإمكانيات العقلية يقرر «تشيرش وستور» Church & Store أن من لديه إمكانية النبوغ قد يجد الهاما يدفعه نحو التحصيل العالي ، ولكنه إذا لم يجد المثيرات المناسبة قد يقف عند حد الذكاء العادي .

وإذا كان على البيئة أن تثير الإمكانيات الوراثية كان عليها أن تكون من النوع الصحيح عندما يحدث النمو عادة ويذكر «مونتاجو» Montago :

إن الجينات لا تعمل في فراغ .. فحدود ما يمكنا عمله تكمن في المحددات الوراثية (الجينات) ولكن البيئة تحدد إلى أي مدى يمكن تحقيق هذه الإمكانيات . وعن طريق التوجيه الذكي للبيئة يمكن أن نحقق الكثير من هذه الإمكانيات .

التأثيرات غير المباشرة للعوامل الوراثية :

إن الفشل في معرفة الحدود التي تقررها الوراثة يجعل كثيرا من الآباء يحاول تشكيل الطفل بصورة ما . فهم يعتقدون أن في امكانهم أن يغرسوا فيه السمات التي يريدون وجودها فيه إذا توفرت له الفرص التي تساعد على النمو . وغالبا ما تكون هذه السمات هي نفسها التي تنقص هؤلاء الكبار ، والتي كان نقصها عاملا معوقا لهم كما يعتقدون . فالأب القصير الذي يرغب في أن يكون ابنه طويلا - قد يدفع الطفل بكل الطرق على أكل الأطعمة التي يعتقد أنها أغذية منمية ، وقد يصر على قيام الطفل بتمارين رياضية تساعد على زيادة امتداد الجسم ، وقد يعد الطفل بأنه إذا اتبع نصائحه ، وقام بدوره في ذلك فسينمو ليصبح انسانا طويلا .

ولقد كشفت دراسات العلاقة بين الاباء والأبناء أن الأطفال يميلون للتشابه مع أبائهم جسميا وعقليا ، أكثر من الاختلاف عنهم . ويزداد هذا التشابه كلما كبر الأطفال . ويفسر الآباء هذا التزايد في الشبه أن الأطفال قد فشلوا في اغتنام الفرص التي أتاحها لهم الآباء . ويؤثر هذا النوع من التفكير على العلاقة بين الطفل وآبائه . ومن الأمور الضارة بالطفل تلك التوقعات الوالدية التي تزيد عن قدرة الطفل حيث تثبط همة الطفل عندما يجد نفسه عاجزا عن الوصول إلى المستويات المتوقعة مما يقلل من مستوى الدافع لإنجاز ما هو قادر عليه فعلا .

الإخصاب وجنس الوليد :

والناحية الأخرى الهامة التي تتحدد بالإخصاب هي جنس الوليد - أي إذا ما كان الوليد سيكون ذكرا أم أنثى . لقد حاول الناس لعدة قرون أن يتنبأوا وأن يتحكموا في جنس الجنين .. فما مدى صحة هذه التنبؤات ؟ ، وما مدى التحكم الذي يمكن للآباء أن يقوموا به ؟

التنبؤ بجنس الجنين :

يقدم « باركر » Parker وصفا جيدا لبعض الأمور الشائعة حول جنس الأطفال قبل الميلاد فيقول : « إن التنبؤ بجنس الجنين كان مشكلة محيرة للآباء الذين ينتظرونه . ورغبتهم القوية في معرفة ذلك وخيالاتهم التى تدور حول هذا الموضوع . والناس البدائيون الملتصقون بالطبيعة دارت أفكارهم حول العناصر المادية للبيئة ووجدوا فيها حلا لمشكلتهم . فالأطفال الذين يبدأ تكوينهم (حملهم) في منتصف الشهر القمرى سيكنون ذكورا . والذين يبدأ تكوينهم في أواخر الشهر القمرى سيكونون إناثا . وقد أرجع الفولكور القديم كل ذلك إلى الوالدين أنفسهما . وإذا ما كانت الأم في حاجة ماسّة للطفل سيكون بنتا ، أما إذا كان الأب هو الذى يريد ذلك بلهفة كان المولود ولدا وإذا حملت الأم طفلها منخفضا في البطن كان الوليد ولدا ، والجنين الذى يتحرك منذ فترة مبكرة ويدفع برجليه في البطن بقوة هو ولد .

وأكثر الوسائل العلمية في التنبؤ بجنس الجنين تتضمن اختبار ضربات القلب . حيث أن ضربات قلب الجنين الذكر أبطأ من الأنثى ، وهناك أيضا إختبار « Smeartest » لتحديد الكمية الموجودة من هرمون الأستروجين والأندروجين ، واختبار « Salviatest » لمعرفة إذا ما كان لعاب الأم يحتوي على مادة كيمائية مرتبطة بالجنين الذكر ، واختبار « Aminiotic Fluid » لتقرير نوع الخلايا الموجودة في الجنين وحتّى الآن لم نصل إلى اختبار صحيح تماما إذ أن كل نتائج هذه الاختبارات نتائج احتمالية .

التحكم في جنس الجنين :

لا حصر للنظريات التي تحدثت عن التحكم في الجنس . فمثلا تلجأ النساء الحوامل في بعض المجتمعات إلى ارتداء أشياء جذابة ، وشرب عقاقير سحرية ، وتقديم القرابين لآلهتهم للحصول على مولود ذكر . وكان هناك اعتقاد قديم هو أن الرجل إذا ذهب إلى سريره ليلا وهو مرتد حذاءه يوم عرسه فإن المولود يكون

ذكرا . وبعض النظريات تؤكد أن الاخصاب بعد الدورة الشهرية مباشرة يؤدي إلى مولود أنثى . ويقول البعض الاخر أن نوع الطعام الذي تأكله الأم خلال الحمل يحدد جنس المولود ويكون الناتج أنثى إذا أكلت الأم كميات كبيرة من السكر . وقد نظر إلى شهر الحمل على أساس أنه أيضا يسهم في تقرير جنس المولود . وهناك اعتقاد بأنه إذا شربت الأم الحامل عقاقير معينة بانتظام أثرت بذلك على جنس المولود . وللحصول على مولود ذكر وجب أن يكون المشروب قاعدي ، وللحصول على مولود أنثى وجب أن يكون المشروب حامضي .

ولم تثبت البحوث العلمية صحة الآراء السابقة ـ كما بينت اكتشافات الكروموزوم الجنسي أن العوامل التي تقرر الجنس عادة عوامل داخلية ، وأن جنس الطفل يتحدد عند الاخصاب . فمن بين الكروموزومات الموجودة في الخلية الجنسية كروموزوم مختلف في خصائصه وبنائه عن الآخرين ، ونفس الأمر في البويضة . هذه الكروموزومات المخالفة تسمى الكروموزومات الجنسية . وهي على نوعين . أحدهما وهي الأكبر حجما تسمى × كروموزوم ، والأصغر (حوالي ١/٣ حجم ×كروموزوم) هو Y كروموزوم . ويحمل نصف عدد الخلايا الجنسية الذكرية الكروموزوم × والنصف الآخر الكروموزوم Y ، بينما تحمل الخلايا الجنسية الأنثوية الكروموزوم × فقط .

وعند الإخصاب يكون هناك × كروموزوم من البويضة و × أو Y كروموزوم من الخلية الذكرية ، فإذا كان الحيوان المنوي الذي يخصب البويضة يحمل Y كروموزوم يكون الانتاج (× Y) وهذا يؤدى دائماً إلى مولود ذكر ، وإذا كان الحيوان المنوي المتحد مع البويضة حاملا للكروموزوم × كان الناتج (× ×) أي أنثى .

نسب المواليد الذكور إلى الإناث :

طبقا لقانون الصدفة فإن عددا متساويا تقريبا من الأطفال من كلا الجنسين يتم حمله . لكن هناك حوالي ١٢٠ ـ ١٥٠ ذكر لكل ١٠٠ أنثى من المواليد ، وسبب هذا

الإختلاف غير معروف رغم وجودة عدة افتراضات تهدف إلى تفسير هذه الظاهرة منها أن الحيوان المنوي الذى يحمل الكروموزوم y المسئول عن الذكورة أكثر دقة في الحجم وأخف في حركته من الحيوان المنوي الذي يحمل الكروموزوم × المسئول عن الأنوثة. ولذلك فإن الحيوان المنوي الذي يحمل الكروموزوم الجنسي y أمامه فرصة أفضل للوصول إلى البويضة واخصابها. هذا على الرغم من أن هذه الحقيقة لم تتأكد تماما.

سبب آخر لزيادة نسبة المواليد الذكور على الإناث افترضها « شنجلد » Scheingeld هى أن الطبيعة الحذرة تبدأ الجنسين بزيادة في الذكور تواجه التناقص في أعدادهم فيما بعد نتيجة للأسباب المختلفة. فخلال فترة ما قبل الميلاد يموت حوالى ٥٠٪ من الأجنة الذكور أكثر من الإناث، وأن لكل ١٠٠ بنت تولد يولد ١٠٦ من الذكور. وهذا يعنى أن من بين الذكور الذين يحملون نجد أن بين ١٥ ـ ٤٥ يموتون قبل الميلاد بالمقارنة بنسبة أقل من ذلك في حالة الإناث.

وفي خلال الأسابيع الأربعة الأولى من الميلاد يموت حوالي ٤٠٪ من الأطفال الذكور، ومن بين الأطفال التي تولد غير كاملة النمو تزيد نسبة الأطفال الذكور التي تموت عن نسبة الإناث بمقدار ٥٠٪. وفي العام الأول من الميلاد تزيد نسبة الأطفال الذكور عن الأطفال الإناث التي تموت بمقدار ٣٣٪، وبين سن ٥ ـ ٩ من العمر ترتفع نسة الوفيات من الذكور على الإناث بمقدار ٤٤٪، وبوصول الطفل الذكر إلى البلوغ يصبح جنس الذكور هو الأقل عددا. ويذكر مونتاجو Montague :

«مهما كانت الأسباب الجسمية التي تؤدي إلى اخصاب عدد أكبر من البويضات بواسطة حيوانات منوية تحمل الكروموزوم ـ فإن السبب التطوري يبدو أنه ما دام الذكر هو الكائن العضوي الأضعف يجب أن يتم حمل عدد منه أكبر من عدد عدد الإناث إذا ما كان الأمر يقتضي ايجاد تناسق أو انسجام رقمي بين عدد أفراد الجنسين خلال الحياة الانتاجية للاناث.

بعض المعتقدات الشائعة حول نسب الذكور الى الاناث :

طبقا للتقاليد تزداد ولادة الذكور في أوقات الحروب أكثر من الإناث ، لكن ليس هناك ما يدعم هذا الاعتقاد . كما أن الاعتقاد القائل بأن الآباء صغار السن يحصلون على ذكور أكثر من الآباء المتقدمين سناً لم تثبت صحته علميا . ويبدو الوضوح في الحقيقة القائلة بعدم وجود علاقة بين جنس المولود وسن كل من الأب والأم ، وأيضاً لا دليل على أن الآباء Stockiness يكون أكثر أطفالهم ذكوراً بينما الآباء الذين يميلون نحو Seaness أميل لأن يكون أكثر أطفالهم من الاناث .

وهناك اعتقاد آخر مؤداه أن بعض الأسر تنجب الذكور أكثر من الاناث أو العكس لقد أظهرت الدراسات الخاصة بالتوزيع الجنسى داخل الأسر المختلفة تزايد وحدة الجنس بين الأخوة في الاسر ذات الطفلين أو الثلاثة (أى يميلون لأن يكونوا من نفس الجنس عادة) .

وتشير بعض الدراسات الاخرى الى أن الرجال الذين يعملون في مهن خاصة بالرجال لديهم فرصة أكبر للحصول على أطفال ذكور أكثر من الرجال الذين يعملون في مهن خاصة بالاناث .

تأثيرات الجنس على النمو :

ان جنس الطفل يؤثر على نموه بصورة مباشرة أو غير مباشرة . فالتأثيرات المباشرة تحدث قبل الميلاد وبعده ، بينما تحدث التأثيرات غير المباشرة بعد الميلاد فقط .

التأثيرات المباشرة :

تنتج الأعضاء التناسلية للأولاد والبنات خلال سنوات الطفولة هرمونات جنسية بكميات قليلة . وهذه الهرمونات الجنسية تختلف في الكمية وليس في

النوع . فمثلاً كلا الجنسين يفرزان هرمون اندروجين Androgen وهو هرمون ذكري ، وهرمون Estrogen وهو هرمون أنثوي ، ونجد أن الذكور تفرز من الأندروجين أكثر من الأناث ـ بينما تفرز الأناث من هرمون الاستروجين أكثر من الذكور . والعامل المهم في التأثير على النمو دائماً هو سيطرة الهرمون الجنسى الملائم لنفس الجنس ، وهو المسئول عن الاختلافات في النمو الجسمى والنفسى بين الجنسين . فاذا انقلب التوازن بين هذه الهرمونات تظهر تنوعات واختلافات تبدو في ميل الأولاد للأنوثة في المظهر والسلوك بينما تتجه الاناث نحو الذكورة وكذلك الحال بالنسبة للبنات اللاتى أزيلت مبايضهن بسبب حالة مرضية .

التأثيرات غير المباشرة :

يقع الطفل منذ أن يولد تحت تأثير ضغوط ثقافية قوية حتى يتطابق سلوكه مع الأنماط الثقافية المقبولة والخاصة بجنسه . فمنذ المهد وهو يلبس كما يلبس أعضاء نفس الجنس ويتوقع منه أن يسلك مثلهم . وخلال الطفولة يتشكل الأولاد والبنات ـ عن طريق الأسرة ثم المدرسة وجماعة الرفاق ثم الجماعة الاجتماعية ـ الى نمط تعتبره الجماعة ملائماً لجنس الطفل .

وفي عملية التشكيل هذه يحرم على الأطفال تلك الفرص التى يمكن أن يتعلموا منها أنماطاً غير ملائمة للسلوك المرتبط بجنسهم . فمثلا ـ لا يشجع الأطفال الذكور على اللعب بالعرائس أو لعب البنات ، بينما لا يسمح للبنات الا بفرص ضئيلة للقيام بألعاب خاصة بالذكور . فاذا ما أصر الطفل على تفضيل الألعاب التى يقوم بها أفراد الجنس الآخر نبذه أقرانه ، وكذلك أفراد الجنس الآخر الذى يقلد سلوكهم . وفي أى سن لا يقبل من الفرد أن يقوم بسلوك غير ملائم لجنسه .

ومن أهم التأثيرات التى يتعرض لها الطفل اتجاهات وطريقة معاملة الناس المهمين لديه كالوالدين والأشقاء والمدرسين .. وهذه الاتجاهات بدورها تؤثر على

معاملتهم للطفل . فاذا كان الطفل ينتمى للجنس المرغوب فيه نجد أن الآباء يميلون لابداء رضاهم باظهار تساهلهم معه . فاذا كان من الجنس غير المرغوب فيه من الوالدين ، فإن كثيراً من الآباء يلجأون اخفاء لمشاعر الذنب الى ان يعوضوا الطفل بالمبالغة في التساهل . ويبدى آخرون خيبة أملهم بالبحث عن شقيق للطفل من الجنس المخالف . وآخرون يحاولون تشكيل الطفل في النمط المرغوب للطفل من الجنس الذى كانوا يودونه .

الاخصاب وعدد المواليد :

سواء أتى الميلاد بطفل واحد أم بعدد من الأطفال ، فان ذلك من الأمور الهامة التى تحددها لحظة الاخصاب وتشير كلمة الميلاد المتعدد Multiple birth الى ميلاد طفلين أو أكثر خلال عدة ساعات أو يوم وهو ما يطلق عليه بولادة التوائم . والطفل المفرد الذى ولد وحيدا دون توائم قد يكون له أشقاء أخوة أو اخوات ـ ولكن تفصله عنهم ٩ أشهر على الأقل .

وليس لعمر الأم تأثير على انجاب التوائم الناتجة من انقسام بويضة واحدة ؛ فحتى سن ٣٨ سنة يحتمل أن تنجب الأمهات توائم من أكثر من بويضة ويقل هذا الاحتمال بسرعة بعد هذه السن . ويزداد احتمال انجاب التوائم عشرة مرات لدى الأم التى سبق أن أنجبت توائم عن الأم التى لم يسبق لها انجاب توائم . وعلى عكس ما هو شائع فانه لا يوجد ما يؤكد أن بعض الأسر تنَجب التوائم دون غيرها ـ كما أنه ليس هناك دليل واضح على أن الطقس أو المؤثرات الموسمية ذات تأثير على انجاب التوائم .

الاتجاهات الاجتماعية نحو ولادة التوائم :

ينظر للتوائم بين بعض الناس على أنها بشرى طيبة يترتب عليها شرف خاص ومميزات خاصة . والبعض الآخر ينظر الى الميلاد المتعدد على أنه نذير شر لأن الأطفال يموتون عند الميلاد . ومن التقاليد الشائعة بين بعض قبائل الكونغو اعتبار التوائم ضحايا بريئة للأم الشريرة . والأطفال لا يضارون أو يحتقرون

ولكن طبيب القرية يلعن الأم التعيسة ويأمرها أن تعلن عن جريمتها بدهن وجهها بالرماد كلما ظهرت أمام العامة .

وفي كينيا ترى الأمهات أن ارضاع طفلين في وقت واحد يدمر صحتهن ، ولذا يتركن أحدهما يموت جوعا . وفي حالة التوائم المختلطة (ذكر وأنثى معاً) تستبقى البنت عادة لأنها ستكون مصدرا للمال عندما تتزوج .

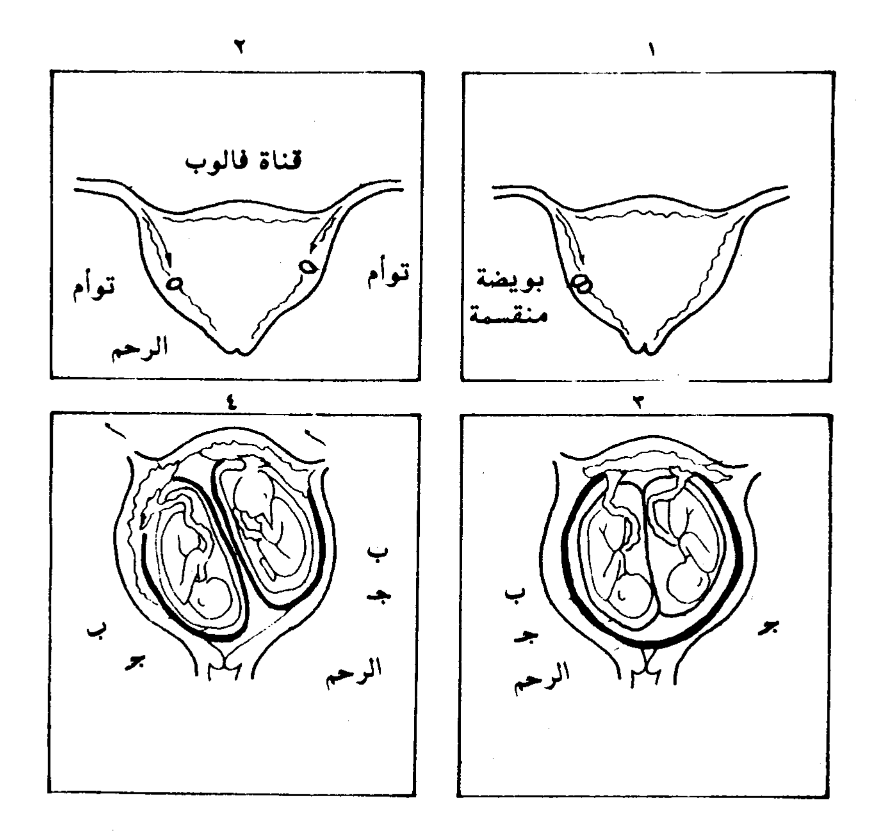
وحتى في أيامنا هذه ينظر بعض الناس الى الميلاد المتعدد (التوائم) على أنه شئ أشبه بالحيوانات ، بينما يعتقد آخرون أن التوائم مهما كانت أعدادها تعد ذات خصائص وراثية مميزة ، كما ينظر آخرون الى التوائم باعتبارها أموراً تستحق الدراسة العلمية.وفي الثقافات التى تضع الذكور في مكانة أفضل من البنات يعطى الولد الفرصة للحياة اذا ما كان هناك اختيار بين الذكر والأنثى في حالة التوائم . وبسبب النظر الى البنت على أنها أقل من الولد في بعض البلاد ، فان التى تحصل على توائم ذكور تكون في وضع أفضل من التي تحصل على توائم اناث .

أنـواع التـوائم :

هناك نوعين أساسيين من التوائم : توائم متماثلة Identical أى وحيدة البويضة ـ وهى توائم نتجت من بويضة واحدة مخصبة بحيوان منوى واحد . والنوع الثانى يسمى التوائم غير المتماثلة أى الناتجة من بويضتين أو التوائم الأخوية الناتجة من اثنين أو اكثر من البويضات المخصبة في آن واحد .. ويقال ان ربع عدد التوائم التى تحدث نتجت أصلا من بويضة واحدة فقط .

ونسب حدوث التوائم كالتالى :

التوائم الزوجية	تحدث بمعدل	١ : ٨٧	حالة ولادة
التوائم الثلاثية	» »	١ : ٧٫٥٦٩	» »
التوائم الرباعية	» »	١ : ٦٥٨٫٥٠٧	» »
التوائم الخماسية	» »	١ : ٥٧٫٢٨٩٫٧٦١	» »
التوائم السداسية	» »	١ : ٤٫٩٨٤٫٢٠٩٫٢٠٧	» »



التوائم المتطابقة والتوائم الأخوية

١ ـ التوائم المتطابقة ـ إنقسام البويضة يتم بعد الإستزراع وينمو التوأمان بمشيمة واحدة .

٢ ـ التوائم المتآخية ـ تصل البويضات الى الرحم كل على حده .

٣ ـ أ ـ مشيمة واحدة ، ب ـ كيس خارجي واحد ، جـ ـ كيس داخلي لكل توأم .

٤ ـ أ ـ مشيمتان مستقلتان ، ب ـ كيسان خارجيان مستقلان
جـ ـ كيسان داخليان مستقلان

التوائم المتماثلة : Identical Twins

عندما تخصب بويضة واحدة بحيوان منوي واحد ، يحدث احياناً عند أول انقسام لها أن تنفصل الخليتان الجديدتان بدلاً من بقائهما متصلتان . ولا أحد يعرف سبب هذا الانفصال وان كان البعض يرى أنه قد يكون نتيجة لاضطرابات هرمونية ، وهناك اعتقاد غير مؤكد بأن البويضة تحمل ميلا وراثيا للانقسام .



بويضة واحدة

حيوان منوى واحد
تنقسم البويضة
المخصبة الى
خليتين



تنفصل الخليتان

نفس المشيمة وعادة
ما يكونا ولدان
أو بنتان

ومهما كانت اسباب الانفصال فانه اذا حدث قبل انقسام التكاثر خلال عملية النضج أدى الأمر الى تكوين بويضتين مخصبتين ، والتوائم الناتجة منهما تكون توائم متماثلة . فلكل منهما نفس الجينات .. وبسبب التشابه الوراثى التام بينهما ـ نجد أن التوائم المتآخية تشبه بعضها تماماً في كل خواصها الوراثية وعادة ما يكونان من نفس الجنس .

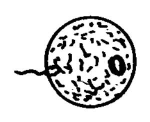
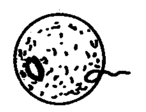
واذا لم يحدث انفصال تام بين الخليتين المنقسمتين نتج ما نسميه «التوائم السيامية » Siamese Twin وهى عادة من نفس الجنس كالتوائم المتماثلة الاخرى والتشابه بينها تام في النواحى الجسمية والخصائص العقلية ولكنها ملتصقة في مكان ما من الجسم .

التوائم غير المتماثلة «المتآخية»

عادة ما تتكون بويضتان في آن واحد ويتم اخصابهما في نفس الوقت . ولا

يكون الفردان الناتجان من هاتان البويضتان متماثلان ويسميان توائم متآخية .. ومعنى ذلك أنها ينقصها التشابه في الخصائص الوراثية الجسمية والعقلية .

وعندما تنقسم كروموزومات البويضتين ، فان تجمع الكروزومات في كلتا البويضتين لا يكون متشابها . فقد تستقبل عددا من الكروموزومات عن طريق جد الأم ، وتأخذ الخلية الأخرى عددا أكبر أتى اليها من جد الأب . كما أن البويضة تخصب عن طريق حيوان منوى واحد له كروموزماته المختلفة عن الآخر . وقد تكون التوائم المتآخية من نفس الجنس وقد تكون من جنسين مختلفين .

خصائص التوائم :

١ ـ التشابه في الخصائص الجسمية ـ التوائم المتماثلة أكبر تشابها من التوائم غير المتماثلة التى عادة ما يكون بينها قليل من التشابه كما هو الوضع بين الأخوة العاديين . وحتى في مرحلة الكبار ،
وعلى الرغم من الفروق البيئية الملحوظة يظهر التشابه الملحوظ بين التوائم المتماثلة في لون الشعر ونعومته ، والضعف وتجعد الجلد وضعف الاسنان .

٢ ـ التشابه في الخصائص العقلية ـ كما تكشف ذلك اختبارات الذكاء والاختبارات التحصيلية ، فان ما يدهش له الانسان هو ذلك التشابه الكبير جدا بين التوائم المتماثلة أكثر من المتآخية . وقد وجد أن هذا التشابه الكبير يستمر حتى بعد سن ٦٠ من العمر . كما وجد أن التشابه في القدرات العقلية الخاصة كبير جدا بين التوائم المتماثلة ، في قدرات

أخرى مثل القدرات الموسيقية والجسمية (الرياضة) ، أما في القدرة الميكانيكية حيث المؤثرات البيئية قوية فقد وجدت درجة أقل من التشابه وفي القدرة اللغوية ـ وجد أن التوائم في سنواتهم الأولى متأخرون بالمقارنة بالطفل الفردى · وهذا التأخر لا يرجع كثيرا الى الفروق العقلية بل الى كون التوائم يكونون لأنفسهم لغة خاصة غالبا مالا تكون مفهومة من أعضاء الأسرة ·

التوائم والنمو الاجتماعى :

يقضى التوائم المتماثلة أكثر أوقاتهم معا ، مما يجعل أكثر ميولهم مشتركة ، كما أنهم أكثر ميلا للاكتفاء الذاتى اذا ما وضعنا في الاعتبار الرفقة والصحبة وذلك أكثر من التوائم غير المتماثلة أو الأشقاء · فهم يتمتعون سويا بشهرة متشابهة بين أقرانهم ويبدو عليهم تشابهاً ملحوظا في المهارات الاجتماعية

كما تقيسها مقاييس النضج الاجتماعى وحتى قبل سنوات المدرسة يتنافس التوائم لجذب انتباه الآخرين · ويكاد كل منهما أن يكون نسخة مطابقة من الآخر ويبدى مشاعر مشابهة نحو الاخرين · وبينما يزداد تفاعلهم باستمرار مع الآخرين باستمرار نموهم ، فان تفاعلاتهم الاجتماعية مع الآخرين قليلة عما هو ملحوظ مع الطفل الفردى فيما قبل سنوات المدرسة ·

التوائم ونمو الشخصية :

يؤثر الاتصال الوثيق والاعتماد المتبادل بين التوائم على تكوين شخصياتهم · ومن الصعب على التوائم المتماثلة خاصة أن يميزوا بين أنفسهم كتوائم أو كأفراد · وهذا الأمر لا يساعد على تنمية فرديتهم الشخصية · ويترك التنافس والعداء علامات واضحة على علاقات التوائم حيث يميل أحدهما لأن يسيطر على الآخر ، والتوأم المسيطر ينمى نمطا من الشخصية مختلفا عن التوأم الخاضع ·

فروق النمو بين الطفل الفردى والتوائم :

سواء كان الطفل فردى الميلادى أو متعدد ـ فان لكل من الحالتين تأثير على النمو سواء قبل الميلاد أو بعده فالأطفال التوائم المتماثلة في الميلاد المتعدد لهم امكانيات جسمية وعقلية واحدة ، وبالتالى تكون فرديتهم أقل حتى مع اختلاف بيئتهم بعد الميلاد ـ وذلك أكثر من الأطفال غير التوائم غير المتماثلة أو الفرديين . هذه الفروق ترجع الى ثلاث مؤثرات هامة هى : بيئة ما قبل الميلاد ، بيئة ما بعد الميلاد واتجاهات الوالدين .

تأثير بيئة ما قبل الميلاد :

تختلف بيئة التوائم قبل الميلاد عن بيئة غير التوائم في نواحى هامة . فالأطفال التوائم المتعددة عادة ما يتجمعون في مكان أصلا معد لفرد واحد . وكنتيجة لذلك فقد يكون واحد من الأجنة في وضع غير طيب بالنسبة للآخرين . وأهمية هذا التزاحم أنه في غالبية الأحيان يولد الأطفال التوائم المتعددة ناقصى التكوين لان الرحم غير قادر على التمدد أكثر من قدرته ، الى جانب أن الكثير من الاعاقات الجسمية والنفسية يشيع بين التوائم أكثر من الأطفال العاديين .

تأثير بيئة ما بعد الميلاد :

تختلف أيضا بيئة التوائم المتعددة عن بيئة الطفل الفردى الميلاد بعد الولادة فالأطفال التوائم يأخذون من وقت الآباء وانتباههم الكثير . فاذا كان أحدهم ضعيفا فانه يحصل على نصيب الأسد من الرعاية ، وقد يشعر اخوته بأن الوالدين يميزانه عليهم . كما أن الطفل الضعيف عادة ما تكون شخصيته ذات نمط تابع وليست قيادية ، بينما الطفل الأقوى يتعلم أن يلعب دور القائد . الى جانب ما سبق فان التنافس والعداء والرفض والكراهية تزداد اذا ما شعر الطفل بأن الوالدين يميزان بين الأطفال وبعضهم . وقد تنمو لدى الطفل الضعيف مشاعر العجز والاعياء ، أما الطفل الأقوى فقد يشعر بأن والديه يتعصبان ضده . وبصرف النظر عن تلك العلاقات الأخوية غير الطيبة تزداد علاقات المحبة قوة

كلما ازداد نمو الأطفال التوائم كما هو الوضع في حالة الطفل الوحيد بين اخوته الاكبر منه ٠

وهناك اعتقاد بأن الأطفال الذين اشتركوا معا في بيئة الرحم الداخلية يجب أن يشتركوا أيضا في البيئة الخارجية بعد الميلاد ـ ولذلك فهم يوضعون معا باستمرار ويتوقع لذلك أن يلعبوا معا وأن يشتركوا في اللعب والأصدقاء ويلبسون زياً متشابهاً سواء كانوا أو لم يكونوا من نفس الجنس ٠

وهناك العديد من المخاطر في تلك المرحلة نذكر منها :

- هناك خطر موت البويضة حتى بعد اخصابها وقبل ان تزرع نفسها في جدار الرحم فاذا لم يكن الانقسام سريعا بسبب نقص هرمونى بغدد الأم الدرقية والنخامية ـ أدى ذلك الى استهلاك البويضة المخصبة لكل كمية المح الموجودة بها والتى تمكنها من الاستمرار لفترة محددة قبل ان تزرع في جدران الرحم وتحصل على مصدر آخر للغذاء ٠
- ومصدر آخر للخطر هو اختلال التوازن بين الغدة النخامية للأم والمبيضين الأمر الذى يؤدى الى بطء استعداد جدار الرحم لأن يستقبل البويضة المخصبة واذا حدث ذلك فان البويضة لا يمكنها أن تزرع نفسها ـ مما يؤدى الى موتها جوعا ٠
- ولأسباب لم يتم تفسيرها طبيبا قد تزرع البويضة نفسها في مكان حيث لا يمكنها أن تحصل على الغذاء اللازم لبقائها حية ٠ فقد تلصق نفسها بجدار قناة فالوب حيث لا يمكنها أن تتغذى أو أن تجد المسافة والاتساع الكافي للنمو ٠ واذا لم تمت يجب أن تزال جراحيا ٠

تأثير اتجاهات الـوالدين :

تبدو اتجاهات الوالدين نحو التوائم من خلال سلوك الآباء الذى يؤثر بطريقة غير مباشرة على نمو الأطفال ٠ ولا ينظر للتوائم هذه الأيام نظرة أسى ـ بل نظرة فخر وإعجاب ، وينظر بعض الآباء الى التوائم على أنها زيادة في المصاريف وزيادة في الأعباء ٠ واذا ولد الأطفال ناقصى النمو فستكون الأعباء أكثر سواء

في الجهد أو المال . فالعناية بثلاثة أطفال في وقت واحد أمر صعب خاصة اذا ما كانوا في سن واحد وخلال السنوات الأولى من العمر ـ الأمر الذى يؤثر على الوالدين وعلى علاقتهما بالأطفال . وأحد المشاكل الصعبة الشائعة التى يواجهها آباء التوائم هى أعاقة النمو Developmental, Lag فبعض الآباء يحاولون دفع الطفل المتخلف في نموه الى مستوى العاديين الذين في نفس سنه ، البعض يخجل من هذا الطفل وينبذه ، سواء مباشرة باظهار قليل من الحب والفهم له ، أو بطريقة غير مباشرة بتفضيل طفل آخر عادي عليه . ويصبح آباء آخرون أكثر حنانا وتدليلا لهذا الطفل ، وبذلك يحرمون الطفل من فرص ودوافع النمو الى الحدود التى تسمح بها امكانياته . وعموما فان العلاقات التى من هذا النوع تعد علاقات غير صحية ، وأساليب المعاملة غير مرغوبة أو سوية .

نمـــو الجنـين :

بمجرد اخصاب البويضة بحيوان منوى يبدأ النمو . وتصل الزيادة على مدى ٩ أشهر قمرية من خلية واحدة ميكروسكوبية صغيرة الى حوالى ٢٠٠ بليون خلية . ومن خلية واحدة لا قوة لها الى طفل يتكون من عظام وعضلات وجلد وأعضاء داخلية وجهاز عصبى كلها على استعداد للعمل عند الميلاد وحتى قبله .

ويمكن تقسيم مرحلة ما قبل الميلاد الى ١٠ شهور قمرية كل منها ٢٨ يوماً . ويتطابق ذلك مع فترات الدورة الشهرية عند الأنثى . وتنقسم هذه الفترة الى ثلاث فترات رئيسية واضحة من النمو هى :

مرحلة البويضة ـ مرحلة الجنين الخلوى غير المكتمل Embryo
(المضغة) مرحلة الجنين الكامل Fetus

(١) مرحلة البويضة :

وتمتد هذه الفترة من الاخصاب وحتى نهاية الأسبوع الثانى حيث تتميز بالآتى :

أ ـ لا تغير واضح في الحجم بسبب نقص مصدر الغذاء الخارجى .
ب ـ نمو داخلى سريع .
جـ ـ زرع البويضة في جدران الرحم حوالى ١٠ أيام بعد الاخصاب .
د ـ تسمى البويضة بعد التصاقها بجدار الرحم بالزيجوت «العلقة» .

(٢) مرحلة الجنين غير المكتمل :

تمتد هذه الفترة من نهاية الاسبوع الثانى للاخصاب وحتى نهاية الشهر الثانى القمرى وتتميز بالآتى :
أ ـ تبدأ كل المظاهر الداخلية والخارجية الهامة في النمو والعمل .
ب ـ نمو الأعضاء الجنسية بدرجة واضحة بحيث يمكن تمييز أجنة الجنس .
جـ ـ في نهاية المرحلة ـ تصل أبعاد الجنين الى ٢ بوصة في الطول ويزن حوالى أوقية .
د ـ تنمو الأجهزة المساعدة كالمشيمة والحبل السرى والحوصلة الأمنيوسية .

وتعد المرحلة من اكثر مراحل النمو صعوبة ومشقة . وهناك مجموعة من العوامل يمكن أن تفصل الجنين عن مكان التصاقه بجدار الرحم مثل : الصدمات الانفعالية ، سوء التغذية ، اضطرابات الغدد وأسباب أخرى لم تتحدد بعد . والعوامل المعطلة للنمو من هذا النوع تسمى العوامل التلقائية Spontaneous-oborieus . فاذا كانت معطلات النمو متعلقة بعيب في البويضة المخصبة حدثت المعطلات في فترة مبكرة من المرحلة الجنينية غير المكتملة . أما اذا كانت متعلقة ببعض العوامل الاخرى غير المرغوبة في البيئة الجنينية فانها عادة ما تحدث في الاسبوع العاشر والحادى عشر بعد الاخصاب . وأكثر الأجنة التى تسقط في هذه الفترة أجنة ذكور .

ومرحلة الجنين غير المكتمل هى الوقت الذى يمكن أن يتم فيه الأجهاض أو نزع الجنين من مكانه بدرجة أكثر من الأمان للأم ، سواء للأسباب الشخصية أو الطبية واذا تأخر الاجهاض فان صحة الأم يمكن أن تصاب بأذى كبير .
والنموات الشاذة يحتمل حدوثها في هذا الوقت أكثر من أى وقت آخر بعد ذلك.

(٣) مرحلة الجنين المكتمل : Fetus

تمتد هذه الفترة من نهاية الشهر القمري الثاني الى الميلاد وتتميز بالآتى :

أ ـ تستمر المظاهر الداخلية والخارجية في النمو والتكوين .
ب ـ يتبع النمو قانون اتجاه النمو Developmental-Direction
جـ ـ تقترب الأعضاء الداخلية في وظيفتها من الأعضاء الداخلية للكبار في الشهر الخامس القمرى .
د ـ بوصول الجنين الى سن ٦ أو ٧ أشهر يكون قابلا للحياة Age of viability
هـ ـ يبدأ نشاط الجنين (الدفع بالرجلين ، والحركة الدورانية kickimg & sguirming الحركي فيما بين سن ٢ ، ٣ من الشهور .

وهي أقل المراحل في متاعبها . ويذكر «جارن» Garn أنه ابتداء من الشهر السادس وحتى الشهر التاسع من الحمل تقل المخاطر ، ويؤدى استمرار تكوين المراحل الأساسية من نمو الجنين الى جعله أقل تعرضا للاضرار وفي هذه المرحلة أيضا فان أى ضرر يصيب النمو العقلى بسبب أى عامل بيئى قد يؤدى الى عيوب تشريحية معينة . كما أن نقص التغذية خلال مدة نهاية الحمل قد يؤدى الى ضعف الاسنان ، عيب في شكل الجبهة والرقبة واضطرابات ملحوظة في السلوك والشخصية في حياة الفرد فيما بعد .

وخلال مرحلة الجنين المكتمل هناك امكانية عرقلة النمو حتى الشهر الخامس من الحمل . وأكثر الأوقات قابلية للأذى أو للمتاعب هى الوقت الذى يحدث فيه عادة الحيض في الحالات العادية (غير الحمل) . كما أن الاجهاض يصبح عملية متزايدة الصعوبة وخطرة كلما مرت الأسابيع .

العوامل المؤثرة على الجنين قبل الولادة :

ان البيئة التى يعيش فيها الطفل قبل الولادة ـ وهى رحم الأم ـ تحدد اذا ما

كان الجنين سيتبع في نموه الجدول الزمنى الطبيعى أم لا . وعادة ما تكون الظروف داخل الرحم مثالية بالنسبة لنمو طفل سليم . أما الاختلاف عن الحالة الطبيعية الملائمة فقد يؤدى الى بعض الاضطرابات . فأى عامل مؤذ يدخل خلال الحبل السرى يمكن أن يؤدى الى اضطرابات في بيئة الرحم . واذا ما دخل هذا العامل المؤذى في وقت معين أثناء الجدول الزمنى للنمو فقد يؤدى الى احداث تغيير مؤقت أو دائم في نمط النمو . وتشير الدراسات العديدة الى أن هناك عدة ظروف ذات تأثير ايجابى على بيئة الجنين وتؤثر على النمو مثل :

١ ـ غذاء الأم :

يتغذى الجنين في بطن الأم عن طريق دم الأم ومن خلال الحبل السرى . ولذا يجب أن يحتوى غذاء الأم على كمية كافية من البروتينات والدهون والكربوهيدرات حتى يمكنها أن تحفظ صحة طفلها سليمة .

كما أن نقص فيتامينات C , B6 , B12 , D , E , k يؤثر على نمط النمو الطبيعى في المرحلة الجنينية .

٢ ـ صحة الأم :

ان الظروف الصحية للأم لها تأثير كبير جدا على الطفل قبل الميلاد ويتضمن ذلك اضطرابات الغدد والأمراض المعدية والزيادة أو النقص الزائد في الوزن .

٣ ـ عامل RH

عدم التوافق بين نوع دم الأم ودم الأب بالنسبة لعامل RH يسبب تدميرا لخلايا الجنين ويؤدى كذلك الى تعقيدات جسمية أو عقلية قد تكون خطيرة بدرجة كافية لاحداث الموت أو الضرر الدائم للطفل .

٤ ـ العقاقير :

قليل ما هو معروف هذه الأيام عن العقاقير ذات التأثير الآمن والأخرى ذات

التأثير الضار على صحة المرأة الحامل وجنينها ، وتنصح الأم الحامل بشدة بألا تأخذ أى عقاقير الا بعد استشارة الطبيب .

٥ ـ أشعة أكس والراديوم :

اذا استخدمت أشعة اكس لأى سبب علاجى أو تشخيصى في فترات الحمل الأولى دمرت الجنين . واذا استخدمت للتشخيص في الفترات الاخيرة فليس لها تأثير على الجنين .

٦ ـ الكحول والتبغ :

تؤثر الكحولات اذا استخدمت بكثرة وبتركيز عال فتدمر النمو الجسمى والعقلى للطفل الذى لم يولد . أما التبغ فهو أكثر المواد تدميراً للجنين عندما تكون الأم مدمنة وتأخذ منه نفساً عميقا . وقد وجد أن تدخين الأم يؤثر على معدل نبض قلب الجنين والمحتوى الكيماوى للدم .

٧ ـ عمر الوالدين :

قبل سن ٢١ من العمر فان جهاز التكاثر الأنثوى يكون غير كامل النضج ولا تكون الهرمونات اللازمة لعملية التكاثر قد وصلت الى أقصى مستواها ، وبعد سن ٢٩ يتناقص النشاط الهرمونى بالتدريج . وليس هناك ما يشير الى تأثير عمر الأب على نمو الطفل في بطن الأم .

٨ ـ انفعالات الأم :

في حالة الضغوط الانفعالية العادية يزداد نشاط الجنين وسرعة القلب . أما في حالة الضغوط الانفعالية الحادة المستمرة فانها تؤدى Blood Borne Anxieties تؤثر على النمو بعد الميلاد كما تؤثر عليه قبل الميلاد .

٩ ـ عدد الأجنة في الرحم (التزاحم في الرحم) :

في حالة التوائم ـ قد يؤدى التزاحم في الرحم الى الحد من نشاط الجنين الذى

يعد أمراً مهما بالنسبة للنمو الطبيعى ٠

حالات النمو الشاذة :

تنسب المحاولات التقليدية لتفسير النموات الشاذة ـ خاصة في حالة سلامة الوالدين وخلوهما من الأمراض ـ بارجاعها الى الوراثة أو لنواحى خاصة بالأم ٠ ويعتقد أن التشوهات أما ترجع الى العوامل الوراثية أو الى الضعف الذى تصاب به الأم ٠ وتشير أحاديث عواجيز السيدات الى أن أفكار الأمهات وانفعالاتهن أو رغباتهن Cravings تقع آثارها أو تترك علاماتها على الطفل الذى لم يولد بعد ٠

أما في الوقت الحاضر فان المعرفة بطبيعة العلاقة بين جسم الجنين وجسم الأم تكذب المعتقدات التقليدية الشائعة حول تأثيرات الأم ٠ والدليل على ذلك أن هناك اتجاهين لتوضيح هذا الأمر :

الأول : أن نفس الأنواع من التشوهات تحدث في أكثر أنواع الحيوانات الأقل من الانسان حيث لا توجد تأثيرات نفسية للامهات بسبب المستوى المنخفض في نمو الجهاز العصبى المركزى ٠

الثانى : ويأتى العامل الثانى من حقيقة أنه لا يوجد اتصال عصبي مباشر بين الأم والجنين ، ويوجد فقط اتصال غير مباشر من خلال الحبل السرى والمشيمة حيث لا توجد أعصاب ولكن أوعية دموية فقط ـ وعليه فان الحالات العقلية والانفعالية أو العصبية للأم لا يمكن أن يكون لها تأثير مباشر من أى نوع على الجنين ٠

وقد كشفت الدراسات العلمية عن نوع جديد من التأثيرات الأموية تتأتى من مادة ضارة موجودة في دم الأم تمر خلال الحبل السرى الى مجارى الدم في جسم الجنين ٠

أسباب النمو غير الطبيعى :

قد ترجع أسباب النمو الشاذ الى :

أ ـ عيوب جينية وراثية وان كان العامل الأهم هو الاضطرابات البيئية في الرحم .

ب ـ الاضطرابات البيئية التى تحدث في نفس الوقت الذى يحدث فيه نمو عضو معين .

العيوب الوراثية :

يمكن أن تظهر العيوب الجينية بوجود بويضة جيدة في بيئة سيئة أو بويضة سيئة في بيئة جيدة ، والاحتمال الأول هو المتوقع . واذا ما وجدت جينات تحمل صفات سيئة فان الطبيعة سوف تتخلص مما هو غير ملائم بواسطة عدم تشجيعه خلال المراحل الأولى من الحمل ، أو بالاجهاض خلال المراحل التالية أو بنزول الطفل ميتا Stillbirth . ولا يرجع كل موت للجنين في المراحل الأولى أو المتأخرة من الحياة الجنينية أو نزول الجنين الكامل ميتا الى النمو الشاذ . ولكن نسبة منها ترجع الى الصدفة.والاجهاض Miscarriage الذى يرجع الى بويضة مخصبة بها عيوب يحدث عادة مبكرا في المرحلة الجنينية ، وعندما تكون البويضة المخصبة طبيعية ، ولكن البيئة التى تمنو بها غير طبيعية فان الاجهاض يحدث متأخرا .

الاضطرابات البيئية :

الاضطرابات البيئية التى تسببها الظروف التى سبق ذكرها ـ مثل تغذية الأم ونقص الفيتامينات وصحة الأم وعامل RH والعقاقير وأشعة × والكحولات والتبغ وسن الآباء وانفعالات الأم والتزاحم في الرحم ـ تلعب دوراً هاماً في احداث النمو الشاذ وخاصة عندما تكون هذه الظروف قوية ومستمرة فتدمر الجنين .

فسوء التغذية العالى واستمراره لدى الأم يؤدى الى نقص عقلى أو شذوذ جسمى في الطفل والنتيجة قد تكون كساح ، عدم استقرار عصبى ، ضعف جسمى عام ، الصرع ، شلل مخى Cerebetal Palcy أو أنواع من العجز العصبى النفسى . وقد يكون استمرار سوء التغذية راجع الى عوامل كالفقر ، الجهل بالقيم الغذائية للطعام أو رغبة الأم في أن تظل رفيعة القوام .

والاضطرابات البسيطة في الغدد ليست خطيرة ، أما النقص الحاد في الدرقية مثلا فقد يؤدى الى ما يسمى بالقصاع ـ القزامة Cretinism وهى حالة لا تنمو فيها العظام والغضاريف وتتضخم البطن وتتدلى ويصبح الجلد خشنا ومجعدا والشعر متكسرا ، والنمو العقلى أقل من العادى .

كما أن اختلال التوازن الحاد في افرازات الغدد يسبب ما يسمى صغر الجمجمة (ضعف عقلى) Microcephely وهو نقص عقلى مصحوب بصغر في حجم الجمجمة ـ أو يؤدى الى المنغولية (مرض داون) ngolism وهى نقص عقلى مصحوب بحول العينين .

وينشأ الاختلال الغددى خلال الحمل من الضغوط الانفعالية الحادة المستمرة فقد لا ترغب الأم في طفل ، أو قد لا تريد طفلا في هذا الوقت بالذات . فالدراسات المختلفة تشير الى أن الضغوط الشديدة على الأم خلال الحمل قد تؤدى الى عيوب جسمية أو عقلية في الطفل ، وأن هذه الضغوط خلال مرحلة الجنين غالبا ما تؤدى الى ولادة غير تامة النمو ، أو ولادة عسرة ، أو ولادة الطفل ميتا .

وقت حدوث الاضطرابات البيئية الداخلية :

هناك فترة محددة وخاصة في جدول النمو قبل الميلاد لتكوين كل عضو من أعضاء الجنين . فاذا ما اختل أمر ما بهذا الجدول الزمنى تغير نظام النمو في الأجزاء المختلفة من الجسم وأدى ذلك الى الحالات غير العادية . وتعتبر الشهور الثلاث الأولى من الحمل أهم فترات النمو وأكثرها حساسية . فخلال فترة الجنين غير المكتمل تتكون كل أجهزة الجسم ، ومنذ الأسبوع الثامن وما بعده .. وهى

فترة تكوين الجنين المكتمل ـ تكتمل التكوينات التى وضعت أسسها قبل ذلك ويوضح جارن « Garn » لماذا تعد الشهور الثلاث الأولى من الحمل أكثر الشهور خطورة وحساسية بقوله : «ان الجنين في هذه الفترة يكون صغيرا ودقيقا وتكون خلاياه سريعة الانقسام وحساسة لنقص الاكسجين وحساسة للسموم والفيروسات . وفي الشهور الثلاثة الأولى تحدث أغلب العيوب التكوينية مثل سقف الحلق المشقوق والشفة المشقوقة (الفم الأرنبى) ، وفقد الأعضاء والعمى والأشكال المشوهة Monstrosities التي نراها عندما يحدث الوضع . فمن الممكن أن يؤثر فيروس واحد على نسيج حساس في فترة حساسة الى نتائج غير طيبة ؛

وذلك كالارتباط بين العته المونغولى واللوكيميا . ومن رحمة الله بعباده أن هذه العيوب لا تحدث في الأغلب الا في الثلاث شهور الأولى ، وأن النمو غير السليم في هذه الفترة عادة ما ينتهى بالموت المبكر ، أن العوامل الوراثية تعمل باستمرار على تنقية نفسها من مثل هذه العوامل الضارة .

ولا يعنى قولنا أن الثلاث شهور الأولى أكثر الشهور حساسية وتعرضا لأية عيوب ، أن حدوث عيوب أخرى قد انتهى ، ان الظروف غير الملائمة فيما قبل الميلاد نادرا ما تؤدى الى نموات شاذة اذا حدثت قبل فترة زمنية معينة من بداية نمو عضو معين أو بعد أن يتكون هذا العضو .

فالحصبة الألمانية وهى مرض عادى يصيب الأطفال ولكن اذا اصيبت بها الأم خلال الشهور ٣ أو ٤ الأول من الحمل يصاب الطفل بالكتاراكت (مرض يصيب العين باظلام العدسة) والصمم وشذوذ في تكوين القلب ، وأسنان شاذة والضعف العقلى والنقص العقلى في مرحلة الطفولة . أما اذا اصيبت بها الأم بعد الشهر الخامس من الحمل فلا تأثير لها على الطفل لأن اجزاء الجسم التى تتأثر بهذا المرض تكون قد تكونت .

وهناك عقاقير مهدئة مثل «الثاليدوميد» الذى ظهر في ١٩٦٠ تبين أن لا تأثير تدميرى له على الجنين اذا استخدم بعد الشهور الثلاث الأولى من الحمل ، أما اذا استخدم خلال الثلاث شهور الأولى سبب شذوذا في نمو الاطراف Phocomelia

حيث تفشل العظام الطولية في الذراع في النمو . وقد تؤدى الى تكوين أشكال بارزة قرمزية اللون كالفراولة على الجلد وخاصة الوجه .

كما أن نقص التغذية الحاد خلال الشهور الأولى من الحمل يسبب كثيرا من أنواع النمو الشاذ . كما ان استمرار الضغوط الانفعالية في الشهور الأولى من الحمل يسبب نشاطا زائدا للغدة الادرينالية للأم ، وزيادة في هرمون الهيدروكورتيزون الذى يسبب بدوره الشفة الارنبية وسقف الحلق المشقوق ، كما يمكن أن تسبب الضغوط الانفعالية خلال الشهور الثلاث الأولى من الحمل تأثرا عقليا لأن فم الطفل في هذه الفترة يكون في دور التكوين .

تأثير النمو غير الطبيعي :

لا شك أن أي انحراف عن النمو الطبيعي يعد اعاقة هامة . فمثلاً العيوب الجسمية تؤثر على مفهوم الطفل عن نفسه كشخص .. وبالتالى تؤثر على شخصيته .. ان نمو الطفل ليكون متكيفا اجتماعيا وانفعاليا يعتمد الى حد ما على شكل النمو الذي أتى به الى هذا العالم سواء كان سليما أم غير سليم .

كما أن العلاقة الأسرية ـ بين الوالدين والطفل ، بين الزوج والزوجة ، وبين الأشقاء تتأثر بالتكوينات الشاذة وما يعتقده الوالدين أنه سببا لذلك . فالاعتقاد التقليدي بأن الأم هي المسئولة عن أي تكوينات شاذة في الوليد سواء كانت بسيطة أم خطيرة كالنقص الجسمي أو العقلى ، يؤدي غالباً الى مشاعر الذنب لدى الأم والى اتجاهات مبالغة في التدليل أو التساهل نحو الطفل . ومثل هذا الاتجاه سيؤثر على كل مستقبل الطفل . كما قد يؤدي هذا الاعتقاد الى خلافات بين الوالدين .

ان تأثيرات النمو غير الطبيعي على الطفل وعلى أعضاء أسرته وعلى الجماعة الاجتماعية ، أعطيت له أهمية واسعة هذه الأيام . وقد لا تظهر التأثيرات المرضية للبيئة غير الملائمة للنمو الجنيني لعدة شهور أو لعدة سنين بعد الميلاد . فكثيراً

مايفترض بأن العجز قد سببته عوامل حدثت بعد الميلاد . فالكساح مثلا يفترض أنه راجع الى نقص في التغذية فيما بعد الميلاد بينما هو في حقيقة الأمر يحدث في الطفل الذي ولد قبل اكتمال النمو الجنيني ، اذ أنه في الغالب قد حرم من العناصر المعدنية الهامة التي يجب أن يحصل عليها في الفترة الجنينية الأخيرة .

وبالمثل فان الصرع والشلل المخي أو النقص العقلى قد لايظهر بوضوح الا في الطفولة المبكرة Babyhood أو في السنوات الأولى من الطفـولة childhood .. وحيث لا توجد لدينا مقاييس ملائمة لقياس التأخر العقلى في الطفل المولود حديثا ـ فان التأخر العقلى الناتج من نقص التغذية الحاد والمستمر خلال مرحلة ما قبل الميلاد قد لا يظهر بوضوح الا عندما يبدأ الطفل في مواجهة صعوبات دراسية . وقد يكون من الخطأ هنا أن نرجع العجز الى ظروف غير ملائمة حدثت بعد الميلاد .

تأثير اتجاهات الأفراد المهمين :

ان اتجاهات الأفراد ذوي التأثير الهام على الطفل لا تقل أهمية كعوامل غير مباشرة عن تأثير تلك العوامل ذات التأثير المباشر مثل صحة الأم والتغذية والسن والعوامل الأخرى التي سبق ذكرها . صحيح أن الأم لا يمكنها أن تؤثر مباشرة على طفلها الذي لم يولد بعد عن طريق أفكارها أو مشاعرها الا اذا كانت مصحوبة بضغوط وجدانية حادة ومستمرة . وتعد الاتجاهات الموجودة في هذه الفترة هامة لأنها تعمل كأسس لاتجاهات الأمومة نحو الطفل بعد الميلاد ، وكذلك نحو الدور الذي سيقوم به الوالدين ، ونحو طريقة تهذيب الطفل خلال السنوات التكوينية المبكرة من حياته . وما يصدق على اتجاهات الأم يصدق على اتجاهات الأب وبدرجة أقل على اتجاهات الأشقاء وباقي أعضاء الأسرة .

أسس تكوين الاتجـاهات :

ان أغلب اتجاهات الآباء تجاه الأبناء وتجاه الوالديه تنبع أساسا من خبرات طفولة الآباء ، وتتبلور وتتأكد هذه الاتجاهات خلال الحمل . وكثير من الأمهات منذ الوقت الذي كن يلعبن بعرائسهن وهن أطفال ـ كن يتمنين أن يكون لهن

أطفال خاصة بهن ولهن أفكار محددة عما يريدن أن يكون هؤلاء الأطفال عليه . أما الرجال عادة ما يهتمون بالمهن خلال طفولتهم وشبابهم . ولذلك فلهم أفكارهم العامة عن معنى الوالديه لديهم . الى جانب ذلك فان الاتجاهات نحو الأطفال ونحو الوالديه تنبع من دوافع الفرد نحو الحصول على أطفال .

العوامل المؤثرة على الاتجاهات :

تتأثر اتجاهات الوالدين نحو الأطفال بمفهومهم عن دور الوالدية ، فبعض الناس يضعون للوالدية صورة خيالية Romanticize . والبعض يراها بصورة واقعية ، البعض يراها صورة مرغوبة ، والبعض ينظر اليها كأمر غير مرغوب فيه . كل هذه الاتجاهات تصاحبها جوانب انفعالية تتدرج من الغبطة الى الخوف والغضب والاشمئزاز Disgust ولا نجد والدين لهما نفس خبرات الطفولة أو نفس خبرات فترة الحمل ، وبالتالى فان اتجاهاتهم لابد وأن تكون مختلفة . وبعض العوامل المسئولة عن اختلاف الاتجاهات وتنوعها يمكن ايجازها فيما يلى :

أ ـ الرغبة في الحصول على طفل :

بعض الناس يريدون عدة أطفال والبعض يريدون فقط عددا قليلا أولا يرغبون . والبعض يشعر أن الزواج يعد غير كامل بدون أطفال ـ بينما يرى البعض الآخر أن الأطفال يقطعون عليهم سعادتهم أو يضعون حاجزا في طريق نجاحهم المهنى والترقي الاجتماعي الأعلى . بعض الناس تتركز ذواتهم حول الأطفال والبعض يميل الى الأطفال . والبعض يريد أولا يريد الأطفال بسبب أنه شيء يجب مواجهته .

ب ـ الحالة الصحية أثناء الحمل :

ان الحالة الصحيحة للأم أثناء الحمل تؤثر على اتجاهاتها نحو الأمومة . فلو عانت كثيرا من الغثيان والقئ والآلام الدورية أو الألم فإن اتجاهاتها تكون عرضة

للتأثير السيء . أما اذا شعرت بأنها في حالة طيبة ، وأن العوامل التى تنغص راحتها قليلة حتى في بداية أو نهاية الحمل حيث منغصات راحتها كثيرة أو شائعة ، فإنها ستكون أو ستتميز باتجاهات مرغوبة . ويذكر « ستون وتشيرش » Stone & Church أن بعض الأمهات تشعر خلال أغلب فترة الحمل بالتعب ولكنها تكون سعيدة كلما فكرت في الطفل القادم . والبعض الآخر يكون في صحة جيدة ولكن تعيش في رعب من فكرة الأمومة . إلا أنه بالنسبة لأغلب الأمهات فإن الحمل - كباقي جوانب الحياة - هو مجموعة مختلطة من المتاعب والجزاءات والآمال والمخاوف والآلام والروح المعنوية العالية .

جـ - الحالة الانفعالية خلال الحمل :

بالنسبة لجميع الأمهات يثير الحمل في نفوسهن صراعات نفسية معينة ويتضمن إعادة تقييم عملية التكيف في العلاقات القائمة بين الزوجين . وبالنسبة لكثير من الأمهات فإن الحمل هو الوقت الذي يكثر فيه القلق والاكتئاب والانزعاج . كما أنه أيضا وقت الخوف من لحظة الولادة واحتمال ولادة طفل غير كامل التكوين أو به أي ضرر . كما أن بعض النساء خاصة من كان الحمل بالنسبة لهن هو أول مرة - يتشككن في قدرتهم على الأمومة أو يرفضن تغيير نمط حياتهن وأغلب النساء بالطبع يشعرون بالسعادة والغبطة لكونهن سيحصلن على طفل . وحتى بالنسبة لهؤلاء هناك لحظات من الشك والقلق والخوف .

د - مفاهيم الآباء حول الطفل :

تتأثر اتجاهات الآباء بصورة ملحوظة بمفاهيمهم عن الطفل كشخص ويفكرتهم عن دور الوالدين أما المفاهيم التي تدور حول الطفل كشخص فتميل إلى الجانب الخيالي أكثر من المفاهيم الخاصة بالدور الوالدي . وينطبق ذلك على الأمهات أكثر من الآباء . ومن جهة الأمهات فإنهن لا يردن مجرد طفل ولكن طفل ذو خصائص معينة . وخصائص هذا الطفل الذي يحلمن به ، الجسمية والعقلية وجنسه وشخصيته تتحدد أكثر في ذهن الأم بتقدم فترة الحمل .


الطفل في خيال الأم
الطفل في الواقع

ومعظم السلوك المشكل لدى الأطفال ما هو الا مجرد الإختلاف بين سلوك الطفل الحقيقي وبين أفكار الآباء عن السلوك المثالي . فعدم تسامح الأب مع ابنه كثيرا ما يوصلنا إلى هذه الأسس وهي أن الابن قد فشل في الوصول الى ما يفكر فيه الأب عما يجب أن يكون عليه ابنه . كما أن عدم تساهل الآباء مع التلكؤ الطفلي قد ينبع من مفاهيم الوالدين عن أهمية الكفاية ـ واعتقادهما أن الطفل يجب أن يكون سريع الحركة حتى يحقق النجاح في حياته . أما مفاهيم دور الوالدية فتتكون خلال الحمل ـ ولها جذورها في خبرات طفولتهم والطفل الذي ينشأ في منزل تسلطي قد يقرر عندما يصبح أبا أن الأمور ستختلف مع أطفاله هو . أو قد يقرر أن ما فعله والديه هو أفضل شيء وممكن وبالتالي فإنه يتبع نمطهما في التهذيب . ويُخضع أطفاله لنفس الأسلوب .

ويعتبر الميل الى تصور دور خيالي للوالديه ـ الأمر الذي يشيع بين الوالدين اللذين أنجبا لأول مرة ـ ذو أثر مدمر للعلاقة بين الوالدين والطفل . وبعد أن يولد الطفل بفترة قصيرة يتحقق كثير من الآباء أن الوالدية تختلف كثيرا عما سبق لهم أن تخيلوه .

هـ ـ الطبقة الاجتماعية للوالدين :

ان الطبقة الإجتماعية التي ينتمي إليها الوالدين تؤثر على اتجاهاتهم نحو أطفالهم ونحو الوالديه . فقد تبين من كثير من الدراسات أن كثيرا من البالغين الذين ينتمون للطبقة الاجتماعية الدنيا يميلون الى النظر الى الوالديه على أنها ضريبة الاتصال الجنسي وهو اتجاه غير مرغوب خاصة إذا ما وضع في الاعتبار تربية الطفل . أما الآباء من الطبقة الاجتماعية المتوسطة يميلون الى النظر الى الوالدية على أنها أمر مكمل للزواج وينظرون الى الأطفال بشئ من الفخر والأمل . وينظر الرجل من الطبقة الاجتماعية الدنيا الى الدور الوالدي على أنه مجرد عائل ، والبعض يرفض أي مسئولية خاصة بالعناية بالطفل . أما رجال الطبقة العليا فيميلون الى الاعتزاز بأنهم أصحاب عائلات وغالباً ما تكون لديهم الرغبة في التضحية بالوقت والجهد والمال أو حتى بالترقيات المهنية من أجل أطفالهم .

و ـ الوضع الإقتصادي للأسرة :

ترتبط الاتجاهات الخاصة بالوضع الإقتصادي إلى حد كبير بالإتجاهات المرتبطة بالطبقة الإجتماعية . فإذا اضطربت الأوضاع الإقتصادية بسبب الحمل بعد الزواج مباشرة ، وإذا كان الآباء صغار السن وقفا قريبا على أرجلهما اقتصاديا ، أو إذا خططت الزوجة للعمل لمساعدة زوجها في أهدافه المهنية ـ كانت اتجاهات الآباء نحو وصول طفل متأثرة بهذا الوضع . وأحد الأسباب العامة للاجهاض هو أن المصادر المالية للأسرة لا يمكن أن تواجه ضغوطا جديدة .

ز ـ عمر الآباء

يميل الآباء صغار السن ـ أن يتقبلوا دورهم كآباء بسهولة ، ولا يسمحون بالتداخل بين هذا الدور وبين سعادتهم أو خطط مستقبلهم ؛ فإذا ما كان هناك تهديد من قبل الدور الوالدي للطموحات المهنية كان هناك رفض للدور الوالدي . أما كبار السن من الآباء فإنهم يرحبون بدورهم الوالدي أكثر من صغار السن .

ح ـ ميول وطموحات الأمهات :

النساء اللاتي يردن الحصول على طفل ، واللاتي لديهن طموحهن الأساسي ليكن أمهات طيبات ، تكون لديهن اتجاهات طيبة نحو الأطفال ونحو الدور الأموي . والأمهات ذوات التعليم والخبرة المهنية ، وأولئك ذوات الميول المتمركزة أساسا على الأنشطة الإجتماعية أو المهنية كثيرا ما يرفضن دورهن الأموي على الأقل في البداية ، بعد ذلك قد يحصلن على إشباع كاف من دورهن الجديد فيقبلنه دون مقاومة .

ط ـ وسائل الإتصال الإجتماعي (وسائل الإعلام) :

الواقع أن وسائل الإتصال الإجتماعي تلعب أقل الأدوار أثرا في تكوين الإتجاهات نحو الوالدين أو نحو الطفل كشخص . فالكتب والمجلات والسينما والتلفزيون والراديو تقدم صورة رومانتيكية عن الأسر وحياة الأسرة . والبنات

عموما يفضلن القصص والأفلام الخيالية بينما يفضل الأولاد القصص الواقعية وقد ترجع الفروق الجنسية في الإتجاهات نحو والديه جزئيا على الأقل إلى تأثير وسائل الإعلام .

أسباب الاتجاهات الوالدية غير المرغوبة :

تتلخص هذه الأسباب فيما يلي :

(١) الرغبة القوية في الحصول على طفل من جنس معين :

فإذا كان الطفل من جنس غير الذي يرغبه الوالدين فإن خيبة أملهم قد تؤدي إلى اتجاهات النبذ .

(٢) الرغبة القوية في نوع معين من الأطفال :

وقليل من الأطفال من يأتي متفقا مع حلم الآباء في الشكل والقدرات والشخصية وكلما تباعدت الصورة أكثر عن الصورة التي تخيلها الآباء لهذا الطفل كلما نمت اتجاهات غير مرغوبة نحو الطفل .

(٣) عدم رغبة الوالدين في الحصول على أطفال :

مهما كانت أسباب ذلك فإن الحمل غير المرغوب كثيرا ما يكون مصدرا للرفض والغضب الذي يؤثر على مدى عنايتهم بالطفل ويؤدي إلى اتجاهات النبذ .

(٤) عدم رغبة الوالدين في الحصول على طفل في هذا الوقت بالذات :

فإذا ما تم حمل طفل في وقت يرى الوالدين أنه وقت غير مريح أو غير ملائم فكثيرا ما يلوم الزوج زوجته لإهمالها وتشعر هي بالذنب على عدم منعها هذا الحمل غير المطلوب .

تأثير الإتجاهات الوالدية غير المرغوبة :

للإتجاهات الوالدية غير المرغوبة عدة نتائج غير مرغوبة فهي تؤثر على علاقة الوالدين بالطفل ليس في البداية ولكن على طول الحياة . وحتى لو حاول الوالدان أن يغطيا اتجاهاتهما ، فإن الطفل يشعر بها كلما نمى أكثر - فالبنت مثلا

لا يقال لها أن والديها قد خاب أملهما عندما ولدت بنتا وليست ولدا ، ولكنها تعرف ذلك من أفعالهما ومن طريقة معاملتهما لاشقائها الذكور . وقد تصبح عدوانية تجاه الوالدين ونادرا ما تكون قادرة على تنمية علاقة طيبة بهما .

والإتجاهات الوالدية غير المرغوبة تجاه الطفل تؤثر على نوع التكيف الشخصي والإجتماعي الذي يحدث للطفل كلما كبر . فكثير من حالات عدم الإستقرار وسوء التكيف تنشأ من مشاعر الطفل بأن والديه ينبذانه لأنه لا يتطابق مع توقعاتهما أو لأنه كان غير مطلوب وجوده في هذه الحياة . فإذا رأى أحد أشقائه أكثر تقبلا منه فإن ذلك يضخم من مشاعر النبذ وعدم التوافق الشخصي .

والإتجاهات الوالدية الضارة يستمر أثرها فترة طويلة ولا يحتمل أن تتغير أو تختفي لأنها تعد عدلا في نظر الوالدين . والأم هي الأخرى على سبيل المثال قد تشعر أنها هي وزوجها يمكنهما أن يعولا طفلا آخر ، وقد تشعر بأنها مرهقة مع الأطفال الآخرين ، وقد تريد أن تستمر في عمل ما بسبب الرضا أو الدخل الذي تحصل عليه من هذا العمل والذي يمكنها من شراء مستلزماتها .

ومما يلاحظ أن صحة الأم تؤثر على الطفل قبل ولادته بينما تؤثر اتجاهاتها عليه قبل وبعد الولادة ، والاتجاهات المرغوبة التي تتكون خلال مرحلة ما قبل الميلاد عرضة لأن تستمر حتى بعد الميلاد . وبينما الإتجاهات الخيالية قد تتحول إلى الواقع ، فهناك احتمال أقل أن تصبح غير مرغوبة إلا إذا فشل الطفل في تحقيق التوقعات الوالدية . وإذا حدث ضرر للطفل بسبب البيئة الوالدية الفقيرة . قد تصبح الإتجاهات الوالدية نابذة أو زائدة الحماية وهذان الأمران بالتالي لهما تأثيرهما الهام على طريقة توافق الطفل مع الحياة .

وعندما ينظر الأب أو الأشقاء الأكبر نظرة عداء للطفل الجديد فمن المحتمل أن لا يقابل بترحاب فهو يمثل مسئوليات إضافية وحرمان شخصي يزيد من رفضهما له . وكلما نما الطفل يصبح أكثر وعيا برفضهم له حتى ولو لم ينبذوه صراحة .

وكثير من أنواع السلوك المشكل تنشأ من مشاعر الطفل بأنه غير متقبل . ولقد

وجد أن الأطفال الذين حملتهم أمهاتهم تحت ضغط وحاولن إجهاض أنفسهن - كانوا أقل تكيفا من الأطفال الذين أرادتهن أمهاتهم .

وفي دراسة عن توافق بعد الميلاد لأطفال كانت أمهاتهم أقل قلقا خلال الحمل - بينت أن قلق الأم لم يؤثر فقط على ميلاد الطفل ولكن على علاقة الطفل بالوالدين أيضا . وأن قلق الأم أيضا قد أثر على التوافق العقلي والإنفعالي . فالأطفال الذين كانت أمهاتهم أكثر قلقا كانت معاملات ذكائهم أقل .

الفصل الثامن

مرحلة المهد

مقدمة

تمتد مرحلة المهد من نهاية مرحلة الوليد (بعد الميلاد بأسبوعين) ممتدة حتى نهاية العام الثاني من العمر . وفي نهاية هذه المرحلة يكون الطفل قد استقل نسبيا عن مساعدة الكبار وأصبح قادرا على أن يقوم بنفسه ببعض الأعمال التي كان يقوم بها الآخرون من أجله . ويرجع التناقص التدريجي في حاجة الطفل للسند والإزدياد التدريجي للإستقلال إلى النمو السريع في التوازن الجسمي الذي يمكن الطفل من الجلوس والوقوف والمشي وتناول الأشياء التي في متناول يده .

ويزداد اعتماد الطفل على نفسه بازدياد قدرة الطفل على التعبير عن حاجاته ورغباته للآخرين بصورة يمكنهم فهمها . كما أن هذا الإستقلال يتيح للطفل فرصة النمو في إطار يتفق مع ميوله وقدراته ، وتزداد فرديته وضوحا بازدياد نموه .

خصائص طفل مرحلة المهد :

لسنوات المهد خصائص تجعلها مرحلة مميزة من مراحل حياة الطفل منها : أن المهد فترة حرجة وسنا خطرة وجذابة أيضا .

فهي فترة حرجة لإنها تمثل سنوات الأساس في حياة الطفل حيث توضع فيها أسس كثير من أنماط السلوك ، وكثير من الإتجاهات نحو الآخرين ونحو الذات ، كما تتحدد كثير من أنماط التعبير الانفعالي . صحيح أن هذه الأسس لا تتحدد بصفة نهائية - فقد تتغير إذا ثبت أنها غير فعالة وغير مقبولة اجتماعيا - بل أن تغيرها يعني تعلما جديدا ، وهذا التعلم يكون مصحوبا عادة بتوتر واضطراب انفعالي .

ومرحلة المهد مرحلة خطرة ، فبينما تقل الأمراض فيها عن مرحلة ما قبل الميلاد وبخاصة في هذه الأيام بسبب تزايد العناية الصحية أثناء الحمل والشهور التي تليه ، واستخدام العقاقير التي مكنت من تقليل حدة الأمراض إلى حد كبير - نجد أن معدل الوفيات في سنوات المهد ما زال عاليا ، ونجد أن ثلثي الوفيات في السنة الأولى تحدث في الشهر الأول من الميلاد ، ويقل معدل الوفيات بعد ذلك . ويزيد عدد وفيات الذكور عن الإناث بحوالي ٣٣ ٪ وتصبح حوادث الطفل خلال العام الثاني من الحياة سببا في كثير من الأضرار التي قد تستمر مع الطفل طول حياته . فالرغبة القوية في استطلاع البيئة في الوقت الذي لا يدرك فيه الطفل أخطار هذه البيئة تسبب حوادث كثيرة بعضها بسيط وبعضها خطير بالنسبة له .

إلى جانب ما سبق فطفل المهد يعد ذو جاذبية خاصة . فعجزه وضعفه واعتماده على الآخرين يجذب إليه الكبار . ومن السهل قيادته والسيطرة على شئونه وهو عاجز لا حول له ولا قوة . وكلما قل عجزه وزادت قدرته على أن يؤدي بعض الأشياء لنفسه كلما ازدادت صعوبة التعامل معه وكلما أصبح أكثر مقاومة لعون الكبار له .

وكثيرا ما يقع الكبار في خطأ هام وهو البطء في تغيير مفاهيمهم عن الطفل

وتطور امكانياته حتى يمكن أن يسير نموه بطريقة سلمية . وكنتيجة لذلك يواجه الطفل الكثير من الاحباط أثناء محاولاته القيام بما يمكنه أن يقوم به وما يريد القيام به . وهذا مما يجعل عناد الطفل وسلبيته خصائص تقلل من جاذبيته لدى الكبار عما كان عليه عندما كان ضعيفا لا حول له ولا قوة .

(متطلبات النمو وواجباته في مرحلة المهد)

يتوقع لكل رضيع أن يتعلم المشي ، وأن يتناول أغذية صلبة ، وأن يتحكم إلى حد ما في عملية الإخراج ، وأن يصل إلى حالة من الإستقرار والإتزان الفسيولوجي وخاصة بالنسبة لحالتي الجوع والنوم . أن يتعلم أساسيات الكلام ، أن يربط نفسه وجدانيا بوالديه وأشقائه إلى حد ما بدلا من أن يكون متمركزا حول نفسه كما هو الحال بعد الميلاد .

وطبيعي أن الطفل سوف لا يسيطر تماما على هذه الواجبات في نهاية مرحلة المهد ولكن أسس هذه الواجبات يجب أن توضع في هذه المرحلة . وترجع أهمية ذلك إلى أمرين :

الأول : في الوقت الذي يسيطر فيه الطفل جزئيا على جسمه فإنه يصبح قادرا على الإستقلال عن الآخرين .

الثاني : ان السيطرة على واجبات النمو من الأهمية بمكان لأنها تقلل الوقت والجهد اللازمان للسيطرة على واجبات النمو الأخرى التي تعتمد على واجبات النمو الأساسية .

أهمية توفير الفرص اللازمة للسيطرة على واجبات النمو :

إن النمو السريع في الجهاز العصبي ، وتكلس العظام ، وازدياد قوة العضلات يجعل من الممكن للطفل أن يسيطر على واجبات النمو الخاصة بمرحلة المهد .

وتحقيق ذلك إنما يعتمد إلى حد كبير على الفرص المتاحة للطفل للسيطرة عليها ، والمساعدة والتوجيه اللذان يلقاهما . ولأن الجماعة الإجتماعية تتوقع من الطفل أن يسيطر على واجبات النمو التي ترى أن تعلمها ممكن ومفيد ـ فإن الطفل الذي يفشل في تعلمها يكون معوقا في تكيفه الشخصي والإجتماعي وينظر إليه على أنه متخلف . وينشأ هذا التخلف في بعض الحالات من تأخر نضج الطفل وخاصة الجهاز العصبي ، ولكن في أغلب الأحيان يرجع التخلف الى نقص الفرص التعليمية .

وغالبا ما يكون الأطفال الذين نشأوا في المؤسسات متخلفون لنقص المثيرات التي يتعرضون لها ، وعندما يتم تعويض هذه المثيرات يظهر عليهم تقدم ملحوظ في معدل النمو . ويلاحظ تخلف الأطفال الذين ينتمون إلى بيوت فقيرة عن المعدل العادي لأقرانهم فيما يختص بالسيطرة على واجبات النمو الهامة في مرحلة المهد ، ويمكن أن يتخلف الطفل في السيطرة على واجبات النمو الأساسية لنفس المرحلة في حالة الأسر التي تتميز بالرخاء الإقتصادي عندما تحيط الأم طفلها بالحماية الزائدة .

النمو الجسمي :

تعد مرحلة المهد إحدى مرحلتين في حياة الفرد تتميزان بالنمو السريع ، وتأتي المرحلة الثانية عند البلوغ . وتسير سرعة النمو خلال الشهور الستة الأولى من هذه المرحلة بنفس معدل سرعة النمو المميز لمرحلة ما قبل الولادة Prenatal ثم تبدأ السرعة في التناقص . أما سرعة النمو في العام الثاني فتسير بعجلة متناقصة .

أما الزيادة في الوزن في العام الأول فهي أكبر نسبيا من الزيادة في الطول ، ويحدث العكس في العام الثاني .

اختلافات النمو الجسمي :

يتشابه نمط النمو الجسمي في المهد بين البنين والبنات . ومع ذلك فهناك

إختلافات ملحوظة داخل الجنس الواحد . ويختلف النمو طبقا لفصول السنة .

- فالنمو في الوزن أكبر في الفترة من أكتوبر إلى ديسمبر ، أما في الفترة من أبريل إلى يونيو فهي أقل . أما أقصى نمو في الطول فيقع في الفترة من أبريل إلى يونيو ، وأقل في الفترة من أكتوبر إلى ديسمبر . وتوجد فروق طفيفة في طول المواليد وإن كانت هناك فروق ملحوظة في الوزن . وتستمر الإختلافات في الوزن خلال سنوات المهد ، وتكون واضحة عن الاختلافات في الطول . وترجع الإختلافات في الوزن إلى التكوين الجسمي وإلى عادات التغذية .

الزيادة في وزن الجسم :

يلاحظ تناقص ملحوظ في وزن الطفل بعد الميلاد ، وبعد أسبوع تقريبا يبدأ الوزن في الزيادة . ويتضاعف وزن الوليد بعد أربعة شهور من الميلاد ، حيث يصبح وزن الطفل العادي في ذلك الوقت حوالي ٦،٢ ـ ٦،٧ كجم . وفي عمر ثمانية شهور يتراوح وزن الطفل بين ٧ ـ ٨،٤ كجم . ويصبح الوزن في عمر سنة حوالي ثلاثة أضعاف وزنه عند الميلاد (حوالي ٩،٣ كيلوجرام) وخلال العام الثاني من عمر الطفل تتناقص سرعة الزيادة في الوزن بسبب نشاط الطفل في الحبو والجلوس والمشي .

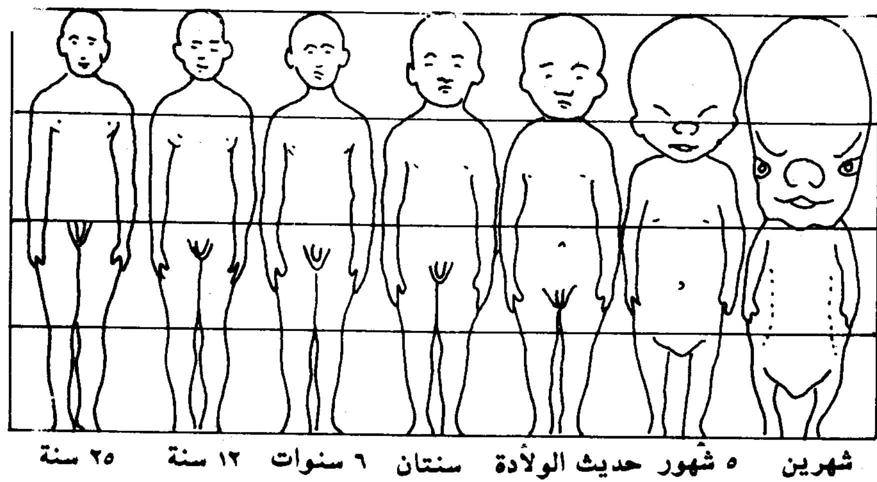
وتأتي زيادة وزن الطفل من زيادة الأنسجة الدهنية ، ففي خلال الشهور الستة الأولى من حياة الطفل تتضاعف كمية الدهن في الجسم بسبب نسبة الدهن العالية الموجودة في اللبن الذي يعد غذاء الطفل الوحيد في هذه الفترة . وقد تستمر زيادة وزن الجسم لدى بعض الأطفال نتيجة لزيادة ترسيب الدهن . ولكن الغالبية يتناقص لديهم معدل الزيادة في وزن الجسم .

الزيادة في الطول :

يعد معدل الزيادة في طول الجسم أقل نسبيا عن معدل الزيادة في الوزن وذلك خلال العام الأول من العمر ، ولكن يزيد معدل النمو في الطول على معدل النمو في الوزن وذلك خلال العام الثاني . فعندما يكون الطفل في عمر أربعة شهور فإن

طوله يتراوح بين ٢٢ ـ ٢٤ بوصة ، ويصبح طوله حوالي ٢٦ ـ ٢٨ بوصة في عمر ثمانية شهور ، ٢٨ ـ ٣٠ بوصة في عمر سنة ، ٣٢ ـ ٣٤ بوصة في عمر سنتين .

تغيرات النمو الجسمي عبر الزمن



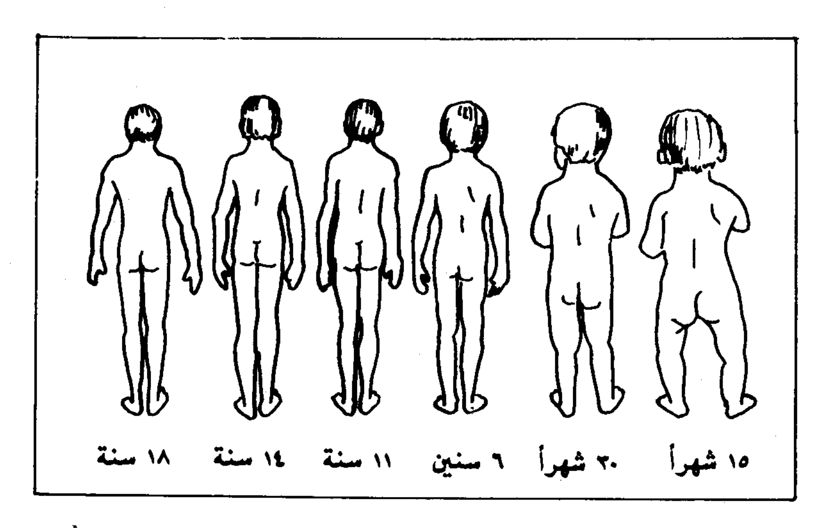
شهرين (جنين)　٥ شهور　حديث الولادة　سنتان　٦ سنوات　١٢ سنة　٢٥ سنة

أبعاد الجسم :

يعد التغير طفيفا في أبعاد الجسم في النصف الأول من العام الأول ، وتبدأ التغيرات في الظهور بوضوح بعد هذا الوقت ـ حيث تكون الرأس أبطأ نموا من الجذع والأطراف . فالنمو في محيط الرأس يتناقص بوضوح خلال الشهور الستة الأولى وخاصة خلال الشهر الثاني من العمر . وحيث تقل سرعة نمو الرأس ـ فإن ثقلها المميز عند الميلاد يقل تدريجيا ، كلما استطال الجذع والأطراف . ويبدو

الطفل سميكا خلال العام الأول بسبب الزيادة الكبيرة نسبيا في محيط الجسم طولا وعرضا ، حيث يبدو الطفل في أواخر المهد ذو شكل أسطواني مكتنز ، وتكون البنات أقل من البنين في ذلك . وبالتدريج تصبح الرأس أقل ضخامة منها عند الميلاد بناء على النمو الذي حدث في الأجزاء السفلى من الوجه وخاصة الفك وظهور الأسنان التي تجعل الفم في تناسب أفضل مع باقي الوجه ، ثم ظهور الرقبة وإن كانت تبدو قصيرة ، حتى الأنف فيبدأ في أخذ شكل مميز نتيجة لنمو غضروفه .

ويزداد طول الذراعين واليدين بنسبة ٦٠ ـ ٧٥ ٪ خلال المهد ، كما يزداد طول الساقين بنسبة ٤٠ ٪ تقريبا ، حيث يلاحظ أن معدل نمو الساقين أقل من معدل نمو الذراعين كما يوجد هناك نمو سريع في اليدين والقدمين سواء في الحجم أو في العضلات .



التغير في أبعاد الجسم مع النمو لنفس الطفل في ستة أعمار مختلفة

نمو العظام :

يتخذ نمو العظام نفس اتجاه نمو الجسم في الحجم . أي أن نمو العظام يتميز بالنمو السريع خلال العام الأول من الحياة ، يلي ذلك مرحلة نمو بطيء نسبيا خلال العام الثاني ويزداد عدد عظام الجسم في هذا الوقت ، حيث تحل الأنسجة العظمية محل الأنسجة الغضروفية أو الأنسجة في أماكن معينة . وتبدأ عملية تكلس العظام في الجزء الأول من العام الأول ولكنها لا تكتمل حتى سن البلوغ . فتتصلب الأنسجة اللينة الاسفنجية التي ستكون عظام الطفل تدريجيا ولكن بمعدلات سرعة تختلف حسب مكانها في الجسم . فمثلا يتم التمام اليافوخ (المنطقة الطرية الموجودة في أعلى الجمجمة) في سن ١٨ شهرا في ٥٠ ٪ من الحالات ، وفي سن سنتين بالنسبة لجميع الحالات . ويتميز جسم الطفل بأنه مرن بسبب لين عظامه ، وهذا ما يفسر قدرة الطفل على أداء بعض الأوضاع الغريبة مثل مص إبهام رجليه عندما يكون ملقى على ظهره . كما أنه يمكن أن يحدث في هذه المرحلة ما يسمى بتشوه العظام إذا ما كان هناك ضغط خارجي مستمر ولفترة طويلة على عظام الطفل ، أو إذا سمح للطفل أن ينام على فراش طرى لا يساعد على استقامة الجسم .

والعظام تنمو في الطول عند نهايتها ، و Epiphysis حيث يوجد شريط عضروفي يفصل أطراف العظام أو Diaphysis يفصلها عن جسم العظام الأخرى ، والغضروف الأصلي عند الـ Epiphysis يتحول تدريجيا الى عظام وتستمر العظام في النمو وهرمون النمو الجنسي عند المراهقة هو المسئول عن حدود النمو التي تصل إليها العظام . والعظام تنمو في العرض عن طريق اضافة أنسجة عظمية جديدة على الحدود الخارجية للعظم .

تكلس العظام Ossification

تكلس العظام أو تصلبها يتم كلية بعد الميلاد ، ابتداء من أول العام الأول وتنتهي خلال البلوغ . وتبدأ العملية من مركز التكلس Ossification center في الغضروف وتنتشر تدريجيا خلال العظام . وعندما تنتهي العملية تصبح لكل عظمه من العظام شكلها المميز .

وتستمر عملية التكلس بسرعات مختلفة للاجزاء المختلفة من الجسم . فمثلا ينغلق اليافوخ (الجزء الرخو المفتوح في الجمجمة) لدى ٥٠ ٪ من الأطفال تقريبا في سن ١٨ شهرا وفي أغلبهم ينغلق في سن سنتين . أما تكلس العظام الطويلة في الساقين فلا يتم حتى البلوغ . وهناك فروق جنسية ملحوظة في سرعة التكلس حيث تسبق البنات البنين في كل الأعمار.

ويعتمد التكلس إلى حد كبير على افراز الهرمونات الخاصة بالدرقية . ونقص هذا الهرمون يؤخر عملية التكلس . كما أن هناك علاقة وثيقة بين التكلس والتغذية . فنقص التغذية قد يعني نقص في العناصر المعدنية وتأخر في التلكس .

وهنا قد يصاب الطفل بإعوجاج في الساقين وفي التكوينات العظمية الأخرى في الهيكل العظمي ، لأن العظام ليست صلبة بدرجة كافية لتحمل ضغط وزن الجسم .

أهمية التكلس :

لأن العظام تكون طرية في بداية الأمر ـ نجد جسم الطفل مرنا ، يمكنه دون صعوبة أن يأخذ أي وضع غير عادي ـ فمثلا يمكنه أن يضع أصابع رجليه في فمه عندما يكون ملقى على ظهره . كما أن العظام تكون عرضة للتشوه بالضغط ان لم تتخذ الإحتياطات الكافية . كما أن شكل الرأس يمكن أن يتفرطح إذا ما نام الطفل باستمرار على ظهره . أو أن الصدر يتفرطح إذا قضى أغلب وقته نائما على بطنه ، وحتى في سنوات المدرسة الإبتدائية فإن تشوهات العظام يمكن أن تحدث بسبب الأحذية الضيقة أو بسبب الجلوس في وضع منثني على مكتبه .

ومن الناحية النفسية ـ فإن التكلس يعد هاما لأنه يؤثر على مظهر الطفل وذلك الأمر من الأمور الهامة التي يحكم بها الآخرون عليه . فقد تصبح رأسه مفرطحة لسبب نومه المستمر على ظهره وقد ينظر إليه الآخرون على أنه أقل جاذبية مما يشير إليه شكل الوجه .

تكوين الأسنان :

يختلف بدء التسنين من طفل لآخر . ويلوك الطفل ويضغط الفكين ويحكهما ببعضهما ويكثر ضيقه قبل أن تظهر أي سنة بحوالي ٣ ـ ٤ شهور ـ مما يجعل حياة الطفل خلال هذه الفترة وحياة أسرته مليئة بالتوتر . وكثيرا ما تكتشف بعض الأمهات سنة في فم الطفل دون توقع منها بأن الطفل في حالة تسنين . وتظهر أول أسنان بعد الشهر الثالث لدى بعض الأطفال والبعض يتأخر حتى سن عام ، رغم أن كلاهما سليم صحيا وعادي . ومن المعروف أن بعض الأمراض المعينة تؤثر على السن الذي يبدأ فيه التسنين وإن كان ذلك نادر الحدوث .

ويخضع بدء التسنين في حالة الاطفال الأصحاء لنمط النمو الذي يرثه الطفل . ففي بعض الأسر يبدأ الأطفال التسنين مبكرا ، وفي أسر أخرى تبدأ متأخرا كما لا يمكن الحكم على الطفل بأنه ذكي جدا لأنه مثلا قد بدأ تسنينه مبكرا ، أو أن المتأخر في التسنين متأخر عقليا .

ويبدأ ظهور أول أسنان الطفل العادي في حوالي سن سبعة شهور حيث يسبق ظهورها حك اللثة والعض وتلويك الأشياء التي تدخل فمه .
وابتداء من سن ٣ أو ٤ شهور يبدأ الطفل في عملية

التسنين التي تستمر حوالي ٢½ عام يتوالى فيها ظهور الأسنان حيث يصبح لدى الطفل ٢٠ من الأسنان والضروس والأنياب في نهاية عامه الثالث ، وهذا يفسر اعتلال صحته خلال هذه الفترة . وقديما كان الآباء يربطون بين التسنين والإصابة بالأمراض كالبرد والإسهال والحمى . والواقع أن هذه الأمراض تسببها الجراثيم وليس التسنين . يكون التسنين لبعض الأطفال علاقة بالاصابة بالأمراض ، فيبدو أن التسنين يقلل من مقاومة الجسم ويجعله عرضة للاصابة بالميكروبات في هذه الفترة . وعندما يصاب الطفل بالمرض خلال التسنين أو عندما ترتفع درجة حرارته إلى ٣٩ درجة مئوية نتيجة لإصابته بالحمى فإنه يحتاج مثلا في هذه الحالة إلى طبيب . ويمكن تحديد توالي ظهور الأسنان كالتالي :-

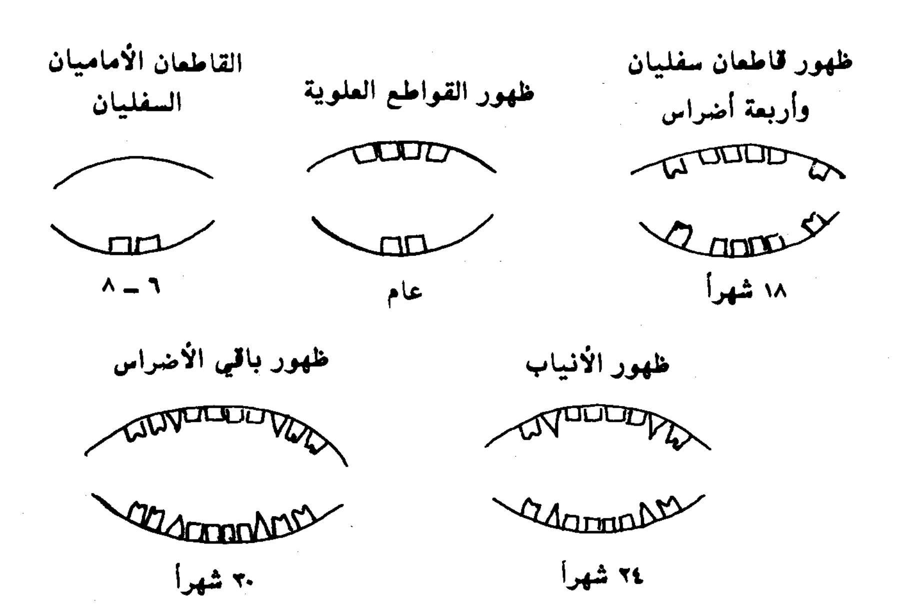
- يظهر القاطعان الأماميان السفليان في حوالي سن ٦ - ٨ شهور (٢)

- في سن عام يصبح لدى الطفل ستة قواطع أربعة في الفك العلوي واثنتان في الفك السفلي ثم تمر عدة شهور دون ظهور أية أسنان (٦) .

- تظهر بعد ذلك ٦ أسنان أخرى هي القاطعان السفليان الجانبيان الباقيان والضروس الأربع السفلية (١٢)

- بعد عدة شهور من ظهور الأسنان الستة السابقة يبدأ ظهور الأنياب في المسافة الواقعة بين القواطع وبين الأضراس - وذلك في حوالي النصف الثاني من العام الثاني (١٦) .

- وتظهر الأضراس الأربعة الأخيرة متوالية بعد الأنياب في النصف الأول من العام الثالث . (٢٠) (أنظر الرسم) .



وتعتبر الأضراس الأربع الأولى التي تظهر في حوالى سن ١٨ شهرا أكثر الأسنان أحداثا لألم الطفل . فقد يفقد شهيته للطعام ويصبح قلقاً مضطرباً لعدة أيام . وقد يصحو من نومه صارخا عدة مرات كل ليلة ، مما يعد مشكلة للوالدين إذا لم يعد إلى النوم سريعا . وفي أغلب الحالات ينام الطفل نوما عميقا هادئا بعد أن تشق السنة طريقها وتظهر على السطح . ولكن في بعض الحالات يكون الطفل قد اكتسب عادة سيئة مقلقة للوالدين وهي تكرار استيقاظه من النوم عدة مرات ليلا خاصة لو كان استيقاظه وبكاؤه فيما سبق يصحبه تقديم زجاجة اللبن إليه واحاطته بجو من العناية الزائدة . ولذا فمن المفضل ألا يقدم للطفل الغذاء كما لا يجب حمله حتى لا تتكون عادة الاستيقاظ المتكرر أثناء الليل . واذا كان من الضروري أن يعطى الطفل زجاجة اللبن مثلا - فلنعطى الزجاجة للطفل في مهده دون حمله ثم يمنع عنها بمجرد ظهور الأسنان . وبعد ظهور أول الأسنان في منتصف العام الأول مثارا لكثرة استيقاظ الطفل أثناء الليل .

وكثيرا ما يلاحظ على الطفل فيما بين الشهر الرابع والسابع من عمره بعض أنواع من السلوك غير المألوف في مواقف الغذاء . فتلاحظ الأم أن طفلها يبدأ الرضاعة بنهم ، ثم يتحول عن الثدي ويصبح شديد التهيج ويصرخ كما لو كان يتألم وذلك رغم أنه مازال جائعا . ثم يعد إلى الرضاعة ثم يترك الحلمة ويصرخ ثم يعود ثانية ويتكرر هذا الموقف كما لو كان غير مستريح . أما المواد الصلبة فيتناولها بشغف ويرجع كل ذلك إلى عملية التسنين . ويبدو أن التهيج الذي يصاحب عملية الرضاعة والامتصاص سببه أن الإمتصاص يزيد من آلام اللثة ويجعلها حساسة لأي حركة وغير محتملة . ويمكن التغلب على هذا الموقف بتقديم الطعام الصلب في الفترات التي يتوقف الطفل فيها عن الرضاعة أثناء تناوله وجبة الغذاء ، مادام الألم يأتي بعد عدة دقائق من بدء الامتصاص . ويمكن التغلب على مثل هذه الصعوبات أيضاً بتوسيع فتحات حلمة الزجاجة حتى يحصل على كمية اللبن في وقت قصير (ولا تستخدم هذه الطريقة إلا في هذه الأحوال فقط على أن نعود بعد ظهور الأسنان إلى الفتحات العادية للحلمات حتى يحصل الطفل على كمية كافية من الامتصاص . أما اذا استمر الطفل في التألم من تناول الزجاجة ومن عملية امتصاص الحلمة فيمكن التخلي عنها تماما وتقديم وجبة الطعام (اللبن) عن طريق الكوب أو الملعقة أو بخلط اللبن بكمية كبيرة من مسحوق الحبوب أو البسكويت أو الأطعمة الأخرى .

وقد لا يرجع رفض الطفل لرضاعة اللبن إلى ظهور الأسنان - إذ يعود لعوامل أخرى مثل أمراض البرد والأنفلونزا وإصابة الأذن مما يسبب آلما في الفك يمنع الطفل من الرضاعة .

العض كأسلوب في العدوان :

من الطبيعي للطفل خلال العام الأول أن يعض الوالدين ، فظهور الأسنان يدفعه إلى قضم أي شيء ، كما أنه يكون أكثر استعدادا للعض عندما يكون في حالة مزاجية غير ملائمة . والقضم والعض أشياء عادية في العامين الأولين من حياة الطفل . لكن يتوقف الأمر على عدد المرات التي يحدث فيها أن يعض الطفل الآخرين كما يتوقف على دوافعه . فلو كان الطفل سعيدا وتسير حياته طبيعية ، فإنه في بعض الأحيان يعض عندما يتشاجر مع أطفال آخرين ولا يعد هذا خطيراً . ولكن إذا كانت حياته مليئة بالتوتر والتعاسة أغلب الوقت ، ويعض الأطفال الآخرين لأسباب تبدو تافهة كان هناك خطأ ما . فربما يكون جو الأسرة مليئا بالضغط والسيطرة على الطفل . وعملية تهذيب الطفل تتم في جو من الثورة والعصبية الزائدة . وربما لم تتح للطفل فيما سبق فرصة التفاعل السليم مع الأطفال الآخرين ويتصور أنهم خطر عليه ومصدر تهديد له . وربما يكون العض راجعا إلى غيرته من طفل في المنزل فينقل عدوانه إلى أطفال آخرين خارج المنزل كما لو كانوا هم المنافسون له .

ويتعلم الطفل المعنى العدواني للعض عن طريق الكبار . فبمرور الطفل في الشهر السابع من عمره تبدأ خبرات جديدة للطفل اذ يكتسب عن طريق أسنانه خبرات عن الأنواع الجافة من الطعام بعد أن كانت كل خبرته بالأنواع السائلة . وليس هذا النوع من الخبرة مهما في حد ذاته ولكن أهميته في الخبرات الإجتماعية التي يكتسبها الطفل عن طريق أسنانه . فيتعلم الطفل عن طريق الصدفة أن للانسان وظائف أخرى غير وظيفة القضم - تلك هي الوظيفة العدوانية وذلك عندما يعض ثدي الأم أثناء الرضاعة . وينتج عن ذلك أحداث تأثير معين يبدو في سلوك الأم نحو الطفل بأن تضربه أو تغضب أو تعاقبه بشكل أو بآخر ، فيتعلم عن هذا الطريق معنى العض العدواني ، ويعرف أنه يمكن استخدامه في مواقف أخرى مشابهة إذا ما أراد العدوان كنتيجة للاحباط . ويجب أن نلاحظ أن

هذا المعنى مكتسب (وهو العض) اذ أن العضة تحدث بشكل آلي ، ثم يتحدد المعنى العدواني للعض من نوع السلوك الذي تقوم به الأم نحو هذه الإستجابة غير المقصودة ، ولذلك يتكرر منه هذا السلوك في حالة الغضب .

والموقف الصحيح في مثل هذه الحالات هو ألا يكون الرد على عملية العض عند بداية ظهوره عن طريق القهر أو الغضب أو الضرب ـ بل يكفي أن يسحب الثدي عقب هذه العملية وتوقف الرضاعة لفترة معينة . وبتكرار هذا الموقف يتعلم الطفل أن مثل هذا السلوك لا يؤدي إلى نتيجة سارة فيكف عنه .

كما يمكن للأم ضبط هذا السلوك بأن تقوم برعايته كصديق لا بالنزول إلى مستوى عمره والدخول معه في معركة بالعض والصفع والصراخ . وأن تعمل على ألا يعود الطفل إلى عملية العض ثانية بالانسحاب من الموقف إذا كرر العض مبينة له أنها لا تحب منه ذلك ولا تحب منه ان يكرره .

بالإضافة إلى ماسبق فإننا يجب أن نتيح للطفل فرصة مضغ الأشياء غير الضارة به . فبعض الأمهات يهمها ألا يضع الطفل في فمه أية أشياء ثم مضغها . وذلك يثيره ويثيرها . فأغلب الأطفال يجب أن يضعوا أشياء في فمهم ويخرجونها ثم يعيدونها ثانية إلى فمهم وخاصة فيما بين الشهر السادس إلى الخامس عشر من العمر . ومن الأفضل أن تقدم الأم للطفل أشياء معينة تضمن نظافتها ليلوكها بفمه ، كما تضمن أنها لن تضره إذا وقع عليها مثل حلقات المطاط التي تباع في الصيدليات التي تتميز بسهولة تناول الطفل لها واستحالة بلعها . كما يجب حماية الطفل من قضم أثاث المنزل والأشياء ذات الطلاء لأن الرصاص وهو مادة سامة يدخل في تركيبها .

الأسنان الدائمة :

تبدأ الأسنان الدائمة في الظهور تباعا عندما يصل الطفل إلى السادسة من العمر حيث تكون الأضراس آخرها في الظهور ـ وأول الأسنان اللبنية في السقوط هي

القاطعان السفليان الأماميان . وتندفع القواطع السفلية الأمامية الدائمة تحت القواطع السفلية الأمامية غير الدائمة مفتتة جذورها فتنفصل تدريجيا عن الفك ثم تسقط . وتتساقط الأسنان غير الدائمة للطفل بنفس ترتيب ظهورها حيث تبدأ بتساقط القواطع ثم الأضراس ثم الأنياب . ويكتمل ظهور الأسنان الدائمة في حوالي سن ١٢ إلى ١٤ من العمر . ويظهر آخر الأسنان الدائمة . وهو ما يسمى بضرس العقل ـ في سن ١٨ من العمر . وينصح المختصون بضرورة القيام بزيارة الطبيب كل ٦ شهور لفحص أسنان الطفل لتقديم الإرشادات اللازمة فيما يختص بظهور الأسنان الدائمة أو التغذية اللازمة للطفل في هذه الفترة أو الوقاية من الأمراض التي تصاحب عملية تبديل الأسنان ، أو العوامل التي تؤدي إلى تسوسها

ويذكر الأطباء أن هناك أسبابا كثيرة لضعف وتآكل وتسوس الأسنان منها :ـ

١ ـ نوع غذاء الأم الحامل ، ونوع غذاء الطفل فلهما تأثير هام على تكوين الأسنان .

٢ ـ العوامل الوراثية .

٣ ـ كثرة وجود حمض اللاكتيك الذي تفرزه البكتريا المتراكمة حول الأسنان والتي تعيش على السكريات والنشأ الملتصق بالأسنان . وكلما ازدادت كمية السكريات الملتصقة بالأسنان زادت كمية البكتريا وزادت كمية حمض اللاكتيك الذي يحدث فجوات في السنة تزداد عمقا بالتدريج حتى تصل إلى الأعصاب المتصلة بالسنة وتبدأ الآلام . ويزيد من عوامل التسوس تناول الطفل للكراميل والسكر المبلور والفاكهة المجففة وشرب المياه الغازية وأكل البسكويت والكعك بين الوجبات . وأغلب هذه المواد تحتوي على السكر . وغالبا ما لا ينظف الطفل أسنانه بين الوجبات .

أهمية الأسنان من الناحية النفسية

للأسنان أهمية نفسية هامة لدى الطفل . وتميل لأن يكون لها تأثير دائم على سلوكه وعلى مفهومه عن ذاته .

أ ـ تأثير التسنين على انفعالات الطفل :

عدم ارتياح الطفل جسميا الذي يصاحب إختراق الأسنان اللبنية للثة مسئول جزئيا عن الثورة الإنفعالية التي تبدأ في الجزء الأخير من العام الأول من حياته والتي تستمر حتى العام الثالث .

وبينما لا تكون الأسنان مسئولة عن كل اختلال التوازن في هذه السن . فمما لا شك فيه أنها تجعل الطفل غير مستريح وتتداخل مع النمط العادي للأكل والنوم .

ب ـ علاقة التسنين بالنضج :

ان ظهور الأسنان الدائمة لا يسبب ألما لأن أغلبها يخترق اللثة في المكان الذي سقطت منه الأسنان المؤقتة . وتعد الأسنان الجديدة ذات أهمية نفسية كدليل أمام الطفل على أنه على وشك أن يترك الطفولة ، وكعلامة للآخرين على أنه سيصل إلى مستوى جديد من النضج .

ولقد ذكر تشيرش و ستون Church & Stone أنه بفقد الطفل لأسنانه المؤقته يتغير شكله الجسمي بطريقة تتفق أو تعطي صورة للتغيرات الداخلية الجارية .

جـ ـ تأثير الأسنان على مظهر الطفل :

بصرف النظر عن الرضا الذي يشتقه الطفل من تخلصه من الاسنان المؤقتة إلا أنه عليه ألا ينزعها ولكن يتركها حتى تقع من نفسها . فالجدول الزمني الطبيعي لا يمكن الإسراع منه لمجرد رغبة الطفل ، وفي العادة توجد فترة قصيرة بين سقوط الأسنان المؤقته وظهور الأسنان الدائمة التي تحل محلها . هذه الفترة تطول إذا جذب الطفل الأسنان المؤقته قبل موعد سقوطها . وإذا لم تكن هناك سنة جديدة قريبة جدا من السطح وعلى وشك اختراق اللثة يميل الفك إلى التقلص وعندما تكون السنة الدائمة مستعدة للظهور فإن المكان الذي يفترض أن يشغله قد يكون صغيرا جدا . فتعمل السنة الدائمة على شق طريق لها قد يكون منحرفا عن مكانه الأصلي أو متداخلا مع سنة أخرى .

وهذا الشذوذ في شكل الأسنان قد لا يؤثر على الطفل ولكنه يقلق ويسبب له الإضطراب الكثير عندما يصل مرحلة الوعي بالذات وبالمظهر في المراهقة .

د ـ تأثير التسنين على الكلام :

تأثير هام وخطير لعملية نزع الأسنان المؤقتة قبل موعدها هو اللثغة Lisping فقبل أن تظهر السنة الدائمة هناك فترة تسقط بعدها الأسنان المؤقتة . ولأن الأسنان الأمامية هي الأسنان التي يود الطفل أن يستبدلها بأخرى أكبر نجده أكثر ميلا لأن يجذبها حالما يجدها أقل ثباتا في مكانها . وكلما كانت الفترة أطول بين سقوط الأسنان المؤقتة وظهور الأسنان الدائمة كلما طالت فترة اللثغة عند الطفل ، والعكس كلما قصرت الفترة كلما قلت فترة أصابة الطفل باللثغة . ويجب اتخاذ خطوات علاجية سريعة حتى لا تصبح اللثغة عيبا كلاميا دائما .

نمو الجهاز العصبي

يكون النمو في الجهاز العصبي سريعا جدا قبل الميلاد وخلال الثلاث أو الأربع سنوات الأولى بعد الميلاد . والنمو في فترة ما قبل الميلاد يتكون أساسا من الزيادة في عدد وحجم الخلايا العصبية . أما النمو فيما بعد فيتكون أساسا من نمو الخلايا غير الناضجة الموجودة عند الميلاد . وبعد سن ٣ أو ٤ فإن النمو في الجهاز العصبي يسير بسرعة بطيئة نسبيا .

ويصل وزن المخ عند الميلاد إلى $\frac{١}{٨}$ الوزن الكلي للجسم ، ويصل في سن ١٠ إلى $\frac{١}{١٨}$ ، وفي سن ١٥ الى $\frac{١}{٣٠}$ وفي النضج يصل الى $\frac{١}{٤٠}$ وهذا النمط من النمو خاص بكل من المخ Cerebellum والمخيخ Cerebellum ومعدل الزيادة في الوزن في كليهما أكبر خلال العامين الأولين من الحياة . والمخيخ الذي يلعب دورا هاما في حفظ توازن الجسم وحفظ الجسم في الوضع القائم ـ يزداد وزنه ثلاث مرات خلال السنة الأولى بعد الميلاد . وعند وصول الطفل الى عامه الثامن يكون المخ قد وصل الى حجمه الناضج تقريباً ولكن النمو في المجاري الارتباطية الداخلية وفي بناء الطبقة الرمادية يكون غير تام . والنمو لذلك يعتبر داخلياً ولا يقاس في صورة حجم أو وزن .

تأثير النمو في المخ

يؤثر النمو في المخ والجهاز العصبي على كل عناصر النمو الأخرى . ويتضح ذلك من الدراسات التي تدور حول الاختلافات في النمو لدى الأطفال المتخلفين عقليا والعاديين أو فوق العاديين في الذكاء . والتأثير على نمو السلوك والشخصية بصفة خاصـة .

التأثير على الناحية المظهرية :

ان النمو السريع في حجم المخ خلال السنوات الأولى يعد أحد أسباب زيادة وزن الجزء العلوي من الجسم في الطفل الصغير . ويزداد ثقل الجزء العلوي من الجسم بازدياد نمو الجذع والأطراف واتخاذه الشكل الاسطواني اذا ماقورن بحالته عند الوليد . ولأن الوجه يظل صغيراً والملامح تظل أقل نمواً حتى البلوغ فان منطقة المخ في الرأس تصبح باستمرار كبيرة جداً بالنسبة لباقي الجسم .

وبينما نجد الأطفال على وعي بشكلهم ـ فإن انخفاض جاذبية مظهرهم تؤثر على استجابة الآخرين لهم . وأحد العوامل التي تسهم في انخفاض علاقة الطفل بالوالدين كلما تقدم العمر بالطفل ، هو ان الشكل الذي يوحي بكبر الجزء العلوي من الجسم يكون أقل جاذبية لوالديه عما كان عليه وهو رضيع .

تأثير نمو المخ على استقلال الطفل :

ان المخ مسئول عن ضبط الوظائف العقلية ـ كما أن المخيخ مسئول عن التوازن والوضع قائما لأعلى . والنمو السريع في هاتين المنطقتين من المخ يجعل من الممكن للطفل أن ينتقل من حالة العجز التام الى الإعتماد النسبي على نفسه خلال العامين الأولين بعد الميلاد .

التأثير على الذكاء :

مع النمو السريع في قشرة المخ Cortical Tissue يبدأ نمو سريع في القدرات العقلية . وبينما لا يمكن قياس النمو في الذكاء بدرجة كبيرة من الصحة باختبارات الأطفال المتاحة الآن ـ فإن الملاحظات تشير إلى أن الطفل قادر على التذكر وفي ربط المعاني بالناس والأشياء ، وفي التفكير البسيط . وفي كل سنة فإن الطفل العادي يبدى زيادة ملحوظة في القدرات العقلية ، الأمر الذي يؤثر على آدائه العقلى .

نمو أعضاء الحس :

تنمو أعضاء الحس بسرعة خلال مرحلة المهد وتكون مستعدة لأداء وظيفتها على وجه مرضى خلال الشهور الأولى من حياة الطفل . فيمكن للطفل أن يرى الأشياء ويميزها بوضوح عندما يتم التناسق بين عضلات العين وذلك في الشهر الثالث . ولكن لأن عضلات العين تظل ضعيفة لعدة شهور - يحدث عدم تناسق عمل العين في بعض الأحيان وخاصة في الأوقات التي يكون الطفل فيها مجهدا أو جائعا أو عندما يبكي . ويقال أنه في سن ثلاثة شهور تنمو الخلايا المخروطية الموجودة بالشبكة والتي تمكن الطفل من رؤية الألوان .

أما السمع فيتميز بأنه حاد عند أطفال المهد . فيبدى الطفل في سن شهرين رد فعل قوي للأصوات المختلفة مثل الصفير والطرق على الأبواب والتصفيق وصوت المعالق . وبعد ذلك بفترة قصيرة يستجيب الطفل لكل الأصوات .

أما بالنسبة للشم والتذوق اللذان يعدان ناميان منذ الميلاد - فإنهما يستمران في النمو خلال مرحلة المهد ويصبحان أكثر دقة في تمييز الأشياء المختلفة . فنجده يرفض الأطعمة التي يعتبرها الكبار حارة أو حريفة . وبسبب أنسجة جلد الوليد الرقيقة تنتشر أعضاء حسية كثيرة خاصة باللمس والضغط والألم والحرارة على سطح الجلد بنفس القدر الذي سيكون موجودا عندما يصل إلى النضج ، ويستجيب الطفل لكل المثيرات الجلدية . فهو يشعر بالحرارة والبرودة والألم ، ويستجيب بحيوية لمثيرات اللمس بصورة أوضح من استجابته لها عندما يكثر .

أمراض طفل مرحلة المهد :

يولد الطفل وهو مزود بمناعة طبيعية للأمراض تستمر معه حتى الشهر الثاني والى الرابع أيضا . ولو كانت تغذية الأم جيدة خلال فترة الحمل يقل احتمال إصابة الطفل بالأمراض خلال الشهور الستة الأولى من الحياة ، ويزداد تعرضه للإصابة بالأمراض إذا كانت تغذيتها فقيرة ، ويرتبط كل ذلك بعدد الوفيات في المواليد . وتقل المناعة التي اكتسبها الطفل بعد الشهور الستة تدريجيا . أما في الفترة الباقية من مرحلة المهد فإن الأمراض تكثر وقد يؤدي

بعضها إلى الوفاة . وتكثر حالات الوفاة المتسببة عن الأمراض خلال النصف الثاني من العام الأول .

إن أمراض الجهاز التنفسي والجهاز الهضمي هي أكثر الأمراض سببا للوفاة في كثير من الحالات . أما في العام الثاني فتقل نسبة الأمراض الخطيرة . وهناك عدد من الأمراض غير الخطيرة التي تصيب الأطفال في هذه المرحلة مثل أمراض البرد والاضطرابات الهضمية . وهي شائعة بينهم ، ولكن التشخيص السريع لهذه الأمراض مع الرعاية الطبية الملائمة يمكنهم من الشفاء قبل أن يستفحل الأمر . أما الاهمال يمكن أن يؤدي الى عواقب وخيمة .

الحوادث التى يتعرض لها الأطفال :

على الرغم من أن الأضرار قليلة خلال العام الأول من الحياة ، لأن الطفل يكون محاطا برعاية وحماية زائدة في مهده وفي عربته - فإن هناك الكثير من الأضرار التى يتعرض لها في عامه الثانى عندما يبدأ المشى والتجول بحرية معتمدا على نفسه . بعض هذه الأضرار يعد بسيطا كما في حالة الجروح والرضوض والكدمات التى لا تترك أثرا ضارا . وبعضها أضراره خطيرة قد تكون قاتلة . وأغلب حوادث المهد تحدث داخل المنزل وليس خارجه . وقد تحدث في أى وقت ولكن يكثر حدوثها في النهار عندما تكون الأم مشغولة بأمور المنزل . وحوادث الأولاد أكثر من البنات وتزداد كلما تقدموا في العمر . ويمكن لأى حادثة أن تؤثر على أى جزء من جسم الطفل ، ويعد الرأس أخطر هذه الأجزاء وأكثرها تعرضا للاصابة . لقد ظهر من احدى الدراسات أن ٦ من كل ١٠ من الحوادث التى تصيب الأطفال في العام الأول من حياتهم تصيب الرأس . وتأتى اصابة الرأس في كثير من الحالات من السقوط .

النمو في الوظائف الفسيولوجية :

مرحلة المهد هى الفترة التى توضع فيها أسس كثير من العادات المرتبطة بالوظائف الفسيولوجية المختلفة مثل النوم والتغذية والاخراج .

السلوك المتعلق بالنوم :

بنهاية الأسبوعين التاليين للميلاد تكون فترة استيقاظ الطفل لا تتجاوز ١٠,٥ ٪ من الوقت حيث يقضى باقى الـ ٢٤ ساعة في النوم أو في حالة نعاس . وتزداد فترة صحوه فتصبح ٤٧ ٪ في سن ٦ شهور ، وتظل هذه النسبة حتى نهاية العام الأول من العمر . وتزداد فترة النوم الليلى من ثمانية ساعات ونصف في عمر ٣ أسابيع الى ١٠ ساعات في عمر ١٢ أسبوع وتظل هذه الفترة ثابتة تقريبا خلال باقى العام الأول . وفي خلال الشهور الثلاث الأولى يلاحظ أن النقص في فترات النوم أثناء النهار يقابله زيادة في فترة النوم الليلى .

وبإزدياد حجم معدة الطفل في نهاية العام الأول فإن فترات النوم تزداد طولا . وتختلف كمية النوم اللازمة للأطفال ، فالبعض يحتاج لكمية كبيرة والبعض يستغرق في النوم فترات أقل . وكلما كان الطفل مشبعا من ناحية الغذاء والراحة وكمية الهواء النقى المتجدد ونائم في جو بارد ، فإنه يأخذ كفايته من النوم . وينام أغلب الأطفال في الشهور الأولى من حياتهم كل الفترة التى تنقضي بين الوجبات اذا كانت الوجبة كافية وسهلة الهضم . وقليل من الأطفال من يكثر إستيقاظهم من البداية دون أن يكون هناك أمر غير سليم . وكلما تقدم الطفل في العمر قلت فترات النوم تدريجيا وخاصة بعد منتصف النهار . وبوصول الطفل الى الثانية من العمر فإنه قد لا يحصل على ما يكفيه من النوم بسبب الاضطراب أو القلق أو الخوف من الأحلام المزعجة أو المنافسة مع أخ له .

الإستعداد للنوم :

من المفضل تعويد الطفل على الذهاب الى النوم بعد تناول الطعام ، وان كان بعض الأطفال يقاوم الذهاب الى النوم ويحاول البقاء مع الجماعة بعد الوجبات . ويفضل أن يتعود الطفل على النوم في سريره دون مصاحبة أحد له ابتداء من الشهر الثالث . ويتعود الأطفال بسهولة على الجو المحيط بهم سواء كان يتميز بالهدوء أو ببعض الضوضاء ولذلك فمن الأفضل ألا نعوده على نمط واحد من الجو المحيط أثناء النوم فالظروف لا تكون دائما على نمط واحد من الهدوء أو الضوضاء .

طريقة نوم الطفل :

هل الأفضل أن ينام الطفل على بطنه أم على ظهره ؟ يبدو أن كثيرا من الأطفال يفضلون النوم على بطونهم من البداية وخاصة من يصابون كثيرا بالمغص ، فالضغط على البطن يبدو أنه يخفف من ألم ضغط الغازات . والبعض الآخر لا يهتم بالنوم على أي من الجانبين أو يفضلون النوم على الظهر . وهناك عيبان لنوم الطفل على ظهره الأول إنه اذا تقيأ يكون عرضة للاختناق . والثانى أنه قد يتعود على وضع الرأس أثناء النوم على جانب واحد . وقد يؤدى ذلك الى فرطحة جانب الرأس . ولا خوف من حدوث ضرر للمخ نتيجة لذلك فستأخذ الرأس وضعها الطبيعى واستدارتها بعد ذلك وان استغرق ذلك عدة سنين . ولذا تلجأ بعض الأمهات الى تغيير وضع الطفل في السرير في كل مرة ينام فيها بمعنى وضع رأسه مكان رجليه في المرة التالية . فلو كان هناك جانب من الغرفة يحب أن ينظر إليه فسيدير رأسه إليه . وبذلك يتغير وضع الرأس في كل مرة ينام فيها . ومن المفضل أن نعود الطفل على النوم على بطنه منذ البداية . وينصح الأطباء أن نعود الطفل على النوم على جانبيه بإستخدام الوسائد . ويذكر البعض الآخر أن النوم على الظهر يساعد على اتساع الصدر وبالتالى زيادة كمية الهواء التى يستنشقها ويستفيد منها .

وينصح علماء النفس بألا ينام الطفل في سرير والديه . فعندما يكثر استيقاظ الطفل أثناء الليل بسبب الخوف ويجرى الى غرفة والديه ، وعندما يكثر صراخه ليلا ويأخذه الوالدان الى غرفتهما حتى ينام ـ وكثيرا ما يحدث ذلك من بعض الآباء ـ فإنهم يرتكبون خطأ كبيرا . لأن الطفل سيلجأ الى هذه الوسيلة ليحصل على الأمن في سرير والديه . ولا يخفى علينا ما يترتب على ذلك من إقلاق للوالدين أو ما يتسبب عن ذلك من ضيق لهما قد يؤثر بصورة أو بأخرى على علاقتهما بالطفل . ولذلك فمن المفضل اعادة الطفل الى سريره في الحال وعدم نوم الطفل في سرير الوالدين حتى ولو كانا في عملهما .

ويجب أن نجعل وقت الذهاب الى النوم وقتا سعيدا ممتعا للطفل . بأن نجعل ذهاب الطفل للنوم في وقت ملائم ، فالطفل يحب الذهاب الى النوم عندما

يكون مجهدا ، وعندما يكون محاطا بجو من المرح ، وفي الوقت الذى نعوده فيه على النوم ، وعندما نرافقه الى سريره دون قهر ولا إجبار بل مشمولا بالحب والحنان ، وعندما يحاط باللعب المفضلة لديه وعندما يكون الضوء في غرفته خافتا ، وعندما يستمع الى موسيقى هادئه أو الى قصة جميلة من والدته اذا كان لديها ما يكفى من الوقت .

مخاوف الذهاب الى النوم :

هناك بعض العوامل التى تعوق الطفل عن الذهاب للنوم دون مساعدة الكبار منها : الخوف من الوحدة أو أن يترك وحيدا ، والخوف من الظلام والخوف من الكابوس الليلى والخوف من بلل الفراش والخوف من الخبرات المثيرة للاضطراب . الخوف من أخ أكبر منه أو من الاحتراق أو الغيرة من طفل أصغر منه أو الخوف من إهمال أمه له .

كل هذه العوامل السابقة تجعل الطفل كثير المخاوف لا يرغب الذهاب الى النوم كما أن نومه يكون عادة متقطعا . ومخاوف الأطفال كثيرا ما تكون مظهرا من المخاوف المحيطة بهم . لذا نجد أن الأطفال يختلفون من حيث رغبتهم أو عدم رغبتهم في الذهاب الى النوم وكذلك من حيث درجة هدوء أو عدم هدوء نومهم . فالذين على علاقة طيبة بالمحيطين بهم لا يمانعون الذى الى النوم في الوقت المناسب .

واهتمام الطفل بما حوله قد يكون سببا في جذب انتباهه ويقظته وتعطيله عن النوم ويحاول بعض الأطفال أن يطيل الفترة التى يلازمهم فيها الآباء قبل النوم فيتعللوا بشتى الطرق لإبقائهم بجانبهم بأن يكثروا من طلباتهم أو أن يصروا على سماع القصص أو أن يطلبوا منهم احضار اللعب اليهم وما إلى ذلك من الأساليب . والمقصود بذلك هو تعطيل عملية النوم بقدر الإمكان . هذه الحجج تؤدى وظيفة نفسية هامة لدى الطفل ، إذ أن الطفل الذى يخاف ولا يجرؤ على التعبير عن مخاوفه يلجأ الى مثل هذه الحيل . وقد تكون وظيفة هذه الحيل هى كونها وسيلة يحاول الطفل بها أن يؤكد لنفسه مدى اهتمام الأبوين به ومدى قوة العلاقة بينه وبينهم .

ومن المظاهر الأخرى تقطع فترة النوم . فقد يستيقظ بعض الأطفال ويحاولون تكرار نفس الحيل لإزالة الخوف الذى يدفعه الى الإستيقاظ . وقد يكون السبب كثرة نومهم نهارا أووجود ألم جسمى إلى جانب الأسباب النفسية . ولذا فمن المستحسن في مثل هذه الأحوال أن نبحث عن سبب المشكلة لا أن نضطر الطفل الى النوم اضطراريا أو أن ينهر أو غير ذلك من الأساليب .

السلوك المتعـــلق بالتغذيـة

كل الغذاء الذى يتناوله الطفل من الميلاد وحتى عمر أربعة أو خمسة شهور يقوم على عمليتى المص والبلع ولذلك يجب أن يكون الغذاء في حالة سائلة . وتظهر عملية المضغ متأخرة عن عملية القضم بحوالى شهر ، وتحتاج عملية القضم الطفلية الى تدريب حتى تصبح ذات فائدة عملية بالنسبة للطفل . ويبدأ الطفل هذه العملية مستخدماً القواطع الأمامية ويجب أن يشجع على التدريب على القضم والمضغ بتقديم وجبات نصف جافة وبهذه الطريقة يمكنه أن يسيطر على المهارات الأساسية الخاصة بالتغذية من وقت مبكر .

ويؤدى استخدام زجاجة اللبن أو الأغذية السائلة خلال النصف الثانى من العام الأول الى تشجيع الطفل على الاستمرار في الإمتصاص الطفلى بحيث تصبح عادة متأصلة . ولتجنب ذلك يجب استبدال الزجاجة بالكوب وذلك ابتداء من الشهر السادس حتى يتعلم كيف يشرب اللبن بدلا من امتصاصه وعندما يحصل الطفل على فترة طويلة من التغذية بواسطة امتصاص اللبن فإنه يكون أميل إلى الإستغراق فترات طويلة في مص أصابعه وفي البكاء وعدم الإستقرار وصعوبات كثيرة في النوم .

وتكون هذه الظواهر أقل حدوثا عندما تكون فترة التغذية بامتصاص اللبن أقصر . وعندما تستمر التغذية على اللبن حتى نهاية العام الأول ـ نجد أنه من الصعب على الطفل أن يتكيف لأنواع الطعام الجديدة نصف الصلبة . وقد يفسر ذلك عزوف الطفل عن هذه الأطعمة ورفضه لها على الرغم من أنه قد يحب طعمها .

ولكل طفل نظامه الخاص بالتغذية ـ ويجب وضع حالة الجوع في الإعتبار بدلا من اجباره على نظام وضعى من التغذية . فعندما يجبر الطفل على ذلك شعر بالاحباط ويؤدى ذلك إلى رفض الطعام مما يعرض الطفل إلى بعض الاضطرابات الوجدانية .

الحصول على الطعام ونمو الحاجات النفسية

ان الحاجة للطعام أشد وأقوى الحاجات جميعا عند الكائنات الحية ، إذ تتعلق حياتها ووجودها البيولوجى بإشباع هذه الحاجات . إلا أن التدريب والخبرة اللذان يكتسبهما الطفل أو يتعرض لهما أثناء اشباع هذه الحاجة يجعلان أهمية الحصول على الطعام ليست قاصرة على الناحية البيولوجية ـ بل يتعدى ذلك فتصبح ذا أثر كبير في تشكيل سلوك الفرد وبناء شخصيته .

ومن ملاحظة السلوك الظاهرى للطفل الجائع نجده كثير الحركة ، وتزداد حركته وعدم استقراره وبكاؤه كلما زادت فترة الحرمان من الطعام . هذه الحالة من الاضطراب مضايقة ومؤلمه للطفل ، بل ومهددة لكيانه . إن الحصول على الطعام ليس فقط مشبعا للجوع أى ليس ذا وظيفة بيولوجية فقط ، بل أنه يشبع أيضا حاجات نفسية للإرتياح والأمن والهدوء . وبالتالى فإنه يتوقف على أسلوب معاملة الطفل في إشباع حاجتة الأولية للطعام مدى شعوره بالأمن والحب والإطمئنان وما يترتب على ذلك من اثار نفسية .

وإذا ترك الطفل مدة طويلة دون طعام ، أو كان تناوله للطعام بشكل غير منتظم وغير كاف ـ فقد يؤثر ذلك على نموه النفسى بحيث يترتب عليه انحرافات معينة في المستقبل والواقع أن جذور العلاقة الوجدانية التى يكونها الطفل نحو أمه تبدأ عن طريق الثدى ؛ إذ يرتبط وجود الأم بالحصول على الأمن والإطمئنان اللذين يحصل عليهما الطفل ، فتصبح الأم بعد ذلك مصدراً للأمن . كما تصبح بعد ذلك وهى مصدر الدفء والإشباع ، تصبح في حد ذاتها مرغوباً فيها من الطفل . حيث يجد الطفل إشباعا لحاجاته النفسية من

مجرد وجودها . بل تنشأ الحاجات النفسية ذاتها أساسا من هذه الحاجات البيولوجية الأولية . فبعد أن كان الطفل يكف عن البكاء عند حصوله على الطعام - أصبح يكف عن البكاء عند مجرد أخذه للوضع الخاص بالحصول على الطعام ، أى يتعلم أن ينتظر الحصول على الطعام عند وجوده في هذا الوضع . ثم بالتدريج يصبح منظر الأم وحده كافيا لتهدئة الطفل . وعندما ينمو عنده الإدراك البصرى ويتمكن من تمييز الأم عن غيرها من الناس ، يصبح وجود الأم مشبعا في ذاته . بل أبعد من ذلك نستطيع أن نقول أن الرغبة في الإجتماع بالاخرين بوجه عام تنشأ عن هذا الطريق الطبيعى ، وبعد أن كنا نرى الطفل يبكى لأنه جائع نجده يبكى لأنه يريد الأم .

رضـــاعة اللــبن :

تقدم أول رضعة للطفل بعد ميلاده بحوالى ١٢ ساعة ، وربما تقدم قبل ذلك إذا ظهر أن الطفل في حالة جوع . وخلال الفترة التالية للميلاد يعطي الماء المعقم المحلى بقليل من السكر لتنشيط الجهاز الهضمي والتخلص من بقايا سائل المشيمة الذي يغطي جدران القناة الهضمية .

والرضعات التى يتناولها الوليد بعد الميلاد تكون كمياتها قليلة ويجب ألا نجبره على المزيد . فقد يأخذ قليلا من اللبن ثم يستغرق في النوم . ثم يصحو ليتناول كمية أخرى ثم يعود الى النوم . وبعد ثلاثة أو أربعة أيام تقريبا يبدأ الطفل في طلب كميات اللبن المتوقعة منه ، وقد يستغرق ذلك أسبوعا أو أكثر .

وقد يعتمد الطفل في غذائه على لبن الأم إذا كان اللبن كافيا ، وكانت الأم راغبة في ذلك . لكن في بعض الحالات تلجأ الأمهات إلى زجاجات اللبن ذات الحلمات أو ما يمكن أن نطلق عليه بالتغذية الصناعية . وهنا يجب أن نراعى الشروط الصحية للبن والزجاجة والحلمات .

أهميــة الرضـــاعة من الثـدى :

الرضاعة من الثدى هى الأسلوب الطبيعى وهى أكثر الطرق أمانا إلا إذا وجد

ما هو أفضل منه . ومن مميزات الرضاعة من الثدى ما يلى :-

١ - أنه يساعد الأم صحيا - فعندما يرضع الطفل ثدى أمه تنكمش عضلات جدران الرحم بسرعة ويعود الى حجمه ووضعه الطبيعى .

٢ - حصول الطفل على المناعة الطبيعية - فالطفل من خلال لبن الأم يحصل على مناعة ضد الأمراض عن طريق الكوليسترومم (وهو السائل الذى يسبق نزول اللبن في الأيام الأولى من الرضاعة).

٣ - الأطفال الذين يرضعون لبن الأم أقل في الاضطرابات المعوية من الأطفال الذين يتغذون على الزجاجات .

٤ - تغذية الطفل من الثدى تتيح له دائما الحصول على لبن سليم (خاصة عندما تكون الأم سليمة صحيا) لا يكون سببا في إصابة الطفل بالمرض .

٥ - الرضاعة من الثدى توفر عدة ساعات يوميا تقضيها الأم في إعداد الرضعات فليست هناك زجاجات لتعقم أو وجبة لتعد أو تطهى أو تبرد أو زجاجات لتدفأ . كما أنها توفر كثيرا من الجهد والتعب خاصة عند السفر وكثرة الحركة .

٦ - يوفر كثيرا من المال الذى ينفق على اللبن الصناعى أو الأدوات اللازمة للرضعات وحفظها .

٧ - الرضاعة من الثدى تشبع لدى الطفل حاجته الفطرية للإمتصاص . فيمكنه رضاعة الثدى لأى فترة طالما أراد ذلك . ويعد الأطفال الذين يرضعون من الثدى أقل امتصاصا لأصابعهم لهذا السبب .

٨ - كما أن الرضاعة تقوى العلاقة بين الطفل وأمه وتكون هذه العلاقة مصدر سعادة كبيرة لهما . ويؤكد أهمية الرضاعة من الثدى ما تذكره الأمهات من أن إرضاع أطفالهن يعطيهن قدرا كبيرا من الرضا لأنهن يشعرن بتقديمهن لأطفالهن شيئا لا يمكن لغيرهن تقديمه للطفل . ورؤيتهن للهفة الطفل على الثدى والشعور بالصلة القوية بينهما ، كما تصبح عملية الرضاعة بعد أسابيع قليلة سارة للأم . فالمرأة لا يمكن أن تحس بمشاعر الأم إلا بعد الرضاعة والعناية بالطفل الأمر الذى يعد مصدر سعادة كبيرة للطفل نفسه أيضـا .

٩ - يؤكد كثير من الأطباء وجود علاقة قوية بين الامتناع عن إرضاع الطفل من الثدي والاصابة بسرطان الثدي .

تأثير الرضاعة على الأم :

تخاف بعض الأمهات من الرضاعة بإعتبارها ستضعفهم وأن عليهم أن يأكلوا كميات أكثر من الغذاء ليمكنهم مواجهة مطالب الطفل من اللبن مما قد يؤدى الى السمنة عندهن . وأن عملية الرضاعة تؤدى الى كبر حجم الثدى وتهدله مما يشوه من تناسق أجسامهن . وأن أجسامهن تتضخم أثناء الحمل وستظل حالتهم الجسمية كذلك طالما يقمن بإرضاع أطفالهن . وليس هناك دليل على أن ارضاع عدة ولادات يسبب أن يتدلى الثدي أو يزداد حجماً بصورة مشوهة . فهناك من الأمهات التى أرضعت أطفالهن من الثدي وإزداد تفرطحاً ، كما أن هناك الكثير غيرهن لم تقمن بإرضاع أطفالهن من الثدي وتفرطحت أثداؤهن على الرغم من ذلك . كما أن هناك أمهات كثيرات أرضعن عدة أطفال ولم يحدث تدلى أو تفرطح لأثدائهن وكان قوامهن يتميز بالرشاقة والتناسق .

وقد تشكو بعض السيدات من صغر أثدائهن وأنهن لن يتمكن من تقديم الكمية الكافية من اللبن إلى اطفالهن . ولكن هذه الفكرة خاطئة . فعندما تكون المرأة غير حاملة ولا ترضع فإن الأنسجة الغدية تكون في حالة خمول ولا تكون إلا جزاء صغيرا من الثدى .
أما الجزء الأكبر من الثدى فيتكون من أنسجة دهنية تتركز في هذا المكان للتجميل . ويكون الثدى كبير الحجم محتويا على أنسجة دهنية أكثر من الثدى الصغير الحجم . وكلما تقدمت المرأة في حملها فإن الهرمونات التى يفرزها المبيضان تنشط الغدد اللبنية المكونة للبن فتنمو وتزداد حجما ، كما يزادا حجم الأوردة والشرايين المتصلة بهذه الغدد أيضا ، وتبدو الأوردة ظاهرة على سطح الثدى . وعندما يبدأ إنسياب اللبن بعد الوضع بعدة أيام يسبب زيادة أخرى في حجم الثدي . ويذكر الأطباء الذين تخصصوا في رعاية الأمهات الوالدات . ان الأمهات اللاتي يتميزن بثدي صغير قبل الحمل يقدمن لأطفالهن بعد الوضع كمية من اللبن كافية كالأخريات .

وتشعر كثير من الأمهات بالاجهاد من عملية الرضاعة خاصة في الأسابيع الأولى منها وان كانت الكثيرات ترضع أطفالهن عن طريق الزجاجات . وتسترد

الأم صحتها بعد الوضع والرعاية الصحية ، ولكن التوتر العصبي الناتج من رعاية المولود الجديد يعد مرهقاً للأم . كما أن الثدي يحتاج لعدد كبير من السعرات كل يوم من أجل الطفل ، ويجب على الأم أن تتناول كمية من الطعام أكبر من العادة للمحافظة على وزنها . وعندما تكون صحة الأم جيدة وتشعر بالسعادة تكون شهيتها في خدمة احتياجاتها من السعرات الحرارية لتكوين اللبن اللازم للطفل . والأم التى تشعر بان أرضاع الطفل يكلفها أكثر من طاقتها قد تعاني كثيراً من التوتر والقلق وهذا يؤثر على شهيتها أو روحها المعنوية . وقد تكون من النوع الذي لا يثق في صحته الجسمية ولا في قوته ولذا فهي تشعر أن أية مطالب اضافية من الغذاء يمكن أن تسيء الى قوامها وقد يؤدى هذا الشعور الى ضعف صحتها . وقد يؤثر أسلوب تنشئة الأم على اتجاهاتها إزاء عملية الرضاعة وشعورها بالقلق نحو العناية بالطفل .

أهمية إظهار الحب للطفل في موقف الرضاعة :

من الأهمية بإمكان أن تحمل الأم طفلها بين ذراعيها حتى ولو كانت ترضعه من الزجاجه فهى بذلك لا تغذيه لبنا فقط بل تغذيه روحيا أيضا . وهناك طرق كثيرة يمكن للأم بها أن تظهر لطفلها الحب والحنان ، أحدها وأفضلها الرضاعة عن طريق الثدى ، ابتسام الأم مع الطفل ، خلو الجو المحيط بالطفل من الشجار والصراع والمنغصات . وكلما كان الحب قائما بين الطفل والمحيطين به ، زاد احتمال قيام علاقات اجتماعية سليمة بين الطفل والآخرين .

إدرار اللـــبن :

يبدأ إدرار اللبن في اليوم الثالث أو الرابع من ميلاد الطفل مع وجود فروق فردية بين الأمهات في ذلك . ويبكر عن ذلك الميعاد الأمهات اللاتى سبق لهن ولادة أطفال آخرين ويتأخر في الأمهات الجدد . وقد يأتى فجأة أو تدريجيا . ويلاحظ أن غالبية الأطفال يتميزون بأنهم أكثر يقظة وجوعا في اليوم الثالث والرابع . وتستقبل الغدد البنية في الجزء الأخير من الأسبوع الأول أكبر تنشيط هرمونى بحيث يصبح الثدى ممتلئا . وأحيانا لا يكون ممتلئا بدرجة تكفى

لإشباع الطفل الجائع . ويقال أن حالة الجوع عند الطفل هى التى تحدد كمية إدرار الثدى للبن . وقد تستمر كمية اللبن غزيرة لعدة شهور اذا كان الطفل يمتص كل كمية اللبن الموجودة بالثديين .

ويحصل الطفل على الثدى كلما طلبه في الطبقات الفقيرة أو غير المثقفة أو غير العاملة ولكن في المجتمع الحديث الذى ينظم حياة الطفل ووجباته طبقا لجدول زمنى محدد تفرضه ظروف الآباء وظروف عملهم ، فإن الطفل يحصل على الثدى طبقا لتوقيت زمنى تحدده الأم ومطالب الطفل . وقد يحصل على وجبة الطعام من ثدى واحد وفي المرة الثانية يحصل على كمية اللبن اللازمة له من الثدى الآخر . وينشط الثدى كلما فرغ تماما من اللبن ويبدأ في تكوين كمية أخرى ويحدث ذلك عادة كل ثمانية ساعات . ولكن كمية اللبن التى يفرزها أحد الثديين لا تكفى لاشباع الطفل فيكمل باقى الرضعة من الثدى الآخر ولكنه لا يفرغه تماما . وحتى تحافظ الأم على كمية الإدرار الكافي لطفلها يجب أن تتيح قدرا كافيا من التنشيط لكلا من الثديين وذلك بأن تبدأ بالثدى الذى لم يتم تفريغه تماما في المرة السابقة بأن تقدمه للطفل أولا في الرضعة التالية . وهكذا يتبادل الثديين مع بعضهما في كل مرة . أى تبدأ الأم بالثدى الأيمن في احدى الرضعات ثم تبدأ بالثدي الأيسر في الرضعة التي تليها .

وتلجأ بعض الأمهات الى أسلوب آخر لتضمن التنشيط الهرموني الكامل لكلا الثديين بإستمرار بأن تفرغ الثدى الذى لم يتم تفريغه عن طريق الطفل وذلك بعنصر اللبن منه باليدين أو شفطه بواسطة شفاطات خاصة بعد أن يصل الطفل الى حالة الإشباع التام (يحتاج الطفل الى ٢٠ دقيقة في المتوسط لكى يحصل على كمية الإشباع اللازم ، حيث يترك على الثدى الأول من ١٢ ـ ١٥ دقيقة ثم ينتقل الى الثدى الآخر لفترة أقل وأطول حسب رغبته . ويحصل الطفل على أكبر كمية من اللبن الموجود في الثدى الواحد خلال ٥ ـ ٦ دقائق بينما يتم التفريغ الكامل في ١٠ ـ ١٥ دقيقة ، ولكنه لا يفرغ تماما لأنه يفرز كميات قليلة أخرى يتذوقها الطفل فيستمر في الامتصاص . ولذا فليس هناك ما يدعوا الأم لأن تترك الطفل يرضع لأكثر من ٢٠ ـ ٤٠ دقيقة معتمدة على أنه ما زال ملهوفا على الثدى ومستمرا في الإمتصاص ويجب أن تسحب الثدى بعد ٣٠ دقيقة) .

ولكن هل يمكن أن نعرف أن الطفل قد حصل على كفايته من اللبن ؟ هناك مجموعة من الحقائق يجب أن نحيط بها ، منها أننا لا يسهل علينا معرفة إذا ما كان الطفل يرضع فعلا أم لا على الرغم من استمراره في عملية المص . فالطفل يستمر في المص على الرغم من اكتفائه من اللبن لمدة ١٠ دقائق وربما يستمر نصف ساعة في ذلك ، حيث يجد متعة في عملية الإمتصاص أو لأنه ما زال يقظا ويقضى وقتا ممتعا في أحضان والدته . كما أننا لا يمكننا التنبؤ بحالة الإشباع لدى الطفل من شكل الثديين قبل وبعد الرضاعة . فقبل الرضاعة يكون الثديان ممتلئان وأكثر صلابة منهما بعد تفريغهما حيث يتدليان قليلا ويكونا أكثر طراوة . كما لا يمكن التنبؤ بحالة الإشباعالتى وصل اليها الطفل من مظهر ولون اللبن . فلبن الأم عادة خفيف القوام ضارب الى الزرقة اذا ما قورن بلبن البقرة.

وليس هناك اختلاف في خواص لبن الأم من وقت لآخر في نفس الأم أو من أم لأخرى . كما أن بكاء الطفل لا يعد دليلا على شبع الطفل أو جوعه . فالطفل أحيانا يبكى ويصرخ بعد حصوله على كمية الإشباع الكافي خاصة الأطفال كثيرى الأصابة بالمغص أو الطفل النكد أو البعض الذى يتميز بكثرة البكاء .

ولكن المعيار السليم في ذلك هو العلاقة بين الزيادة في الوزن والإشباع . فالطفل السعيد الذي نلاحظ عليه زيادة مستمرة في الوزن لاشك أنه يحصل على كمية كافية من اللبن . أما الطفل الذي يبكي كثيراً بعد الوجبات ولكنه يزداد وزناً بإنتظام فانه بلا شك يحصل على كفايته من اللبن ولكنه يصاب كثيراً بالمغص . أما الطفل الذي يزداد وزنه ببطء شديد ولكنه قليل البكاء فهو طفل بطىء النمو يكتفى بما يحصل عليه من اللبن . وهناك أطفال يزداد نموهم ببطء شديد ودائما في حالة جوع ، وهم أولئك الأطفال الذين لا يحصلون فعلا على كفايتهم من اللبن .

ملاحظات حول التغذية الصناعية :

قد لا تكون كمية لبن الأم كافية أو قد لا يقبل الطفل على ثدى الأم لنقص خبرات الأم بعملية الرضاعة مما لا يمكن الطفل من تناول حلمة الشدى بإحكام

فيعزف عنه خصوصا لو دعم سلوكه هذا بزجاجة اللبن ذات الحلمات الكبيرة التى يسهل عليه تناولها وامتصاصها . وقد يجف لبن الأم من فترة مبكرة نتيجة لفشلها في تنشيط الغدد اللبنية بالتخلص من الكميات الباقية بعد كل رضعة ، أو نتيجة لمرض يصيب الأم فتمتنع عن رضاعة الطفل في فترة مرضها وتهمل تفريغ هذا اللبن بوسيلة أو بأخرى . وقد لا يوجد اللبن منذ البداية ، وقد تمتنع الأم عن إرضاع طفلها من ثديها محافظة على قوامها . وقد لا يكون لدى الأم الوقت الكافي لتقدم لطفلها الثدى عندما يحتاجة خاصة اذا ما كانت تعمل خارج المنزل .

كل هذه العوامل تدفع الأم الى استخدام وسائل بديلة لسد احتياجات الطفل منها الزجاجة أو الملعقة أو الكوب أوهى جميعا . ومع مراعاة الشروط الصحية لاستخدام هذه البدائل يجب مراعاة الأمور التالية :

١ - ألا يعتمد عليها كلية إذا توفر لبن الأم في الوقت الذى تلازم فيه الطفل .
٢ - استشارة الطبيب حول نوع اللبن الملائم للطفل .
٣ - ألا تكون الحلمات المستخدمة ضيقة بحيث تجهد الطفل من عملية الامتصاص بل أن يحصل على كفايته من اللبن . ولا تكون واسعة بحيث يحصل على الرضعة في وقت قصير فيصاب بعسر هضم وتكثر الغازات والاضطرابات المعوية وقد يصاب بالمغص .

الرضاعة من الثدى كرباط بالأم :

من العادات الشائعة وضع الرضيع على ثدي الأم في الحال بعد الميلاد . ان عملية الميلاد قد تكون محنة بالنسبة للأم . وفي بعض الحالات تنظر الأم إلى أي ألم في الولادة على أنه نابع من نشاطها الذي يقربها من النتائج التى ترغبها . وأحيانا ما يستدعى ألم الأم الحاد أو قلقها اللجوء الى نشاط وسيط ذو صبغة طبية . ويزداد القلق ، وبعد اتمام عملية الميلاد التى تتميز بخروج المشيمة (Placenta) أو بعد الميلاد نجد هناك نظرة هدوء ورضا تبدو على وجه الأم أبعد من مجرد الارتياح .

لقد كان الطفل معرضا لحالة من الضغط أثناء عملية الولادة ، كما إنتهى

الأوكسجين والغذاء اللذين ذود بهما عن طريق الأم . وعليه أن يبادر بالصراع من أجل أول شهيق من الهواء ثم يأتى الغذاء بعد ذلك الذى يربط بين الطفل وأمه في أسلوب جديد عما سبق . ويمكننا أن نرسم صورة في خيالنا للطفل في محنته الأولى باحثا عن شيء يريحه ويفرج عنه ، وما يريده هو أشياء مادية يمكن القول أنها مبعث حاجاته .

وتبدأ عملية التغذية . وذلك مما يرضى مجموعة من الحاجات لكل من الطفل والأم .

فالأم تحتاج لأن تعطى الرضعة كما يحتاجها الطفل ، ولكن هناك أسباب عديدة لعجز الأم عن تغذية الطفل من صدرها ، أو عدم رغبتها في ذلك ، وفيض اللبن من الثدى بطـىء . وما يكون موجودا خلال الأيام الثلاث الأولى بعد الميلاد ليس لبنا ولكن سرسوب (Colostrum) وهو سائل كثافته أقل من اللبن كما أن كميته أقل من اللبن الذى سينزل بعد ذلك ، إلا أن الطفل ما زال لديه مخزون من الغذاء لهذه الفترة (الثلاث أيام الأولى) . ورضاعة حلمة الثدى في هذه الفترة تنشط فيضان اللبن ، كما تساعد على عملية رجوع عضلات الرحم الى وضعها الطبيعى والتى حدث لها إمتداد خلال شهور الحمل .

استمرار إنسياب وفيضان اللبن كعلامة على حالة الإرتياح :

ان إستمرار فيضان اللبن يعتمد على إثارة ميكانيكية دقيقة عندما تكون هناك علاقة واضحة بين حجم فم الطفل وحجم حلمة الثدى ، وهذه العلاقة الميكانيكية بينهما هامة في إقامة رابطة بين الأم والطفل . وقد اكتشفت هذه العلاقة عند دراسة سلوك الحيوانات مع صغارها .

وفي كتاب خاتم الملك سليمان الذى كتبه « لورنز » « » شرح لورنز كيف احتفظ بعدد من الحيوانات المختلفة بمنزله ولاحظ سلوكها ، ثم قام بدراستها في ظروف متغيرة ، فمثلا تتبع صغار الأوزو الأم حال خروجها من البيضة . وهو نمط سلوكي له أهميته من أجل البقاء .

كما لا حظ « لونز » ان نمط التبعية يبدأ بمجرد رؤية أول شيء متحرك والذي يكون عادة الأوزة الأم . ووجد « لورنز » تجريبيا أن صغار الأوز قد تتبع أى شىء يتحرك اذا وقع في حيز ابصارها في اللحظة التى تخرج فيها من البيضة . فالكلب أو حتى كرة متحركة من المطاط يمكن أن ينظر اليها كما لو كانت أما لهذه الصغار ويتبعونها . وعندما نظم « لورنز » الموقف بحيث يكون هو نفسه أول شىء متحرك تراه الصغار عند خروجها من البيض تبعته وإستمرت في ذلك حتى بعد بلوغها .

ويبدو من ذلك أن هناك عمليات معينة تعمل على قيام نوع من السلوك ، وعمليات أخرى تعوق هذا السلوك عندما يصبح السلوك غير ملائم بعد ذلك .

ان الأشكال المختلفة للسلوك تعتمد على مراحل معينة من النضج لدى الصغير ، وعلى ظهور مثيرات أو إشارات خارجية معينة . كما أنها أمور خاصة بالنوع ، فمثلا هناك أنواع مختلفة من السلوك وإشارات مختلفة لدى الأنواع

المختلفة من الحيوانات . وهذه الظاهرة تحدث في سلوك الرضيع والأم ـ وقد وصفها (جون بولبي John Bowlby) ورضاعة الثدي هى أحد هذه الظواهر . بالأضافة الى ذلك فإن ابتسامة الطفل ، وبكاؤه ، وتعلقه بيديه حول رقبة الأم ، كلها أنشطة تبعث شيئا في الأم هى مستعدة له ولكنه يحتاج لمثير ليطلقه .

ويدعو المثير الى بعث جزء من عمليات الأم الى حيز الوجود ، ويدعم النمو المستمر الإرتباط بالأم ، وإستمرار النمو من جهة الطفل يمثل مثيرا يعمل على اطلاق الرابطة ويسمح للطفل بالإنفصال عن الأم .

هذا التفسير يساعدنا على فهم أم الطفل التى تعانى من بعض الإعاقة والتى لا تتطور إلى المعدل الطبيعى في علاقتها بالطفل . ومثل هذه الأم قد لا تقدر على تكوين بعض الاستجابات الطبيعية ، أو على إطلاق طفلها بعيدا عنها في المراحل التالية ، لأن المثيرات الضرورية لا تحدث أبدأ . والرابطة غير الملائمة في هذه المراحل المختلفة هى ما تشير اليه بأن الأم تنبذ أو تقوم بحماية زائدة للطفل .

العوامل الميكانيكية والانفعالية في موقف الرضاعة

عندما تبدأ الرضاعة الطبيعية يمكن أن تنشأ صعوبات من نقص خبرتنا بالعمليات الميكانيكية البسيطة الخاصة بوضع الطفل على الصدر في موقف الرضاعة . وكثير من الأمهات لا خبرة لهن بالأمهات الآخرين وهن يرضعن أطفالهن من الثدى . فالأسر صغيرة الحجم ، والرضاعة في بعض البيوت تعد عملية يجب ألا تتم علنا .

في بعض الأحيان يوضع الطفل على الصدر بطريقة تكون فيها أنف الطفل مغروسة في الثدى فيضطر الطفل إلى ترك حلمة الثدى حتى يمكنه أن يستمر في تنفسه . وأحيانا ما يتخلى مثل هذا الطفل عن الثدى على الرغم أنه ما زال في حاجة للرضاعة ، وتقول الأم ان الطفل يكره الثدي ، أو يرفضه . مثل هذه الأم تشعر بعمق بالحسرة نحو ما تعتقد أنه سلوك نابع من طفلها . وعلى الرغم من أن الأم تلوم الطفل في ذلك فإنها تشعر داخليا بالذنب .

الرضاعة الصناعية والرضاعة الطبيعية

على الرغم مما يقال فان التغذية عن طريق الزجاجة ستظل مفضلة في أى مكان تكون التغذية الصناعية فيه قائمة . وفي دراسة «نيوسن Newson » (١٩٦٢) عن الأسباب التى تذكرها الأمهات لإتخاذهن الرضاعة الصناعية سبيلا لتغذية أبنائهن كانت معظم الأسباب عبارة عن تفسيرات ـ وكان أملهن كبيرا في قبولها ـ لنواحي التقد التى توجه إليهم .

ومن بين الأسباب الكثيرة التى ذكرتها الأمهات ـ يتضح وجود حالة من الإقتناع بالتغذية عن طريق الزجاجة لأنه يسمح للأم ببعض الحرية من الرابطة الدائمة بعملية يمكن أن يقوم بها آخرون . فبعض الأمهات يبعدن الطفل عن الثدى خوفا من أن يكون لبنا غير جيد لا يلائم للطفل ، وأحيانا ما يدعم هذه الفكرة الخاطئة العاملات والموظفات . ويعتبر لبن الأم أقل كثافة من لبن

البقر ، والمعتقدات الشائعة حول اللبن بأنه غير جيد بدرجة كافية أو غير ملائم للطفل يعتبر جزءا من مخاوف النساء غير الملائمة . كما أن هناك الإرتباط بين التغذية عن طريق الثدي (متضمناً الحلمة في الفم) والاستثارة الجنسية ، والنساء اللاتى يشعرن بأن أى استثارة قوية هى أمر سىء يخافون الإرتباط بين هذه الخبرة وبين الاستثارة .

وتخاف نساء أخريات من أن يؤدى الارضاع الثديى الى تغيير شكل الثدى ، فإذا حدث أن كانت صورة سيدة ما عن شكلها أن لها صدر امرأة شابة فإنها لن تقبل الصورة المتغيرة التالية للنمو .

وأحدث العوامل المدعمة للرضاعة من الزجاجة هو الأمر الخاص بالنواحى الطبية كالصحة والتعقيم لأي شيء يدخل فم الطفل ، غلى الزجاجات ، اللبن المجفف يخرج من العلب وهو خالى البكتريا . وتكوين الغذاء الصحى يمكن الرجوع فيه الى الطبيب .

وهذه العوامل السابقة تدعو الى تفضيل الرضاعة عن طريق الزجاجة والتخلى عن الرضاعة الطبيعية ولكن ما تزال هناك رغبة في الإتصال القوى بالطفل . وحتى بعد تغذية الطفل بالزجاجة قد يحمل الطفل ملتصقا الى جسم الأم حتى ليشعر بدقات قلبها ويكون حساسا لعناقها المملوء بالثقة ويشم رائحة وجودها .

وتخدم عملية الرضاعة عدة أغراض للطفل . فالطفل يتغذى بالفم ، كما أنه يشعر ويحس بالفم . انه يجرب الإحساس الذى يثيره ويسره من خلال عملية التغذية . والاحساس يصل إلى أقصاه عندما يلامس أى شىء فم الطفل . فالفم هو المكان الذى يصل الطفل بالعالم الخارجى ، ولو كان هذا الإتصال عن طريق حلمة الثدى يكون الفم هو وسيلة الاتحاد بين الطفل وبين شخص آخر . ومن خلال هذا الموقف يصبح الطفل على وعى بحدود جسمه والتمييز بين ما يخصه وما يخص الغير . وهذا الاحساس الفمى يبدو أنه أول مجال يمكن للطفل أن يدركه لوقت محدود بعد ذلك وأى شىء يوضع في يد الطفل يتجه فورا الى فمه . ربما ليميزه عن طريق شكله كتمييزه له عن طريق طعمه .

والإتصال بين الفم والحلمة - أو مع حلمة الزجاجة كبديل لحلمة الأم - يرتبط بلذة مشتقة من الرضاعة نفسها - وهو الإحساس بحب الاتصال بفرد آخر . وهو وسيلة للحصول على الإشباع الذى يستعيده الطفل في أحلامه ، وكثيرا ما نجد الطفل يقوم بحركة المص وهونائم ، وهو نفس الإحساس الذى يدعو الطفل لاشتقاق اللذة المصاحبة لعملية المص عن طريق مص الأصابع ، وهو نفس الاثارة التى يمكن أن يقوم بها شخص ما عندما يضع « رضاعة » في فم الطفل . فالمص يعطى الإحساس بالحب الذى يمكن أن يحدث مع شخص آخر - أو من اشتقاقه من الاستثارة المتعلقة به (الأصابع ـ الرضّاعة ـ الأحلام) .

هذه القدرة على أن يشتق الطفل لذة الاشباع بالفم تتسامى بإزدياد النمو عن طريق حلول مصادر أخرى للإشباع محلها ولكنها تظل معنا محورا أساسيا . اننا نحيى الكثير من المناسبات الهامة عن طريق الطعام والشراب ، كما أننا نعطى لأنفسنا شيئا من الإرتياح عندما ندخن أو عندما نستمر في إمتصاص إبهامنا ، أو الغليون أو الأقلام أو عندما نمضع اللبان وكلها أمور ليست لها قيمة غذائية ولكنه مجرد الطعم . وكلمة رفيق تتضمن شخصا تشاركه الطعام .

المستويات البدائية للإشباع والاحبـاط

ان القوة التي يتم بها الإمتصاص تقدم عنصراً آخر من عناصر النشاط الممركز حول الفم فالطفل يمتص بقوة وبإصرار . والأم التي تغذي الطفل من الثدى وهى غير مستعدة لذلك قد تشعر بأن الطفل إنما يهاجمها . وعند إعادة بناء حياة الطفل خاصة عندما ينكص الأطفال الأكبر سنا أو البالغين الى أمراض عقلية على مستوى طفلى - يكون الأطفال أنفسهم على بعض الوعى بالقوة الخيالية التدميرية في عملية تفريغ الثدي . ومن الواضح أيضاً أن هناك مستويات أولية primitive من التفكير ومن المشاعر فينا جميعاً حيث نجد رغبة في الاستعداد للهجوم على مصدر غذائنا واشباعنا .

والخلاصـة : أن الطفل يتغذى عن طريق الفم ، ويحس بالفم ، ويهاجم بالفم فعملية التغذية تلعب دورا هاما في حياة الطفل من الناحية الجسمية والادراكية

والوجدانية وهذه الفترة تسمى المرحلة الفمية لدى أصحاب مدرسة التحليل النفسى . وهناك مراحل أخرى تالية ، وكثير من العمليات العقلية المختلفة ترتبط بكل مرحلة . ومن الممكن أن نجد بدايات لكل العمليات اللاحقة في هذه المرحلة المبكرة . وهذه المرحلة تتضمن مجموعة من الحوافز البيولوجية الأساسية التى تسهم في عملية استمرار الحياة وفي تحقيق الإشباع . وهذه العملية تتعلق بالإتصال القائم بين الكائن البشرى وتخيلاتنا لهذا الإتصال وأيضا حقيقة هذا الإتصال . وتتعلق هذه العملية أيضا بالحدود المفروضة على الكائن البشرى منذ المراحل المبكرة بعد الميلاد . اننا نبدأ الحياة في عالم منظم ومرتب بواسطة الآخرين الذين توجههم التقاليد والعادات . . وتقدم التغذية للطفل أحيانا طبقا لحالة الطفل وطلبه وأحيانا أخرى طبقا للأفكار التى تعتنقها الأم حول متى يقدم الغذاء للطفل ومتى يمنع عنه . وقد ينمى الرُضع نوعا من التنظيم الإيقاعى المرضى أو المشبع لهم والذى يضعونه ضمن الاطار المميز لكل منهم .

لا حظ الأنثروبولوجيون أن هناك أنماط مختلفة من التغذية بين الأجناس والثقافات المختلفة ، وأن هذه الاختلافات في أنماط التغذية قد أدت الى أنماط مختلفة من الشخصية بين البالغين في المجتمع . كما لوحظ تغير في أنماط التغذية في المجتمعات المتحضرة من جيل الى جيل . وأن أنماط التغذية تتراوح بين أنظمة التغذية غير المرنة rigid الى أنظمة التغذية حسب الطلبعليها .

ويعتبر التغير في نظام التغذية من الأمور المعقدة . فنظام التغذية الذى كان موجودا منذ جيلين في أمريكا كان يعتمد على قرب الطفل من الحاضنة التي تغذيه من ثديها . وكانت التغذية تتم على فترات غير منتظمة وحسب طلبه أو حسب ما يتراءى للأم . أما التنظيم الثابت فربما بدأ بوجود الفرصة للتنظيم التى تقدمها التغذية الصناعية ، لقد أصبح التنظيم مرتبطا بالأمومة الحسنة بالامتناع عن تغذية الطفل حتى ولو كان يبكى اذا كان باقيا على وقت رضاعته الثانية ولو نصف الساعة ، كما منعت التغذية الليلية ، وقيل للأمهات أنه اذا ما قدم الغذاء مرة للطفل ليلا فعليك ان تستمرى في ذلك .

وكرد فعل للنظام الأول ظهر في السنين الأخيرة نظام حسب الطلب الذي يعد

رجوعا للتغذية في الجيل الذي سبق . وربما كان الفرق بين إتباع الأمهات لأحد النظامين هو في مدى خضوع كل منهن لبكاء الطفل .

ومن الممكن أن نصف التنوع في نظام التغذية حسب الحاجة الذى يقدم لنا مستوى رابعا - يمثل ايقاعا منظما من عملية التغذية يسمح بالتنوع في حاجات الطفل وتنوعا في حاجاته في الأيام المختلفة . ومن الغريب حقا أن يصل الطفل وأمه الى حالة من التعود على هذا النظام الذى يصبح مرضيا لهما ولكنه أيضا يصبح مرنا بحيث يسمح بكثير من التنوع في شهيته للطعام والراحة .

كما أنه في هذه الفترة المبكرة من تغذية الطفل نجد تنوعا من المشاكل التى يمكن أن تحدث بحثا عن الاشباع والتقبل ، أو أن يحبوا أحدا أو يحبهم الآخرون حتى في اطار تقبل القيود والمشاعر المصاحبة لرفض عملية التطابق .

ومن جهة الأم فان هذه الفترة تشمل بعض الصراعات التى ستستمر بإستمرار الرغبة في الحصول على طفل سيعتمد عليها وفي نفس الوقت سينفصل عنها ، وفي مشاعرها نحو الرغبة في الحصول على الجزاء الحسن الذى تستقبله من اعتماد كائن آخر عليها واستقلاله عنها .

لقد وصفت عملية التغذية بالتفصيل لأنها أكثر أنواع النشاط أهمية في نمو الطفل ، ولأنها تعد أساسا لأى نمط من أنماط التكيف الشخصى والتفاعل بين الأشخاص . فخلالها يكتسب الطفل خبرات عديدة بالعالم الخارجي ويتعلم كيف يميز عن طريق الإدراك الفرق بين مايدور داخله وما يدور حوله من الأشياء والناس الآخرين . فهو يعمل على الاتصال المستمر بالأم وبالأفراد الآخرين - ويعتمد ذلك على المثيرات المختلفة حوله مثل وجه الأم الموجود بكامله أمام عيني الطفل والذي يثير ابتسامته . والأم بدورها تستجيب لابتسامة الطفل كما يفعل الآخرون ، كما أن بكاك الطفل يعد وسيلة اتصال هامة أيضا ويدرك على هذا الأساس . ويمكن أن يكون اشارة لحالة عدم الارتياح تستجيب لها الأم أو فرد آخر . ويمكن أن يكون نداء للطعام إثر طلب للطعام أو يمكن أن تفسر في مناسبات معينة على أنه حالة مزاجية . وكثير من الناس يصبح حساسا بصورة غير عادية لبكاء الطفل . ويوصلهم الى الاعتقاد بأن

الأطفال يقضون وقتهم في الأكل أو النوم ، وإذا كان متيقظا ويبكى بين الرضعات أو بالليل ، فإنهم يشعرون بأن هناك خطأ ما في الطفل أو فيهم أنفسهم . ويجب أن نلاحظ أن الطفل الصغير ليس لديه وسيلة للاتصال سوى البكاء .

نماذج من العناية بالطفل

صراخ الطفل من أنواع النشاط التى يقوم بها الطفل ليحدث نوعا من الاتصال مع الوالدين . وينصح البعض والدى الطفل بألا يستجيبوا لصراخه حتى لايستخدم الصراخ وسيلة لتحقيق حاجاته . ان أهمية تنظيم عملية التغذية والنوم منذ وقت مبكر في كونها تدفع بالطفل نحو أنماط سلوكية مرغوبة . لكن الأمهات يخفن من أن الطفل الذى يبكى طلبا للراحة أو الذى يرفض الغذاء - قد يتحول الى طفل جانح اذا استسلمن له وخضعن لرغباته . وتخاف بعض الأمهات الى درجة القلق اذا لم تظهر على الطفل الحاجات المتوقعة منه بطريقة أو بأخرى فلا يبكى .

بعض الأمهات يعشن تحت رحمة أى تعبير يظهر على الطفل . والبعض الآخر يحاولن ايجاد العذر لأنفسهم عندما يستجبن لحاجات الطفل .

وينمو الطفل تظهر لديه حاجات جديدة ؛ انه يكون أسعد ما يكون في عربة الأطفال عندما ندفعها أمامنا حيث يرى كثيرا من الأشياء وظلال الأشجار المتحركة وكلها أمور ترضيه جدا أكثر من الجدران الأربعة الثابتة ، ويكون الأمر غير سار له بسبب خلو مجاله البصرى كما في حالة كونه ملقى على ظهره في عربة الأطفال .

والطفل الذى يتميز بالحيوية والنشاط يطلب الطعام عن طريق الاثارة بأنواعها المختلفة لديه . ذكرت احدى الأمهات في أحد المقابلات مع « شافر Schaffer » انها عندما تأخذ طفلها في عربته لنزهة في حديقة لا يحب أن يظل ملقى على ظهره في العربة كالأطفال الآخرين - بل يحب أن

يكون في وضع مائل بحيث يمكنه رؤية كل شيء حوله . فيتخلص من غطاء الرأس عندما يعتقد ان شيئا قد فاتته رؤيته . وعندما تتوقف العربة يبدأ في البكاء .

ويفترض «شافر» ان هناك حدا أقصى لكمية المثيرات ، وهذا الحد يختلف من طفل لآخر وأن من وظيفة الأم أن تزود الطفل بهذا الحد المثيرات . ولكن الأمهات أيضا يختلفن في مدى حساسيتهن لنداء الطفل ، ويقول بعضهن أنا لا اتحمل سماع صوت طفلي يبكي ، فأسرع الى حمله اللحظة التى يبدأ فيها البكاء .

كما يذكر « شافر » أن هناك فروقا فردية واسعة فيما يختص بتفضيل أو عدم تفضيل الاتصال اللمسي في صورة حضن الطفل وتقبيله . فالأمهات يختلفن في حاجتهن الى هذا الاتصال واستجابة الطفل له . وأهم دراسة للفروق الفردية شملت فترة حوالى ٢٠ عاما قامت على يدى اسكالونا « Escalona »

ووجدت أنه من الممكن التمييز بين الأطفال الحيويين النشطين وغيرهم من الخاملين .
فالأطفال النشطون هم اولئك الذين يتضمن سلوكهم الجسم كله ، ويحتاجون قليلا من الاستثارة الرجعية ، ويمكنهم الاستجابة دائما لأساليب العناية التى تحيط بهم عن طريق استجابات تتفق مع آخر مستوى من النضج وصلوا اليه . ومجرد وجود الأشياء واللعب قريبا من أيديهم وفي مجال رؤيتهم تثيرهم وتبعث نشاطهم .

أما الأطفال الخملون « Inactive » فانهم يستمدون الاثارة والرضا من أنشطة جزئية مبعثها أجسامهم . ويتغلبون على الضيق ـ الذى لا يمكنهم التخلص منه عن طريق مص الأصابع ـ عن طريق الاهتزاز « rocking » ويبدأون في فحص بيئتهم المؤقتة بحثا عن مثيرات بصرية أو سمعية . وهذه القدرة على ايجاد نوع من الارتياح يمكن أن تؤدى به الى دائرة من الفراغ . ويحتاج الطفل الخامل الى اثارة أكثر من الطفل النشط حتى يصل في نفس المستوى من الوعى الاجتماعى ولكنه يكون أقل جدا من حيث الانتباه .

ويجب على الأم أن تنوع من استجاباتها في هذه السن المبكرة طبقا لحاجات

الطفل المتغيرة . فهى تنوع وتوسع من تلك الأفعال التى تسره ، وتقلل نشاطها عندما تكون الاثارة كبيرة جدا .

الوضع والحركات الواضحة البـارزة

العمـــر :

شهر واحد - الطفل ملقى على ظهره - والرأس على أحد جانبيها - اليدان ممتدتان على الجانبين أو مثنيتان - الأرجل في حالة انثناء - الركبتان متباعدتان وكفى القدمين متجهتان الى الداخل - ويلاحظ أن الأذرع أكثر نشاطا من الأرجل بالنسبة لحركة الدفع .

وفي حالة الراحة تكون اليدان مقفلتان والابهام داخلها . وتتحرك الأصابع في اليدين والقدمين حركة مروحية عند حركة الأطراف .

وعند لمس أحد الوجنات فان يحرك رأسه في اتجاه اللمس . أما اذا لمسنا الأذن حرك رأسه في الاتجاه الآخر بعيدا .

وعند رفع الطفل تتدلى الرأس . وعندما نسند الطفل في وضع الجلوس تتدلى الرأس للأمام ، والظهر مقوس تقوسا تاما .

واذا وضع على وجهه تستدير الرأس في الحال الى أحد الجانبين . واليدان والرجلان مثنيتان تحت جسمه ، وأردافه لأعلى .

واذا وضع واقفا على سطح صلب يضغط قدميه لأسفل وغالبا ما يقوم بحركات فرد للساقين كحركات المشى .

٣ شهور - يفضل الآن أن يكون ملقى على الظهر والرأس تتوسط الكتفين . الأطراف أكثر انثناءا والحركات أكثر نعومة واستمرارا . يحرك الذراعين بطريقة متشابهة ، كف اليد مفتوح . يضع يديه في خط وسط على الصدر أو الذقن . يرفس برجليه بقوة وتتبادل الرجلين عملية الدفع للخلف وقد يندفعان معا .

عند وضعه في حالة الجلوس يكون الظهر أكثر استقامة ما عدا الجزء القطنى والرأس قائما ومعتدلا لمدة عدة ثوانى قبل أن تميل للأمام .

وعندما يوضع على بطنه يرفع رأسه وصدره مستخدما كوعيه ومعتمدا عليهما ، وكثيرا ما يستخدم أطراف أصابعه وأظافره على سطح المائدة عندما يوضع عليها ، القدمان مفرودتان والردفان في استقامة الجسم . واذا وضع في حالة وقوف على شيء صلب تتدلى رجليه بدون ضابط .

٦ شهور - عندما يكون ملقى على ظهره يرفع رأسه من فوق الوسادة - يجلس اذا أسند في سريره أو عربته ويحول رأسه من جهة لأخرى بسهولة لينظر الى ما حوله و يحرك أذرعه بحيوية وبصورة هادفة ويرفعهما لأعلى لكى يرفعه الآخرون .

الإبصار والحركات الدقيقة

العمر الزمني

شهر واحد يحملق بلا معنى في أي شيء مضيء قادم من نافذة أو جدار أبيض - يغلق جفنيه بإحكام عندما يمر شعاع ضوئي بجوار عينيه وعلى بعد ١ ـ ٢ بوصة - يتتبع الشعاع الضوئي الصادر من مصباح مضيء بعينيه إذا كان على بعد قدم واحد - يلاحظ أي لعبة تتأرجح قريباً في إطار خط البعد ، وعلى بعد لا يزيد عن ٤ـ٦ بوصات، ويتتبع حركتها البطيئة من جهة لأخرى بعينيه على مدى قطاع يساوي ربع دائرة فقط قبل أن تسقط رأسه على أحد الجانبين .
يبدأ في ملاحظة الأم وخاصة وجهها القريب منه عندما تقوم بإرضاعه أو التحدث إليه .

٢ شهور يتميز الإبصار بالحيوية والنشاط ويكون اهتمامه بوجوه الناس حوله - يحرك رأسه بدقة لينظر إلى ما حوله .

يتتبع حركة الكبار القريبون من سريره . يتتبع تأرجح اللعب المدلاه على بعد ٦ ـ ١٠ بوصات فوق الوجه خلال نصف دائرة من جانب لآخر ، وأيضاً عمودياً من الصدر إلى الجبهة .

يلاحظ حركة يديه أمام وجهه ويبدأ في إمساك إحدى يديه باليد الأخرى . يتعرف على زجاجة اللبن ويقوم بحركات تعبر عن سعادته وترحيبه عندما تقترب من وجهه . ويلاحظ الأشياء التي تبعد حوالي ٦ ـ ١٠ بوصات ولمدة ١ ـ ٢ ث ولكن نادراً ما يمكنه أن يثبت نظره عليها .

٦ شهور الإبصار غير مكتمل . يحرك الرأس والعينين بشغف في كل اتجاه . العينان تتحركان في تناسق معاً . الحول في هذه السن يعتبر أمر غير عادي . يتتبع الطفل حركة الكبار في الغرفة ، يركز انتباهه على الأشياء الممتعة الصغيرة في حدود مسافة ٦ ـ ١٢ بوصة (كاللعب . والجرس . والحلوى . شوكه ... الخ) ويمد كلتا يديه ليمسك بها . يستخدم كلتا يديه ليمسك بكفيه . وعندما تسقط منه اللعب ينساها أو يبحث بشكل غامض حول سريره بالعينين والتحسس بيديه .

السمع والكلام

العمر الزمني

شهر واحد ينتفض لسماع الأصوات العالية المفاجئة ويهتز ويتصلب جسمه ويبربش Blinks ويحرك عينيه حركة دائرية ويفرد أطرافه ويحرك أصابعه حركة دائرية وقد يبكي . وتتصلب حركاته للحظة عندما يدق جرس صغير هادىء على بعد ٣ ـ ٥ بوصات من الأذن ولمدة ٣ ـ ٥ ثواني وبعد توقف حوالي ٥ ثواني قد يحرك عينيه في اتجاه الصوت ـ يكف عن البكاء ليستمع إلى أصوات الناس القريبين منه ، ولكن ليس في حالة الصراخ أو التغذية ـ يصرخ بشدة عند

الجوع أو عدم الارتياح ـ يحدث أصواتاً حلقية Guttural
عندما يكون شبعاً .
هذه الأصوات تصدر من ضعاف السمع ـ ولكن الصم لا يبدون مثل هذه البدايات .

٣ شهور تحدث الأصوات العالية نفس التأثير الذي تحدثه في الطفل عمر شهر ـ الإنصات التام أو الابتسام لسماع صوت الأم قبل أن تلمسه ـ ولا يحدث ذلك عندما يكون في حالة صراخ ـ يناغي عندما يتحدث إليه أحد أو يكون مسروراً ـ يصرخ عندما يكون متضايقاً أو غير مرتاح ـ يصغى لرنين الملعقة في الكوب أو لرنين جرس لطيف لا يقع في نطاق بصره ويبعد ٦ ـ ١٢ بوصة عن أذنه .
قد يحول بصره في اتجاه الصوت ـ قد يقطب الجبين ويفحص العينين جزئياً ، قد يحرك الرأس من جهة لأخرى كما لو كان يبحث عن الصوت . وغالباً ما يخرج لسانه ويمص شفتيه كاستجابة للأصوات المرتبطة بالإرضاع . كما يبدي اضطراباً عند سماع أصوات أقدام تقترب أو صوت الماء الجاري في الحمام .

٦ شهور يتجه في الحال نحو صوت الأم عند دخولها الغرفة ـ يناغي مع التنغيم مستخدماً حرفاً واحداً ـ كا ـ موه ـ نجو ـ دير .
يضحك ويقهقه بصوت عال في اللعب ـ يصرخ عند الضيق ـ يبدي استجابة واضحة للألوان الانفعالية المختلفة المرتبطة بصوت الأم ـ يستجيب للاختبارات الصوتية للأطفال الكائنة على بعد ١,٥ قدم من كل أذن بالتركيز البصري الصحيح ولكنه قد يؤخر الاستجابة قليلاً .

السلوك الاجتماعي واللعب

العمر الزمني

شهر واحد يجيد عملية المص - ينام أغلب الوقت عندما لا يكون في حالة رضاعة أو تغيير لفائفه - تعبيراته مبهمة ولكنها تميل لأن تصبح أكثر وضوحاً بتقدم العمر وتتجه نحو الابتسام في سن ٥ ـ ٦ أسابيع - اليدان عادة مقفلة ولكن إذا فتحت فإنه يمسك بأصابع المختبر - يكف عن البكاء إذا تم حمله - الأم تقوم بسند رأسه عند البكاء أو تغيير ملابسه أو غسله .

٣ شهور يركز عينيه دون تغيير على وجه الأم أثناء إرضاعه - ويبدأ في الاستجابة للمواقف المألوفة مستخدماً في ذلك الابتسام والصياح والحركة غير المستقرة عندما يرى الاستعدادات لاطعامه ، أو غسله - يستجيب بالسرور الواضح عندما يحمله الأصدقاء وبخاصة عندما يكون الحمل مصحوباً باللعب معه والتعبيرات الصوتية - يمسك عن الاهتزاز للحظات عندما يوضع على اليدين ولكنه نادراً ما يلاحظ ذلك في نفس الوقت - تحمله الأم على كتفيها عند تغيير ملابسه أو استحمامه .

٦ شهور تحاول اليدين الوصول إلى اللعب الصغيرة والإمساك بها . وكثيراً ما يستخدم كلتا يديه ، وفي بعض الأحيان يستخدم يداً واحدة - يأخذ كل شيء إلى فمه - يبدأ في توجيه اهتمامه إلى رجليه ويستخدمها في الإمساك بالأشياء أيضاً - يضع يديه على الزجاجة ويربت عليها وهو يرضعها - يهز الشخشيخة بدقة ليجعلها تحدث الصوت وغالباً ما يلاحظها أثناء ذلك .

مازال صدوقاً مع الغرباء ولكن في بعض الأحيان يبدي بعض الخجل أو قليلاً من الاضطراب .

عمليـة المـص

يتعلق بعملية حصول الطفل على الطعام عملية أخرى هي عملية المص . وهناك نظريات مختلفة في تفسيرها . فهناك رأي يقول أن الرغبة في المص تنشأ لارتباط هذه العملية بعملية الحصول على الطعام ، ومادامت هذه الأخيرة في حد ذاتها عملية لذيذة وسارة ـ يصبح الامتصاص بعد ذلك لذيذاً وساراً .

وهناك نظرية أخرى تقول أن الامتصاص حاجة أولية عند الطفل كالحاجة إلى الطعام ، وسواء كان هذا التفسير أو ذاك هو التفسير الصحيح فمن الملاحظ أن الأطفال الذين يتناولون طعامهم عن طريق الثدي يكونون في حاجة إلى كمية معينة من الامتصاص على عكس الأطفال الذين يتناولون طعامهم بطرق أخرى . وقد وجد أن الأطفال الذين يحصلون على طعامهم بسرعة من حلمات فتحاتها واسعة أنهم يستمرون في عملية الامتصاص حتى بعد فراغ الزجاجة . وإذا نزعت منهم هذه الحلمات فإنهم قد يعوضونها بامتصاص أصابعهم . أما الذين يتناولون غذائهم عن طريق زجاجات فتحات حلماتها أضيق فإنهم لا يبدون نفس الأمر . أي أنهم يحصلون على كمية امتصاص أطول ، لذا فإنهم يبدون رغبة في الإمتصاص بعد إشباعهم . كذلك لوحظ أن الأطفال الذين يتناولون طعامهم عن طريق ملعقة منذ وقت متقدم يبدون رغبة أقل من غيرهم في عملية الامتصاص .

مـص الأصـابع :

هناك من الأطفال من يبدي رغبة شديدة في امتصاص أصابعة حتى بعد الفطام . وهذه العملية تعتبر لذيذة وسارة بالنسبة للطفل مادام يصر عليها ويقاوم منعه عنها . كما يلجأ الطفل إليها كلما وقع في أزمة نفسية أو موقف احباط أو عندما يدخل شخص غريب إلى المنزل أو عندما تتركه الأم وحيداً أو عندما يجري الأطفال الآخرون ويتركونه وحيداً .

وتكثر عملية مص الأصابع عند الأطفال الذين لم تتح لهم الفرصة الكافية للرضاعة أثناء حضانتهم . فالأطفال يولدون ولديهم دافع فطري للمص ولابد من إشباع هذا الدافع بالطرق الطبيعية ، وإلا فإن الطفل سيبحث عندئذ عن طرق بديلة للإشباع .

والدافع للمص يكون قوياً في المراحل المبكرة من الطفولة . وطالما أنه دافع فطري فسيكون أقوى في المراحل الأولى من النمو التي لا حيلة للطفل فيها إلا الاعتماد على الآخرين ، بينما تقل قوة هذا الدافع في الكبر نتيجة لتوفر فرص إشباعه وتنوعها بمرور الزمن فتخف حدته بالتدريج . ومن المعروف أنه إذا ما أعاق الاستجابة الموجهة نحو هدف معين أي عائق (والاستجابة هنا هي رضاعة اللبن) فإن الطفل يسعى إلى البحث عن فرص أخرى لآداء الاستجابة المشبعة البديلة (وهي مص الأصابع) .

وقد أهمل المتخصصون في رعاية الطفل لفترة طويلة عنصر اللذة الذي يحصل عليه الطفل من عملية المص . فقد كان اهتمامهم منصباً على عملية الحصول على الطعام . وتم النظر إلى مص الأصابع على أنه عادة سيئة يجب منعها أو التغلب عليها لا لأنها خطرة صحياً فقط ولكن لإمكانية تشويهها للأسنان أيضاً .

ويزداد اهتمام الآباء وانزعاجهم عندما يستمر أطفالهم في مص أصابعهم الى مرحلة متقدمة من عمرهم . وميلهم إلى تجاهل المتعة التي يحصل عليها الأطفال من النشاط الفمي ، وما يمكن أن يحدثه من تأثير على نموهم الوجداني والشخصي.

إن تناول الغذاء يعد مجالاً هاماً من مجالات الخبرة الإنسانية . فمنذ الطفولة الأولى تربط اللذة الفمية مجموعة من القوى بحافز الجوع لتضمن الحصول على غذاء ملائم . ولهذا فالتخفيف من حدة الجوع خلال النشاط الفمي يشكل مصدراً أساسياً للإشباع واللذة للرضيع ، ولذلك فأول مرحلة من مراحل نمو الوظيفة الغذائية هي أيضاً نفسها أول مرحلة في النمو الوجداني وهي ما نسميه المرحلة الفمية .

وترتبط عملية مص الأصابع بأسلوب التغذية سواء كان طبيعياً أو باستخدام طرق بديلة . وسواء كان هذا الأسلوب أو ذاك فيجب على الأم أن تراعي الوقت الكلي للامتصاص الذي يجب أن يحصل عليه الطفل ـ هل سيحصل على غذائه بسرعة أم ببطء . وقد لوحظ أن ظاهرة امتصاص الابهام تزداد كلما طالت فترة الحرمان من الطعام ، وكلما طالت الفترة بين الوجبات ، وكلما كانت القيمة

الغذائية للبن المصنع منخفضة (كما في حالة تقليل كمية اللبن وزيادة كمية الماء عند تحضير وجبة اللبن الصناعي) ، وأثناء التسنين ، وعندما تكون فتحة حلمة الزجاجة واسعة كما أن الذكور يميلون أكثر من الإناث إلى عملية المص ٠

يبدأ امتصاص الأطفال للأصابع بعد الميلاد مباشرة ٠ ويزداد تكرار هذه الظاهرة بسرعة في الشهور الثلاثة الأولى من الميلاد ويستمر كذلك حتى الشهر السادس ثم يبدأ في التناقص حتى سن ١٠ شهور ٠ وقد تنتهي هذه الظاهرة عندما يبدأ الطفل في الاعتماد على الأغذية نصف الجافة أو بالفطام ، وقد تبدو ملحوظة لدى الطفل حتى بعد ذلك العمر ٠

الفطـــــام

تعد عملية الفطام عملية هامة لما لها من تأثير كبير على الطفل وعلى الأم سواء من الناحية الجسمية أو الوجدانية ٠ فقد تشعر الأم التي ظلت فترة طويلة في إرضاع طفلها بالكآبة عندما تتوقف عن ذلك ، كما لو كانت قد فقدت الصلة الوثيقة التي كانت تربطها بطفلها ، أو كما لو كانت قد أصبحت غير ذات قيمة كشخص ٠

ويعتبر الفطام سهلاً عندما تقل كمية لبن الأم فلا تكفي الطفل ، فتبدأ في تعويد الطفل على أغذية أخرى غير لبنها لتسد احتياجاته الغذائية ٠ فيعطى الثدي ليأخذ الكمية الموجودة من اللبن ثم يعطى ما يكمل الوجبة اللازمة له ٠ ويفضل أن تبدأ الأم في تعويد الطفل تدريجياً على عملية الفطام بأن تستبدل الزجاجة بالثدي ابتداء من الشهر الرابع أو الخامس ٠ ومن الشهر السادس يشجع الطفل على الإمساك بالزجاجة وتناولها بنفسه وتقلل الرضعات من الثدي ٠ ثم تبدأ الأم في تعويده على تناول الوجبة عن طريق الكوب وزيادة عدد الوجبات التي يحصل عليها عن طريق الكوب تدريجياً مادام يبدي رغبة في ذلك وتكمل الوجبة عن طريق الثدي ٠ ثم يحل الكوب محل الثدي تماماً في الوجبة التي يبدو أنه غير مهتم فيها بالثدي ـ وعادة ما تكون وجبة الإفطار ٠ وبعد أسبوع نلغي وجبة أخرى من الرضاعة من الثدي ليحل محلها وجبة كاملة من الكوب ، وفي أسبوع آخر نلغي وجبة أخرى وهكذا ٠

وعند التسنين قد تظهر رغبة الطفل في العودة إلى الرضاعة ، وهو أمر طبيعي ولا خوف منه . وعندما يتم الفطام تدريجياً لا تحدث مشاكل سواء للطفل أو الأم وقد تجد بعض الأمهات نفسها غير قادرة على الاستمرار في عملية الفطام بل قد تقاوم انهاء هذه الصلة الوجدانية وتتراجع عنه أسبوعاً بعد أسبوع . وقد تخاف بعض الأمهات من التوقف عن إرضاع الطفل من ثديها لأن الطفل لا يحصل على ما يكفيه من اللبن عن طريق الكوب كما تعود أن يحصل من الثدي مما يجعلها تقاوم فطام الطفل تماماً . ولكن يجب أن تعرف الأم أن كمية اللبن التي سيحصل عليها الطفل من الكوب ستزداد تدريجياً بتوقف الرضاعة من الثدي . ويفضل أن تبدأ عملية فطام تدريجي للطفل في سن ٦ أو ٧ شهور اذا كان مستعداً لذلك . ونادراً ما يطلب الطفل الثدي بعد ذلك . أما إذا استمرت رضاعة الثدي كمصدر وحيد للتغذية بعد هذه السن فقد تصبح عادة لا يسهل على الطفل التخلي عنها ـ وهي عادة من شأنها أن تجعله معتمداً على الأم بصورة غير طبيعية .

الآثار النفسية لعملية الفطـام

الغذاء عن طريق الثدي له قيمة كبيرة ليس فقط في حفظ الكائن الحي من الناحية البيولوجية ـ بل إنه أيضاً يساعد إذا حدث بشكل معين على تنمية الشعور بالأمن والراحة في حياة الطفل النفسية . ذلك أنه يشبع الطفل فيجنبه الألم الذي يقع فيه في حالات الجوع . وقد اتضح أن العلاقة بين الطفل وبين الثدي ـ وبينه وبين أمه علاقة وجدانية قوية . والذي يشعر به الطفل عندما تحدث عملية الفطام فجأة ـ هو بلا شك أشبه بصدمة انفعالية قوية . إذ أنه يرى في مصدر اللذة بالنسبة له إذا ما حرم منه فجأة ، أو إذا اقترن بحالات مؤلمة لوجود مادة مرة أو حريفة على الثدي كوسيلة من وسائل الفطام ، يجد في هذا المصدر «الثدي» شيئاً مخيفاً بعد ذلك . الأمر الذي يجعل الطفل يقع في صراع بين طلب اللذة عن طريق الرضاعة وبين الخوف من العقاب أو الألم الذي قد يترتب على هذه العملية .

وقد يساعد ذلك على تنمية الشعور بالخوف من تكوين أية علاقة وجدانية بعد ذلك . إذ ينشأ عند الطفل خوف من الحرمان والترك والتخلي يؤثر في

علاقاته الوجدانية والإنسانية فيما بعد . وقد لوحظ أن المجتمعات التي تطيل فترة الرضاعة يتميز أفرادها بدرجة أقل من القلق . كما لوحظت كذلك فروق طبقية في مدة الرضاعة وفي شكل وطريقة الفطام . فالطبقات المتوسطة أقل في فترة الرضاعة من الطبقات الدنيا ، وأكثرها قلقاً .

ويتعلم الطفل من خلال موقف الرضاعة أنه جزء لا يتجزأ من ذلك النشاط اللذيذ السار المشبع ، فمنظر الأم وصوتها ورائحتها وملمسها ـ جميعها ترتبط عنده بهذه الدرجة العالية من الإشباع . وعلى ذلك تتكون عن طريق الثدي ـ عن طريق الطعام الذي يجلب معه الراحة والإشباع والطمأنينة والحب . وتتكون أول علاقة وجدانية قوية في حياة الطفل بينه وبين أمه . وتصبح الأم بعد ذلك وهي مصدر الارتياح مرغوباً فيها لذاتها ، أي تنشأ عند الطفل حاجة إلى الأم بنفس المعنى الذي يحتاج به إلى الطعام الذي تزوده به .

هذه الرغبة أو الحاجة إلى الأم هي التي تخلق الصعوبات العديدة في تدريب الطفل على الاستقلال عن الثدي فيما بعد . وعندما تحاول الأم أن تغير من الطريقة التي تعود أن يحصل بها الطفل على غذائه ـ فإنها لا تقف منه عندئذ موقفاً يتعارض مع وجود عادة قوية ثابتة فحسب ـ بل انها تسبب له أيضاً اضطراباً شديداً في العلاقة الوجدانية القوية التي نشأت بينهما . لذلك فإننا نتوقع الكثير نتيجة لعملية الفطام خاصة لو تمت بطريقة مؤلمة أو مفاجئة أو كلاهما معاً ، سواء من حيث الوسيلة التي تتم بها أم من حيث السن التي تتم فيه .

وقد لوحظ أن الأطفال الذين يتم فطامهم فجأة أميل إلى مص أصابعهم بكثرة من الأطفال الذين تم فطامهم تدريجياً .

الإخـــــراج

يعد الوقت الذي يبدأ فيه التدريب على ضبط الإخراج عاملاً هاماً أكثر من الطريقة المستخدمة في ضبط الإخراج . فعادات الإخراج لا تتكون إلا بعد أن

تكون هناك درجة من الاستعداد تكون فيها الأجهزة المسئولة عن الإخراج على درجة كافية من النمو العضلي والعصبي . وتبدأ قدرة الطفل على ضبط المستقيم عادة في الشهر السادس من العمر - وهي تسبق في ذلك ضبط التبول الذي يحدث عادة في سن ١٥ - ١٦ شهراً . ويتم ضبط المستقيم عادة في نهاية المهد (في سن عامين) . وإن كان من المتوقع أن تضعف قدرة الطفل على عملية الضبط في بعض الأحيان خاصة عندما يكون الطفل مجهداً أو مريضاً أو مضطرباً انفعالياً . أما ضبط التبول فلا يزال في نهاية المهد في صورة بدائية . ومن المتوقع أن يحافظ الطفل على جفاف ملابسه أغلب النهار إلا في حالة وجود بعض الاضطرابات مثل : حدوث انحراف في النظام اليومي الذي تعود عليه الطفل ، كالمرض والتعب والتوتر الانفعالي . ولا يتحقق للطفل العادي ضبط عملية التبول ليلاً إلا بعد عدة سنين . ويزداد عدد الليالي التي تمر دون بلل بتقدم العمر بحيث يمكن القول أن التحكم في المثانة يتم عند الغالبية من الأطفال في سن ٤٠ شهراً .

ومعرفة الوقت الذي يكون فيه الطفل مستعداً من الناحية الجسمية والنفسية للتدريب على ضبط الإخراج أمر صعب ، ويحتمل أن يؤدي التبكير بعملية التدريب إلى أن تطول مدته . أما عن الاستعداد الجسمي فهو القدرة على ممارسة الضبط الكافي على العضلة العاصرة للمثانة والمستقيم وضبطهما ومنعهما من الارتخاء الطبيعي . وعندما يصبح الطفل قادراً على الاتصال بمن حوله بواسطة الاشارة أو الكلمة أو الصوت أو النظر لأنه في حاجة إلى الإخراج وعندما يبدأ في إظهار قدرته على فهم وتقبل رأي الكبار - يمكن القول بأنه في حالة استعداد جسمي ونفسي لأن يتعلم بإرادته ضبط وتنظيم وظائفه الإخراجية . والتدريب على ضبط الإخراج من الأمور التي تلقى الاهتمام في كل الثقافات منذ فجر الحضارة .

ويشجع المتخصصون في رعاية الطفل الأمهات على تأجيل عملية التدريب على ضبط الإخراج إلى العام الثاني من عمر الطفل . فعندما يصبح الطفل قادراً على التحكم في وضع الجسم يصبح قادراً على التحكم في عضلاته العاصرة - وعندئذ يتوقع منه أن يتعلم أن يقدم لنا إشارات معينة نستدل منها على حاجته إلى الإخراج . وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن عملية التدريب هذه تستغرق حوالي سبعة شهور في المتوسط .

وتستخدم بعض الأمهات القسوة في تدريب الطفل كأن تترك الطفل فترات طويلة في مكان الإخراج ، وعقابه بشدة لأي انحراف في عملية الإخراج وعادة ما تكون الأم في حالة غضب شديد وانفعال على الطفل وضغط زائد عليه لكي يكون نظيفاً ومنظماً في مواقف أخرى . وقد تستخدم مثل هؤلاء الأمهات العقاب البدني والحرمان من المميزات المختلفة ، وقد يكون التفاهم بينهن وبين أبنائهن قليل جداً .

وقد لوحظ أن الأطفال الذين عوملوا بقسوة أثناء التدريب كانوا أكثر اضطراباً من الناحية الانفعالية من الأطفال الآخرين .

وتلجأ بعض الأمهات إلى وسائل عديدة لتساعد الطفل على عدم بلل نفسه أثناء النوم منها :

أ - إيقاظ الطفل ليلاً والذهاب به إلى الحمام .

ب - تقليل كمية السوائل التي يشربها الطفل في الفترة ما بعد الظهر وحتى النـــوم .

جـ - تلجأ بعض الأمهات إلى استعمال طرق أكثر شدة كاللجوء إلى إجبار الطفل على غسل ملابسه التي بللها أثناء نومه .

مع ملاحظة أن القسوة في التدريب تؤدي إلى التبول اللا إرادي حتى سن متقدمة من حياة الطفل . كما توجد علاقة بين القسوة في التدريب على ضبط الإخراج وبين مدى تقبل الطفل لنفسه وللآخرين ، كما أنها تسبب تأخراً في النمو الحركي للطفل .

وقد يترتب على التدريب المصحوب بالقسوة بعض النتائج مثل :

١ - قد تنشأ عند الطفل ألوان كثيرة من الانفعال الشديد كالغضب والعناد والإحباط والخوف .

٢ - قد يرتبط الخوف الناتج عن عقاب الطفل بالدافع للإخراج وبالمكان المخصص لعملية الإخراج - عن طريق عملية تعميم لا يسهل تفاديها في هذه السن المبكرة فيتعلم الضبط في أي مكان حتى في المكان المخصص للإخراج فيمتنع كلية عن الإخراج بطريقة لا شعورية يظن الوالدان معها أنه يعاندهما . وبعد

مدة طويلة من الامتناع تزداد قوة الدافع للإخراج بحيث لا يمكنه السيطرة على نفسه ويفشل في ضبط نفسه . وفي كل مرة يتكرر الموقف ـ امتناع ـ زيادة ضغط الحاجة ـ فشل في ضبط الإخراج . بل أنه في كل مرة يتوقع الفشل في ضبط نفسه بمجرد أن يبدأ شعوره بالحاجة إلى الإخراج . والنتيجة أن تنفرج عضلاته العاصرة باعتبار أن هذه الاستجابة هي الحل المريح . وبالتالي فإن التشدد في معاملة الطفل في سنواته الأولى يعطل عملية التعلّم في هذه الناحية أكثر مما يساعد على تقدمها .

٣ - قد يترتب على القسوة في معاملة الطفل أثناء التدريب وعتابه أن يصبح خائفاً من رؤية والديه ومن سماع صوتهما لارتباط ذلك بالألم الناتج عن العقاب الصادر عنهما . ولكي يتفادى القلق الناشىء من هذه المثيرات قد يسعى للهروب من مواجهة الوالدين وتقليل الوقت الذي يتواجد فيه بالقرب منهما بقدر الإمكان . وقد يرد الطفل على والديه عدوانهما فيقابل ذلك بعقاب آخر ، وبذلك ينشأ صراع بين النزعات العدوانية وبين الخوف اللاشعوري من العقاب .

٤ - يلجأ الطفل ـ هرباً من مثيرات القلق ـ إلى مكان بعيد عن المنزل أو مكان خفي عن الأنظار ليتخلص من مواد الإخراج .

٥ - قد يؤدي خوفه من الكبار المترتب على عقابهما له خلال عملية التدريب على ضبط الإخراج إلى توقع الضرر والأذى دائماً وإلى الشعور بأن هناك شخصاً كبيراً مؤذياً باستمرار ويتتبعه بنظراته أينما ذهب ـ أي يشعر بأنه مراقب ـ مما يجعله يكف عن إبداء رأيه أو التعبير عنه أو القيام بأي استجابة إلا إذا تأكد أنها صحيحة . وهذا معناه أنه يكف عن الإبداع والخلق ، وقد يكون ذلك أساساً لشخصية خجولة منقادة ومستسلمة .

٦ - قد يتعلم الطفل من عقاب الوالدين أنه شخص قذر وعديم النفع أو أنه مذنب ، فيشعر بالنقص أو بالقصور والذنب أو غير ذلك من المشاعر التي قد تلازمه .

التدريب على ضبط الإخراج

هناك فرق في السلوك الخارجي بين الرضيع الذي ينقل من مكان لمكان وبين الطفل الذي تمكن من المشي معتمداً على نفسه . كما أن هناك فرق بين الرضيع الذي يناغي بطريقة يدركها الكبار الذين هم على صلة به وبين الطفل الذي اكتسب اللغة التي يفهمها حتى الغرباء عنه .

والمشي علامة جسمية ، والكلام ناحية إدراكية وعلى الرغم من ذلك فهي تعتمد على النمو الجسمي والعلاقات الوجدانية .

ضبط الإخراج كمطلب اجتماعي

اكتساب القدرة على ضبط المثانة والمستقيم هو خطوة في الحياة الاجتماعية وتتضمن التطابق الشعوري مع القواعد التي وضعها الآخرون . وأن ضبط وظائف المثانة والمستقيم أيضاً له عوامل جسمية وانفعالية . ويصبح ضبط وظائف المثانة والمستقيم هاماً عندما يوجد الإنسان في مجتمعات كبيرة . فالبراز يمكن أن يحمل ميكروبات وتختلط بمجرى البول وتؤدي المعاملة المهملة إلى أضرار بالمجتمع . وتصبح المواد الإخراجية مرتبطة بالقذارة والمرض والخطر .

إن ضبط الإخراج يميز المرحلة التي يبدأ فيها الطفل في أن يأخذ على عاتقه مسئولية حمل شيء للخارج ولا يعد حاجة شخصية ولكن واجباً مفروضاً على الفرد بسبب حاجات الجماعة التي يعيش فيها وحاجات المجتمع الكبير الذي يتضمن جماعته .

والاتجاهات نحو نواتج الإخراج غالباً ما تكون معقدة . فانفصالها عن الجسم ينظر إليها على أنها مصدر للخطر ، ولكن عملية الإخراج نفسها يمكن أن تحمل في طياتها مشاعر الصحة والطهارة ، وفي وقت الإخراج يمكن أن تكون الفضلات نفسها مصدراً للارتياح كعلامة على الجسم السليم النشط . وغالباً ما تقيم الصحة على أساس تنظيم وكمية البول والبراز .

اتجاهات الأم نحو المواد الإخراجية

ينظر إلى تبول وحركة الطفل في مرحلته الأولى برقة . إنهما أمران ينظر إليهما كجزء من جسم الطفل فتتعامل الأم معهما دون خوف أو قرف Distaste وأحياناً بدرجة من الحنان . وأول حركات الأمعاء بعد الميلاد تسمى meconium وهي تختلف عن حركة البراز من حيث كونها خالية من البكتيريا وبعد الميلاد بفترة قصيرة ، عندما يتغذى الطفل على لبن الثدي أو من الزجاجة ـ تتغير نواتج المشيمة في خواصها وتبدأ في احتواء بعض الدهن من اللبن . سائل المشيمة غالباً ما يكون لونه أصفر باهت ورائحته حلوة ، وتتعامل الأمهات مع لفائف الطفل بارتياح ودون خوف عندما يغيرن اللفافة المحتوية على سائل المشيمة أو على اليوريا .

وقد تغير اضطرابات الهضم خصائص البراز . وخضرة وسيولة وتقطع سائل المشيمة قد يعد علامة على التغذية الضعيفة . والطفل الجائع غير السعيد مع وجود براز سائلي يؤدي إلى تعاسة الأم التي يزداد قلقها على تغذية الطفل ، وقد تحاول الأم أن تخفف الغذاء لاعتقادها بأن اللبن قوي جداً على طفلها . وهو أمر تحتاج فيه الأم إلى زيادة تأكيد حول جودة لبنها عندما تغذي طفلها عن طريق الثدي ، وملائمة أمومتها إذا كانت تغذي عن طريق الزجاجة وقد تحتاج لمعارف عملية حول عمليات التغذية .

وبالتدريج وبإعطاء الطفل طعام خليط ، يتغير سائل المشيمة في اللون والخواص ويبدأ في التشابه مع الفضلات الإخراجية من حيث الرائحة والقوام طبقاً لنشاط البكتيريا وكلما نما الطفل أكثر تبدأ الأم ترى أنه من الضروري أن تكون أكثر عناية بهذه الفضلات وبنظافة الطفل ونفسها والأوعية . وبالتدريج تتغير اتجاهاتها نحو هذه الفضلات وكلما ظهرت على الطفل علامات النمو والوعي والذكاء تصبح أكثر قدرة على منحه بعض المسئولية فيما يختص بالتخلص من الفضلات والبول والجلوس في الحمام إذا كان مكان الإخراج منخفضاً بدرجة تسمح له باستعماله .

نضج المجاري العصبية

يسير النمو الجسمي في خطوات يجب أن تتم قبل أن يكتسب الطفل القدرة على الضبط ويعتمد ذلك بوضوح على نضج الألياف العصبية المتصلة بالعضلات التي تقوم بعملية ضبط الإخراج .

وتكون الألياف العصبية عامة قادرة على العمل بكفاءة عالية عندما تكتسب المادة البيضاء myelin sheath وهذا النضج يأخذ مجراه في أوقات مختلفة ـ في الأعصاب في الأجزاء المختلفة من الجسم . والألياف العصبية الخاصة بالعضلات العاصرة للمستقيم والمثانة تصل نسبياً إلى النضج في سن ١٨ شهراً تقريباً ، وبعدها يصبح الطفل قادراً وبصورة إرادية على التحكم في عضلات البطن والعضلات العاصرة ، وعملية الارتخاء لهذه العضلات العاصرة وخروج الفضلات والبول . ويسبق عملية تفريغ المثانة والمستقيم عملية انعكاسية لا إرادية .

وانعكاس ارتخاء عضلات المثانة والمستقيم يميل لأن يأخذ مكانه عندما يصل إلى درجة معينة من النمو . والارتخاء الإرادي للعضلات يساعد على هذه العملية الأولية ، والضبط الإرادي يمنع هذه العملية . ففي الشهور الأولى من الحياة نجد أن إنعكاس التفريغ للمثانة والمستقيم قد لا يمكن التنبؤ به ، ولذلك فإن لفائف الطفل تبتل وتتسخ . وهناك بعض أنماط التنظيم وبعض الدلائل على أن العملية على وشك أن تأخذ مجراها وممكن ملاحظتها . فهناك ميل لتفريغ المثانة والمستقيم كنتيجة لسلسلة من الانعكاسات عندما يدخل الطعام إلى المعدة . ومحتوى الأجزاء المختلفة من المستقيم بدورها تمر بمرحلة متقدمة بطريقة تشبه عملية الطرد . ولذا فإن المستقيم يميل لأن يدفع بعض محتوياته ، وفي نفس الوقت تدفع حركة المثانة اليوريا إلى الخروج .

والأم التي تضع طفلها على (قصرية potty) بعد تناول الوجبة مباشرة قد تنجح في جمع مواد الإخراج فيها ، وتنجح في الاحتفاظ بلفائف الطفل نظيفة وجافة . وفي أحيان أخرى قد تلاحظ الأم بداية عملية الإخراج عندما يحمر وجه

الطفل وتزداد سرعة التنفس وسرعة وضع الطفل على القصرية تحفظ لفائفه في هذه الحالة . وأحياناً إذا ما دربت الأمهات نفسها على ذلك أكثر من تدريبها للطفل نفسه ـ تكافأ على ما يتصورن أنه إنجاز من الطفل وينظرن إليه نظرة استحسان . وخطورة ذلك أن ما قد يحدث فجأة قد يكون أمراً سيئاً للطفل . وهناك خطر آخر وهو صعوبة توافق الأمهات مع مرحلة الانتقال التي يصبح فيها الأطفال أكثر قدرة على ضبط عملية التبول وخروج الفضلات (المواد الإخراجية) لقد تغير نمط سلوك الطفل والأم مازالت تبحث عن نفس النتائج .

صراع الإرادة

إذا شعرت الأم أنه من الضروري لها أكثر من الطفل أن تتحكم في تنظيم خروج البول والمواد الإخراجية له ـ سيميل الطفل لأن يشتق إشباعاً من مقاومة مطالبها عندما يصبح قادراً على ذلك . وتبدأ المعركة حول التدريب على ضبط الإخراج بنفس الطريقة التي تحدث بها المعارك عند تقديم الطعام بطريقة جامدة من حيث الوقت والكمية . فيتعلم الطفل أن يحتفظ بمواد الإخراج حتى مع سيولة المواد الإخراجية وصعوبة الإحتفاظ بها . وعلى العكس ـ فقد يترك المواد الإخراجية تمر في وقت ومكان غير ملائمين في نفس الوقت الذي تتخلى فيه الأم عن صراعها معه .

التوتر والاسترخاء واللذة

خلال الجزء الأخير من العام الأول أو خلال العام الثاني يكون الطفل قد تعلم التمييز بين الإحساسات المرتبطة بمجاري البول والمواد الإخراجية ، وييسر لتفريغ المثانة أو المستقيم في الوقت الذي يبدو أنه ملائم لذلك . إنه يكون مسروراً عند الإحساس بمرور البول أو الفضلات وهذه الإحساسات المرتبطة بالفم كمصدر للذة .

ويشير التحليل النفسي إلى مرحلة شرجية من النمو النفسي الجنسي ، ويوجهون الإنتباه إلى أهمية الإحساسات والخيالات التي تدور حول المنطقة

الأمامية Urethra وهذه الفتحات الشرجية والأمامية تصبح محوراً هاماً للخبرات الانفعالية . فهناك احساس باللذة عندما يتم الاخراج ، أو إحساس بعدم الارتياح والألم عندما يتغير الوقت أو خواص المواد الإخراجية بطريقة ما . كما في حالة زيادة تركيز البول أو إصابته بالبكتيريا أو عندما تكون المواد الإخراجية صلبة جداً أو مائية جداً (إسهال) .

إن الأفكار والخيالات التي تدور حول عملية الإخراج معقدة لأن عملية التخلص من الفضلات ينظر إليها على أنها عملية حسنة ، وأحياناً ما ينظر للفضلات نفسها على أنها حسنة ـ أو ـ على العكس فإنها أي العملية ومواد الإخراج قد ينظر إليها على أنها سيئة وخطيرة .

فالمواد الإخراجية هي جزء من جسم الطفل . وأن كونها حسنة أو سيئة إنما يصدر عنه . وهذه النواتج الإخراجية هي امتداد للشخصية في العالم الخارجي . وبينما نجد الطفل في بداية الأمر يمر بخبرات حسية تدور حول التغذية ، وتعلّم حدود ذاته حيث كان من الصعب عليه أن يميز من أين يبدأ فمه حيث يوجد ممر مستمر للبن بين الفم والحلمة أو الزجاجة . وعندما يبدأ الإحساس في التركيز حول فتحة الشرج نجد أنه من الصعب وقتها أن يحدد لنفسه أين ينتهي الجسم حيث تمر الفضلات إلى الخارج . وحيث أن الطعام لا يعد نشاطاً شخصياً تماماً ، ولكنه علاقة بين الطفل والأم . والإخراج هو الآخر نوع من العلاقة ـ لأن الأم تربط بين تقبل أوعدم تقبل الطفل وبين اتجاهاتها نحوه . وطبقاً للفولكلور فإن هذا القبول مشترك ، ومستقبل الطفل بين يدي أي فرد يمكن أن يعطيه قدراً كافياً من الثقة ، يمكنه من الارتياح .

نشاط المستقيم كأساس للخبرة الشخصية :

الإخراج يمثل أحد الوظائف البيولوجية للطفل ، ويمكن أن يكون جزءا من علاقة الحب القائمة بين الوليد والفرد الذي يهتم به . وتدخل الخيالات الدائرة حول الإخراج في بناء الحياة العقلية بعد ذلك كتصوير لما هو حسن أو ما هو سيء ، وتشكل المشاعر الوهمية الموجودة إلى درجة ما في الفرد العادي وبصورة

حادة في الفرد المضطرب عقلياً وبعض الناس يستمر في تصور البول والمواد الإخراجية كسموم حتى وهما مازالتا في أجسامهم ويبحثون عن عقاقير لغسيل وتنظيف أنفسهم ومبالغة في التخيل قد ينظرون إلى هذه الفضلات كمصادر للخطر على الناس الآخرين ، وبعض اللهجات في بعض الأماكن تتضمن استخدام أسماء نواتج الإخراج ككنايات ضد أناس آخرين هم أصلاً محور للهجوم . وبجانب هذه الاتجاهات هناك نوع من الافتخار بالانجازات البولية والإخراجية خاصة لدى البنين حيث يعجبون بكمية واتجاه مرور البول . وهي أمور معروفة لدى الكثيرين . كما أنها من الأفكار التي تتضخم في حالة الأمراض العقلية عندما يتجرد الفرد من الضوابط الاجتماعية .

وهناك البعض غير المضطرب عقلياً . ولكنه يكتسب سمة خلقية من القسوة الزائدة في العناية بالإخراج خلال مرحلة التدريب في الطفولة ؛ فالنظافة طهارة والقذارة خطيئة ، والارتباط الوثيق بين المثانة والمستقيم وبين الأعضاء الجنسية يربط بين الخطيئة والقذارة مع الأخطاء الجنسية (وبالتالي فهي تربط بين الجنسية وبين الإخراج) . ويستجيب بعض الناس لهذا بقوة ويروا أن النظافة والنظام هما أهم فضيلتين ، فنجدهم مهندسين في مظهرهم وعملهم وغالباً ما يضعون هذه الخصائص في أحسن حالاتها . وأحياناً ما يتخذ الأفراد من التنظيم والعناية شعاراً في كل مجالات حياتهم ويصبحون تعساء ، أو قد يؤدي نفس الأمر إلى أشكال مرضية عندما يصبح الفرد أكثر خوفاً من القدرة على تدمير الناس عن طريق القذارة أو عدم النظام الذي يصبح وسواسياً لحماية الآخرين من القوى الشريرة المخبأة في داخله .

ويرى بعض الناس أن عملية الإخراج هو دليل على الصحة ، وكلما أعطى إنتباهاً أكثر إلى هذه العملية كلما أصبح هناك صراع كبير بين الطفل وآبائه . وعليه فإن نشاط المثانة والمستقيم يمكن أن يسبق نشاط الفم في تحقيق اللذة للفرد .

ضبط الإخراج كمرحلة في النمو :

إن ضبط نشاط المثانة والمستقيم يخدم الوظائف التالية التي تعد دلائل على

النضج أو النكوص المؤقت أو الدائم إلى مراحل طفسلية سابقة تتميز بالرجوع إلى حالة من عدم الضبط الطفلي ٠ والتبول اللا ارادي Enuresis (البلل) وعدم القدرة على ضبط التبــرز encopresis لها عدة تفسيرات عندما تحدث في المراحل المختلفة من حياة الفرد ٠ ومن الضروري أن نضع في الاعتبار أن هذا الأمر يعد رمزأ ذا معنى لطبيعة التفاعل بين الفرد وأسرته كما أن لها أهمية شخصية بحتة وأهمية اكلينيكية ٠

التبـول اللاارادي

وهو نوع من المشاكل الخاصة بالضبط لدى الفرد ، ويرمز إلى عدم النضج ٠ والتغير من النضج الى عدم النضج أمر يهتم به الوالدان كما يهتمان بارتداد Lapses الطفل بدرجات كبيرة بعيدأ عن النضج على أنه مزاح ٠ ويشير كبار الأطفال الى عجزهم المؤقت على الضبط الى انهم مصابون بحالة مرضية مؤقتة أو انه حماقة منهم ، ويخفون قلقهم وراء ستار أو قناع التظاهر بالمرح والفكاهة ٠ وفشل القدرة على الضبط يعد تحقيرأ خطيرأ لصورة الفرد على نفسه ، وترمز الأفكار إلى نوع من التصدع Leak في الوظائف السرية ٠

وينظر الآباء إلى التبول اللاارادي لدى أطفالهم على أنه دليل على فشلهم أو على عيوب موروثة في الطفل ٠ ويميل الأخصائيون إلى اعتباره (التبول اللاارادي) مرض يبحثون عن السبب الوحيد العرضي ٠ والتبول اللاارادي عملية ترجع أصلاً إلى مجموعة من العوامل الأسرية ٠

ويجب ألا نطلق لفظ تبول لا ارادي على بلل سرير الطفل في المراحل المبكرة ٠ وهناك أسباب كثيرة للفشل في عملية الضبط ، أو في فقد القدرة على الضبط بعد حدوثها مثل :

١ - إنخفاض مستوى الذكاء :

ويتساوى ذلك مع استمرار عدم النضج ٠ والإعاقة العقلية لا تؤدي بالضرورة

إلى التبول اللاارادي ، ولكن نتوقع أن تكون عملية اكتساب القدرة على الضبط أكثر بطأ بين الأطفال ذوي الذكاء العادي .

٢ - الظروف الاجتماعية غير المشبعة :

في البيوت المكتظة حيث ينام كثير من الأطفال معاً في سرير واحد غير مناسب ، ولو وجد طفل مصاب بالتبول اللاارادي ينام بين أطفال آخرين فإنه يحتمل اصابتهم بالتبول اللاارادي . وفي مثل هذه البيوت قد يكون السبب هو سوء العناية الوالدية بهم ، أو عدم استمرار الضبط بأي صورة . والسبب هنا هو التدريب والعناية غير الملائمتين .

٣ - التدريب الزائد المبالغ فيه :

إن الانتباه الزائد لنشاط عمليات الإخراج يسبب حساسية زائدة في المثانة بالنسبة لمحتوياتها . فالمثانة تحتاج لعتبة فارقة ذات قدرة منخفضة وعليها أن تفرغ محتوياتها عدة مرات أكثر من الوضع العادي . وإذا كان الطفل خائفاً من العقاب بسبب بلله لسريره ، أو إذا ما طلب منه أثناء النهار ألا يطلب كثيراً الذهاب إلى الحمام ـ فإن تأثير قلقه قد يزيد من حاجته إلى الذهاب إلى الحمام . والناس معتادون على ذلك حتى البالغين في المواقف الاجتماعية وفي حالة الأنشطة العادية . ومثال على ذلك الطفل الذي تنمو لديه عادة طلب الذهاب إلى الحمام في الوقت الذي يصل فيه إلى أي منزل غريب كزيارة مع أمه . وبعد عدة مرات من هذا السلوك تعطي الأم تعليمات صارمة قبل خروجها معه بألا يطلب هذا الأمر حال وصوله . والحرص الزائد يدعو الأم إلى زيارة الطفل للحمام قبل مغادرة المنزل ولكنه بمجرد وصوله إلى المنزل الآخر تظهر لديه الحاجة لزيارة الحمام مرة أخرى . وهذا النوع من القلق يساعد على تكوين نمط خطير عندما تحدث ردة Lapse وينظر إليها على أنها خطأ فادح .

٤ - النكوص المؤقت

يرجع الأطفال إلى أنماط من السلوك الطفلي خلال فترات الضغط الانفعالي

من أي نوع أو خلال الأمراض العضوية . ويمكن أن يحدث ذلك أثناء الامتحانات المدرسية أو الاضطرابات التي تحدث لأفراد آخرين في نفس الأسرة . كما أن ميلاد طفل جديد يمكن أن يحدث العودة إلى بلل السرير لدى الطفل الكبير سواء كنتيجة للمنافسة اللاشعورية ، أو كنتيجة للتقليد المتعمد للطفل الذي لا يبدي أي اهتمام بعملية الضبط والذي يحصل على انتباه زائد .

٥ - التثبيت على مرحلة طفلية معينة

يظل بعض الأطفال غير ناضجين بطريقة تشبع رغباتهم اللاشعورية الخاصة بهم وبآبائهم جزئياً . وغالباً ما يكون ذلك نتيجة للتفاعل وبخاصة بين الأم وبين الطفل ، وأحياناً كلاً من الأب والأم يكونان متعلقان معاً بالطفل في صورة حماية زائدة . مثال على ذلك بنت في الثالثة عشرة من عمرها كانت مصابة بالتبول اللاارادي منذ سن ٣ سنوات . وفي هذه السن نصح الوالدان أن يوقظا الطفلة ليلاً لتتبول ثم يعيدانها إلى سريرها واستمر ذلك حتى سن ١٣ عن طريق كل من الوالد والوالدة معاً كل ليلة ، فارتبطت لفائف الطفل ، ثم دعم الارتباط بالأب والأم معاً كجزء من اهتمام الفتاة . وكثيراً ما تكون العلاقة الوثيقة بين الطفل والأم فقط ـ ويكون البلل نوع من جذب الانتباه من الطفل للأم . فبعض الأطفال يبكون بعيونهم والبعض يبكي بالمثانة .

٦ - العــدوان :

وكما سبق أن ذكرنا فإن الرمز يمكن أن يكون مصدراً للرضا الجزئي للطفل وللآباء كما يمكن أن يكون مخرجاً للغضب عند الأم ـ أو تعبيراً عن الصراع . فالأم هي التي تقوم بغسل لفائف الطفل ، وفي بعض الحالات يناقش هذا الأمر بمرارة وشكوى في الأسرة ومع الطفل ، وأحياناً يطلب من الطفل أن يغسل اللفائف وأن يسوي سريره . وأحياناً نجد الطفل الذي يبلل سريره في منزله يكون محتفظاً بقدرة على ضبط نفسه لدى خالته أو عمته حيث المكان والمنزل المرغوب فيه ، وأحياناً ما يثبت أن التبول اللاارادي يعد صمام أمان ضروري في العلاقات المنزلية المضطربة . ومثال على ذلك :

طفلة في التاسعة أحضرت إلى عيادة نفسية بسبب حالة تبول لا إرادي . كانت الطفلة خجولة وجميلة والوحيدة لأسرة من الطبقة المتوسطة في حي جميل بمدينة صناعية . وكان التبول اللا إرادي هو الحالة الرمزية الوحيدة . وكان معامل الذكاء ٨٥ وكانت الأم تدفعها لدخول امتحان بالمدرسة الثانوية يتم بعد ١٨ شهراً . وكان عليها أن تصحو يومياً في الصباح الساعة السابعة وأن تحصل على درس لمدة ساعة مع أمها قبل الذهاب إلى المدرسة . وكانت تطيع أمها في كل ذلك دون فائدة تذكر . حضرت البنت والأم إلى العيادة ثلاث مرات ثم انقطعت زياراتهم بسبب التداخل مع وقت المدرسة . ولنفرض أن علاجاً ما كان متاحاً ويمكن أن يؤدي إلى الشفاء من التبول اللاارادي ـ فإن التأثير قد يكون كارثة . لأن بلل السرير كان الأسلوب الوحيد الذي لجأت إليه الفتاة للمقاومة .

٧ - التهيج الجنسي :

يبدو أن مرور البول له لذة تتعلق باللذة الجنسية . فبعض الأطفال يعترفون صراحة أنهم يحبون متعة مرور البول الدافىء لحظة خروجه . وزيادة على ذلك فإن الولد المقترب من البلوغ قد يسمح بخروج البول للتشابه بينه وبين الإحساس الذي يسببه خروج المني ، وأحياناً يسمح بخروج البول ليغطي على حالة القذف التي حدثت .

وهناك طرق عديدة من العلاج . وتعتمد هذه الطرق عادة على العديد من النظريات ، وقد تكون هذه النظريات متعارضة للمحاولات ، والأخطاء التي تمت في الطرق الأخرى ولكل طريقة نجاحاتها ، ولكل طريقة وقتها المناسب والمرحلة الملائمة التي تستخدم فيها .

وأنجح النتائج هي التي تأتي من طرق متنوعة تشترك في شيء واحد عام ، هو ما يحققه الفرد في مرحلة نمو معينة يكون فيها التحكم ممكناً أو مقبولاً . والعلاج هنا يصبح متعلقاً بالنضج . وليس الأمر متعلقاً بشيء أصبح خاطئاً ثم عولج . ولكن بالعملية التي تساعد على النمو الذي تأخر في هذا الصدد .

النمو الحركي والتحكم في العضلات

إن نمو القدرة على التحكم العضلي تتبع قانون اتجاه النمو . وطبقا لهذا القانون تنمو العضلات في الجسم من الرأس في اتجاه القدمين ومن الجذع إلى الأطراف . وهذا يعني أن العضلات الموجودة في منطقة الرأس تدخل في إطار قدرة الطفل على التحكم الإرادي قبل العضلات الموجودة في منطقة الساقين .

وفي بداية الأمر تكون حركة الجسم حركة كلية وهو ما نلاحظه على الطفل حديث الولادة حتى أثناء نموه . وتكثر الحركة الجسمية وتمدد الجسم والأطراف في الأوقات الحارة أكثر من الأوقات الباردة أو المعتدلة . وبالتدريج تصبح الحركات العشوائية التي لا معنى لها حركات أكثر تناسقا وترابطا . وتلعب عوامل النضج والتعلم معا دورا هاما في نمو التحكم الإرادي في العضلات . فمن خلال نضج العضلات والعظام والتكوين العصبي ومن خلال التغير في أبعاد الجسم يصبح الطفل أكثر استعدادا لأن يستخدم جسمه بصورة تتصف بالتناسق والترابط . ولذا يجب أن يعطى فرصة التدريب لتعلم هذه المهارة . أما إذا كان الاستعداد للتدريب والتعلم غير موجود فإن أي تعليم أو تدريب سيكون غير ذات جدوى .

منطقة الرأس :

يبدأ التحكم في حركة العين من وقت مبكر ، كما تبدأ استجابة العين للأشياء المتحركة بعد حوالي ١٢ ساعة من الميلاد . أما حركات متابعة العين لشيء معين فتبدأ في حوالي الأسبوع الثالث والرابع . وتبدأ الحركة الأفقية للعين بين الشهر الثاني والثالث من الحياة أما الحركات الرأسية فتكون فيما بين الشهر الثالث والرابع . والحركات الدائرية تحدث بعد ذلك بعدة أسابيع .

وتبدأ الابتسامة الانعكاسية أو الإستجابة للمثيرات اللمسية في الظهور ربما من الأسبوع الأول من الحياة ، أما الابتسامة الإجتماعية أو الإبتسامة كاستجابة لابتسامة شخص آخر فلا تظهر إلا بين الشهر الثالث والرابع من العمر .

وعندما يكون الطفل مقلوبا على بطنه يمكنه أن يرفع رأسه في وضع أفقي في عمر شهر ، وفي عمر شهرين يمكنه أن يرفع رأسه بزاوية قدرها ٣٠ درجة على

الجسم . ورفع الرأس عندما يكون الطفل على ظهره من الأمور الصعبة جدا وعلى ذلك فإن هذه الإمكانية لا تنمو قبل سن ٥ شهور .

وبوصل الطفل إلى سن ٤ - ٦ شهور يمكن لكثير من الأطفال حفظ توازن رؤوسهم عند جلوسهم على حجر الأمهات . وفي هذه السن يمكن للطفل عندما يكون ملقى على ظهره أن يدير رأسه يمينا وشمالا بسهولة . وفي سن ٥ شهور يمكنه أن يدير رأسه يمنة ويسرة بسهولة عندما يكون جالسا على كرسي .

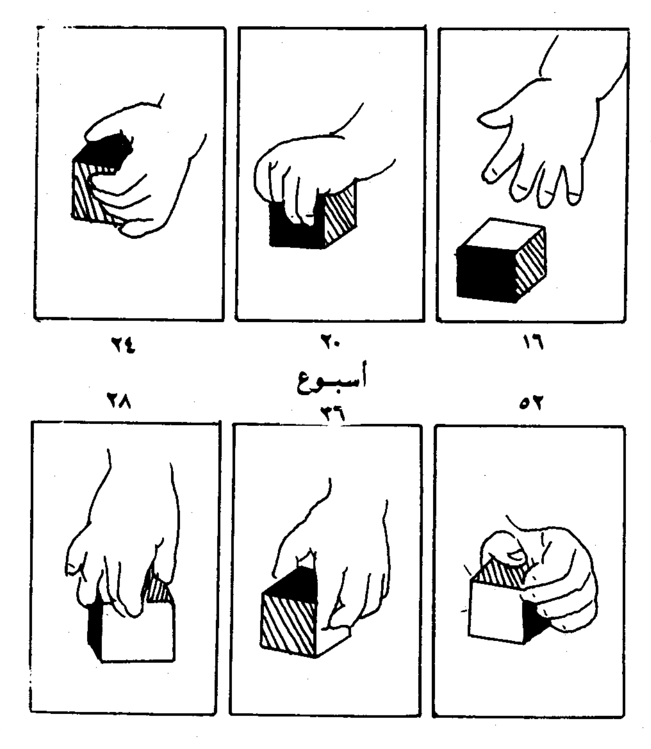
منطقة الجذع :

أهم نوعين من النمو في منطقة الجذع هما القدرة على الدوران في وضع الوقوف ووضع الجلوس . فعندما يصبح الطفل في عمر شهرين ، يكون قادراً على الاستدارة من الجنب إلى الظهر ومن الظهر إلى الجنب في الشهر الرابع . ومن الظهر إلى البطن ثم إلى الظهر ثانية في عمر ٦ شهور . وعندما ينقلب الطفل فإنه يبدأ أولا بدوران رأسه ثم اكتافه ثم الحوض وأخيرا عن طريق حركات الدفع والرفس برجليه يستدير بكل جسمه .

ويمكن للطفل في سن أربعة شهور أن يجذب رأسه لأعلى محاولا الجلوس ، وفي عمر ٥ شهور يمكنه الجلوس وظهره قائماً إذا أسند ، وفي سن ٧ شهور يمكنه أن يجلس لحظات دون سند . ويجلس الطفل العادي دون سند لمدة ١٠ دقائق أو أكثر فيما بين الشهر التاسع والعاشر من العمر . وكثير ما يميل الطفل إلى الأمام في الأيام الأولى للجلوس فيفرد ذراعاه محاولا بذلك أن يحفظ توازنه ، كما تلتوي رجلاه وبطن القدمين متقابلين مكونين معا شكل دائرة مما يشكل أساسا طيبا لحفظ توازنه . والجلوس في بدايته لا يكون مستمرا بل كثيرا ما يقع الطفل على وجهه أثناء محاولته الحركة وهو في وضع الجلوس .

منطقة الذراع واليد :

ان أول حركة تتصف بالتناسق تقوم بها اليد ، تعد استجابة دفاعية تحدث عندما يقترب مثير معين من وجه الطفل . ويكون وضع الابهام متقاطعا مع الأصابع في الإمساك بالأشياء في الشهر الثالث والرابع عادة ، والتقاط الأشياء يحدث فيما بين الشهر الثامن والعاشر .



تطور حركة القبض عند الطفل

أما التناسق بين العين واليد أو ما نسميه توجيه حركة اليدين بواسطة العين فيحدث بدرجة واضحة في الشهر السادس والسابع . وتبدأ الحركة العشوائية لليد في الاختفاء بحيث يمكن للطفل أن يلتقط حتى الأشياء الصغيرة عندما يصل إليها .

ويمكن للأطفال في سن عام أن يمسكوا بدقة بالأشياء المختلفة .

منطقة الأرجل :

ان أول صور الحركة عند الطفل تبدو في الحركة الانتقالية المترتبة على الدفع بالرجلين بحيوية ونشاط ، حيث تظهر هذه الحركات في نهاية الشهر الثاني من العمر . ثم تظهر حركة أخرى هي الدوران الذي تتبعه حركة نخع (ضرب رجليه في الأرض مع الضغط ثم دفع جسمه للأمام) أو حركة الزحف للخلف أثناء وضع الجلوس مستخدما في ذلك الدفع برجليه ويديه وذلك في الشهر السادس .

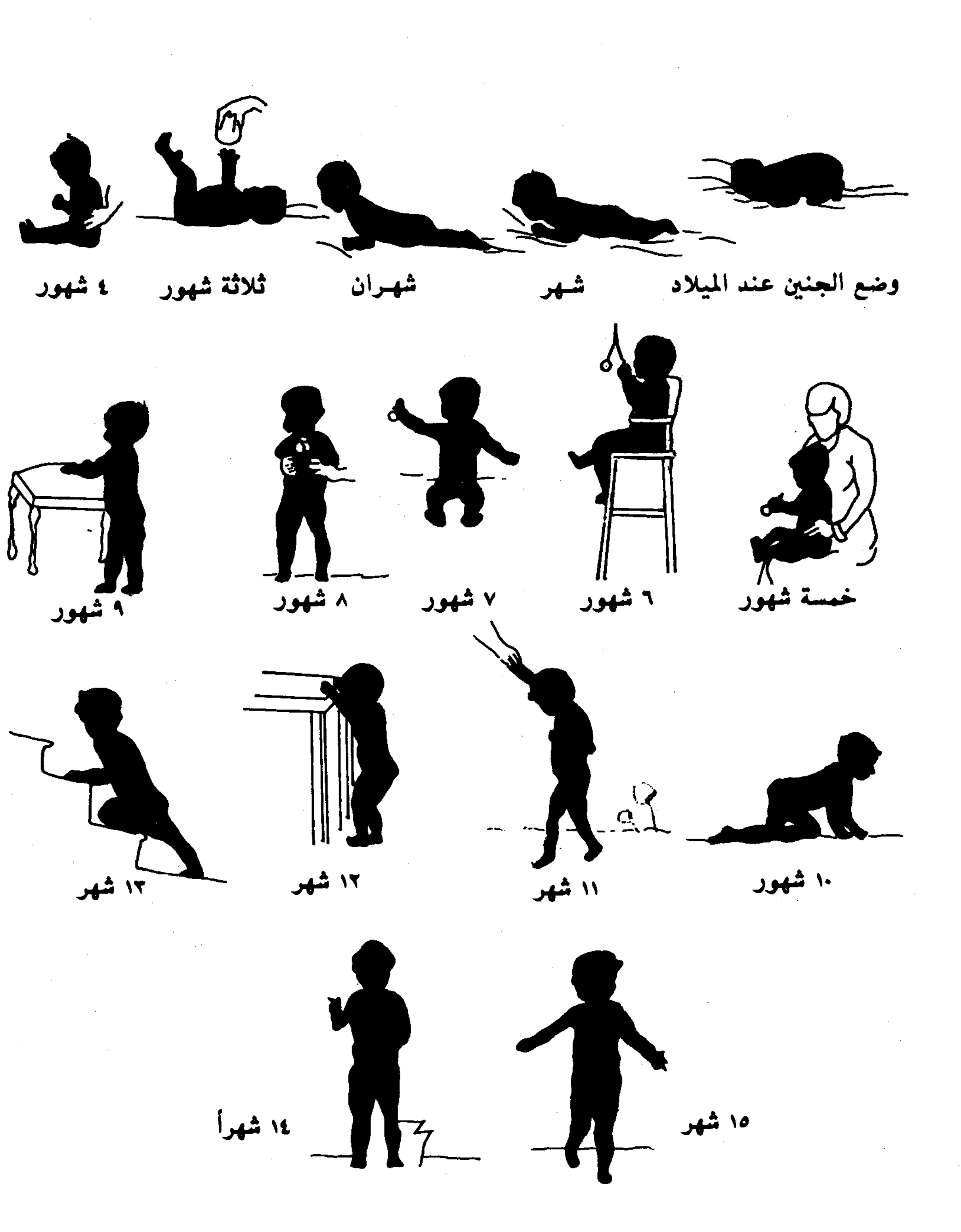
الزحـــــف

« الزحف » مجموعة من الحركات المترابطة يمكن للطفل عن طريقها الانتقال من مكان لآخر ـ حيث يكون الطفل أثناءها منبطحا على الأرض ورأسه وكتفيه مرفوعتان لأعلى حاملاً ثقل هذه المنطقة على كوعيه . وتظهر هذه الحركة التطورية لدى الطفل في سن ٧ ـ ٩ شهور وتأتي أغلب حركة الزحف من عملية جذب الجسم بواسطة الذراعين وحركة دفع بالرجلين تشبه حركة العوم .

وبازدياد قوة الجسم يبدأ الطفل في «الحبو» برفع جسمه عن الأرض ودفع نفسه إلى الأمام بواسطة يديه وركبتيه . وتظهر حركة الحبو في حوالي الشهر العاشر والحادية عشر من العمر . وأحيانا نجد الطفل قد رفع ركبتيه من الأرض ويفرد ساقيه ويمشي كذلك على أربع .

وكقاعدة عامة فإن هناك تداخل في عملية النمو بين عملية وقوف الطفل معتمدا على شيء وبين الحبو . وفي المتوسط يمكن للطفل العادي أن يقف دون مساعدة أحد عندما يكمل عامه الأول . وفي حوالي الشهر ١٠ ـ ١٠،٥ يمكن للطفل أن يقف وحده معتمدا على شيء ما . وتسبق البنات البنين في ذلك .

ويؤدي تدريب الطفل على الوقوف إلى اكتساب الثقة بقدرته على أن يتقدم خطوة خطوة وبالتدريج وعن طريق التدريب وزيادة الثقة بنفسه يتقدم خطوات أخرى ، ويتعلم المشي دون اعتماد على غيره . كل ذلك يحدث عندما تزداد قدرة الطفل على الوقوف بمفرده . وتنقضي عدة أسابيع قليلة من اكتساب القدرة على الوقوف وحده والمشي دون سند (حوالي ٢٥ يوما تقريبا) وفي بداية الأمر يمشي الطفل بحذر خطوة أو خطوتين ، ويزداد عدد الخطوات كل أسبوع .



تطور حركة المشي عند الطفل

وفي بداية الأمر يمشي الطفل بخطوات بطيئة ورجلاه مفتوحتان للخارج وأطراف قدميه للخارج وذراعاه مفرودتان إلى الجانبين ورأسه عمودية على الجسم وإلى الأمام قليلا لحفظ توازنه . ولأنه لا ينظر إلى الأرض تحته جيدا ، ولأنه يرفع رجليه أثناء تحريكها أكثر من اللازم فإنه كثيرا ما يقع على الأرض عندما يكون في بداية تعلمه المشي .

وبوصول الطفل إلى عمر ١٤ شهرا ، يكون حوالي ٢/٣ الأطفال قد تمكنوا من المشي دون سند ، وبوصولهم إلى سن ١٨ شهرا يمكنهم المشي وحفظ التوازن كالكبار . وبعد هذا السن يصل الطفل إلى تنظيم دقيق بين حركة الذراع وحركة الرجل مما يؤدي إلى حركة أكثر تناسقا وسقوطا أقل .

ويلاحظ أن الأطفال الذين يبكرون عن غيرهم في الجلوس يبكرون أيضا في عمليه المشي عن أولئك الذين يتأخرون في الجلوس . وهناك قاعدة صحيحة لمعرفة السن الذي يبدأ فيه المشي وذلك بضرب سن الحبو × ١,٥ أو سن الجلوس × ٢ .

مهارات مرحلة المهد :

بعد اكتساب الطفل للقدرة على التحكم في جسمه ـ يمكنه استخدام ما تم تحقيقه من تناسق عضلي في أنشطة أخرى . وفي بناء تناسق حركي أكثر دقة تستخدم فيه العضلات الصغيرة . فإذا ما أعطى الفرصة التدريب وحافزا على التعلم ومثالا طيبا يحتذيه فإن الطفل سيكتسب كثيرا من المهارات التي ستكون ذات قيمة كبيرة في أداء الأنشطة المختلفة . ولكن هذه المهارات لن تصبح على درجة كبيرة من دقة الأداء خلال فترة المهد القصيرة .

ولكن فترة المهد هي الفترة التي توضع فيها أسس كثير من المهارات ، ولذا فإن عملية التعليم يجب ألا تترك للصدفة كما لا يجب أن يتعلم الطفل عن طريق المحاولة والخطأ ، لأن ذلك يؤدي في غالبية الأحيان إلى اكتساب الطفل لأنماط من السلوك أقل فاعلية في تحقيق التكيف مما يحتاج معه الأمر الى استبدالها بأنماط أخرى من شأنها أن تمكنه من التوافق السليم . وسيضيع كثيراً من الوقت والجهد في تعلم أنماط السلوك الصحيح بدلا من الانتقال إلى مهارات أكثر تعقيدا وأكثر فائدة لنفسه .

ويمكن تقسيم المهارات المتوقعة من الطفل أن يتعلمها في هذه المرحلة إلى فئتين رئيسيتين هما : مهارات الأيدي ـ ومهارات الأرجل . حيث يتعلم في مهارات الأيدي كيف يستخدم اليد اليمنى ويفضلها على الأخرى . وتعليم الطفل استعمال يديه في تناول الأشياء يعد عنصر هاما من عناصر التعلم في مرحلة المهد .

مهارات اليدين :

هناك زيادة سريعة في استخدام الأيدي خلال الأسابيع الأولى من العمر . وكنتيجة لهذا الإستخدام ينمو تناسق وترابط حركات اليدين بسرعة . وكلما نمت مهارة يدوية جديدة استغرقت ميول ونشاط الطفل بصورة ملحوظة ، حيث يقضي كثيرا من وقته في استخدام يديه مما يؤدي بالتالي إلى زيادة قدرته على التحكم فيهما .

وتتركز مهارات اليدين أساسا حول التغذية وارتداء الملابس واللعب الذاتي ويظهر على الطفل في نهاية العام الأول ميلا نحو تغذية نفسه . فيمكن للطفل في سن ثمانية شهور أن يمسك بزجاجة اللبن بعد وضعها في فمه ، وبعد شهر آخر يمكنه أن يتناولها من الكبار ويضعها في فمه دون مساعدة . وعندما يكمل عامه الأول يمكنه استخدام الكوب في شرب اللبن إذا أمسك به بكلتا يديه ، وبعد ذلك وعن طريق التدريب يتمكن من الإمساك بالكوب بيد واحدة .

ويمكن للطفل في سن ١٥ شهرا أن يمسك ملعقة ويضعها في طبق ، ولكنه عندما يرفعها إلى فمه تنقلب قبل أن تصل إلى فمه ويقع ما فيها على ثيابه . وفي نهاية العام الثاني فإنه يجيد استخدام الملعقة ولا يسقط منه الطعام إلا قليلا . ويبدأ بعض الأطفال في هذه السن في استخدام الشوكة أيضا . ولكن عموما فإن الطعام يتناثر من الطفل عندما يحاول حمله بالشوكة إلى فمه . وبصفة عامة فإن الطفل يمكنه أن يغذي نفسه مستخدما الملعقة خلال العام الثاني ، ولكنه غالبا ما يفضل استخدام أصابعه على الملعقة في الأكل .

أما مهارة الأيدي في ارتداء الملابس فتبدأ في صورة التخلص من الملابس ، ويمكن للأطفال في نهاية العام الأول أن يخلعوا الحذاء والشراب وأغطية الرأس والقفازات وفي نهاية المهد يمكنهم أن يتخلصوا من كل ما عليهم من ملابس إلا إذا كانت ذات أزرار .

وهناك محاولات لبعض الأطفال لارتداء ملابسهم وهم في سن عام ونصف ، وأن يضعوا غطاء الرأس أولا ثم القفازات . وارتداء الملابس يعد أسهل عند الطفل من شبكها بواسطة الازرار . وأسرع فترات التحسن في قدرة الطفل على ارتداء الملابس تأتي بعد مرحلة المهد فيما بين ١٫٥ ـ ٢٫٥ سنة من العمر . وإلى جانب مهارة ارتداء الملابس فإن أغلب الأطفال يحبون أن يستحموا وأن يمشطوا شعورهم وأن ينظفوا أسنانهم بالفرشاه بأنفسهم .

أما مهارات اللعب فهي مهمة لتعامل الطفل مع اللعب المختلفة . ولا تنمو هذه المهارات إلا متأخرا في نهاية العام الأول ولكنها تظهر بوضوح في العام الثاني . ويمكن للطفل في سن اثنى عشر شهرا أن يمسك بالقلم أو الطباشير ويكتب بها دون اهتمام بما يرسم . وقبل أن يصبح في عمر عامين يمكنه أن يفتح صندوقا صغيرا وأن يفك غطاء زجاجة حلزوني . وأن يقلب صفحات كتاب ، وأن يبني برجا من أربعة أو خمسة أدوار ، أو يثبت الشباك بالمشابك ، وأن يدحرج الكرة ، وأن يقطع صورة من الورق بواسطة المقص . ويمكن للطفل في سن عامين فأكثر أن يدحرج كرة وأن يقذفها لآخر .

تفضيل أحد اليدين على الأخرى :

الطفل قادر على استعمال كلتا يديه في الشهور الأولى من حياته حيث لا يفضل يدا على الأخرى . وفي عمر ثمانية شهور يبدأ الأطفال المتفوقون عقليا وحركيا تفضيلا لأحد اليدين على الأخرى أكثر من الأطفال الأقل تفوقا ، ويكون هذا التفضيل عادة لليد اليمنى . ويتبادل الطفل استخدام اليد اليمنى واليسرى طبقا لوضع الشخص أو الشيء الذي يسعى الطفل إلى الإمساك به . فإذا كان الشيء قريبا من اليد اليمنى فإنه يستخدمها على اليسرى والعكس صحيح إذا كان الشيء قريبا من اليد اليسرى فإنه يستخدم اليد اليسرى على اليمنى . ويحدث الانتقال من اليد للأخرى خلال العام الثاني أيضا ولكن أقل مما يحدث في العام الأول . لكن المهم أن الطفل لا يتكون لديه في مرحلة المهد سيطرة لأحد اليدين على الأخرى . كما يبدو عليه خاصة في العام الثاني حيث يظهر هناك ميل لاستخدام أحد اليدين وتفضيل استخدامه .

نستخلص مما سبق أنه لا توجد عوامل فطرية تتحكم في استخدام يد دون أخرى ، ولكن أسلوب التربية وطريقة معاملة وتقديم اللعب والأشياء المختلفة للطفل هي التي تحدد احتمال استخدام أحد اليدين على الأخرى ، كذلك العادات والتقاليد الشائعة في المجتمع لها نصيب هام في تحديد أفضلية أحد اليدين على الأخرى .

مهارات الأرجل :

يقضى الطفل أغلب فترة المهد في التدريب على مهارات المشي ومع الاقتراب من نهاية هذه الفترة يتمكن من المشي ولكن بطريقة أولية من النمو . فالجري لا يعدو أن يكون مشيا سريعا لا يتصف بالبراعة في خطوات غير متسقة ولا يخلو من عدة مرات من السقوط .

أما القفز فهو خطوات أكثر اتساعا لا غير - تستخدم فيه رجل واحدة ثم تليها الأخرى . أما التسلق لأعلى أو لأسفل فيتحقق أولا عن طريق الزحف والحبو ، وعندما يتمكن الطفل من المشي بمفرده نجده يصعد السلم أو ينزل منه وهو في وضع رأس واضحا احدى قدميه على احدى السلمات ثم يسحب الأخرى إلى نفس السلمة . وبنهاية مرحلة المهد يمكن للقليل من الأطفال أن يركبوا دراجة بثلاث عجلات .

التأخر في النمو الحركي :

لا يصل كثير من الأطفال إلى مستويات النمو الحركي التي سبق ذكرها . ويعتبر تأخر الطفل في النمو الحركي خطيرا لأن نمو المهارات الجسمية المختلفة فيما بعد يعتمد على المهارات التي تكتسب خلال مرحلة المهد - كما أن هذه المهارات تستخدم في اللعب مع الأطفال الآخرين . في مرحلة الطفولة المبكرة . وتمكن الخطوة أيضاً في كونه متخلفا عن الجماعة في نموه الحركي في أنه لن يكتسب المهارات التي سيكتسبها الأطفال الآخرون - من جهة - ومن جهة أخرى فإن الطفل الذي تنقصه المهارات الحركية التي تساعده على الاستقلال في نهاية مرحلة المهد سيشعر بالاحباط عندما يحاول آداء أشياء معينة لنفسه ويفشل فيها.

أسباب التأخر في النمو الحركي :

توجد أسباب كثيرة لتأخر النمو الحركي في المهد ، وأغلبها من الممكن ضبطه والتحكم فيه منها :

١ - عدم توفر فرص التحكم العضلي بسبب وجود الطفل في بيئة محدودة لا تشجع على التدريب .

٢ - مخاوف الآباء على الطفل من أن يضار عندما يستخدم عضلاته في الوقت المناسب .

٣ - الملابس الضيقة .

٤ - قلة الحوافز المشجعة على التحكم العضلي muscle controi لأن الكبار يقومون له بكل شيء .

٥ - وجود نقص في النضج (كما في حالة الأطفال الذين يولدون ناقصي النمو) .

٦ - حجم الجسم وأبعاده غير المتناسقة مما يجعل حركته صعبة .

٧ - انخفاض مستوى الذكاء الذي يؤخر النمو الحركي .

٨ - الخوف المتسبب من أحداث سابقة أو التحذير المستمر من قبل الآباء .

٩ - ضعف المستوي الصحي بسبب الأمراض وسوء التغذية .

ويلاحظ أن الولادات الأولى أكثر تقدما في نموها الحركي من الولادات الأخيرة حيث يحظى الطفل الأول بتشجيع أكثر وإثارة أكبر . كما لوحظ أيضا أن النمو الحركي لدى أطفال الطبقات ذات المستوى الاقتصادي والاجتماعي المنخفض أكبر من النمو الحركي لأطفال الطبقات العليا . وقد يرجع ذلك إلى كثرة تسامح الآباء مع الطفل في مواقف التدريب في الطبقات المنخفضة على عكس الطبقات الأعلى التي تحد من حركة الطفل بركوبه في عربات الأطفال وغيرها . ويعتبر الأطفال الذين نشأوا في مؤسسات للأطفال أنهم أقل في نموهم الحركي من الأطفال الذين نشأوا بين ذويهم وذلك لنقص الفرص والمثيرات والتشجيع في الحالة الأولى . وعموما فإنه بوصول الأطفال إلى سن السادسة تختفي هذه الفروق ،

فالتخلف في النمو الحركي في مرحلة المهد تخلف مؤقتا لا يلبث أن ينتهي بتوفر فرص التدريب يصبح الطفل البشري عضوا في المجتمع الذي يولد فيه بمجرد الولادة ، ويخضع لظروف البيئة المحدودة التي تحيط به أولا ، والتي تتسع دائرتها بالنسبة له بالتدريج بعد ذلك . وهو على أية حال دائم الاستجابة لكل المؤثرات التي يتلقاها من البيئة . فنمو اللغة إذا عند الطفل - كنموه الإدراكي والوجداني والاجتماعي - متأثر بعامل البيئة والوراثة . ولا يمكن دراسة النمو اللغوي على أنه نوع مستقل من النمو في حياة الطفل نظرا للارتباط القوى بين النمو اللغوي والأنواع المختلفة من النمو .

وما دام الطفل يعيش عضوا في مجتمع فلا بد أن تربطه بهذا المجتمع وسائل التفاهم ولا بد أن يكون مزودا بالأجهزة الضرورية التي تقوم بعملية التفاهم . ولهذا كان الطفل عند ولادته مزودا بأجهزة النطق التي يعبر بها كالحنجرة والحلق والفم واللسان والشفتين والأنف . وبأجهزة الاستقبال التي بها يستقبل ما يصدره غيره من لغة كالأذنين . فاعضاء النطق مستعدة لأداء وظيفتها عند الولادة ، وان كانت لا تؤديها فعلا إلا بعد تمرين وتكييف .

ويبدأ النمو اللغوي عند الطفل منذ يستمع في مهده إلى لغة الكبار ، وكلما زاد اليهم استماعا ارتبطت لديه الرموز الصوتية بالأشياء وبالصفات وبالعلاقات المختلفة . وبذلك يبنى الطفل ذاكرة من المعاني والمفاهيم كلما اتصلت خبراته بالبيئة التي تحيط به ، ثم أنه يستخدم رموز الكلام في تفكيره وفي حديثه متدرجا من الكلمات المفردة أو العبارات المتقطعة إلى الجمل والعبارات الطويلة ، حتى ليستطيع في سن دخوله المدرسة أن يقص القصص ، ويروي الحوادث ويتفهمها إذا استمع إليها .

والطفل بطبيعته محب للاستطلاع ، ويدفعه هذا الحب إلى الاتصال المباشر بكل ما يحيط به وبذلك تزداد ثروته اللغوية ، من ألفاظ ومعان يوما بعد يوم . فهو يتناول اللعب ويلعب مع رفقائه وهو يراقب أعضاء أسرته وجيرانه في أحاديثهم وألوان نشاطهم ، وهو ينتقل مع ذويه من مكان لآخر وهو يستمع إلى القصص ويرويها ، وهو يمارس ألوان النشاط المختلفة من وثب وجرى واختفاء وتسلق وقذف ودفع وضرب ، وهو في كل هذه الخبرات يضيف إلى قاموسه اللغوي كلمات وتراكيب جديدة ، ويزداد تفهما لكلمات ورموز لغوية جديدة وقدرة على استخدام كل ذلك حين يتحدث أو يستمع .

وحين نلاحظ الطفل في سن الخامسة أو السادسة نرى دأبه على التحدث إلى نفسه أحياناً وحرصه على التشدق بما يحدثه من أصوات يرفعها تارة وينغمها تارة أخرى مصحوب بقدرته على تكييفها . فإذا رأيته مع مجموعة من رفقائه في أثناء اللعب رأيت اللغة اداته المفضلة في عرض معلوماته ليجذبهم اليه . ورأيت اللغة تمثل المكان البارز بين الجماعة .

النمو اللغوي قبل الولادة

يرى علماء وظائف الأعضاء أن أول صوت يصدره الطفل سببه فسيولوجي محض ، وهو بدء الرئتين في القيام بوظيفتها . ولا يطلق أول صوت عند الولادة فقط متمثلا في صراخ الطفل بل يبدأ قبل ذلك كما نرى :

في الشهر الخامس : نسمع أصوات الجنين في هذا الشهر حيث تحدث من ١٥ - ٣٠ مرة في الدقيقة . وقد دلت الأبحاث أن جنينا طوله ٢٨ سم عرض للهواء فصدرت منه بعض الأصوات ، وأصغر جنين صدرت عنه أصوات كان عمره خمسة شهور .

في الشهر السابع : في هذا الشهر يبدأ صراخ الطفل ، ويمكن للأطفال الذين يولدون في هذا الشهر أن ينمو تحت رعاية خاصة .

النمو اللغوي في مرحلة المهد

تعتمد اللغة اللفظية في نموها على مدى نضج وتدريب الأجهزة الصوتية وعلى مستوى التوافق العقلي الحركي الحاسي الذي تقوم عليه المهارة اللغوية وخاصة في بدء تكوينها .

وتدل الأبحاث الحديثة على أن الأجهزة الصوتية المختلفة كعضلات الفم واللسان والحنجرة تصل في نموها إلى المستوى الذي يمكنها من أداء وظيفتها قبل الميلاد ، وهذا ما أشرنا إليه سابقا .

ولقد قسم علماء النفس النمو اللغوي إلى مراحل لكل مرحلة خصائص علما بأن هذه المراحل لا ينفصل بعضها عن بعض انفصالا واضحا ، وإنما تتدرج مع النمو اللغوي كما يتدرج الطفل في نواحي نموه المختلفة وهذه المراحل هي :

أولا : مرحلة الصراخ :

تدل الصيحات الأولى للوليد على أنه قد بدأ يتنفس ، وذلك من اندفاع الهواء بقوة عبر حنجرته في طريقة إلى رئيته ، فتهتز لذلك أوتار الحنجرة وتصدر عن الطفل صيحة الميلاد المعروفة ، وهذه العملية لا تعتبر من حالة الطفل الانفعالية ، بل انها أشبه ما تكون بفعل منعكس يعتمد في استثارته على دخول الهواء الى الرئتين ، ويستجيب الطفل لهذه الإستشارة بالصياح . وتختلف هذه الصيحة من طفل لآخر تبعا لإختلاف نوع الولادة وحالة الطفل الصحية . فصيحة الطفل القوى حادة ، وصيحة الضعف خافتة متقطعة . هذا ويستمر صراخ الطفل الوليد حوالي ساعتين في اليوم .

واللغة الأولى للأطفال ليست الأصوات أو الكلام فقط وإنما هي الإشارة أيضا . وتنمو لغة الإشارة من حركات طبيعية غير ذات هدف واضح أولا ، إلى حركات طبيعية تحقق فائدة للطفل ، كأن يحرك فمه بعيدا عن شيء مرير الطعم بعد تذوقه . وهذا النوع من الحركة أو الإشارة غريزي لأنه الناحية النزوعية لغريزة التقـزز .

وتحريك الرأس بعيدأ فعل منعكس فطري . ويسمى منعكس الإعراض أو التجنب ولكن بتكرار المثير والإستجابة المنعكسة الفطرية تتكون استجابة شرطية تحدث كلما وجد المثير . فرؤية الملعقة التي بها الدواء المر تدعو الطفل إلى إبعاد رأسه وفمه ، وإقفال شفتيه . وبذلك تصبح هذه الإشارة إرادية وتتحول من مجرد حركة آلية وجدت أولاً لحماية الفرد ، إلى أشارة معبرة ذات مغزى إجتماعي وهو الرفض الإرادي . ومثل هذه الإشارة إشارات أخرى كثيرة تتطور بنفس الطريقة ، مثل مد الطفل يده إلى الشيء المرغوب فيه ، أو التعلق بملابس الغير .

ثانيا ـ مرحلة الأصوات الوجدانية :

وفي هذه المرحلة يتحول صراخ الطفل من عملية لا إرادية إلى عملية إرادية ، أي أن الصراخ يصير متصلا بحالة الطفل الإنفعالية ورغباته . فالصرخة الرتيبة المتقطعة تدل على الضيق والصرخة الحادة تدل على الألم ، والصرخة الطويلة تدل

على الغيظ والغضب ، ويصدر صوتاً في حالة الارتياح . ويعتقد «شتيرن» أن الأم تستطيع بخبرتها أن تميز بين صرخات الضيق وأصوات الارتياح ، كما أنها تستطيع بعد أسابيع قليلة من ميلاد الطفل أن تميز بين صرخات الضيق المختلفة ، وأن تدرك الدلالة النوعية لكل صرخة ، فتعرف ما إذا كان الضيق راجعا إلى الجوع أو التبلل أو الألم . وهكذا يتضح لنا أن الطفل عن طريق الصراخ يعبر عما يشعر به من ضيق أو ألم بوجه عام . كما يعبر عن حاجاته البيولوجية كما

ينبغي أن ننظر إلى هذا الصراخ وأثره في تقوية الجهاز الصوتي لدى الطفل . ولذلك يتضح لنا أنه من الخطأ الحيلولة بين الطفل وصراخه .

ثالثا ـ مرحلة التنغيم والمناغاة :

في هذه المرحلة يبدأ نوع من الأصوات هو النغا crousing أو babbling وذلك فيما بين الشهر الثالث والسابع أو الثامن . ويستمر هذا النغاء حتى نهاية السنة الأولى ، عندما ينطق الطفل بالكلمات الأولى من اللغة . وهذا النغاء عبارة عن أصوات مختلفة لا معنى لها ، وهي تصدر تسلية للطفل يكررها وينوعها وينطق بها بطريقة عشوائية والطفل يستعمل في النغاء أعضاء النطق كأنها دمية يلعب بها ، فهو يحركها في جميع الأوضاع الممكنة .

ولقد اثبتت كثير من الدراسات أن أنواعا كثيرة جدا ومختلفة من الأصوات يصدرها الطفل في هذه المرحلة ، فهي حروف علة قصيرة أو طويلة ، وحروف صحيحة تنتهي بحروف علة ، وحروف صحيحة متكررة تصدر من مناطق مختلفة في أعضاء النطق ، وهي أحيانا مقاطع صغيرة مكررة . وبعض الأصوات من الغرابة بحيث لا يمكن تسجيله كتابة . فالأطفال من آباء انجليز مثلا تصدر منهم أصوات غير معروفة في اللغة الأنجليزية مثل : خ ، ع ، غ ، وهي أصوات عربية ، ومثل AU U والأول ألماني والثاني فرنسي . ويعزى هذا إلى مرونة أعضاء النطق في هذه المرحلة .

وأصوات المناغاه الأولى عضلية محضة ، وليست محاكاة لأصوات سمعها الطفل من غيره أو من نفسه بدليل أن الصم البكم تصدر عنهم هذه الأصوات النغائية ، وبالرغم من عدم سماعهم اياها . ولكن سرعان ما يدرك الطفل أن بعض الأصوات التي يصدرها شبيهة بما يسمعه من أمه أو أبيه أو من هم حوله . وتبدأ أصواته

النغائية غامضة وغير محدده ، ولكنها تتحدد بالتدريج .

ويبدأ الرضيع النطق بالحروف الحلقية أا ، ثم تظهر حروف الشفة (م م ، ب ب) ثم يجمع بين الحروف الحلقية وحروف الشفة (ماما ، بابا) ثم تظهر الحروف السنية (مثل د ت) ثم الحروف الأنفية مثل (ن) ... وهكذا . وترجع أسبقية حروف الشفة والحروف السنية الى أن الطفل يستعد للقيام بعملية الرضاعة ، وتكون الأصوات التي يصدرها قريبه من الشفتين والأسنان . كما تستخدم الحروف عمليا عندما يكون في موقف من مواقف الارتياح في النصف الثاني من العام الأول .

وتثير أبحاث «أرون «Irwin» (1962) الى أن الحروف المتحركة تسبق الحروف الساكنة عندما تأخذ حركات الانقباض أو الانكماش في أعضاء الجهاز الكلامي شكلا أكثر تحديداً ، ويرجع ذلك الى نمو الطفل الجسماني وما يستتبعه من نضج . هذا وتدل أبحاث «إرون» على أن نسبة الحروف المتحركة الى الحروف الساكنة في أصوات الطفل تبلغ ٤ : ١ في البدء ثم تتطور في منتصف السنة الأولى الى ٢ : ١ ثم تبلغ في نهاية هذه السنة ١ : ٢ .

هذا ويتجه النمو الصوتي للحروف المختلفة في اتجاهين متضادين ، فتنمو الحروف الحلقية في تكوينها السوي من الحلق إلى الشفة ، وتنمو الحروف الساكنة من الشفة إلى الحلق . وتدل أبحاث «لويس» M. M. Lewis 1939 على أن النمو الصوتي الحركي يطرد من العضلات الكبيرة القوية الى العضلات الصغيرة الدقيقة .

رابعا ـ مرحلة التقليد :

سبق أن أوضحنا أن الطفل يستجيب لحالاته النفسية والإنفعالية الداخلية كما جاء في مرحلة الصراخ . أما في هذه المرحلة نجده يستجيب للأصوات البشرية المحيطة به فيما بين الشهر الثاني والثامن لبدء ميلاده ، فيصبح معبرا عن سروره ، أو عن رضاه وقبوله ، ثم يتطور به الأمر فيقلد الأصوات التي يسمعها ، ويضطره هذا التقليد إلى إجادة الاستماع والاصغاء والإنتباه إلى كل صوت يقع على أذنيه ، وهو يجيد هذه المهارة الجديدة فيما بين الشهر الثامن والعاشر ، ويستجيب للتحية استجابة متميزة واضحة فيما بين الشهر التاسع ونهاية السنة الأولى .

ويمكن القول بأن وظيفة التقليد ترتبط بالمعنى المحدد للتقليد . فإذا كان التقليد عبارة عن قيام الطفل بنوع من السلوك (الأصوات اللغوية) بصورة تشبه الصورة التي أدركها من غيره ، فإن هذه النوع من التقليد يندر ان يصدر من الطفل قبل الشهر الثامن أو التاسع وإذا كان التقليد عبارة عن مجرد سلوك الطفل القريب الشبه بما ادركه من سلوك غيره فإن هذا النوع من التقليد يبدو في الشهر الأول للطفل .

والتقليد اللغوي عند الطفل يتوقف على :

(١) قدرة حاسة السمع عنده . فإذا لم يسمع الطفل الأصوات أو سمعها خطأ فإنه لا يستطيع انتاجها أو ينتجها خطأ .

(٢) قدرته على استبقاء الصورة السمعية لما أدركه ، فلا يكفي أن يسمع الكلام سماعا جيدا ، بل لا بد من استبقائه في ذهنه بصورته المسموعة حتى يمكن أن يحاول تقليدها .

(٣) القدرة العضوية لجهاز النطق على اصدار ما يسمعه بصورة شبيهة أو قريبة منه . وأي خلل أو ضعف في جهاز النطق يعطل من صحة الإخراج الصوتي والتقليد اللغوي .

(٤) الادراك البصري لوجه المتكلم ، فحركات الفم والأسنان واللسان تساعد إلى حد ما على إجادة التقليد .

والتقليد اللغوي عند الطفل يمر بثلاث مراحل :

أولها : تبدأ في الشهر الثالث عندما يستجيب الطفل للغة من حوله ولكن بأصوات من عنده ، وتأخذه هذه الأصوات في التحسن والتكيف بالتدريج ، لا سيما إذا عنى من هم حوله بإصدار أصوات مثل أصواته .

وثانيها : حوالي نهاية السنة الأولى عندما تضعف قدرة الطفل على التقليد الأولى الذي بدأ به ، وتقوى استجابته لمعاني ما يسمع وما يفهم من كلمات .

وثالثها : بعد مضي بضعة أشهر ، ففي أوائل السنة الثانية تتجدد قدرته على التقليد . وفي هذه المرحلة يزيد اهتمام الطفل بمعنى ما يسمعه ، فيتجه إلى تقليد المسموعات ذات المعاني المفهومة له . وتقليده اللغوي في هذه المرحلة موجه إلى صيغ الكلام المسموع وإلى وظيفته . والسبب في ذلك هو نموه العقلي والاجتماعي ونمو صلاته بمن حوله . وكما يقلد الطفل غيره يقلد نفسه حتى يستطيع تعلم اللغة بالمحاولة والخطأ .

خامسا : مرحلة الكلمة الواحدة :

يستعمل الطفل في العام الأول من حياته كلمة واحدة للدلالة على ما يريد التعبير عنه وهذا ما يطلق عليه مرحلة الكلمة الجملة word sentence وهي مرحلة غامضة بالنسبة للسامع فالطفل عندما يرى كرة أمامه ويقول «كرة» فإن السامع تتطرق إلى ذهنه معان عدة منها : أيريد الطفل أن يقول : هذه كرتي » أم يريد أن يقول « ناولني الكرة » أم يريد أن يقول « العب معي بالكرة » إلى غير ذلك من الاحتمالات الكثيرة . ومثال آخر فإن الطفل يقول « محمد » فالقصد من ذلك أن يقول « محمد ضربني أو « محمد أخذ لعبتي » أو « أريد أن أخرج مع محمد » .. الخ . أي أن الكلمة هنا « كل » يلفظ بها ويراد منها المعنى الكامل الذي تفيده الجملة .

سادسا ـ مرحلة الكلمتين :

يستعمل الطفل في عامة الثاني وبالتحديد في النصف الأخير منه جمل مكونة من كلمتين ثم يأخذ عدد الكلمات في الزيادة وفقا لسن الطفل ودرجة ذكائه والبيئة التي يعيش فيها .

وقد درست «دورثى ماك كارثي» (١٩٣٠) النمو اللغوي عند الأطفال ، والواقع أن هذه الدراسة تعتبر من أدق الدراسات العلمية المعروفة،وحصرت عدد الكلمات التي يكتسبها الأطفال في الأعمار المختلفة ، كما أشارت إلى بعض الفروق بين الجنسين . ولاحظت أن معظم كلمات الرضيع أسماء ، وان الطفل يستخدم الأسماء قبل الأفعال ، وأخيرا يستخدم الحروف ، وبعض نتائج أبحاثها مبينة في الجدول التالي :

العمر بالشهور	الجنس	الأسماء	الأفعال	الصفات	الظروف	الضمائر	حروف العطف	حروف الجر	حروف النداء	منوعات
١٨	ولد	٤٣ر٦	٦ر٧	١ر٥	١ر٥	١٢ر٨	—	—	١٦ر٧	—
	بنت	٥١ر٥	١٣ر١	١٠ر٧	٨ر٥	٩ر٧	ر٦	—	٥ر٥	٩ر٣
٢٤	ولد	٤٩ر٣	١٥ر٣	٥ر٨	٣ر٧	١٥	—	٢	٣ر٤	٥ر٤
	بنت	٣٥ر٥	٢٢ر٦	١١ر٦	٨	١٤ر٥	ر٧	١ر٤	٢ر٢	٨
٣٠	ولد	٢٥ر٤	٢٤ر٩	١٤ر٤	٦ر٣	٢٠	ر٥	٤ر٣	١ر٥	١ر١
	بنت	٢٦	٢٢ر٣	١٤ر٣	٦ر٩	١٧ر٦	٢ر٥	٤ر٩	٣ر٨	١ر٧
٣٦	ولد	٢٣ر٦	٢٣ر٥	١٥ر٥	٧ر٨	٢١ر٣	١ر١	٥ر٤	١ر٥	٨ر٦
	بنت	٢٣ر٣	٢٢ر٥	١٦ر٧	٦ر٣	١٧ر٣	٣ر٧	٨ر٤	١ر٥	٠ر٥

يلاحظ من الجدول أن نسبة استعمال الأسماء كانت كبيرة عند الأطفال الصغار ، الا أنها بدأت تقل وتفسح مجالا لأجزاء أخرى من اللغة تبعا لتقدم العمر ، كما يلاحظ تساوي نسب الأسماء والأفعال ثم الضمائر في تكوين الجمل العادية بين الجنسين .

متى تظهر الكلمة الأولى ؟

يستدعي هذا السؤال أن نعرف أولا المراد بالكلمة الأولى . فبعض العلماء يرى أنها الكلمة التي ينطق بها الطفل محاكيا غيره النطق . وغيرهم يرى أنها تلك التي يفهمها الطفل اذا نطقت أمامه وآخرون يرون أنها الكلمة التي يستعملها الطفل للدلالة على معناها المتعارف عليه عند الكبار ، فإذا لاحظنا الطفل يستعمل لأول مرة أول كلمة في معناها الصحيح فهذه هي كلمته الأولى .

ومن الصعب تحديد الوقت الذي تظهر فيه هذه الكلمة الأولى . وذلك لأن الآباء عادة ما يتوقعون هذه المناسبة السعيدة ، ولهذا يحاولون تفسير بعض ما يصدر عنه من رغاء على أنه كلام مقصود به معنى . وقد يصادف أن ينطق الطفل بمقطع شبيه بكلمة مستعملة مثل « بابا » فيظن من يسمعه أنه يقول « بابا » أي أبي ، ويعتبر هذه الكلمة الأولى .

ومن التجارب التي أجراها « جيزل » يظهر أن الشهر الحادي عشر هو الشهر الذي يستعمل فيه معظم الأطفال الكلمة الأولى بمعناها الصحيح . ان ملاحظة الطفل لمعرفة أول كلمة ينطق بها أسهل من ملاحظته لمعرفة متى يستجيب إجابة فهم لأول مرة لمخاطبة الكبار إياه » .

ويتفق علماء النفس على ان قدرة الطفل على فهم أول عبارة توجه إليه تظهر في الشهر التاسع على حين تظهر قدرته على نطق أول كلمة في الحادي عشر أو آخر السنة الأولى .

وبتحليل عدد كبير من الكلمات الأولى التي نطق بها أطفال في لغات مختلفة تبين انها تشترك جميعها في إخراجها من مقدم الفم (الاسنان والشفتين واللسان) مثل « تاتا » ، « بابا » ، « دادا » « ماما » .

ولقد قام « داتمان Dateman » بدراسة على مجموعة من الأطفال عددها ٣٥ طفلا منهم طفلا انجليزيا و ١٢ ألمانيا ، ٢ فرنسيان ، ٣ بلغاريين ، وطفل بولندي واحد والباقين أمريكيين . واتضح أن نسبة كبيرة من هذه المجموعة من الأطفال قد ظهرت الكلمة الأولى عندها في الشهر العاشر . كما أن ٢٦ طفلا من بين الأطفال الخمسة والثلاثين (أي بنسبة ٧٥ ٪) قد نطقوا أول كلمة قبل نهاية السنة الأولى من حياتهم ، كذلك استطاعت ٢٠ بنتا من ثلاث وعشرين (أي بنسبة ٨٧ ٪) ان ينطق الكلمة الأولى قبل نهاية العام الأول ، ويقابل ذلك ٦ من البنين من اثني عشر طفلا (أي بنسبة ٥٠ ٪) وتؤيد هذه النتيجة الاعتماد السائد بأن البنت تبدأ الكلام مبكرة قبل الولد .

وتدل أبحاث «ميد Mead » (١٩١٣) على أن الكلمة الأولى تبدأ في الظهور عند الطفل الموهوب في الشهر الحادي عشر ، وفي ١٥،٣ شهرا . عند الطفل متوسط الذكاء وفي ٣٨،٥ شهرا عند ضعيف العقل ويمكن أن نقول أن الكلمة الأولى تبدأ ما بين الشهر الثامن والشهر العشرين .

نمو المحصول اللغوي :

اذا نظرنا إلى نمو الكلمات المنطوقة عند الطفل في هذه المرحلة نجده ضعيف في أول هذه المرحلة ولكنه يتقدم سريعا حوالي نهاية السنة الثانية . ثم تزيد كلماته بعد ذلك زيادة سريعة مستمرة وقد أجرى كثير من الباحثين أبحاثهم بطريقة جمعية وأخرى فردية . وكان من بين أصحاب الطريقة الأولى سميت Smith في أمريكا ويمكن تلخيص نتائج هذا البحث في الجدول الآتي :

العمر بالسنوات والشهور	عدد الأطفال	عدد المفردات
٨ شهور	١٣	صفر
١٠ شهور	١٧	١
– ١ سنة	٥٢	٣
٣ ١ »	١٩	١٩
٦ ١ »	١٤	٢٢
٩ ١ »	١٤	١٠٨
– ٢ »	٢٥	٢٧٢
٦ ٢ »	١٤	٤٤٦
– ٣ »	٢٠	٨٩٦
٦ ٣ »	٢٦	١٢٢٢
– ٤ »	٢٦	١٥٤٠
٦ ٤ »	٣٢	١٨٧٠
– ٥ »	٢٠	٢٠٧٢
٦ ٥ »	٢٧	٢٢٨٩
– ٦ »	٩	٢٥٦٢

ويلاحظ أن نمو المفردات يأخذ في الزيادة المطردة فيما بين العام الثاني والسادس وتبلغ تلك الزيادة ما بين ٥٠٠ ـ ٦٠٠ كلمة في العام الواحد ، فيما عدا الفترة التي تقع بين ١٥ ـ ١٨ شهرا ويعللون توقف الزيادة في هذه الفترة بأن الطفل يكون مشغولا بتركيز انتباهه في عملية المشي .

ويمكن القول بأن مقدار ما يفهمه الطفل من الألفاظ والجمل أكثر عادة من حصيلته اللغوية التي يستخدمها في التعبير ، أي أن قاموس الكلمات التي يفهمها أكبر من قاموس الكلمات التي يعبر بها .

وبدخول الطفل في مرحلة التسمية وهي المرحلة التي يتعلم فيها أسماء الأشياء بذاتها أو بصورتها تزيد ذخيرته اللغوية . وقد تصل المسميات التي يعرضها الطفل في نهاية السنة الثانية إلى ١٢٥ مسمى .

ومرحلة المشي هي المرحلة التي يسرع فيها نمط الألفاظ والتراكيب وفهم اللغة . وذلك لأن الطفل تتسع دائرة معرفته وخبراته : ، فيرى ويمشي ويتصل بغيره من الأطفال .

ولاختلاف البيئة المنزلية الثقافية اثر في نوع الألفاظ التي يتعلمها الطفل ، ونطقها ولهجته وأسلوبه . وقد لوحظ أن لغة الأطفال تنمو نموا واضحا أثناء الإجازات ، وعندما يختلطون بغيرهم في مصيف أو معسكر أو رحلة .

وللبيئة الإقليمية أثر في لغة الطفل ، فسكان الشواطئ لهم لغة تخالف ألفاظها وتركيبها لغة سكان الأودية مثلا ، لأن محتويات كل بيئة توحي بالألفاظ التي تستعمل فيها ، وأطفال المدن يزيد قاموسهم اللغوي عن قاموس أطفال القرى .

لغة التفاهم السلبي :

من الشهر السابع أو الثامن يبدأ الطفل في الاستجابة لسماع اسمه أو كلمة « بابا » أو « لا » ومن ثم يأخذ المحصول اللغوي في النمو تبعا لنموه العقلي ومقدار ما يسمعه من لغة توجه إليه من الكبار . وفي أوائل السنة الثانية يستجيب لسماع عدد من أسماء الذوات التي تحيط به . وبعد ذلك يستجيب لبعض الجمل ، ويبدي ما يدل على فهمها مثل : « فين الكوباية » إدى ماما الكورة » .

ويحتاج الطفل لكي يفهم ما نقوله ويتكلمه أن نتكلم معه ببطء ووضوح ،

وان تكثر من الحديث معه ؛ مثال ذلك ان نقول عند إلباسه في الصباح : هات الجزمة ، خذ الشراب أو عند الأكل : « خط الطبأ » « اشرب اللبن » ، ونشركه معنا في بعض الأعمال المصحوبة بالكلام مثل « ادى بابا البابة هات الحلاوة من بابا » . وبذلك نساعده على أن يربط الكلمات والجمل التي يسمعها ، بمد لولها من مسميات واتصال . وبزيادة لغة التحصيل عنده فإنه يحاول أن يستعملها في التعبير .

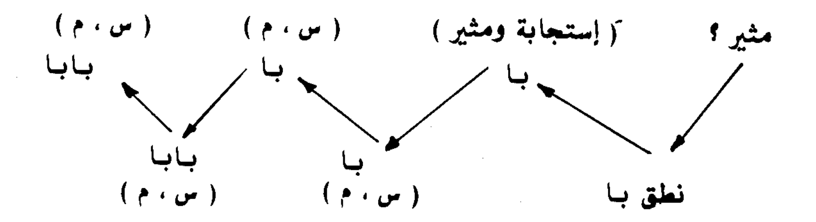
ومنذ اللحظة التي يستجيب فيها للغة الكبار يصير لنغمة كلامهم معنى عنده . وكثيرا ما يستجيب للنغمة استجابة صحيحة دون أن يفهم معنى ما سمعه ؟ اذ لا يصل إلى هذا المستوى من الفهم إلا في السنة الرابعة .

ويمكن أن نتساءل :

كيف تتحول ألفاظ الطفل من كلمات ليست ذات معنى إلى كلمات ذات معنى ؟

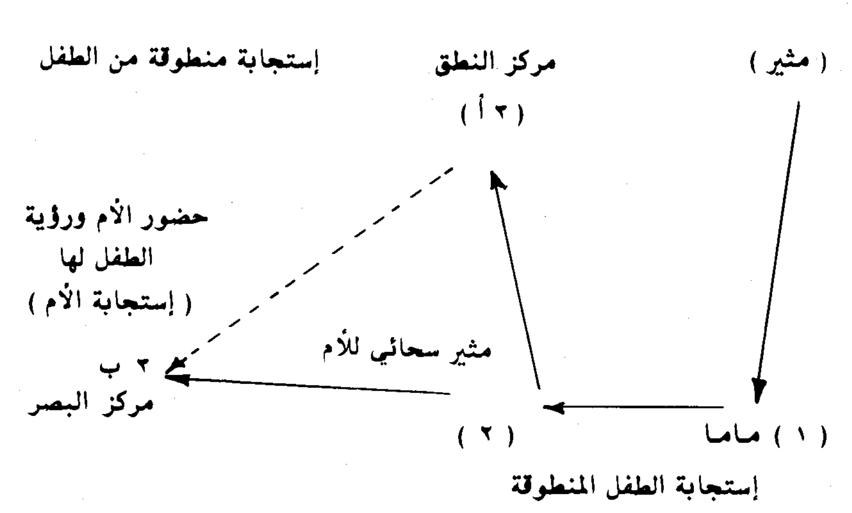
في مرحلة اللغو والنغاء تصدر من الطفل أصوات مختلفة يسمعها . عندئذ نجد الطفل يسرع في سماع صوت نفسه ويحاكيه ويكرره ، فهو مثلا يقول بـ بـ ، بـ بـ ، با . ويستمر في تكرار هذا اللفظ حتى يتعب ، أو يصرفه عنه صارف . وهنا نجد أن صوت بـ بـ عندما صدر منه لم يكن مثير واضح ، غير أن سماع الطفل صوته وهو يقول بـ بـ ، بـ بـ ، يلفت ذهنه إليه ، فيصبح هذا الصوت مثيرا في ذاته .

أما استجابته فهي إعادة نطقه . وهكذا تصبح الاستجابة مثيرا لاستجابة أخرى . أي المثير السمعي (الحسي) ترتب عليه استجابة حركية ، وهي النطق بنفس اللفظ . ويمكن تمثيل هذه المرحلة بما يأتي :



وهذا النوع من الاستجابة يسمى استجابة شرطية أي استجابة ارتبطت بشيء غير طبيعي ، وهي سماع كلمة (بابا) ، فصار ادراك هذا الشيء شرطا للاستجابة .

ثم لنفرض أن الطفل في هذه المرحلة نطق بعبارة ما (ماما) ، وان الأم قد سمعته عرضا ينطق بها . فالأم عند سماعها هذه الأصوات تبدي سرورها وتستجيب لهذه الأصوات استجابة مريحة للطفل ، وكذلك الطفل فإنه في هذه الحالة يستريح لهذه الاستجابة التي صدرت عن الأم . ولنفرض أن انتباه الأم اتجه نحو هذه الأصوات ، كلما سمعت الطفل ينطق بها . فإذا نطق الطفل مرة بكلمة (ماما) وسمعها هو ، فإن سماعة هذه الكلمة يترك أثرا في مركز السمع عنده (منطقة الحس) ، وإذا لبت الأم هذه الكلمة عند سماعها ، فجاءت الى الطفل فرحة مهللة فإن الطفل ينظر إلى الأم ، أي تثير رؤية الأم في منطقة البصر بعض الخلايا العصبية ، أو تترك فيها أثرا ، فيرتبط لفظ (ماما) المسموع بصورة الأم المبصرة . وقد شرحنا من قبل كيف أن الكلمة المسموعة قد ارتبطت بالكلمة المنطوقة ، أي أن ارتباطا جديدا قد قام الآن بين كلمة الأم المسموعة وبين منظر الأم كما يوضح الشكل رقم (   )



فإذا سمع الطفل كلمة ماما ، فإن هذا المثير قد يسرى من مركز السمع إلى مركز النطق (حركة) فيقول : ماما ، أو إلى مركز البصر فيستحضر في ذهنه صورة لأمه ، وإذا أبصر الطفل أمه فقد يسري في مركز البصر هذا رسالة إلى منطقة الحركة وتتجه إلى أعضاء النطق فتحركها بكلمة « ماما » أو إلى منطقة السمع فيستحضر الذهن صورة لفظية (صوتية لكلمة ماما) وهكذا تصبح كلمة ماما ذات معنى لها مدلول عند الطفل ، أي أن الارتباط الواقعي بين لفظ ماما وتلبية الأم يقابله في الطبقة السحائية ارتباط ، وعندما يفهم الطفل هذه الصلة بين اللفظ « ماما » وأمه يستعمله استعمالا إراديا كلما أراد استدعائها .

وهنا نجد أن لفظ « ماما » قد انتقل من مجرد صوت خال من أي معنى إلى صوت ذي معنى أي إلى لغة وبهذه الطريقة تتحول الألفاظ عند الطفل إلى كلمات ذات معان ، ويكون للكلمات المسموعة مركز هو مركز الكلمات المسموعة ، وللكلمات المنطوقة مركز هو مركز الكلمات المنطوقة .

وعن طريق هذه الروابط الشرطية conditional associations يتعلم الطفل الصلة بين الأصوات المسموعة من الغير والأشياء أو الحوادث أو العلاقات التي تدل عليها هذه الأصوات . مثال ذلك : ان يسمع الطفل مربيته تقول « عروسة » ، وهي تقدم له هذه اللعبة فهو في هذه الحالة يربط بين اللفظ المسموع « عروسة » واللعبة نفسها ، وتصبح كلمة عروسة ذات معنى أو صورة ذهبية عنده .

تأخـر الكـلام :

ما أسباب تأخر الكلام ؟

تتلخص أسباب تأخر الكلام فيما يأتي :

(أولا) نقص القوى العقلية بمختلف درجاتها . فالطفل الأبله ، أو البليد التفكير ، البطيء الفهم لا ينطق الا متأخرا .

(ثانيا) ضعف حاسة السمع ، والصمم . فالطفل الأصم أو الثقيل السمع لا يتكلم لأنه لا يسمع حتى يقلد ما يسمعه ، والطفل الثقيل السمع تزعجه الأصوات الضخمة فقط ، فيعتقد الوالدان خطأ ان حاسة السمع عنده طبيعة ، والواقع أن الحساسية الرقيقة التي تتوقف عليها قدرة الملاحظة وتقليد الأصوات والكلمات معدومة تماما .

(ثالثا) قد تكون حاسة السمع والقوى العقلية طبيعية ، ومع ذلك يتأخر الطفل في الكلام وفي مثل هذه الحالة يتكلم الطفل بعد مرور حقبة من الزمن قد تطول أو تقصر .

(رابعا) عدم كفاية النموذج اللغوي أو فقدانه . ويقصد بالنموذج اللغوي الفرد الذي يتخذه الطفل نموذجا له في حديثه كأمه أو مرضعته . فقد يكون هذا النموذج غير كاف لعدم التكلم معه أو تكلمه قليلا ، وبذلك لا يجد الطفل فرص المحاكاة اللغوية كافية .

(خامسا) قلة التجارب العامة ، ومن الأطفال من لديهم قدر كاف من اللغة للتعبير عن حاجاتهم المحدودة . وهم محرومون التجارب والخبرات العامة ، كأن يعيشوا في حجرة مع اسرتهم وليس معهم أطفال آخرون للتحدث إليهم . وبذلك لا تنمو تجاربهم ولا تنمو معها لغتهم .

(سادسا) شدة حرص الوالدين على نمو الطفل . ويبدو هذا في اكراه الطفل أحيانا على أن يقوم بنوع من السلوك فوق طاقته كالمشي أو الجري أو الكلام . فإذا ما أجبر الطفل على هذا فإنه سيدرك أن الوالدين يتوقعون دائما أكثر مما يقوم به ، فتتثبط همته ، وقد يرفض محاولة هذا السلوك مرة أخرى لأنه يشعر بأن الامتناع خير من المحاولة التي لا ترضيهم .

« سابعا » الصدمة الوجدانية أو الانفعالية الشديدة التي قد تصيب الطفل في آخر السنة الأولى أو في الثانية من حياته ، كالغيرة أو حرمان الطفل من الأسرة والوالدين ووضعه في مؤسسة أطفال يشعر فيها بحرمانه من عطف الوالدين وحنانهما . ويحل به الخوف وهذا يجعله يحجم عن الكلام خشية أن يزداد عقابه

الفـروق الفـردية :

أثبتت الدراسات أن النمو اللغوي عند البنات يكون أسرع منه عند البنين في هذه المرحلة ، وذلك فيما يتصل بعدد المفردات وطول الجمل ، وظهور الكلمة الأولى . ومن تجارب « لابرانت » يتضح ذلك فلقد كانت البنت تكتب في موضوع انشائى بمتوسط ١٤٠ كلمة أما الولد فيكتب في نفس الموضوع وفي نفس الزمن وتحت نفس الظروف بمتوسط ١٢٤ كلمة .

تطبيقات تربوية :

١ ـ تشجيع الرضيع على استخدام اللغة وعدم اجابة مطالبه بمجرد الاشارة .
٢ ـ خطورة التضارب بين الفصحى والعامية خاصة كلما زاد التباين بينهما .
٣ ـ ضرورة تلافي عيوب النطق والكلام منذ البداية بقدر الامكان .
٤ ـ ارتباط نغمة الأم في الكلام بخبرات الطفل .

النمو الانفعالى في المهد

تنشأ الانفعالات المختلفة من تلك الأشكال البسيطة غير المتميزة من الانفعالات التي تظهر عند الميلاد والتي يمكن اثارتها بتشكيلة متنوعة من المثيرات .

ومن الاستثارة الانفعالية العامة التي تظهر عند الميلاد ينشأ تدريجيا الخوف والغضب والامتعاض والحزن والسرور والبهجة والحب ـ وذلك كما هو موضح فيما يلى :



ويتعدل شكل الاستجابة الانفعالية ـ فالبكاء والصراخ يظهران في الدقائق الأولى من الميلاد . وبوصول الطفل الى الفترة من الشهر الرابع الى الثامن . يأخذ الصراخ معاني أخرى كالنداء مثلا ، وبين الشهر السادس عشر والعشرين من العمر تضاف كلمة « لا » ، وبين الشهر العشرين والرابع والعشرين تصاحب الاسئلة كلمة « لا » .

وبالمثل نجد أن الجري بعيداً عن مصدر الخوف لايظهر الا في الشهر الثاني عشر الى السادس عشر ، ولا يظهر تعبير اخفاء الوجه الا من الشهر السادس عشر الى العشرين من العمر .

وتتميز انفعالات طفل مرحلة المهد باستجابات سلوكية أشد وأكبر من حجم المثير الذي يثيرها وخاصة في حالة الخوف والغضب . كما أنها قصيرة الأمد ، فهي تتميز بالشدة وقصر المدة ، تتكرر قصيراً ولكنها وقتية تنتهي ليحل محلها انفعال آخر عندما ينجذب انتباه الطفل لموضوع آخر .

ويتميز طفل مرحلة المهد بأن مستوى نموه العقلى مازال محدوداً . لذا فمن السهل أن ترتبط انفعالاته بموضوعات معينة عن طريق الاقتران الشرطي ، فالطفل الذي تم تخويفه من عملية التطعيم ، سيخاف الطبيب لأنه يرتدي رداءا أبيضا ، وقد يعمم خوف الطفل « الذي اكتسب عن طريق الاقتران الشرطي » فيشمل أي شخص يلبس رداءا أبيض كالبقال والقصاب والحلاق ، وربما يخاف أيضا من قص الشعر .

الأنماط العامة للانفعالات :

الأنماط الانفعالية العامة التي تظهر خلال المهد تتضمن الخوف والغضب وحب الاستطلاع والمرح والحب . وسنقدم فيما يلى مناقشة حول كل منها وحول المثيرات التي تثيرها والخصائص الاستجابية التي تظهر عندما تستثار هذه الانفعالات .

الغضـب :

وهو أكثر الانفعالات شيوعاً في مرحلة المهد ، وينشأ غالباً كاستجابة لمنع

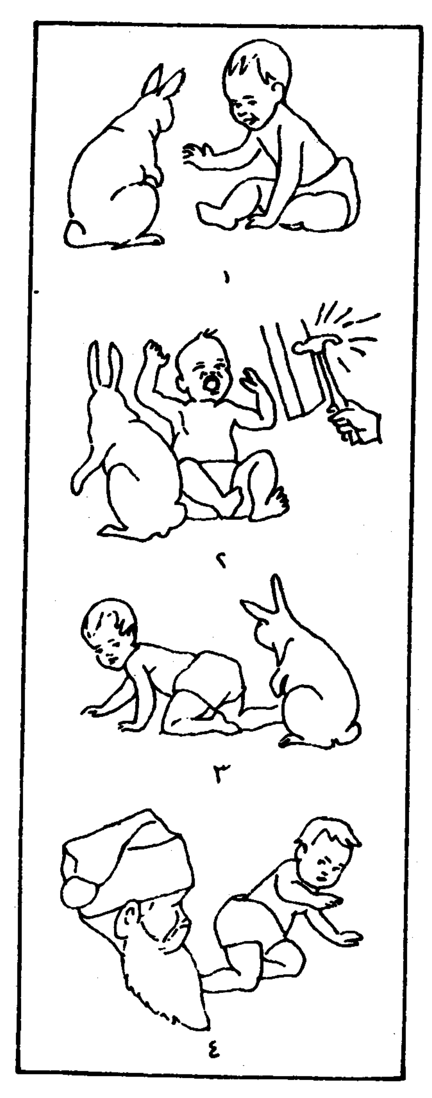
الطفل من القيام بنشاط يرغب القيام به ، كأن يؤخذ لأرتداء ملابسه في الوقت الذي يرغب هو أن يلعب بلعبة معينة . أو معارضة بعض رغباته كما في حالة عدم حمله عندما يصرخ طالبا أن يلتفت اليه أحداً ، اما عجزه عن تنفيذ ما يريد - كما في حالة الفشل في الحصول على صندوق موجود على رف عالى لا يستطيع الوصول اليه . كما أن عجز الطفل عن توضيح ما يريده للآخرين عن طريق لغته البسيطة يعد مصدراً دائماً لعدم استقراره .

وتعد استجابات الغضب لدى أطفال مرحلة المهد أقل تنوعاً منها لدى الأطفال الأكبر سنا ، وعندما ينفجر الطفل غاضباً فان الطاقة لا توجه بصورة مفيدة ، وتتسع فتشمل الصراخ والرفس بالأرجل والتلويح بالايدي بصورة عشوائية . يضاف الى هذا العديد من الحركات ، ذلك أن بعض الأطفال يتوقفون عن التنفس ، أو يقفزون لأعلى ولأسفل ، أو يقذفون بأنفسهم على الأرض ، أو يقذفون أي شيء أمامهم أو يركلونه بأرجلهم .

الخـــوف :

تعد مثيرات الخوف قليلة نسبياً في بيئة الطفل ، فالاطفال محميون لحد كبير من الأخطار الشائعة . وعلى الرغم من أشياء معينة في بيئتهم المحدودة ، وذلك من خلال الارتباط بالمخاوف الفطرية كالخوف من الأصوات العالية أو السقوط ، ومن خلال تقليد مخاوف الآخرين ، أو من خلال ذكرى الخبرات غير السارة ، من خلال كل ذلك يخاف الأطفال الناس والاشياء الأخرى في بيئتهم .

وعموماً فالاشياء التي يخافها الأطفال كثيراً في هذا السن هي : الحيوانات والغرف المظلمة والأماكن المرتفعة والاشخاص الغرباء والأشياء والمواقف الغريبة والاصوات العالية . والألم والصدمات الحسية اللمسية ، والسقوط والانتقال المفاجئ . وفي نهاية مرحلة المهد تبدأ مخاوف معينة في الظهور مثل الخوف من الحيوانات والأماكن المظلمة والوحدة .



إكتساب الخوف بالاقتران الشرطي

وهناك خاصيتين شائعتين في كل مثيرات الخوف أولهما : فجائية مثيرات الخوف أي أنها غير متوقعة ، ولذلك يجب أن يعطى الطفل فرصة لاستعادة التوافق . فالخوف من الغرباء على سبيل المثال يأتي من كون الغريب يحل فجأة محل الشخص المألوف الذي كان ينتظر رؤيته . والخاصية الثانية لمثيرات الخوف هي أن الأطفال يجسدون فكرة الأغتراب . فحتى الأشخاص الذين ألفهم الطفل قد يخافهم اذا ماغيروا ملابسهم المألوفة . وعندما تختفى فكرة التجسيد يختفى الخوف .

وحوالى سن ٦ شهور ليس من المستغرب أن يخاف الطفل من الغرباء . ففى هذا الوقت يبدأ سن الخجل . ويكون خوفه كبيراً من الغرباء عندما يكون بعيداً عن والديه أو الناس الذين يألفهم . وسن الخجل أو فترة الخوف الطفلى لاتستمر طويلا ولكنها هامة لأن الخوف الشديد من الغرباء لفترة طويلة قد يؤدي الى تكوين ظاهرة الجبن التي تستمر لفترة طويلة بعد أن تنتهي فترة المهد .

والاستجابة النمطية للخوف في مرحلة المهد تتكون من محاولات للانسحاب من المثير المخيف مصحوبة بأنين وصراخ وامساك مؤقت عن التنفس وتوقف عن النشاط الذي كان يشغله ويدير الطفل الخائف رأسه ويخفي وجهه قبل أن يجري بعيداً ويختفي . فاستجابته تمثل استجابة العجز وبكائه هو نداء للمساعدة .

« حب الاستطلاع »

في الشهرين أو الثلاثة الأولى من حياة الطفل فانه لا يهتم الا بأقوى المثيرات الموجهة اليه مباشرة . وعندما يصبح الطفل قادراً على الرؤية بوضوح وتمييز ـ فان أي شئ جديد وغير عادي سيدفعه نحو الاستكشاف ، الا اذا كان هذا الشئ الجديد مثيراً للخوف صراحة . وعندما يختفى الخوف يحل محله حب الأستطلاع .

ويعبر عن حب الاستطلاع لدى الأطفال بشد عضلات الوجه ، وفتح الفم وارتخاء اللسان واستطالته وتجعد الجبهة . وعندما يصل الطفل الى منتصف عامه الأول نجده ينحني تجاه الشئ الذي أثار تعجبه ودهشته ويحاول الوصول اليه ، وعندما يصل اليه يمسك به ويجذبه اليه ويمتصه ويهزه في كل اتجاه . ويؤدي هذا الاستكشاف الحسي الحركي عادة الى اتلاف الشئ والاضرار بالطفل . وعلى الرغم من ذلك فهو أمر له قيمته في تعلم الطفل .

المـرح

يعرف المرح في أبسط صوره على أنه متعة أو سعادة تتعلق في الأصل بالحالة الصحية الجيدة . وتكون المواقف الاجتماعية خاصة في الشهر الثاني والثالث من الحياة مصدراً لأبتسامة الطفل وضحكه ، وبعد عدة شهور نجد الطفل يستجيب للمداعبة والدغدغة بمرح . وأكثر المواقف اثارة للضحك في السنة الثانية من عمر الطفل هي أن يلعب معه الآخرون ، واللعب بلعبه المختلفة ، ملاحظة الأطفال الآخرين وهم يلعبون ، واحداث الاصوات ويزداد مرح الطفل بشدة عندما يكون النشاط صعباً ولا يستطيع القيام به أو عندما تكون هناك عقبة عليه أن يتغلب عليها لكي ينجح في النشاط .

ويعبر المرح عن نفسه في صورة الابتسام والضحك ، وحركات الذراعين والرجلين وتغيرات التنفس البسيطة ، كما تبدو في انقباض وانبساط عضلات البطن المصاحب للضحك في هذا السن . وعندما تشتد حالة المرح عند الطفل فانه يصدر أصواتاً كالهديل والقرقعة وصياح الطرب وتزداد الحركات الجسمية شدة .

وأغلب ابتسام الطفل في سن ١٨ شهراً ينصب على نشاطه الذاتي ، أما النشاط الذي يسليه أكثر من غيره فهو نشاطه الحركي المتزايد أو التقارب الاجتماعي بينه وبين شخص آخر . أما في عمر سنتين فيقل الابتسام الذي يوجهه الى شخص آخر ، ويصبح مصحوباً بالتعبيرات اللفظية . كما يصبح الابتسام المصاحب لنشاطه الذاتي أقل من الابتسام الاجتماعي .

« الحـــب »

تنمو استجابات الحب الموجهة للآخرين في اطار محدود . ففي بداية الأمر يثبت الطفل نظره على وجه شخص ما محدقا فيه ، ثم يضرب برجليه ثم يقبض ذراعيه ويفردهما في حركة تموجيّة ثم يبتسم ويحاول رفع جسمه . وليس من السهل عليه في بداية الأمر أن يصل الى مايحب لأن هذه الحركات الأولية لا تتصف بالانسجام والترابط . ويمكنه في ستة شهور أن يصل الى الشخص الذي يحبه .

ويرتبط الحب أو يقوم نتيجة للخبرات السارة بشخص معين وخاصة من

يعتني به وبحاجاته الجسمية ، من يلعب معه أو المسئول عن راحته ومتعته . وينمو حب الطفل أساساً مرتبطا بالناس ثم بالاشياء .

ويكون الطفل نفسه ولعبه موضوعاً للحب خلال العام الثاني ، كل هذه الأمور تسمى « موضوعات الحب » وتحل محل الموضوعات البشرية في الحب . ونلاحظ أنه من غير المألوف أن يستجيب الطفل استجابة حب للاطفال الآخرين ـ على الرغم من أنه قد يبدي استجابة الحب لطفل كبير أو لمراهق تعود أن يجالس الطفل كثيراً كما يفعل الكبار . وعندما يوجد في المنزل حيوان أليف يمكن للطفل أن يلعب معه دون خوف فان استجابة حب تنمو تجاه هذا الحيوان .

ويعبر الأطفال عن حبهم للآخرين بطرق صريحة وواضحة . ويريد أغلب الأطفال صلة جسمية وثيقة بمن يحبون ، وهناك من الأطفال من يقاوم هذه الاتصال اللمسي الذي يكون عادة في صورة عناق ، وهذا لا يعني أنهم لا يحملون مشاعر حب للاخرين ، بل يعني أن لهم طريقتهم في التعبير عن حبهم للآخرين .

وانشغال الطفل بذاته والانسحاب أو السلوك الأنسحابي تعد ردود فعل ثانوية تنشأ عندما يهمل الطفل أو يتجاهله الآخرون أو عندما يشعر أنه غير مرغوب فيه . وعندما يزداد قلق الآباء على الطفل ويظهرون ذلك للطفل ـ فانهم يعوقون بذلك الطفل عن التعبير عن حبه . بل أنهم بدلاً من ذلك يشجعونه على تركيز عواطفه حول نفسه .

وطرق التعبير عن الحب في مرحلة المهد هي العناق واللمس باليد « التربيت » والملاطفة والتقبيل لموضوع الحب أو الشخص المحبوب . ويعد التقبيل أقل استجابات الحب تكراراً بالقياس الى العناق والتربيت والملاطفة . ويتوقف مدى ما يظهره من حب للآخرين على مدى مايلقاه من حب من الآخرين .

الحرمان العـاطفي

ان حرمان الطفل من فرصة المرور في مواقف انفعالية طبيعية خلال مرحلة

الذي يشعر الطفل بالسعادة :

- أن تبتسم له
- أن تلعب معه
- أن تداعبه وتدغدعه
- أن تربت عليه بتقبل له
- أن يستقبل تعبيرات الحب من شخص ما
- أن يستقبل تعبيرات الصداقة من حيوان أليف
- أن يستمع الى أصوات غير عادية
- أن يرى وجوها مرحة
- أن يلاحظ ظهوراً واختفاء مفاجئ لشخص أو رمية وتكرار الموقف
- أن يجرب بعض الحوادث الخفيفة جداً كالوقوع على شخص ما
- أن يقلد أو يلاحظ الآخرين وهم يقلدون الناس وخاصة حديثهم أو مشيهم
- أن ينجز ما بدأ القيام به

المهد يؤثر تأثيراً سيئاً على صحته الجسمية والنفسية . ولحسن الحظ فان أغلب الأطفال لا يتعرضون لهذا الحرمان الأنفعالى ـ عدا الذين ينبذهم آباؤهم والذين يعبشون في الملاجئ ولا يلحقون ببيوت لرعايتهم داخل أسرة بديلة تحل محل الوالدين الحقيقيين . ومثل هؤلاء الأطفال لا يتخلفون فقط في النمو الجسمي بل يتخلفون أيضا في نموهم الحركي واللغوي ، كما لا يتعلمون كيف يقيمون علاقات اجتماعية أو كيف يظهرون حبهم للآخرين الذين يرتبطون بهم ، ولأن أساس هذه الأنماط من النمو ترسى في مرحلة المهد ، فالحرمان من فرص التعبير عن الحب للآخرين يعد أمراً خطيراً جداً وربما لايمكن تعويضه في مستقبل حياة الفرد .

واذا ماحدث أن عوض الطفل عن أحد الوالدين أو كليهما ، وأعطي الطفل كمية معقولة من الحب وكمية معقولة من الاستثارة للانفعالات الأخرى التي

تنمو في هذا الوقت ـ فان الحرمان من الوالدين سيقل أثره على النمو ، لكن عندما تكون بيئة الطفل غير مستقرة أنفعالياً فقد يحدث ما نسميه بالجوع العاطفي .

النمـــو الاجتمــاعي :

تلعب الخبرات الأجتماعية المبكرة دوراً هاماً في تحديد اتجاهات الطفل نحو العلاقات الاجتماعية ونمط السلوك الاجتماعي مع الآخرين . وتوضع أسس السلوك الاجتماعي والاتجاهات الأجتماعية في المنزل ، فحياة الطفل في هذه الفترة تتركز حول المنزل . وقد كشفت دراسات التكيف الاجتماعي للاطفال الكبار أن السلوك الاجتماعي يظل ثابتاً على الرغم من تقدمهم في العمر مما يؤكد أهمية الأساس السليم لهذا السلوك الاجتماعي .

والسلوك الاجتماعي ليس فطرياً بل مكتسباً . فالاطفال الذين يربون في مؤسسات الأطفال ، حيث فرص الاتصال الاجتماعي محدودة ـ أقل من حيث نضجهم الاجتماعي عن الأطفال الذين يربون في بيوت طبيعية . ويبدو عدم النضج الاجتماعي في صورة انسحاب وعدم الميل للناس ولأنواع النشاط الاجتماعي . والحرمان من فرص الاتصال الاجتماعي يعد ذا أثر مدمر مهما كانت المرحلة التي يحدث فيها وبخاصة اذا حدث ابتداء من الأسبوع السادس وحتى الشهر السادس ـ وهو الوقت الحرج بالنسبة لنمو الاتجاهات المؤثرة على التطبيع الاجتماعي .

وتعد نوعية الفرص التي تتاح للاتصال الاجتماعي بين الطفل والآخرين ، وكذلك عدد الاتصالات ، من الأمور الهامة جداً ، ويتوقف نوع الفرص المتاحة وعددها على مجموعة من العوامل منها الوضع الاقتصادي الاجتماعي للاسرة . وعلى سبيل المثال فان أطفال الاسر الفقيرة لا يحصلون من الأم على الوقت الكافي كما لا تلبى احتياجاتهم المختلفة بالدرجة الكافية من الأم وقد يقوم كبار الأخوة بذلك بدلاً منها وقد لاتقابل احتياجاته بأي اهتمام .

والأطفال هم الوحيدون عادة الذين يتلقون كثيراً من الاهتمام من الآخرين في المنزل ، ولذلك فهم يتوقعون نفس الشئ من الآخرين خارج المنزل وهو الحصول على الانتباه والاهتمام .

أنماط السلوك الاجتماعي في مرحلة المهد :

لا يعد الطفل اجتماعياً عند الميلاد ، ومادامت حاجاته الفسيولوجية تلقى العناية اللازمه نيستوي عنده الأم وغيرها ممن يعتني به . ويبدأ في الالتفات الى الأصوات البشرية في الشهر الثاني .

وتظهر الابتسامة ذات الطابع الاجتماعي عادة في الأسبوع السادس وتكون مصحوبة ببذل بعض الجهد في أنواع أخرى من الأنشطة مثل النطق والحركة . وفيما بين الشهر الثاني والثالث من العمر تكون قدرة الطفل على الرؤية قد نمت الى الحد الذي يمكنه أن يميز الناس عن الأشياء .

عندئذ يكتشف أن الناس هم الذين يهتمون بحاجاته . وهنا يبدي شيئاً من الرضا عندما يوجد مع الناس ، وعدم الرضا والاضطراب عندما يترك وحيداً . ولكنه لايهتم بمن يعتني به فكل مايريده هو الاهتمام به من شخص ما . وتسمى هذه المرحلة بمرحلة الاستجابات غير المتميزة للناس ، وتميز بداية السلوك الاجتماعي الحقيقي .

ويختلف نمط السلوك الاجتماعي بالنسبة للبالغين عن السلوك الموجه نحو الأطفال الآخرين . كما يلى :

١ - الاستجابات الاجتماعية الموجهة نحو البالغين :

توجه أول الاستجابات الاجتماعية نحو البالغين ، حيث يبدي الطفل فيما بين الشهر الثاني والثالث بداية الاهتمام بالناس . ويظهر هذا الميل في بكاء الطفل عندما يتركه شخص ما ، وفي اظهار عدم السرور عندما لايهتم به شخص معين أو عندما يتكلم مع آخرين ، وفي ملاحظة تعبيرات وجه الناس . وفي هذا السن أيضا توجد استجابات مميزة بالنسبة للأم مع استمرار الاستجابة للآخرين .

وفي سن ٤ ـ ٥ شهور يبدي الطفل استجابة تشير الى توقعه أن يحمله شخص ما ويبتسم كاستجابة للشخص الذي يتحدث معه . وبعد شهر آخر يستجيب استجابة مختلفة لكل من التعنيف والابتسام ـ وللأصوات الغاضبة وغير الصدوقة . وفيما بين الشهر السادس والسابع يميز الطفل بين الأصدقاء والغرباء بالابتسام للنوع الأول والحياد أو اظهار الخوف للآخر .

وفي هذا الوقت يبدأ الارتباط بالأم ورغبة في الألتصاق بها عند ظهورها مصحوباً باختفاء الاستجابات المتميزة التي أبداها سابقاً . ويعبر الطفل عن السلوك الاتصالى Attachement behaviour بالابتسام واحداث أصوات الى الأم أكثر من أي شخص آخر . والبكاء عندما يحمله أو يمسك به آخرون ، وبالبكاء عندما تتركه الأم .

وعندما يصبح الطفل في عمر ٨ ـ ٩ شهور فانه يحاول أن يقلد حديث الآخرين وحركاتهم وأنشطتهم البسيطة . وفي عمر سنة يمكنه أن يحجم عن النشاط الذي يقوم به تحت تأثير التحذير من الكبار . وفي منتصف السنة الثانية تبدأ السلبية في صورة العناد ومقاومة رغبات الكبار ومطالبهم في الظهور . وتكشف السلبية في هذه السن عن نفسها في صورة المقاومة الجسمية وفي السكون وفي الانسحاب أو شدة التوتر . وفي نهاية مرحلة المهد يمكن للطفل الصغير أن يتعاون مع البالغين في بعض أنواع النشاط البسيطة . ولذا فهو في حالة من الاتزان تجعله أكثر ميلا الى السلوك الاجتماعي .

٢ - الاستجابة الاجتماعية للأطفال الآخرين :

أول دليل على أن الطفل يدرك الأطفال الاخرين ، يظهر في سن ٤ ـ ٥ شهور من العمر . فلكي يجذب انتباه طفل آخر فانه يثب لأعلى ولأسفل برأسه ويضرب برجليه ويضحك أو يقذف بفقاعات الهواء من فمه . وبعد شهر أو شهرين من ذلك نجده يبتسم للاطفال الآخرين ويبدي اهتماما بصرخاتهم . وبين الشهر التاسع والثالث عشر يزداد الاهتمام بالأطفال الآخرين ويبدو هذا الأهتمام في صورة محاولات لاستكشاف ملابسهم وشعرهم وتقليد سلوكهم ونطقهم والتعاون معهم في لعبهم والشجار عندما تؤخذ اللعبة بعيداً عنه الى طفل آخر .

ومن الشهر الثالث عشر الى الثامن عشر ـ ينتقل اهتمام الطفل من أدوات اللعب الى زملاء اللعب ، مما يؤدي الى زيادة الصراع من أجل أدوات اللعب وزيادة التعاون من أجل استعمالها . وخلال الشهور الستة الباقية من مرحلة المهد يزداد اهتمام الطفل باللعب مع الاطفال الآخرين واستخدام أدوات اللعب بصورة توضح قيام علاقات اجتماعية بينهم .

بداية الاهتمام باللعب :

يتميز لعب الأطفال الحر التلقائي بأنه تنقصه القواعد والتنظيم وأنه فردي وليس اجتماعي . ويشتق الطفل في بداية الأمر متعة من استثارة أعضاء الحس ومن اللعب بأطرافه وعندما يصبح في سن ثلاثة شهور تنمو قدرته على التحكم في يديه بدرجة تمكنه من اللعب باللعب . وفي هذه السن أيضا يشتق متعة من الانقلاب من الظهر الى أحد الجانبين ومن الضرب برجليه والارتداد إلى الوضع الأول ، ومن الأهتزاز ولمس أصابع قدميه وملاحظة حركة أصابعه .

وفيما بين سن خمسة الى ثمانية شهور من العمر يصبح اللعب أقل عشوائية ، ويتكون من اللعب في أصابع قدميه والاهتزاز والتلوي وهز رأسه وجذب جسمه لوضع الوقوف واللعب في حركات متناسقة ، ويتكون لعب الطفل في الربع الأخير من العام الأول من الدفع بالرجلين والاهتزاز والميل على مسند الكرسي ، والدوران حول نفسه واللعب في أصابع قدميه والزحف حتى مكان اللعبة ، وجذب نفسه الى وضع الجلوس والوقوف ، والتسلق وتحريك الاثاث ونفخ الهواء بفمه .

وخلال العام الثاني من حياة الطفل يصبح اللعب أكثر تنظيما . كما تستخدم اللعب في عدة أنواع من نشاط اللعب . ففى سن خمسة عشر شهراً يلعب الطفل بالأشياء؛ يلتقطها ثم يقذف بها ثم يلتقطها ثانية وهكذا لفترة طويلة . ونظراً لضعف التناسق العضلى في هذه الفترة فكثيراً ما يحدث أن يدمر لعبة أثناء لعبه بها ، أو أثناء استكشافه للأشياء المحيطة به ، فهو لا يقصد أن يحطم قلادة أمسك بها ، كما أنه لا يدرك أنه جذب ذيل حيوان يقف بجواره . وعندما يصل الى الشهر الثامن عشر فانه يجذب اللعب ويحمل أو يعانق الدمية أو الحيوان ويقلد نشاط الكبار كقراءة الصحف والكتب ويشترك بحيوية في أي نشاط يدور حوله . ومازال حتى هذه السن فردياً في لعبه ، ودوره في وجود أطفال آخرين هو دور المتفرج . وفي النصف الثاني من العام الثاني يصبح مهتما بالدمى فيأخذها بين يديه ويربت عليها ويقبلها كما يميل الى الحيوانات الأليفة ويقوم بادخال الأشياء في بعضها البعض ثم يفصلها عن بعضها ، كما ينقل المكعبات من مكانها ليضعها في العربات أكثر من قيامه ببناء شئ بها ، ويرسم خطوطاً عشوائية

بالطباشير ، كما يقلد أعمال البالغين ممن حوله . وعندما يوجد مع أطفال آخرين فانه لا يلعب معهم ولكنه يجاريهم في لعبهم ويوجد قليل جداً من الأخذ والعطاء الاجتماعي ولكن يوجد كثيراً من الاستيلاء والخطف للعب الآخرين .

الألعاب والتسلية :

في نهاية العام الأول من العمر يميل الطفل لأن يلعب ألعاباً بسيطة مع والدته ومع البالغين أو الأطفال الكبار .

ويحب الأطفال أن تلهيهم الأمهات بالغناء ، والاستماع الى الموسيقى ، وأن يحكي لهم شخص ما قصصا مسلية . كما يحب أن يرى أحداً يرسم صوراً . وعلى الرغم من أنه لا يفهم ما يسمع الا قليلا فانه يستمتع بالصوت الرتيب ، كما يحب سماع قصص عن نفسه وعن الأشخاص المألوفين له والحيوانات والاشياء المحيطة به . وأغلب الأطفال تفتنهم الأفلام الهزلية والراديو والتليفزيون كما يحبون النظر الى الصور في الكتب والمجلات الخاصة بالأطفال لأنها سهلة التعامل . كما تعد الأصوات التي لا يرى الطفل مصدرها أكثر جذباً لانتباهه من الأصوات المرئية . كما يلعب التليفزيون حاليا دوراً هاما في تهدئة كثير من الأطفال . فيبهرهم التغير المستمر في الضوء وفي الصور التي يرونها على الشاشة .

ويتحدد الوقت الذي يقضيه الطفل أمام التليفزيون الى حد ما بطول الفترة التي تقضيها الأم معه ، لاعبة معه ، متحدثة معه ، مراقبة اياه أثناء استكشافه للبيئة المحيطة به . فالأم المشغولة عن الطفل ستتيح له فرصة أطول في مشاهدة التليفزيون عن الأم التي تقضي أطول جزء من وقتها مع الطفل . وبالنسبة لطفل مرحلة المهد فلا توجد برامج مفضلة وأخرى غير مفضلة بل كل شيء يجذبه اليه ..

الادراك والفهم في مرحلة المهد :

يبدأ الطفل حياته دون فهم لما يدور حوله ويجب عليه أن يكتسب خلال عملية النضج والتعلم معاني الأشياء التي يلاحظها . وتتوقف معاني الأشياء التي سيكتسبها على مستوى ذكائه وعلى خبراته السابقة . وعندما تكتسب المعاني يمكنه أن يفسر الخبرات الجديدة في اطار ذكرياته بالنسبة للخبرات السابقة . ويؤدي الارتباط بين الأفكار والموضوعات والمواقف الى تكوين المفاهيم .

خصائص أدوات اللعب الجيدة :

١ ـ تعطي الفرصة لمزاولة عدة أنواع من النشاط .
٢ ـ تتناسب مع عمر الطفل ومستوى نموه .
٣ ـ يمكن للطفل تناولها دون مساعدة من الكبار .
٤ ـ تتصف بالأمان بصرف النظر عن طريقة استخدام الطفل لها .
٥ ـ تعطي الفرصة لأن يلعب الطفل مع الأطفال الآخرين .
٦ ـ يمكن استخدامها داخل أو خارج المنزل .
٧ ـ تتلائم مع ذوق الطفل ومزاجه بالنسبة للألوان .
٨ ـ تستثير ميول الطفل وقدراته الابداعية .
٩ ـ تنتمي للطفل ولا يشاركه فيها أحد من الأطفال الآخرين الا اذا رغب هو ذلك .
١٠ ـ تكون صغيرة وخفيفة بدرجة تكفي بحيث يمكن للطفل أن يحركها دون مساعدة من أحـــد .

ويكشف سلوك الطفل أن المفاهيم تتكون بسرعة من فترة مبكرة . وعلى سبيل المثال فان تعرفه على الأشخاص والموضوعات المألوفة في بيئته يظهر خلال استجابات الارتياح ، كما تكون رؤيته للاشخاص والموضوعات الغريبة مصحوبة باستجابة الخوف . ويستجيب للموقف ككل لا لجزء منه فقط . ونتيجة لذلك فانه عندما تكون الأشياء أو المواقف متضمنة لعناصر عامة فانه يستجيب لها كما لو كانت هي نفسها ولا اختلاف بينها .

كيف ينمــو الفهــم :

تأتي الادراكات المبكرة للطفل خلال استخدام الحواس . حيث ينظر للموضوع وينصت ويلمس ويشم . ويتذوق أي شئ تصل اليه يديه . وبعد ذلك ونتيجة لنمو التناسق العضلى يصبح قادراً على اكتساب معاني أكثر خلال تناول كل ما يصل

اليه . وبوصول الطفل الى نهاية مرحلة المهد يصبح قادراً على ترتيب الكلمات في جمل بادءاً بالتساؤلات التي تبدأ بـ « من » و « ماذا » و « لماذا » .

ويبدو من سلوك الطفل في عامه الأول أنه يستمتع بالخبرات الجديدة ، وفي سن الثانية يقوم بتعميمات بسيطة لاحظ بينها علاقات معينة . الا أن نقص خبرة الطفل تؤدي الى عجزه عن التمييز بين الأشياء الحية وغير الحية . ولذلك فهو يعتقد أن كل الأشياء حية ولها نفس خواص الكائنات البشرية .

أنواع المفاهيم التي تتكون في المهد :

تكتسب كثير من المفاهيم الهامة اللازمة للتوافق مع الحياة في مرحلة المهد ، ولكن في صورة بدائية . والى هذه المفاهيم التي تعد الأساس الأول تضاف بعد ذلك معاني جديدة كلما اتسع الافق الاجتماعي خلال الطفولة وسنوات المراهقة ، والعامل الأنفعالى المميز لكل المفاهيم يصبح عنصراً هاماً في المفاهيم النامية خلال المهد .

ومن أهم المفاهيم التي تبدأ في التكوين خلال مرحلة المهد :

مفاهيم المكان ، مفاهيم الوزن ، مفاهيم الزمن ، مفاهيم الذات ، المفاهيم الاجتماعية ، مفاهيم الجمال ، مفاهيم الفكاهة .

أ ـ مفاهيم المكان :

أقل المفاهيم خصوبة في البداية هي مفاهيم المكان . فعندما يسعى الطفل الى الأمساك بشئ ما فكثيراً ما يخطئ الاتجاه الصحيح ، وعن طريق المحاولة والخطأ يصل الى الشئ . ولكن اذا ما بعد الشئ عن ٢٠ بوصة فنادراً ما يصل اليه حتى سن سنة وهذا يعني أن لديه بعض التقدير للمسافات .

ب ـ مفاهيم الوزن :

لا تكون مفاهيم الوزن صحيحة في بداية الأمر ، ويدرك الطفل الشئ الصغير

على أنه خفيف الوزن والشئ الكبير على أنه كبير الوزن . ونتيجة لهذا الخطأ في الادراك كثيراً ما تسقط الأشياء التي يتفحصها لأنه لم يقم بالتوافق العضلى اللازم للأمساك بالشئ الذي يظهر أثقل مما توقع .

ج ـ مفاهيم الوقت :

أما مفاهيم الوقت فهي أيضاً غير سليمة . فليس لدى الطفل فكرة عن طول الوقت اللازم لعمل معين كتغذية نفسه أو ارتداء ملابسه . بالاضافة الى ذلك فليست لديه أية فكرة عن استمرار الوقت واذا لم يوجد جدول للتغذية وللخروج وللتعرض للشمس فانه لن يتمكن من التمييز بين الصباح والمساء . وفي سن عامين يمكن للطفل العادي أن يعرف وأن يستخدم الكلمات المتصلة بالوقت مثل اليوم وأمس والصباح والمساء .

د ـ مفاهيم الذات :

تظهر مفاهيم الذات مبكرة عن المفاهيم الخاصة بالناس الاخرين ، ومن خلال ملاحظة وتحسس الأجزاء المختلفة من جسمه ومن النظر اليها خلال المراة ، فانه يكتشف المعاني المرتبطة بجسمه . وتظهر قدرته على التمييز بين نفسه وبين الاخرين من الناس في الجزء الأخير من العام الأول ـ كما تبدو في خجله في حضور الاخرين ـ وتصبح أعضاء التناسل محور اهتمامه من وقت مبكر لارتباطها بعملية الاخراج ، كما أنها يمكن اثارتها عن طريق الاحتكاك واللمس .

وتنمو المفاهيم النفسية للذات بعد المفاهيم الجسمية للذات ، حيث يتأخر الطفل في الوعي بنواحي قدرته ونواحي ضعفه عن الوعي بمظهره الجسمي . وتعد المفاهيم النفسية للذات انعكاسا لفكرة الناس المهمين عنه خاصة الوالدين أو ما يرى أن الآخرين يرونه فيه . فاذا أظهر الاخرون له الحب والتقبل فسينظر الى نفسه والى قدراته بعين الرضا ـ على عكس ما إذا كانوا معرضين عنه ومعاقبين له في تعاملهم معه . وقبل أن تنتهي مرحلة المهد يعرف أغلب الأطفال أنهم أولاد أو بنات على الرغم من أنهم قد لا يعرفون معنى ذلك في اطار الدور الجنسي المرغوب من كل منهما .

هـ ـ المفاهيم الاجتماعية :

يمكن للطفل خلال النصف الاول من العام الأول من العمر أن يميز الأشخاص عن طريقة نغمة أصواتهم ومن تعبيرات وجوههم . فيمكنه أن يميز الأصوات الغاضبة والخائفة من الأصوات الصديقة ، كما يمكنه تمييز الأشخاص المألوفه لديه من غير المألوفة في سن ٥ شهور ، ويستجيب للوجه الغاضب بالصراخ ولكنه لا يستجيب للسلوك العاطفي للاخرين بطريقة تكشف عن ادراكه لمعناه ولمعنى ما تكشف عنه تعبيرات الوجه الا في الشهر الثامن من العمر . وليس هناك ما يؤكد أن الطفل في نهاية مرحلة المهد يفهم المعاني التي تكمن خلف ما يلاحظه على الاخرين .

و ـ مفاهيم الجمـــال :

ان أول دليل على الادراك الجمالى يوجد في تفضيل الألوان ، فالاطفال من سن ٤ ـ ٢٤ شهرا يختلفون في استجاباتهم للألوان المختلفة ـ وترتيب التفضيل هو كالتالى :

الأحمر ـ الأصفر ـ الأزرق ـ الأخضر .

أما الادراك الموسيقي فيظهر في حب الطفل للموسيقى خاصة ذات النغمة التي تشبه هدهدة الأم أو أغنية تنويم الطفل Lullabies ، وكثيرا من الانفجارات الانفعالية تهدأ بالغناء للطفل أو بادارة الراديو أو بالسماح له بمشاهدة التليفزيون .

ز ـ مفاهيم الفكـــاهة :

يدرك الطفل في سن أربعة شهور الهزر كشئ هزلى ويستمتع بمحاورة من يلبسونه ملابسه أو يغذونه . كما يحب أن ينفخ في الماء الذي يعطى له ليشربه ، وفي سن ٦ شهور يشتق متعة من اسقاط الأشياء من يده . وفي سن ثمانية شهور يحب رؤية الأشياء وهي تسقط من فمه على الأرض كانسياب اللبن من فمه الى الأرض وينظر اليها على أنها نوع من التهريج . وفي سن سنة يحب الوجوه

الضاحكة ، وبعد عدة شهور يختبئ من الناس ويضحك عندما لا يجدونه ويكون ذلك مصدرا للاستمتاع ، كما يستمتع طفل عامين بأن يحشر نفسه في الأماكن الضيقة أو بعمل أشياء مثيرة ·

الاتجاهات والسلوك الخلقي

لا يكون لدى الطفل في هذه المرحلة وعي أو معيار للقيَم · ولذلك فان سلوكه لا يتصف بأنه خلقي أو غير خلقي ، ولكنه لا تحكمه الأخلاق حيث لا يوجه سلوكه أية معايير خلقية · لكن في نهاية الأمر سيتعلم من والديه وبعد ذلك من مدرسيه ومن زملائه المبادئ الخلقية للجماعة وضرورة الامتثال لهذه المبادئ ·

ويعد تعلم السلوك بطريقة مقبولة اجتماعيا عملية طويلة وبطيئة ، وعلى الرغم من ذلك فأسسها توضع في مرحلة المهد ، وبناء على هذه الاسس يبني الطفل نماذج خلقية تحكم سلوكه كلما تقدم في العمر · فنجد الطفل يحكم بما هو صحيح أو خطأ في ضوء علاقته باللذة أو الألم المشتق من الفعل أكثر من كونه حسنا أو ضارا للجماعة ولا يمكنه الحكم على السلوك في ضوء مدى تاثيره على الاخرين ولكن في ضوء تأثيره عليه هو ، وذلك لذكائه المحدود في هذه المرحلة فأي فعل يدركه الطفل خطأ عندما يكون له تأثير سئ عليه · وليست لديه مشاعر بالذنب حيث تنقصه المعايير النهائية عن الصح والخطأ · فهو لا يشعر بالذنب عندما يأخذ ما يخص الاخرين حيث لا توجد لديه معايير خاصة بحقوق الملكية ·

ويعد الهدف من أي عملية تهذيب أن يتعلم الفرد ما هو صحيح وما هو خاطئ وان يرى أنه يسلك في اطار ما يعرفه · ويذكر جيزيل Geisel قائلا « يأتي الطفل الينا كأنسان همجي صغير ـ وتعد السنوات الخمس عشر الأولى من حياته هي سنوات التهذيب ، وتنشئته في حقيقتها عملية تعليم ليؤدي الأمور الصحيحة في الوقت الصحيح في المكان الصحيح وبصورة لها معنى » · ويجب ان يتعلم الطفل خلال سنوات المهد أن يقوم باستجابات محددة صحيحة لمواقف محددة في المنزل وفي الجيرة ، وان الافعال الخاطئة خاطئة باستمرار بصرف النظر عن المسئول عنها ، والا سيختلط الأمر عليه ولا يعرف ماهو متوقع منه ·

والتهذيب القاسي المرتبط بالعقاب على الأفعال الخاطئة ـ أو لجعل الطفل سلسا في قياده خلال العام الثاني من عمره ، خاصة عندما يكثر سلوكه الاستكشافي ورفضه تنفيذ رغبات الوالدين ـ يجعل التعامل معه صعباً عما كان عليه في العام الأول . اننا يجب أن نعلّم الطفل ما هو الخطأ قبل أن نعاقبه . وتعلمه ذلك لا يتم بين يوم وليلة ولكن خلال مرحلة المهد كلها ، حيث يجب أن يكون التركيز على العنصر التعليمي في عملية التهذيب . فنعلّم الطفل ماهو صحيح وماهو خاطئ ونكافئه بالتقبل والحب عندما يقوم بعمل صحيح لا أن نعاقبه . بل يجب الا يكون هناك عقاب الا للأخطاء المقصودة وعندما يصر الطفل على القيام بالفعل الخاطئ بعد أن تعلم الا يقوم به بحيث لايؤدي العقاب الى ضرر جسمي أو نفسي .

وقد يفترض عدم قدرة الطفل على فهم الكلمات المستخدمة في اطراء الفعل الصحيح ومع ذلك فكثير من الآباء يحجم عن إطراء الطفل . وعلى الرغم من أن قلة من الأطفال لديهم محصول لغوي يمكنهم من فهم ما يقال في اطرائهم ، فانهم يمكنهم فهم تعبيرات الوجه المصاحبة للكلام . ولأن تعبيرات الوجه المصاحبة للاطراء سارة عن تعبيرات الوجه المصاحبة للتحقير أو أشكال العقاب الأخرى ـ فهي تعد مصدراً لدفع الطفل الى تكرار الفعل الذي تصحبه دائماً ردود الفعل المرغوبة .

العلاقات الأسرية

تعد بيئة طفل المهد محدودة بالمنزل لذلك تلعب العلاقات الاسرية دوراً أساسياً في تحديد ماسيكون عليه الطفل فيما بعد . فالوالدين والأخوة والأخوات والجد والجده والأقرباء الآخرين الذين يتصلون كثيراً أو قليلاً بالطفل خلال سنوات التطبيع المبكرة ـ جميعهم يسهمون بدرجات متفاوتة في تحديد أنماط اتجاهات الطفل نحو الناس والأشياء والحياة بصفة عامة . وعلى الرغم من أن هذا النمط من الاتجاهات قد يتغير ويتعدل بازدياد نمو الطفل واتساع دائرة البيئة ـ فان محور هذه الأنماط من الاتجاهات يظل كما هو مع قليل من التعديل .

أهمية العلاقات الأسرية في حياة الطفل :

بينت الدراسات التي قامت حول العلاقات الاسرية ان كل العلاقات الاسرية تعد عوامل هامة في نمو الفرد . فخلال سنوات المهد تعد علاقات الوالدين بالطفل أهم من أي عامل آخر . وتظهر أهمية هذه العلاقات من حالات الأطفال الذين أنفصلوا عن أمهاتهم ووضعوا في مؤسسات الأطفال ، فعندما حرموا من فرصة الحب ، وأن يحبوا ، تأثر نمط شخصياتهم بصورة خطيرة . فالطفل الذي يحرم من الفرص الطبيعية ليعبر عن حبه يصبح ساكناً غير منصت ولا يستجيب لابتسامات الآخرين ، ويقوم بحالات مزاجية متطرفة كما لو كان يبحث عن انتباه الآخرين له ، ويكون مظهره العام مظهراً بائساً . واذا لم يستمر الانفصال عن الأم أكثر من ثلاثة شهور فان اعادة الاتصال الوجداني بالأم سريعاً مايصلح من مستوى نمو الطفل . ولكن عندما يستمر الانفصال الوجداني عن الأم لأكثر من خمسة شهور فان نمو الطفل يستمر في التدهور اذا ما قورن بنمو الأطفال العاديين من نفس السن . وعندما توجد أم بديلة فانه يحدث تغير في النمو ولكن بصورة تختلف عن الحرمان تماما عن الأم .

وتعد الخبرات المشبعة في مرحلة المهد هامة لتعويض العوامل غير المرغوبة في العلاقات الوالديه بالطفل أو الحرمان الاقتصادي كلما تقدم في العمر . وعلى الرغم من أن أسس الاتجاهات وانماط السلوك وبناء الشخصية توضع في المهد فان أحداث مرحلة المهد وما بعدها من سنوات يعد هاما جداً لتدعيم أو لتغيير بناء الشخصية التي أرسيت قواعدها في السنوات الأولى من الحياة .

طرق تهذيب الطفل :

لا يوجد اسلوب واحد من أساليب التدريب على الآداء يجعل توافق الطفل طيباً أو سيئاً ، بل أن اتجاهات الأباء نحو الطفل هي التي تحدد درجة التكيف داخل وخارج المنزل . وهناك اختلافات ملحوظة في أساليب وتهذيب الطفل في المستويات الاجتماعية المختلفة وبين الآباء المختلفين داخل المستوى الاجتماعي الواحد كما في الشكل التالى
الذي يبين العلاقة بين المستوى الاجتماعي للأم وأسلوب التهذيب المستخدم مع الطفل :

نسبة الأمهات فى كل فئة

٨٠
٦٠
٤٠
٢٠
٠

الإخصائيين والمديرين

الموظفين والعمال المهرة

العمال نصف المهرة وغير المهرة

(المستوى الإجتماعى للأمهات)

صارم

تفاؤلى

متسامح جداً

متقلب

ويستخدم الآباء عادة أساليب تهذيب مشابهة لتلك التي استخدمها أباؤهم . وعندما ينشأ الآباء في بيوت تستخدم فيها أساليب مختلفة . فمن المحتمل أن يكون هناك صراع حول أي الأساليب هو الأفضل لكي يتبعونه ، أو يقومون بتحوير في تلك المناطق . أما مفهوم الأم عن دورها كأم ونوع شخصيتها فيؤثران بصورة ملحوظة على تفسيراتها للطرق التي تستخدمها .

وينصب أكبر اهتمام في مرحلة المهد على أساليب التهذيب المتعلقة بالتغذية والنوم والاخراج . وقد تتصف الأساليب المستخدمة بأنها دكتاتورية أو ديمقراطية أو متساهلة . ويتصف الأب الدكتاتوري بالأوامر والنواهي الجازمة وباستخدام العقاب الذي يشبه الأحكام العسكرية لاجبار الطفل على الطاعة . أما الأب الديمقراطي في تهذيب الطفل فيتصف بأنه أكثر تسامحا وتفهماً لحاجات الطفل وامكانياته ، رفيقا بالطفل قليل العقاب . أما في التهذيب المتساهل فنجد الأب يتسامح مع كل مايجلب اللذة للطفل . على افتراض أن الطفل سيتعلم من نتائج أفعاله ما هو صحيح وما هو خاطئ .

ويميل الآباء الأكثر تعليماً لأن يكونوا أكثر تسامحاً أثناء تهذيب الطفل أكثر من الآباء ذوي المستوى التعليمي المحدود . أما أباء المستوى الاقتصادي الاجتماعي المتوسط فهم أكثر أنضباطاً في تهذيبهم للطفل ، فهم يبدأون التهذيب من وقت مبكر ، ويتطلبون طاعة أكثر من أطفالهم عما هو موجود في الطبقات الأعلى والأقـــل .

مقارنة بين ثلاث أشكال شائعة من التأديب

التسلطي

التعلم : يوجد القليل من التفسير .
يتوقع من الطفل أن يتقبل القواعد والقيود دون مناقشة لأن الكبار يرونها أفضل .

المكافأة : يتجنب الكبار المكافأة خوفاً من إتلاف الطفل .

العقاب : التأكيد على العقاب البدني للسلوك الخاطىء . لا تجرى محاولات لمعرفة إذا ما كان السلوك الخاطىء مقصوداً أم لا .

التسامحي

التعلم قليل من القواعد وقليل من التوجيه أو التفسير .

المكافأة : يتوقع من الطفل أن يشتق الإشباع من التقبل الاجتماعي الذي يترتب على السلوك الحسن .

العقاب : يعلم من ملابسات الموقف أو الفعل أنه قد أخطأ .

الديمقراطي

التعلم : التركيز الأساسي على تفسير معنى القواعد وتكرارها حتى يتعلمها الطفل .

المكافأة : تقدم المكافأة على السلوك الصحيح أو محاولات الطفل القيام بما يعلم أنه متوقع منه . مكافآت أخرى تمنح على تكرار السلوك الحسن .

العقاب : لا يقدم إلا على السلوك الخاطىء المقصود . ويعطي الطفل الفرصة ليشرح لماذا سلك لطريقة خاطئة قبل أن يعاقب . وقليلاً ما يستخدم العقاب البدني ، وبدلاً منه يستخدم العقاب على قدر السلوك الخاطىء .

تغير العلاقات بين الآباء والطفـل

تتغير العلاقات القائمة بين الوالدين والطفل بتغير الطفل من العجز والاعتماد على الغير الى فرد أكثر اعتماداً على نفسه نسبياً . وسواء كانت اتجاهات الآباء تتسم بالتقبل أو النبذ فانها تعتمد الى حد كبير على تغير الخصائص الجسمية وعلى مدى تطابقه مع الصورة الخيالية التي رسموها للطفل قبل أن يولد .

وتشعر كثير من الأمهات اللاتي أصبحن أمهات لأول مرة أنهن غير ملائمات لهذه الدور . ويؤدي هذا الشعور الى توترات تنعكس على علاقتها بطفل . كما أن القلق الناشئ عن احساسها بأنها لا تؤدي دورها بصورة صحيحة ، والقلق الناشئ عن نمو الطفل واذا ما كان طبيعياً أم لا ـ كل ذلك يؤدي الى توتر الأم وجعلها عصبية ، ويؤدي أيضاً الى انتقال الأم من أسلوب الى آخر من أساليب تهذيب الطفل . هذا الأنتقال من شأنه أن يجعل الطفل في توتر وعصبية ، ازدياد بكائه عن الطبيعي وظهور صعوبات في التغذية والنوم .

وقد ظهر من احدى الدراسات التي تناولت اهتمامات الأمهات حول الطفل الصغير . كانت أكثر هذه الأهتمامات تتعلق بالنواحي الجسمية للطفل كالهضم وحالة الامعاء والطفح الجلدي والنوم والبكاء ، وكان البكاء أهم الأمور المشتركة بينهن . ويبدو أن الأضطرابات الانفعالية في المهد منشأها المنزل ، وتكمن الأسباب في طول الوقت الذي تقضيه الأم مع الطفل أكثر مما هو قائم في مؤسسات الأطفال ، الى جانب شعور الامهات بأنهن أقل أمناً فيما يختص بدورهم كأمهات اذا ما قورن بالعاملات المدربات لآداء هذا الدور في المؤسسات .

وتعد مرحلة المهد مرحلة عجز الى حد كبير ـ ومن الشائع بين الآباء وجود عادة العناية بالطفل وحمايته الى الحد الذي تخمد فيه دوافعه للتعلم . وربما كان أول مولود في الاسرة هو ضحية الحماية الزائدة من الوالدين من جهة ، ومن جهة أخرى يكون هذا الطفل أميل الى الاعتماد على الآخرين عن الطفل التالى أو الأخير ، الا اذا كان الأخير معوقاً جسمياً أو عقلياً .

وهناك فترتان حرجتان في مرحلة المهد عندما يبدأ الاعتماد الزائد على الغير ،

تأتي الأولى في نهاية السنة الأولى من الحياة عندما يضع الطفل أمه في مواقف اختبار ليتبين اذا ما كان من الممكن الاعتماد عليها . وفي هذه الفترة فالطفل مازال قليل الحيلة وحاجاته يجب أن تواجه مادام عدم الاهتمام بها ضار بشخصيته النامية . وتتمادى بعض الأمهات لأبعد من حاجات الطفل ولا تشجعه على الاستقلال عندما يكون ممكنا .

وتأتي الفترة الحرجة الثانية في نهاية السنة الثانية عندما تبدأ المطالب الاجتماعية ضغطها على الفرد ليغير من أساليبه القديمه في الآداء ، مما يؤدي بالطفل الى التمسك بحالة الاعتماد الطفلى على الآخرين . وعندما تصبح حاجة الطفل للاستقلال عن مساعدات الوالدين قوية جدأ فانها تظهر في صورة صراع بين الآباء والطفل ، ويبدأ هذا الصراع عادة خلال الجزء الثاني من العام الثاني من

الحياة ، ويتميز بعنف الانفجارات المزاجية المتكررة . وبالاضافة الى ذلك فان الحماية الزائدة للطفل من قبل الآباء تعطل من تعلم المهارات العادية ولذا يصبح الطفل دائم الغضب من نفسه ومن أي شخص قريب منه لا يساعده على آداء مايريد القيام به .

ان الطفل في حاجة دائمة للرعاية من شخص واحد خلال الشهور ٩ ـ ١٢ من العمر حتى يتحقق له الشعور بالأمن ، والأم هي الشخص الوحيد الذي يمكن الاعتماد عليه في ذلك . ومن أخطر الأمور على نمو الطفل جسميا وعقلياً وانفعالياً أن يحرم من رعاية الأم أو أم بديله جيدة في ذلك الوقت . فلا يمكن للخادمة أو للمربية أو لأقرباء أو أصدقاء أن يقدموا للطفل الرعاية الدائمة التي يحتاجها . وعندما يحرم الأطفال من هذه الرعاية يصبح أكثر السلوك عندما يتقدمون في العمر نمطياً اندفاعياً غير منظم ويظل غير منظم أي يبقى طفلياً .

ويفترض في الأم التي تعني وتهتم بطفلها تماما خلال الشهور الستة الأولى من الحياة أنها على ثقة في قدرتها ومهارتها كأم وأكثر حناناً نحو طفلها وأكثر قلقاً على صحته . والعناية الكاملة التي تقدمها الأم لطفلها في العام الأول من العمر تدعم الرباط الوجداني الذي يربطها بالطفل ، كما أنها تكون عادة أكثر تسامحاً

مع كثرة حركته وعدم استقراره وأكثر حزماً في الأمور الخاصة بتحسين أحوال الطفل وسعادته ٠

تفضيلات الطفل بالنسبة لأفراد الأسرة

تعد الأم أكثر أفراد الأسرة ملازمة للطفل في أنشطة اللعب ، وهي أكثر الأفراد رعاية له وعناية بحاجاته الجسمية المختلفة ، ولذلك نجده في نهاية العام الثاني من العمر يفضلها على غيرها ٠ ويحظى الاب بدرجة مماثلة من حب الطفل عندما يقضى معه وقتاً معقولاً ، وعندما يشارك الأم بعض واجباتها اليومية المتصلة برعاية الطفل ، وعندما يشارك الطفل في لعبه عندما يوجد معه ٠

أما بالنسبة لأخوته فان أكثر ما يزعجه هو ميلاد طفل جديد ٠ فقدوم طفل جديد سيفقده الاهتمام المستمر الذي تعود عليه من والديه في وقت لم يصل نموه الاجتماعي للدرجة التي تعوضه عن الاهتمام الذي قل من الوالدين ٠ بجانب كل ذلك فذكاؤه مازال محدوداً لا يمكنه من الربط بين التغير في معاملة الوالدين ووصول الطفل الجديد ٠

وبالنسبة لمشاعره نحو الأطفال الأكبر منه سنا فيتوقف الأمر على طريقة معاملتهم له .. فلو كانوا يلعبون معه ويقومون ببعض الأشياء له ويظهرون له الحب فانه سيحبهم ٠ أما اذا كانوا ينظرون اليه على أنه يفضلهم أو أنه مزعج أو اذا كانوا يقومون له ببعض الأشياء كارهون فسيكرههم أو يخافهم ٠

ويفضل الأطفال عادة أخوتهم الاناث على الذكور ـ وذلك لأن العناية والاهتمام بالاطفال أكثر ملائمة لجنس الاناث ، ونتيجة لذلك نجد أن أي تفضيل من الطفل يكون موجها نحو الأخت الكبرى عن الأخ الأكبر ٠

الفصل التاسع

الطفولة المبكرة

مقدمة

تبدأ مرحلة الطفولة من نهاية مرحلة المهد (سن سنتين) ، وتمتد حتى الوقت الذي يصبح فيه الطفل ناضجاً جنسياً في حوالي سن الثالثة عشر لدى الإناث والرابعة عشر لدى الذكور في المتوسط ـ أي السن الذي يسمى فيه الطفل بالمراهق وتستغرق هذه الفترة حوالي ١١ سنة في البنات و ١٢ سنة لدى الذكور ، حيث تحدث خلال هذه الفترة تغيرات جسمية ونفسية ، ومصدر بعض هذه التغيرات عملية النضج والبعض الآخر نتيجة للتعلم . وتختلف الضغوط والتوقعات الثقافية التي تفرض على الطفل للتعلم من عمر لآخر ولذلك يختلف الطفل في الطفولة المبكرة عنه في الطفولة المتأخرة .

ويمكننا أن نميز بين الطفولة المبكرة والمتأخرة ـ فالأولى تبدأ من نهاية السنة الثانية وتمتد حتى سن ٦ سنوات ، والثانية (الطفولة المتأخرة) تمتد من السادسة حتى النضج الجنسي .

وتتميز الطفولة المبكرة بأنها انتقال بالطفل من فترة العجز والاعتماد على الغير الى الاستقلال التدريجي ومن بيئة المنزل الضيقة إلى بيئة المدرسة في نهاية المرحلة حيث تؤدي الضغوط والتوقعات الثقافية الجديدة إلى تغيرات هامة في سلوك الطفل وفي اتجاهاته وميوله وقيمه ، فيصبح شخصاً مختلفاً عما كان عليه. وتتميز مرحلة الطفولة المبكرة بخصائص هامة ، فكما أن مرحلة المهد لها خصائص تجعلها مرحلة متميزة من مراحل حياة الفرد ـ فهناك خصائص لمرحلة الطفولة المبكرة تجعلها مرحلة متميزة أيضاً .

خصائص مرحلة الطفولة المبكرة

١ - الطفولة المبكرة هي سن ما قبل المدرسة :

فهي المرحلة التي تسبق دخول المدرسة وتعد لها ، حيث توجد ضغوط اجتماعية ثقافية لتعلم الطفل ولكنها تختلف كثيراً عما هو متوقع منه بعد دخول المدرسة .

٢ - الطفولة المبكرة هي مرحلة ما قبل تكوين جماعات الرفاق :

هذه المرحلة في نظر علماء النفس مرحلة تسبق تكوين جماعات الرفاق ـ أو الوقت الذي يتعلم الطفل فيه أسس السلوك الاجتماعي والاستعداد للحياة الاجتماعية المنظمة التي عليه أن يتكيف معها عندما يلتحق بها بدخوله الصف الأول الدراسي .

٣ - الطفولة المبكرة مرحلة استكشاف :

الطفولة المبكرة مرحلة من حياة الفرد تتميز بمحاولة التحكم في البيئة . فتحكم الطفل في حركات جسمه خلال العامين الأولين يساعده على استكشاف البيئة . فهو يريد أن يعرف ماهية هذه البيئة وكيف تشعر وكيف يمكن أن يكون جزءاً منها . ويتضمن ذلك الناس والأشياء المحيطة به .

٤ - الطفولة المبكرة سَن مليء بالمشاكل :

أكثر المشاكل التي يواجهها الآباء مع أطفالهم تتمركز حول الرعاية الجسمية فيواجه الوالدان كثيراً من المشاكل السلوكية منذ ميلاد الطفل الذي يحاول أن يظهر شخصية متطورة متميزة يحاول بها الاستقلال عنهم ولكنه كثيراً ما يفشل

وكثيراً ما يتميز الطفل الصغير بالعناد والتشبث برأيه وعدم الطاعة والسلبية

والمعاداة كما ينفجر كثيراً في ثورات من الغضب وتقلقه الأحلام المزعجة ليلاً ، والمخاوف غير المنطقية نهاراً كما يعاني من الغيرة . وبعامة فإن حياة الطفل والوالدين كثيراً ما تكون بعيدة عن السعادة فالطفل الطيب الذي يمتثل تماماً لمعايير الكبار وتوقعاتهم ، ولكنه لا يعطي الوالدين إلا قليلاً من الاهتمام سيكون مصدراً لكثير من المتاعب .

٥ - الطفولة المبكرة مرحلة أقل جاذبية :

فعلى الرغم من أن اهتمام الوالدين وحبهم لأطفالهم في كل الأعمار فإن الاهتمام الأسري بالطفل يصبح أقل اتساماً بالحنان منه خلال مرحلة المهد . فعجز طفل المهد يجعله جذاباً في نظر والديه واخوته الكبار . ولكنه الآن قد أصبح كثير المقاومة والعناد ولا يحب منهم المساعدة بل يوجد لديه ميل لرفض المظاهر المختلفة لحبهم . وقد توجد هناك نواحي شكلية إلى جانب ما سبق تساعد على التقليل من جاذبية الأطفال في هذه السن .

متطلبات النمو في الطفولة المبكرة :

على الرغم من أن بعض مطالب النمو التي يتوقع من الطفل السيطرة عليها قبل دخوله المدرسة يتم إرساء قواعدها في فترة المهد ـ فإن هناك الكثير مازال في حاجة لأن يتعلمه الطفل في فترة قصيرة نسبياً هي سنوات الطفولة المبكرة . ويكون كل الأطفال العاديين بنهاية هذه المرحلة قد تعلموا المشي بكفاءة مع بعض الفروق الفردية ، وتعلموا تناول الأطعمة الصلبة ، وحققوا درجة معقولة من الثبات الفسيولوجي . كما يكونوا قد تعلموا التحكم في عمليات الإخراج التي تتم السيطرة التامة عليها بعد عام أو عامين . كما يكون لدى معظم الأطفال حصيلة مفيدة من الكلمات وقد أصبح نطقهم صحيحاً ، وأصبح في إمكانهم فهم معاني العبارات والتعليقات البسيطة ، كما يمكنهم أن يضعوا عدة كلمات معاً في جملة مفيدة ، وهذه القدرة على الاتصال بالآخرين وفهم ما يقوله الآخرون تكون على مستوى بسيط . كما تتكون لديهم بعض المفاهيم البسيطة عن الحقائق

الاجتماعية والجسمية ولكنها أقل من أن تسهم في مواجهة كل حاجاتهم حيث اتسع الأفق الاجتماعي وحيث اتسعت بيئتهم المادية . كما أن قليل من الأطفال من يفهم الفروق بين الجنسين وقليل من يدرك معنى الاحتشام . ولا نعرف إذا كان الأطفال يدركون معنى المظهر الجنسي الملائم لهم أم لا . وينطبق هذا القول على مفاهيم الصواب والخطأ . فمعلوماتهم في هذا الصدد محدودة بمواقف المنزل التي يجب أنه تتسع لتشمل الصواب والخطأ في علاقتها بالناس الآخرين ممن هم خارج المنزل خاصة الجيران والمدرسة وساحة الملعب .

ومن المطالب الضرورية وضع أسس قيام ضمير يوجه سلوك الصواب والخطأ . فالضمير يعمل كدافع له على عمل ما يعرف أنه صحيح وتجنب ما يعرف أنه خطأ عندما يكبر في العمر ويصبح ضميره بديلاً للأب كرقيب عليه .

وأصعب واجبات النمو في هذه الفترة هي تعلم ربط أنفسهم وجدانياً بالوالدين وبالأشقاء وبالناس الآخرين . فهذه العلاقة تمثل اعتماداً على الآخرين لاشباع حاجاتهم النفسية وخاصة الحاجة للحب . لكن عليه أن يتعلم أن يعطي وأن يأخذ الحب . وباختصار عليه أن يتعلم أن يرتبط بالآخرين بدلاً من الارتباط بنفسه

الفرص المتاحة لتعلم واجبات النمو :

من مسئولية الاباء أن يزودوا الطفل الصغير بالفرص الضرورية لكي يسيطر على واجبات النمو التي يتوقع المجتمع منه أن يسيطر عليها وأن يوجهها تعليمه بحيث يصبح قادراً على الاستفادة من الفرص العديدة المتاحة له . والأطفال لا يعرفون ما يتوقعه المجتمع منهم كما لا يعرفون الطريقة التي يتبعونها ليتعلموا الأنماط المرغوبة من السلوك دون توجيه من الآخرين الأكثر خبرة منهم .

اننا لا نتوقع من الطفل أن يعرف أن أخذ لعبة خاصة بطفل آخر أمر خاطىء إذا ما كان الوالدان يسمحان له بأن يلهو بلعب أشقائه دون أن يستأذنهم . فالأمر كما يبدو من مسئولية الوالدين أن يعلما طفلهما المبادىء الأساسية لحقوق الملكية وأن يتأكدا أنه يفهم أن هذه المبادىء تنطبق على كل المواقف التي يمكن

أن يواجهها في بيئته الاجتماعية.والفرص وحدها لا تكفي ـ فلابد من توجيهه في استخدام هذه الفرص . حقيقي أنه سيتعلم شيئاً عن طريق تقليد والديه وزملائه في اللعب ومن المحاولة والخطأ ـ ولكن التوجيه سيمكنه من التعلم بسرعة أكبر وبجهد أقل للوصول إلى نتائج أفضل .

وتشير نتائج الدراسات التي أجريت على الأطفال الذين ينتمون لبيوت فقيرة ثقافياً أنهم يأتون إلى المدرسة دون أن يتمكنوا من السيطرة على واجبات النمو الخاصة بمرحلة الطفولة المبكرة . ونتيجة لذلك تنقصهم المهارات الضرورية لمواجهة منهج الصف الأول خاصة بالنسبة للنمو اللغوي كتابة وقراءة . وبالدراسة وجد أن آباء هؤلاء التلاميذ على صلة ضعيفة بأبنائهم ويقدمون لهم قليلاً من التوجيه في تعلم المهارات اللغوية وأنهم كثيراً ما يوجه إليهم التحقير لاستعمالهم كلمات خاطئة أو النطق بالخطأ ولا يوجهون نحو استخدام النطق الصحيح .

وهناك بعض الآباء الذين لا يقدرون على تزويد أطفالهم بالفرص اللازمة للسيطرة على واجبات النمو الملائمة لمستوى عمرهم ، وهناك آباء آخرون لديهم القدرة على تزويد الطفل بفرص كافية ولكنهم لا يقدرون على توجيه الطفل نحو الاستفادة منها ، سواء لأنهم معزولون جغرافياً أم لأنهم لم يسبق لهم أن تعلموا كيف يقيمون صلات اجتماعية بالناس الآخرين بنجاح . وعندما يكون الطفل ضحية عجز الوالدين عن تزويده بفرص التعلم والتوجيه يصبح هذا الطفل غير مستقر وغير سعيد ، وقد يصبح مصدراً للمتاعب لأنه يعبر عن حاجاته بطريقة غير مقبولة اجتماعياً . وبعض الآباء يقابل هذه المشكلة بإرسال الطفل إلى دار الحضانة حيث تقدم له هذه الفرص تحت توجيه مدرسين مدربين يمكنون الطفل من السيطرة على واجبات النمو التي تتوقعها الجماعة منه .

النمــو الجســمي

يسير النمو الجسمي خلال الطفولة المبكرة بسرعة بطيئة إذا ما قورن بالنمو السريع المميز لمرحلة المهد . ويلاحظ أن النمو يختلف من فصل آلى آخر من

فصول السنة حيث نجد أكبر زيادة في الوزن تحدث فيما بين يوليو إلى منتصف ديسمبر ، وتحدث أكبر زيادة في الطول فيما بين إبريل ومنتصف أغسطس * .
ولا توجد اختلافات تذكر بين الذكور والإناث وإن كانت هناك بعض الزيادة في الحجم تميز الإناث على الذكور خاصة فيما بين السنة الخامسة والسادسة من العمر

الزيادة في الطول :

يزداد طول الطفل بمعدل ٣ بوصات سنوياً حيث يصبح متوسط طول الطفل في نهاية هذه المرحلة (من سن ٦ سنوات) ٤٦ر٥ بوصة (من ٤٤ر٥ إلى ٤٨ر٥ بوصة) . وعلى الرغم من عدم وجود فروق فردية تذكر بين الجنسية في الطول خلال هذه المرحلة فإن الأطفال المتفوقين عقلياً يميلون لأن يكونوا أطول من متوسطي الذكاء خاصة في نهاية هذه المرحلة . كما أنه من الممكن التنبؤ بما سيكون عليه طول الطفل عندما يصل إلى مرحلة البلوغ بدرجة معقولة من الصحة وذلك باستخدام أشعة إكس للعظام وللمعصم . فطول البالغ يتأثر إلى حد ما بعدة عوامل منها :

أ - السن الذي يصل فيه إلى النضج الجنسي . ومن الصعب أن نتنبأ بدقة بمتى يحدث ذلك ؟ وعلى الرغم من ذلك فقد وجد أن هناك علاقة وثيقة بين السن الذي يصل فيه الطفل إلى نضجه الجنسي والسن الذي وصل فيه الأب من نفس الجنس إلى نضجه الجنسي .
ب - العوامل الوراثية .
جـ - العوامل البيئية .
د - طول الوالدين .
هـ - طول الطفل بالنسبة لمعايير الطول لنفس العمر .

الزيادة في الوزن :

يزداد وزن الطفل في هذه المرحلة بمعدل بطيء كالطول ، بزيادة تصل ما بين ثلاثة إلى خمسة أرطال سنوياً . ويجب أن يكون وزن الطفل في السادسة سبعة

* هذه الملاحظة طبقاً للبحوث والدراسات الأمريكية في هذا المجال « المؤلفان » .

أضعاف وزنه عند الميلاد . وتعتبر الاختلافات في الوزن في هذه المرحلة أكبر من الاختلافات في الطول ويتأثر الوزن بعدة عوامل منها :

أ - عادات الأكل السيئة .

ب - إصرار بعض الآباء على ضرورة تناول الطفل لكميات من الطعام أكبر من حاجته مما قد يؤدي إلى ميل نحو الشراهة ومما قد يؤدي إلى البدانة .

أبعـاد الجسـم :

تختفي ملامح الطفولة في هذه المرحلة وتتغير نسب الجسم وأبعاده طبقاً لقانون اتجاه النمو . ففي سن ٥ره مثلاً تتغير أبعاد الجسم فتصبح قياساً إلى ما ستكون عليه عند النضج فتكون كالتالي :

١ - يزداد طول الذراع إلى حوالي ٥٠٪ من طوله الكلي عند النضج .

٢ - يزداد محيط الرأس بمعدل ٧٪ عما كان عليه .

٣ - تصبح مسافة الوجه بالنسبة لمساحة الجمجمة ١ : ٦ بدلاً من ١ : ٨ عند الميـلاد .

٤ - تبقى ملامح الوجه صغيرة حيث يظل الأنف صغيراً ومفرطحاً إلى حد ما . ويظل الفم صغيراً نسبياً لصغر أسنان الطفل ، ولكن الأذن تستطيل قليلاً بناء على نمو الفك السفلي ، كما تستطيل الرقبة ، ويتغير شعر الطفولة الناعم بشعر أكثر خشونة في ملمسه وتصبح له خواص الشعر الدائم كما يصبح أدكن لوناً .

٥ - يتغير الجذع من حيث الحجم والشكل خلال الطفولة المبكرة ـ فيتغير الشكل الاسطواني للجذع إلى شكل كيسي بدون خصر واضح وصدر مستدير وأكتاف منحدرةٍ وبطن ظاهرة . وفيما بين سن الرابعة إلى الخامسة يوجد انخفاض تدريجي في سمك الجذع وميل نحو الجسم المخروطي مع بطن مفرطحة وصدر أوسع وأعرض وخصر واضح وأكتاف أعرض وأكثر استدارة

الجاذبيـة الجسـمية :

يعتبر صغار الأطفال أقل جاذبية في شكلهم العام عن الرضع ، ويرجع ذلك

لعدة أسباب منها :

١ - يتغير شكل الجسم ويصبح نحيفاً إذا ما قورن بجسم الرضيع الطري وتلجأ كثير من الأمهات إلى تسمين الطفل بإعطائه مزيداً من الحلوى وحثه على أن يأكل أكثر مما يحتاج حتى يصبح مظهره أفضل .

٢ - يعد شعر الطفل في هذه المرحلة أخشن وأقل سهولة في تصفيفه إذا ما قورن بالشعر الناعم الحريري لطفل المهد . ومن الصعب المحافظة على شعر طفل هذه المرحلة مصففاً ومهذباً مما يعطيه مظهراً غير طيب .

٣ - عندما تبدأ أسنان الطفل في الظهور ـ فإن فم الطفل يبدو مشوهاً بسبب الفراغات القائمة بين الأسنان وبعضها ، وبسبب كون بعض الأسنان قد اكتمل والبعض مازال في دور النمو وإذا ما وجدت سنة دائمة بين هذه الأسنان وهي عادة كبيرة في الحجم بالنسبة للأسنان المؤقتة زادته تشوهاً .

٤ - وهناك سبب آخر يجعل الطفل هنا أقل جاذبية هو نقص اهتمام الطفل بالملبس وهندمته . فبينما يحب الملابس الجذابة ويكون فخوراً بأي لبس جديد ـ نجده موجهاً اهتمامه الأكبر للعب أكثر من المحافظة على ملابسه ونظافتها والمحافظة على مظهر حسن .

الأمراض الشائعة في الطفولة المبكرة :

يكون صغار الأطفال أكثر عرضة للأمراض ، ومع ذلك فأمراض هذه المرحلة أقل خطورة من المرحلة السابقة . ويتعرض الأولاد أكثر من البنات لقدر أكبر من الأمراض عامة والأمراض الخطيرة خاصة ، كما يصابون باعتلال دائم في الصحة وقد يموتون من المرض أكثر من البنات . ويقاسي أطفال المستويات الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة بأمراض أكثر من الأطفال الذين يتمتعون بظروف أفضل .

وأكثر الأمراض انتشاراً بين أطفال هذه المرحلة هي أمراض الجهاز التنفسي والاضطرابات المعدية والمعوية ، آلام الأذن ، وفي الأسر التي يوجد فيها أطفال أكبر سناً يصاب الصغار بأمراض مثل الحصبة Measles والتهاب الغدة النكفية Mumps والجديري chickenpox وغيرها من أمراض الأطفال ويلاحظ أن أغلب أمراض الطفولة المبكرة فسيولوجية في أصلها والبعض

الآخر نفسي جسمي ينتج من التوترات القائمة بين الآباء والأطفال . فعندما تستخدم أساليب التربية التسلطية يزداد تأثر الطفل ، الأمر الذي يجعله عرضة للمرض . أما إذا كان الآباء متساهلون ومتسامحون مع الطفل بأن يأكل ما يريد متى يريد - أو أن يذهب إلى سريره على هواه - فإننا لا نتوقع أن تكون لديه مقاومة للأمراض . . وعندما يكون الآباء أكثر حرصاً على حياة الطفل الجديد أكثر من الطفل القديم يكون الجديد أقل عرضة للمرض . وعندما يستجيب الآباء لمرض الطفل كمشكلة أسرية يكشفون عن مشاعر الذنب أو يلومون الطفل على ما سببه من عدم ارتياح في المنزل بسبب مرضه - مما يؤدي بالطفل إلى تكوين اتجاهات غير سليمة تؤدي بالتالي إلى خلق حالة من التوتر العصبي تزيد من فترة المرض ولا تساعد على الشفاء السريع . أما إذا كانت اتجاهات الآباء صحية وحياة الأسرة تسير بصورة طبيعية - كانت اتجاهات الطفل من النوع الايجابي ، وهنا لا يستخدم الوسائل الهروبية من الواقع . أما الأمراض النفسية الجسمية Psycho-Somatic الشائعة التي ظهر أنها تنشأمن طريقة التفاعل بين الآباء والأبناء وما يصاحبها من توترات في الطفولة المبكرة فهي :

فقد الشهية للطعام	Anorexia	والتهاب القولون	Ulcerative-Colitis
والتبول اللاارادي	Enuresis	والحساسية الشديدة والربو	Asthma
والسكر	Diabetes		

الحوادث الشائعة في مرحلة الطفولة المبكرة

يحدث للأطفال الصغار كثير من الجروح والخدوش والكدمات والحروق وكسر العظام وتمزق العضلات وغيرها من الاضطرابات الناتجة عن الحوادث . ويصاب بعض الأطفال بحوادث أخطر مما سبق تؤدي إلى عجزهم المؤقت أو الدائم . وحوادث الأولاد أكثر من البنات . كما أن الأطفال في هذه المرحلة أكثر عرضة للحوادث من المرحلة السابقة وترجع كثرة الحوادث إلى :

- انشغال الأمهات عن أطفالهن بسبب خروجهن للعمل أو الانشغال باعداد الطعام ولذا فأقل الأيام التي يتعرض فيها الأطفال للحوادث هي أيام الأجازات .

- الطفل عادة منهك ومشاكس ودائماً جوعان في فترة الصباح ولذلك تكثر حوادثهم في هذا الوقت .
- يزداد تعرض الطفل للحوادث في الجو المطير ، والجو شديد البرودة ، والأرضيات الزلقة .
- نقص الإشراف على الطفل من قبل الآباء .
- حب الاستكشاف القوي لدى أطفال هذا السن .
- مقاومة الأطفال للنظام الصارم الذي يفرضه الوالدان فيقومون بما يرفضه الآباء منهم .

ويرجع كثير من عجز الأطفال إلى الحوادث التي قد تسبب نمو مشاعر النقص التي قد تشوه شخصيته بصورة دائمة . وإذا لم تترك الحوادث أثراً دائماً فقد تؤدي إلى جعل الطفل خوافاً وجباناً . وقد يصبح الطفل أكثر حذراً مما يجنبه الحوادث مستقبلاً .

بعض العادات الفسيولوجية في هذه المرحلة :

تتخذ العادات الفسيولوجية التي وضعت أسسها في المرحلة السابقة شكلاً يتصف بالثبات كما تصبح بعض أنماط السلوك الشائعة في هذه المرحلة مصدراً لمتاعب الآباء ومن العادات الفسيولوجية الهامة في هذه المرحلة ما يلي :

- عادات الأكل :

يصبح الطفل أقل شراهة للأكل عما سبق لانخفاض سرعة النمو ولأنه أصبح يفضل أنواعاً من الطعام دون أخرى . وتنشأ تفضيلات أو كراهية أنواع معينة من الطعام لأن الأطعمة المعدة للكبار متبلة (حريفة أو مالحة) بالنسبة للطفل الصغير الذي ما تزال حاسة الفروق عنده أكثر حدة من البالغين . وفي هذه السن تصل مشاكل التغذية إلى قمتها بسبب ضغوط الوالدين على الطفل ليأكل ولكنه في معظم الأحوال يقاوم ويعاند .

- عادات النـــوم :

يحدث اضطراب لأنماط النوم التي أرسيت في المرحلة السابقة وذلك لمقاومة الطفل الذهاب إلى النوم في موعده ليلاً وبسبب نومه نهاراً . ومقاومته للذهاب إلى النوم ـ وهو أمر ضد رغبة الكبار ـ يزيد من توتره ويقلل من الارتياح اللازم للنوم .

وعلى الرغم من وجود اختلافات في كمية النوم بسبب بعض العوامل مثل كمية النشاط اليومي ونوعه فإننا نجد أن متوسط كمية النوم في سن ثلاث سنوات هو حوالي ١٢ ساعة يومياً . وتقل كمية النوم بمعدل نصف ساعة كل عام عما سبقه . وفي كثير من البيوت يترك الأطفال لما بعد موعد نومهم لمشاهدة برامج التليفزيون أو ليكونوا مع ذويهم عند وجود ضيوف للأسرة . وتأخره عن موعد نومه ليس بالضرورة داعياً لأن نفترض أنه سيتأخر في نومه صباحاً ليعوض ما فاته من نوم الليلة السابقة .

وتتعلق كثير من مشاكل نوم الأطفال باتجاهات الآباء غير المرغوبة . فالقلق الزائد من الآباء على أبنائهم وخوفهم من أن الطفل لن يحصل على كمية كافية من النوم يجعلهم يميلون إلى عقاب الطفل مما يثير عناد ومقاومة الطفل ، وآباء آخرون لا يهتمون ، ونتيجة لذلك يتساهلون في دفع الطفل نحو تكوين عادات سليمة للنوم .

- عادات الإخـراج :

كما سبق أن ذكرنا تكون عادات الإخراج قد تكونت بدرجة كافية في نهاية المهد . وفي سن ٣ أو ٤ من العمر تتم سيطرة الطفل على عملية التبول الليلي ، وإن كان كثير من الأطفال يتبولون على أنفسهم في بعض الليالي بعد هذه السنة خاصة إذا كانوا مجهدون أو متوترون خلال النهار . وعندما يصل الطفل إلى سن المدرسة الابتدائية يكون التحكم في المثانة قد وصل إلى أقصاه بحيث لا يؤثر عليه التعب والتوتر .

مهارات الطفولة المبكرة :

تعد مرحلة الطفولة المبكرة أفضل المراحل لتعلم المهارات . فالطفل يستمتع بالتكرار والترديد ولديه استعداد لتكرار أي نشاط حتى يكتسب القدرة على أدائه جيداً . كما أن الطفل يتميز في هذه المرحلة بأنه مغامر لا يخاف على نفسه ، ولا من سخافات أقرانه إلى جانب أن جسمه مازال مرناً وفي حاجة لمهارات جديدة توافقه . كل ذلك يؤدي إلى سرعة وسهولة تعلمه للمهارات .

ولكي يكون اكتساب المهارات فعالاً وناجحاً يجب أن يكون هناك تدريب موجه ، وألا يترك للصدفة أو للمحاولة والخطأ حتى لا ينفق كثير من الوقت والجهد وتكون نتيجته الفشل ، فبالتدريب الموجه يتعلم الطفل بسرعة وتكون النتائج النهائية مصدراً لرضا الطفل .

وتتميز المراحل الأولى لاكتساب المهارة بأن حركات الطفل عادة تكون خرقاء غير متقنة وغير متناسقة . ثم بالتدريج تستبعد الحركات غير اللازمة وتصبح الحركات المرتبطة بالمهارة رشيقة ومتناسقة وإيقاعية . كما أن تحقيق النتائج يتم بسرعة ودقة بحيث يصبح الطفل قادراً على أداء الفعل في زمن قصير وبأقل جهد وبتركيز وانتباه أقل .

ويعتبر اكتساب المهارات ميزة شخصية كبيرة للطفل . وكلما زاد ما يمكنه أن يقوم به لنفسه قل اعتماده على الآخرين . كما أن المهارات تؤكد للطفل الصغير قدرته على القيام باتصالات اجتماعية بالآخرين من الأطفال ؛ حيث تنشأ الصلات الاجتماعية الأولى من خلال اللعب فكلما اكتسب الطفل مهارات أكثر مرتبطة باللعب كلما قام بصلات اجتماعية أكثر نجاحاً بزملائه . ويجب أن تكون أغلب المهارات من النوع الذي تتوفر لديه المهارات اللازمة للتعامل مع لعبه بحيث لا يعتمد على التليفزيون أو على البعض لكي يسليه . ويساعد ذلك على التخلص من الملل الذي يعانيه الأطفال والذي يدفعهم نحو السلوك الخاطىء الذي قد يؤدي إلى الحوادث . أن القيمة الكبيرة للمهارات بالنسبة للطفل الصغير هي تأثيرها على مفهوم الذات . بحيث تستقر الذات وأن تشعر أن باستطاعتها أن تعمل

لنفسها أشياء كثيرة وكما يذكر « هافجهرست » فإن مفهوم الطفل يرتبط بما لديه من مهارات . وأن تقبله لنفسه يتعلق بسيطرته على الأشكال المختلفة من العالم الخارجي .

وتقوم أهم مهارات الطفولة المبكرة التي سيتعلمها الطفل على الاستعداد النضوجي وعلى الفرص المتاحة وعلى التوجيه الذي يتلقاه للسيطرة عليها بسرعة وكفاءة .

وهناك فروق جنسية في المهارات التي يتعلمها الأطفال فيتعلم الأولاد مهارات اللعب المقبولة من أفراد نفس جنسهم وتجنب مهارات الجنس الآخر . وتتعلم البنات المهارات الخاصة بأعمال المنزل . وعلى الرغم من ذلك فهناك مهارات مشتركة يمكن تقسيمها إلى نوعين هما المهارات اليدوية ومهارات الأرجل

المهارات اليدوية :

يتعلم الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة مهارات تغذية أنفسهم وارتداء ملابسهم بأنفسهم واستخدام أدوات المائدة كالسكين والشوكة والملعقة وعمل الساندوتش ، ويصل الطفل إلى أفضل درجة من مهارة ارتداء ملابسه فيما بين ٢ - ٥ر٣ وهنا يجب أن يعطى فرصاً كافية ووقتاً كافياً لنمو تلك المهارة الضرورية ليتولى مسئولية ارتداء ملابسه بنفسه بأقل مساعدة من الآخرين .

ويستمتع الأطفال في سن الثانية باللعب بالأزرار ، وفي الثالثة يمكنهم فك الأزرار وإدخالها في عراويها . وفي السادسة يمكنهم التعامل مع أي وسيلة من وسائل تزرير ملابسهم .

ومن المهارات التي يمكن للأطفال تعلمها بسهولة في الطفولة المبكرة تسريح الشعر والاستحمام وربط حذائه دون مساعدة .

وعندما يتعلم الطفل رمي الكرة ولقفها فإنه يصبح مغرماً بلعب الكرة ويحب

الاشتراك مع الجيران من أقرانه في اللعب . ويصبح على درجة لا بأس بها من الكفاية في الإمساك ورمي الكرة في السادسة من عمره .

ويمكنه أن يدق مسماراً في الخشب باستخدام المدق بعد سن الثالثة وفي السادسة يمكنه أن يصنع أشياء بسيطة من الخشب كما يمكن لطفل رياض الأطفال أن يقطع بالمقص صورة على ورق وأن يشكل شيئاً بالصلصال . كما يمكنه أن يلون صورة باستخدام القلم أو الطباشير أو رسم صورة من خياله وأن يرسم رجلاً ذو ملامح واضحة . كما يمكنه أن يكتب خطأ على الرغم من أن كتابته مازالت بطيئة وغير مقنعة في هذه السن .

ويبدأ تفضيل أحد اليدين في هذه السن ولكن لا تثبت عملية التفضيل إلا بعد ذلك . ففي سن ٥ر٢ ـ ٥ر٣ نلاحظ تقلباً من أحد اليدين إلى الأخرى . ويمكن تعلمه استخدام اليد اليمنى إذا ثبت على ذلك . وتذكر « هلدرتش » Hildreth أن الطفل يجب أن يدرب على استخدام يديه وألا يترك ذلك إلى الصدفة مادامت المهارة اليدوية تؤثر على تعلم الفرد ونجاحه المهني . كما يذكر كل من « ايمز » Amers و الج Ilg أننا يجب ألا نضغط على الطفل كثيراً لكي يستخدم يده اليمنى ويفضلها على اليسرى . والأفضل أن نقدم له الأشياء دائماً قريباً من يده اليمنى .

مهارات الأرجل :

في الوقت الذي تكتسب فيه مهارة المشي فإن الطفل يوجه انتباهه نحو تعلم مهارات حركية أخرى تستخدم فيها أرجله . حيث نجده يتعلم أن يثبت على قدم واحدة وأن يقفز من مكان لمكان وأن يجري بسرعة عندما يصل إلى سن الخامسة أو السادسة . وفي هذا الوقت يمكن للطفل أن يجري كثيراً دون وقوع إلا قليلاً كما يمكنه أن يشترك في ألعاب مشتركة . ويكتسب الطفل أيضاً بوصوله السادسة مهارة تسلق السلالم والنزول منها . ويمكن للطفل بين ٣ ـ ٤ سنوات أن يقود دراجة من ثلاث عجلات ويسير بها للأمام وللخلف بالإضافة إلى قفز الحبل وحفظ توازنه على قضيب معين والتزحلق .

وهناك مجموعة من العوامل تسهم في فشل الطفل في اكتساب المهارات اللازمة منها :

١ - الحماية الزائدة من الوالدين للطفل ·
٢ - الخوف الذي تسببه الحوادث أو كثرة تحذير الطفل ليكون حريصاً ·
٣ - كثرة المعوقات البيئية ·
٤ - نقص فرص التدريب ·

كل هذه العوامل تجعل الطفل هيّاباً للمواقف إذا ما قورن بزملائه من الأطفال فعندما يحاول القيام بما يفعله الأطفال الآخرون لا يمكنه مشاركتهم ونتيجة لذلك يعزلونه عن اللعب وهذا الأمر يحد بالتالي من فرص التعلم ويؤدي في نفس الوقت إلى زيادة تباعده عن الاتصالات الاجتماعية ·

والطفل الصغير لا يتعرف على قدراته إلا من خلال المقارنة بأقران نفس العمر وعندما يكون الطفل متخلفاً بالنسبة لزملائه فإنه لا يمكنه الاستمرار معهم في اللعب فينظر إلى نفسه على أنه متخلف ـ وهو شعور قد يعمم فيصاب بعقدة النقص وحتى لو لم تؤدي المهارات الناقصة إلى تنمية الشعور بالنقص ـ ففي غالب الأحيان يؤدي إلى الجبن الجسمي مما يزيد بالتالي تهيبه الذي يؤدي إلى حرمانه من كثير من فرص التدريب على اكتساب المهارات · ويعمل الأولاد على اخفاء جبنهم كلما كبروا لتجنب أن يسميهم زملاؤهم بالجبناء ·

وعلى الرغم من هذه الذخيرة من المهارات التي يتعلمها الطفل مازال هناك فائض كبير من الطاقة التي ينفقها الطفل بطريقة عشوائية وفي أنشطة غير ذات معنى تجعله يبدو في حالة غير مستقرة وعصبية · وكلما كانت صحة الفرد أفضل كلما كانت هذه الطاقة الفائضة أكبر ، وكلما بدا أقل استقراراً ·· وان لم يوجد ما يشغل انتباه الطفل فإنه سيصبح مصدراً للإزعاج · وكلما كان الطفل أكثر ذكاء وصحة كلما اتجه أكثر إلى الاستكشاف · وعلى الرغم مما في ذلك من ميزة ـ حيث يشجع على زيادة تعلم الطفل للأمور الموجودة في بيئته ـ فإن مساوىء هذا الوقت تبدو في زيادة الحاجة للإشراف عليه حتى نجنبه كثيراً من الأضرار ·

وأحد المشاكل التي يشكو منها الآباء أن الأطفال نادراً ما يكونوا هادئين ونتيجة لذلك يجب الإشراف التام والدقيق عليهم في كل دقيقة وحتى عند ذهابهم إلى النوم ليلاً . وكلما كان الطفل أكثر ذكاءاً وحيوية كلما زادت المشاكل التي يخلقها للكبار المسئولون عنه وعن رعايته .

النمو اللغوي في الطفولة المبكرة

تنزع لغة الطفل في هذه المرحلة نحو الكمال ، فهو يتميز بالدقة في التعبير ، فبعد أن كان يعبر عن نفسه في المرحلة السابقة بكلمة أو بكلمتين ، أصبح الآن يستعمل الجملة المفيدة التامة الأجزاء وأصبحت كلماته لها دلالة عن أفكار معينة وعلاقات محددة . كذلك تنمو في هذه المرحلة قواعد التركيب (القواعد التي تحكم تكوين الكلمات) أما معجم الطفل اللغوي فإنه يزداد بسرعة كبيرة حتى يصل إلى ٢٠٠ كلمة عند سن الخامسة ، ويلاحظ على طفل هذه المرحلة استطاعته الأولية في السيطرة على الأجزاء المتداخلة في اللغة كالضمائر وحروف النداء وما إلى ذلك ، ولا شك أن حبه في الكلام « الرغي » دليل على نمو قدرته اللغوية ومحصوله اللغوي .

ويلخص الجدول الآتي أهم مظاهر النمو اللغوي في هذه المرحلة :

العمـر	مظاهر النمـو
٣	زيادة كبيرة في المفردات + صفات كثيرة + قواعد لغوية مثل الجمع والمفرد + أمثلة كثيرة .
٤	تبادل الحديث مع الكبار + وصف الصور وصفاً بسيطاً + الإجابة عن الأسئلة التي تتطلب إدراك علاقة .
٥	جملة كاملة تشمل كل أجزاء الكلام .
٦	يعرف معاني الأرقام + يعرف معاني الصباح وبعد الظهر والمساء والصيف والشتاء .

وفي هذه المرحلة يمر التعبير اللغوي بمرحلتين :

١ - مرحلة الجمل القصيرة : (في العام الثالث) وتكون الجمل مفيدة وبسيطة وتتكون من ٣ ـ ٤ كلمات وتكون سليمة من الناحية الوظيفية أي أنها تؤدي المعنى على الرغم من أنها لا تكون صحيحة من ناحية التركيب اللغوي .

٢ - مرحلة الجمل الكاملة : (في العام الرابع) وتتكون الجمل من ٤ ـ ٦ كلمات وتتميز بأنها جملة مفيدة تامة الأجزاء أكثر تعقيداً ودقة في التعبير . ويوضح الجدول طول الجملة أي عدد كلماتها . وحسب دراسة سميث Sanith (١٩٢٦) يسير نمو المفردات كما في الجدول الذي سبق عرضه في مرحلة المهد .

العمر بالسنة	عدد كلمات الجملـة
٥ر٢	٣
٥ر٣	٤
٥ر٦	٥

وهناك بعض المميزات للغة في هذه المرحلة منها : زيادة صفة التجريد ، وظهور التعميم القائم على التوسط ، ويتضح معنى الحسن والرديء وسنتناول كل منهما بالتفصيل .

أولاً : إزدياد صفة التجريد في اللغة :

إذا نظرنا إلى اللغة نجد فيها أشياء مادية محددة مثل (قرد ، كلب ، سيارة) وغير ذلك من الأشياء المادية كما أن هناك أشياء تشترك فيما بينها في بعض النواحي أو الخصائص مثل (حيوانات ـ طعام ـ عربات) وهذه الكلمات كلمات مجردة .

وفي هذه المرحلة نجد هناك تطوران في اللغة : أحدهما هو أن الطفل يتعلم الكلمات المادية ويعممها مثل استعمال كلمة (كلب) لتدل على كل الحيوانات . وثانيهما أن يتعلم الطفل الكلمات المجردة التي تمثل مجموعة من الأشياء المختلفة .

وفيما بين السنة الثالثة والرابعة تتحدد المفاهيم بما لها من أفعال أو تصرفات أو وظائف فالكلاب أشياء تنبح ، والأبقار أشياء تزودنا بالحليب . وفيما بين السنة الخامسة والسادسة يشرع الطفل في تعريف الأشياء أو تحديد مفاهيمها على أساس من الأسماء المجردة مثل (الكلب حيوان ـ واللبن طعام) .

ثانياً : التعميم القائم على التوسط Mediated Generalization

التعميم القائم على التوسط في هذه المرحلة يعني استخدام الطفل نفس التسمية Label لاثنين أو أكثر من الأشياء وبالتالي يبدأ في معاملتها كلها معاملة واحدة . وكمثال ذلك الطفل في السنة الرابعة يكون قد تعلم استخدام الكلمة المجردة (حلوى) لبعض المنبهات المعينة . وحيث أن كلمة حلوى ترمز إلى شيء صالح للأكل فإنه يكون على أهبة أن يسلك سلوكاً يمكننا التنبؤ به إزاء كل الموضوعات التي يسميها حلوى . وعندما يخرج أحد الراشدين من جيبه موضوعاً جديداً لم يشاهده الطفل من قبل وقال له « هذه بعض الحلوى » يقوم الطفل بنقل السلوك الذي تعلمه لكلمة حلوى إلى هذا المثير الجديد . ومن المحتمل أن يمد يده إلى هذا الموضوع الجديد ليضعه في فمه . فالتعميم القائم على التوسط عادة ما يكون توافقياً ويسمح للطفل أن يسلك سلوكاً ملائماً للمواقف الجديدة عند أول التقاء بها .

السلوك المقبول والسلوك غير المقبول في هذه المرحلة :

في هذه المرحلة يستطيع الطفل أن يوضح الفرق بين السلوك الطيب والسلوك الرديء . وهذا التمييز يعتمد على ما إذا كان الشيء أو الواقعة تسبب اللذة أو الألم ، ويعتمد أيضاً على ما إذا كان هذا الشيء أو الواقعة أمراً يشجع عليه المجتمع أو ينهى عنه ويحرمه .

تمركز الكلام حول المجتمع :

هناك فرق واضح بين الكلام المتمركز حول الذات ، والكلام المتمركز حول المجتمع فالأول على حسب رأي « بياجيه » لا يعرف الطفل من يتحدث إليه ولا يعرف أيضاً هل هناك من يستمع له أم لا . فهو يتكلم لنفسه .. وكذلك لا يحاول الطفل أن يضع نفسه في موضع بحيث يراه السامع . أما الثاني فهو التمركز حول المجتمع فتجده على خلاف الأول حيث أن الطفل يواجه سامعه ، ويتدبر وجهة نظره ويحاول أن يؤثر فيه ويتبادل معه الكلام والأفكار والموضوعات المختلفة .

ومرحلة التمركز حول الذات ، تدوم إلى سن الخامسة أو السادسة ،فمن الصعب أن يواجه الطفل شخص آخر وأن يبادله الحديث القائم على التبادل ، ومن البيانات التي حصل عليها « بياجيه » يتضح أن التمركز حول الذات يقل بتقدم العمر ويظهر الاتجاه الاجتماعي . وهذا التمركز حول المجتمع يزيد من الصفة الاجتماعية عند الطفل . فمن أقواله ترى رغبته في الملكية الشخصية (دي داتي أنا ـ وده أبويا أنا ـ ودي الماما بتاعتي أنا) .

اللغة وكثرة الأسئلة عند الأطفال :

من الملاحظ في هذه المرحلة أن الأطفال مغرمون بالسؤال . ومن الصيغ الأولى لأسئلتهم « إيه ده » What is This ? وبهذا السؤال يشبعون رغبتهم الملحة في معرفة أسماء الأشياء التي يدركونها ووظائفها ، وبإجابة المسئولين يضيف الطفل إلى لغته أسماء الأشياء التي يسأل عنها ، وينطق بها ، ويدرك خصائصها بقدر ما يسمح نموه . وقد يتضايق المشرفون على تربية الطفل من كثرة أسئلته وبخاصة إذا كانت ممن لا يمكن الإجابة عليها أو لأن الإجابة عليها فوق مستواه أو محيرة للمسئولين . ومع هذا يجب أن يتصرفوا بحكمة وصبر . فالطفل غريب في هذا العالم الجديد عليه ، وهو يحاول أن يكشف ويعرف ، ويحل غوامض ما حوله . ولا يكون هذا إلا بالسؤال ، لا سيما هذه المرحلة التي يعتمد فيها على غيره . ولأسئلة الطفل قيمة لغوية ، فهي الوسيلة للتعبير عن أفكاره

ولانطلاقه في الحديث وسماعه الإجابة بلغة صحيحة يزيد في لغة الفهم عنده ، وإنصاته لما يقال له تمرين على حسن الاستماع .

ولا تقتصر أسئلة الأطفال على : ماذا ؟ بل تتطور إلى لماذا ؟ ومن أين ؟ وكيف ومن أسئلتهم : ليه لون الكتاب ده أحمر ؟ الباب بياكل ؟ وليه مش بياكل ؟ أختي الصغيرة جت من أين ؟ والواجب ألا يمل المشرفون على الطفل سماع أسئلته والإجابة عنها ، فهي دليل على رغبته في المعرفة ، وكثيراً ما يشير نوعها إلى ذكائه

الفرق بين الجنسين :

البنات يتكلمن أسرع من البنين ، وهن أكثر تساؤلاً وأكثر إبانة ، وأحسن نطقاً وأكثر في المفردات من البنين . ويكون هذا الفرق ظاهراً حتى سن الخامسة . وفيما بين الخامسة والسادسة نجد أن الذكر والأنثى يتساويان أو أن الفروق بينهما تتقارب .

العوامل المؤثرة في النمو اللغوي :

يؤثر الجنس في النمو اللغوي في هذه المرحلة . كذلك يؤثر الذكاء إذ يلاحظ أن اللغة تعتبر مظهراً من مظاهر نمو القدرة العقلية العامة ، وأن الطفل الذكي يتكلم مبكراً عن الطفل الغبي ويرتبط التأخر اللغوي الشديد بالضعف العقلي .

ويتأثر النمو اللغوي كذلك بالخبرات ، وكمية ونوع المثيرات الاجتماعية ؛ إذ تساعد كثرة خبرات الطفل وتنوعها واختلاط الطفل بالراشدين في نمو اللغة . وتشير بعض الدراسات إلى أن الطفل الوحيد ينمو لغوياً أحسن لاحتكاكه أكثر بالراشدين ، وأن الأطفال من الطبقات الأعلى أثرى لغوياً من أطفال الطبقات الأدنى .

وتؤثر وسائل الإعلام ، وفي ذلك يقول « ماكارثي » Mc carthy أن الإذاعة والتليفزيون وغيرهما من وسائل الإعلام تتيح إثارة وتنبيهاً لغوياً أكثر

وأفضل يساعد في النمو اللغوي .

وقد أثبتت الدراسات أن أطفال المؤسسات والملاجىء أفقر لغوياً من الأطفال الذين يعيشون في أسرهم . كذلك أكدت نتائج الدراسات أن الأطفال الذين يعانون من الإهمال الشديد يكونون أبطأ في تعلم الكلام وقد يتأثر كلامهم ويضطرب .

وعملية التعلم مهمة جداً في نمو اللغة عند الطفل . ويرى «ميللر ودولارد Miller & Dollard أن الطفل يتعلم الاستجابة لأصوات الآخرين الذين يتحدثون إليه وهم يربيانه ، وأن عملية تعلم اللغة تقوم على المفاهيم الأساسية لنظرية التعلم بصفة عامة مثل الارتباط والإثابة والتعزيز والتعميم والممارسة والدافعية .. الخ . ويرى « مورر » Mowrer أن التعامل والعلاقات الوثيقة والاتصال الاجتماعي السليم بين الطفل ومربيته مهم إلى حد كبير في تقدم الطفل اللغوي المبكر .

وتؤثر الاضطرابات الانفعالية والاجتماعية تأثيراً سيئاً في النمو اللغوي فتؤدي إلى التردد والترديد (التكرار) مع ملاحظة أن الأولاد أميل إلى التكرار من البنات .

ويؤثر الكبار بلهجتهم وطريقة نطقهم في النمو اللغوي للطفل . ويساعد على النمو اللغوي السوي اهتمام الكبار بالأطفال وسيادة الجو الثقافي في الأسرة .

وتؤثر العوامل الجسمية في النمو اللغوي مثل سلامة جهاز الكلام أو اضطرابه . وتساعد كفاءة الحواس مثل السمع على النمو اللغوي السوي . وقد تؤثر العاهات الحسية تأثيراً سيئاً .

ملاحظـــــات :

- الفرق شاسع في النمو اللغوي بين أول هذه المرحلة وبين نهايتها ٠
- حب الأطفال لكثرة الأسئلة والثرثرة دليل على نمو القدرة اللغوية والمحصول اللغـوي ٠
- ينصب معظم حديث الأطفال على الحاضر وقليل منه عن الماضي أو المستقبل ٠
- تدل دراسات بياجيه أن ٥٤ ـ ٦٠ ٪ من كلام الأطفال في سن (٣ ـ ٥) يكون مركزاً حول الذات ويقل تمركز الكلام حول الذات من سن (٥ ـ ٧) سنوات حتى يصل إلى ٤٥ ٪ حيث يصبح الكلام بعد ذلك متمركزاً حول الجماعة ٠
- ويعاني الأطفال الذين يتعلمون لغتين في وقت واحد صعوبة أكبر في تعلم اللغة
- تكون عيوب الكلام مثل التردد والترديد (التكرار) ·· الخ ٠ عادية حتى سن الرابعة تقريباً وعادة ما يتخلص الطفل من هذه العيوب فيما بين الرابعة والسادسة من عمره ٠ فإذا لم يتخلص منها أصبح شاذاً بالنسبة لمعايير النطق الصحيح ووجب عرضه على أخصائي علاج أمراض الكلام بالعيادة النفسية ٠

تطبيقات تربوية :

يجب على الآباء والمربين مراعاة ما يلي :

١ - أن التدريب على الكلام يساعد في النمو اللغوي ، وتبرز هنا أهمية القصص المناسبة ، حتى ولو كان لا يعرف جملة يسمعها ٠ ذلك لأنه أثناء السمع يكون في ذهنه صورة عامة لحوادثها وحوارها وأشخاصها ، وإن لم يعرف معنى كل كلمة ٠ وبذلك تزيد معارفه ٠ ويرقى في تخيله ٠

٢ - رعاية النمو اللغوي ، نمواً سوياً صحيحاً ، وتقديم النماذج الكلامية الجيدة والرد على أسئلتهم بما يتناسب ومستواهم العقلي ٠

٣ - الاهتمام بسعة قائمة المفردات وطول الجملة وسلامتها والإبانة وحسن النطق ٠

٤ - عمل حساب مشكلة العامية والفصحى واختلافهما عند تعليم الطفل الكلام ٠

خصائص لغة الطفل

سنعرض الآن الخصائص التي تتميز بها لغة الطفل في سن المدرسة الابتدائية حتى يفيد منها المهتمون بعلم نفس النمو كالمعلمين والمربين وأطباء الأطفال والآباء :

(أ) يغلب على لغة الطفل أن تتعلق بالمحسوسات لا المجردات :

عندما يبدأ الطفل تعلم الحديث يبدأ بما تقع عليه حواسه ، وبما يسميه اللغويون « أسماء الذات » كمقابل « لأسماء المعاني » فهو يتعرف أول ما يتعرف على « بابا » ، « ماما » ، « لبن » ، « رغيف » ... الخ .

فالأفعال والحروف لا تظهر في لغة الطفل الا بعد الأسماء المحسوسة أما الأسماء المعنوية مثل « حب » ، « حنان » ، « فرح » ، « نسيان » ... الخ فتتخلف كثيراً في ظهورها لأنها تقتضي خبرات معينة في مواقف معينة تهيىء للطفل عملية « « تعميم » وهذه القدرة لا تتأتى للطفل إلا متأخراً .

(ب) يغلب على لغة الطفل أن تتركز حول الذات :

وتعليل ذلك أن الطفل قبل سن الخامسة غير اجتماعي ، وتغلب عليه روح الأنانية ، فهو محصور في دائرة ضيقة من ذويه وأقاربه وهم يؤثرون بالحب والحنان ، ويمنحونه ما يريد فهو لديهم قرة العين .

وحيث أن خبرات الطفل في هذا السن محدودة لذلك نجده في حديثه يركز حول نفسه ، فمن حديث طفل عمره ٦ سنوات ، ٦ شهور أنا رحت مع بابا السوق وأنا قلت له : هات لي زمارة . وبعدين أنا بصيت لقيت واحد ماشي . وأنا خفت منه .

(جـ) يغلب على لغة الطفل السذاجة وعدم الدقة :

إذا نظرنا إلى قاموس الطفل نجده ينمو شيئاً فشيئاً خلال هذه المرحلة . ولكن قدرته على التعميم والتجريد قاصرة وكذلك خبراته قليلة ضحلة ومن المتوقع أن يشوب عدداً ضخماً من كلمات قاموسه اللغوي الغموض ، وأن يعوز معانيها التحديد ، ومن ثم يستخدمها الطفل استخداماً ساذجاً غير دقيق . فهناك مثلاً طفلة في الثالثة من عمرها تستخدم كلمة « يدخل » في كل من الدخول والخروج من الباب على السواء .. كما كانت تستخدم كلمة « خياطة » في لصق ورقتين أو قطعتين من القماش على السواء .

(د) للطفل مفاهيمه وتراكيبه الخاصة في الكلام :

تتكون مفاهيم الطفل عن الأشياء تبعا للخبرات التى يتعرض لها في حياته، وتكون مفاهيمه في أول الأمر مشوبة بالغموض وقصور التحديد ، وكلما زادت خبرته زادت هذه المفاهيم دقة ووضوحا وتحديدا .

فمثلا « كلمة بحر » تعنى بالنسبة للطفل في سن الثالثة أو الرابعة أى كمية من الماء تجمعت في مكان ما سواء في الحمام أو في أرض الحديقة ، أما في السادسة من عمره فإنه يعنى بها نفس الشىء ولكن في نطاق واسع فان (الترعة) و (النهر) و (البحيرة) و (البركة) كلها (بحر) في مفهوم هذا الطفل .

أما من حيث العبارات والتراكيب نجد الطفل يميل الى تكرار الكلمات والعبارات التى قد يكون القصد منه اللذة مثل تقليد صوت القطار . وقد يكون القصد منه التأكد . وما يؤيد ذلك .

طفل عمره ٥ سنوات ٨ أشهر :

« والعسكرى يحلأ عليه .. ويصفروا بالصفافير ... والراجل يقول : ياهوه .. ياهوه .. آخ .. آخ ..

طفل عمره ٥ سنوات ، ٩ أشهر :

« احنا نعمل صينية بطاطس في الفرن ، ونعمل صينية بقلاوة في الفرن ، ونعمل صينية بسبوسة في الفرن .

كما يميل الطفل تقديم المسند اليه ثم يذكر المسند مثل :

« الصبح ماما تدينى سندوتش مربى علشان ما اجعش في المدرسة وانا باسمع كلام الابله علشان ماتضربنيش ، وهيه بتحبنى وتقول لى كل يوم شاطرة يا « قمر » .. انت في المدرسة ست البنات .

ماما تدينى ...

انا باسمع كلام الابله ..

هيه بتحبنى ..

انت في المدرسة ست البنات ..

(النمو الانفعالى في الطفولة المبكرة)

تتميز انفعالات الطفولة المبكرة بأنها أكثر عمومية وأكثر شدة عن غيرها . فهى فترة عدم إتزان خاصة لو لم يكن الطفل محورا للاهتمام من الكبار ، حيث يصبح سهل الاستثارة . ينفجر غاضبا لأسباب تافهة وخاصة في بداية المرحلة .

وتحتد انفعالات الطفل بشدة وبصورة متكررة عما هو عادى وتتميز بثورات انفعالية وبمخاوف شديدة وغيرة غير معقولة . وترجع الانفعالات الحادة في جزء منها الى أثر التعب الناتج عن كثرة اللعب والنشاط وعدم حصوله على قسط وافر من النوم وقلة حصوله على ما يكفى من الطعام اللازم لإحتياجاته نتيجة لمقاومته الأكل في مواعيده . وأغلب انفعالات الطفل في هذه المرحلة ذات منشأ نفسي ويندر أن تكون ذات منشأ فسيولوجى ويشعر أغلب الأطفال أن بامكانهم القيام بأشياء أكثر مما يسمح به الآباء ولذلك يثورون ضد القيود التى يضعها الآباء على نشاطهم .

كما يغضبون عندما يجدون أنفسهم عاجزين عن القيام بما يعتقدون القيام به بسهولة ونجـاح .

وبإتساع البيئة الاجتماعية للطفل (ودخوله الحضانة أو رياض الأطفال) واللعب مع أطفال الجيران يظهر التوتر العصبى المصاحب لعملية التكيف . وكلما كان الطفل أصغر سنا وأقل خبرة كلما كان أميل لأن يكون أكثر توترا . وتبدو كثير من انفعالات الطفل غير معقولة في نظر كثير من الآباء ،وتعد مصدرا لكثير من المضايقة لأفراد الأسرة وغيرهم وقد يبذلون جهدهم لتجنب ثورة الطفــل .

تنوع انفعالات الأطفال :

تختلف شدة انفعال الأطفال لاختلاف حالتهم الصحية والبيئية كما تتأثر انفعالاتهم بأنماط السلوك الانفعالى التى استقرت في المهد . فالطفل الذى عاش في بيئة هادئة وكانت مطالبه فيها تشبع في الحال وبإستمرار نجده لا يعانى إلا قليلا من الانفجارات الانفعالية الحادة كلما تقدم في العمر ، على عكس الطفل الذى عاش في بيئة مملوءة بالضوضاء والاثارة والذى تعلم أن عليه أن يثور لكى يلبى الآخرون طلبه .

كما ان الطفل الذى تعود الا يأخذ حقه العادل من الاهتمام من الأم قد يقاوم بمرارة انشغالها بطفل جديد ويبدى ذلك في ثورات حادة من الغضبْ والغيرة .
وانقلاب الطفل من السعادة والهدوء الى التوتر والغضب إنما يحدث من الانقلاب الذى يحدث في بيئته .
ويلعب ترتيب الجنس وترتيب ميلاد الطفل في الأسرة دورا في التأثير على الحالة الانفعالية للطفل . فالطفل الأول يتمتع بمكانة تستحق الدفاع عنها أكثر من الطفل الثانى ولكن القيود التى يضعها الوالدان تعوقه عن تحقيق ذلك . أما الطفل الثانى فإنه يشجع من والديه على أن يدافع عن نفسه ، ولا يتردد في التعبير عن غضبه ويهاجم مباشرة . ويكون الضغط الانفعالى أشد عندما يكون شقيق الطفل من الجنس الآخر أو إذا كان الفارق في السن بينهما كبير بحيث لا يمكن أن يحصل هو وشقيقه على اهتمام متساو من الوالدين في الوقت الواحد . وعندما يتوقع الوالدان من الطفل أن يمتثل للمعايير التى وضعت له فانه سيمر بتوترات انفعالية أكثر من الطفل الذى يتسامح معه والداه .

الاتـزان الانفعـالى :

ليس من السهل أن نتحكم في البيئة بحيث تقل الخبرات الانفعالية غير السارة التى يمر بها الطفل إلى أدناها . ففى خلال الطفولة المبكرة حيث يزداد استقلال الطفل فانه يصبح أكثر عرضة للخوف والغضب والضيق والاحباط . فإذا ما تعرض لكثير من الخبرات الانفعالية غير السارة وقليل جدا من السارة كانت فيما بعد للحياة نظرة تشاؤمية ، من شأنها أن تشجع نمو الاستعدادات غير السارة ، وتصبح تعبيرات وجهه معبرة عن الفظاظة والتهجم ، وهي تعبيرات تقلل من مدى تقبل الآخرين له . ومن الممكن أن تصبح هذه المظاهر السلوكية عادة قوية فتعزل الفرد بالتدريج عن جماعته . ويجب أن نقلل من الانفعالات غير السارة الى أدنى حد بحماية الطفل من مسببات الخوف والغضب والغيرة والقلق كلما أمكن ذلك ، وباحداث توازن بين الخبرات غير السارة والخبرات السارة المرتبطة بالفرح والحنان والسعادة . وهذا لا يعنى أننا يجب أن نحمى الطفل من كل ما يبعث الانفعـالات غـير السـارة . بـل يعنـى أن نقللهـا الى درجـة معقولة أى عندما لا يكون منعها ممكنا .

أمور يجب أن يتعود الطفل عليها :

- أن يقول « من فضلك » .
- أن يقول « أشكرك » .
- أن يقول « أنا آسف » عندما يؤذى شخصا آخر .
- أن يجعل الكبار يتقدمونه في دخول أى مكان .
- أن يفتح الباب ويظل بجواره ممسكا به حتى يدخل الداخلون .
- أن يقف متأدبا عندما يدخل الكبار عليه .
- ألا يبدأ تناول الطعام إلا بعد أن يبدأ الكبار .

الحالات الانفعالية الشائعة :

يمر صغار الأطفال بأغلب الخبرات الانفعالية المميزة للبالغين على الرغم من أن المثيرات التى تثيرها ، وطرق التعبير عنها تختلف بوضوح . ونعرض فيما يلى إلى أهمها : -

الغضـــب :

يعد الغضب أكثر الانفعالات حدوثا في الطفولة المبكرة لكثرة المواقف المثيرة للغضب في حياة الصغير ، ولأن كثيراً من الأطفال يكتشفون أن استخدام الغضب طريقة سريعة وسهلة لتحقيق مطالبهم . وأكثر المواقف اثارة لغضب الطفل هى مواقف الصراع على أدوات اللعب ، الصراع حول عملية الاخراج ، وارتداء الملابس ، التدخل في الأنشطة المحببة للطفل ، عدم تلبية رغباته ، وهجوم طفل آخر عليه ، إستيلاء طفل آخر على شىء يرغبه أو النداء على الطفل بأسماء غير مستحبة لديه . وتلعب البيئة الاجتماعية للطفل وبخاصة المنزل - دورا هاما بالنسبة لتكرار غضب الطفل وشدته ؛ كأن يوجد ضيوف كثيرون بالمنزل أو أخوة كثيرون .

كما أن للنظام التربوى المتبع مع الطفل ولطرق التدريب التى يستخدمها الوالدان تأثيرا هاما على شدة الغضب وتكراره . فعند محاولة الآباء تعديل الاستجابات الطبيعية للطفل الى استجابات اجتماعية مقبولة فإنه يميل الى الغضب . وعندما يغضب الطفل الصغير فانه يعبر عن غضبه في صورة حادة من الغضب - فيبكى ويصرخ ويدق الأرض بقدميه ويركلها ويقفز لأعلى ولأسفل ، ويضرب رأسه أحيانا في أى شىء ويرمى نفسه على الأرض وقد يمنع التنفس ويتصلب جسمه كالمتشنج .

وبوصول الطفل الى سن الرابعة تهدأ انفعالات الغضب نسبيا ، فإنفجارات الغضب الحادة تصل الى قمتها فيما بين الثالثة والرابعة،بحيث نجدها في نهايةهذه المرحلة أقصر في مدتها ، ويحل محلها مظاهر أخرى مثل : العبوس والأنين ، ولا

تستغرق أغلب ثورات الغضب أكثر من ثلاث دقائق ويلاحظ أن البنات فيما قبل الثالثة من العمر يكن أكثر اظهارا لثورات الغضب من البنين وينعكس الوضع بعد الثالثة فيصبح غضب الأولاد أكثر حدة وتكرارا .

الخــوف :

يخاف الطفل في هذه المرحلة من أمور عديدة أكثر من طفل المهد أو طفل ما بعد ذلك .

ويمكنه نموه العقلى من التعرف على المخاطر الكامنة في المواقف المختلفة بعد ان كان لا يتعرف عليها قبل ذلك . فهو يخاف المواقف الجديدة ولكن الخوف يتلاشى عندما يألفه . وتنمو استجابة الخوف بنمو الطفل ، ويصبح الخوف أكثر تحديداً ، ويتضمن الهرب والاختفاء ، تجنب المواقف المخيفة والتفوه ببعض الألفاظ المعبرة عن ذلك (مثل : ابعدوه عنى - لا أريد الذهاب - لا أقدر على القيام بذلك) ، والصراخ والأنين الذى يصاحب استجابات الخوف .

ويلعب الاقتران الشرطى والتقليد وذكرى الخبرات غير السارة دورا هاما في تكوين المخاوف بين الأطفال الصغار . فالقصص والصور التى تحتوى على عناصر مخيفة في برامج الراديو أو التلفزيون أو السينما تعد أساسا لكثير من مخاوف الأطفال - وتنشأ كثير من المخاوف عن طريق تقليد مخاوف الآخرين . فكثيرا ما نلاحظ وجود علاقة بين مخاوف طفل ما قبل المدرسة ومخاوف الأم . كما تنشأ كثير من المخاوف نتيجة المرور في خبرات غير سارة كالخوف من الأطباء وأطباء الأسنان .

وتقل حدة المخاوف وعددها كلما تقدم الطفل في العمر نتيجة اكتشافه أنه لا يوجد ما يخيف في المواقف التى كان يخاف منها وذلك لما يلى :

أ - الضغوط الاجتماعية التي تضطره الى اخفاء مخاوفه .

ب - تجنب سخرية الآخرين منه .

جـ - تقليد الاخـرين .

د - توجيهات الكبار للطفل نحو تفضيل أو عدم تفضيل أشياء سبق الخوف منها .

وبانخفاض شدة المخاوف وعددها يبدأ نوع من القلق في الظهور ـ هذا القلق ناشئ عن حالة من عدم الاستقرار العقلى المؤلمة مرجعها توقع المرض . وكثيرا ما يرتبط هذا القلق بعدم شعور الطفل بالأمان في المنزل . ففى حالة موت الأب على سبيل المثال ـ يشعر الطفل كما لوكان الأب قد هجره وتخلى عنه ولا يعرف السبب . وقد يحدث تعميم لهذه الحالة العقلية المضطربة فتأخذ شكل قلق عام حيث يستجيب الطفل بدرجة معتدلة من الخوف لأى موقف يتصور أنه فيه ما يهدده . ولكى يتخلص الطفل من المشاعر غير السارة الباعثة للقلق قد يصبح الطفل جبانا وانسحابيا ، وبذلك يتحرر من مهددات أمنه المصاحبة للقلق .

الغـــيرة :

الغيرة هى نوع من الإستياء الموجه نحو الناس يظهر في المواقف الاجتماعية وبخاصة تلك المواقف التى تتضمن من يحبهم الطفل . وتنشأ الغيرة لدى الطفل الصغير عندما يتحول اهتمام الآباء أو من يهتمون بالطفل الى شخص آخر وبخاصة وصول طفل جديد في الأسرة . ، وتظهر الغيرة عادة فيما سن ٢ ـ ٥ من العمر . ومع أن بعض الآباء يخبرون الطفل بقرب وصول شقيق له ـ لكن ذلك قد لا يجنبه الغيرة .

وقد يغار الطفل الصغير من شقيقه الأكبر الذى يحظى عنه بكثير من الامتيازات،منها مكانته لدى والديه . وقد يغار من شقيق آخر لأنه بسبب المرض يحظى برعاية أكثر من والديه . وقليلا ما يغار الطفل من أطفال آخرين خارج منزله لأن احتكاكه بهم قليل ومحدود عما هو قائم بينه وبين أشقائه .

وفي بعض الأحيان يغار الطفل الصغير من والديه ، حيث يتكون لديه اتجاه نحو تملك الأم ، وذلك راجع لارتباطها المستمر بالطفل كما أنه يقاوم حبها للأب ـ وتعبر الغيرة عن نفسها بنفس طرق التعبير عن الغضب ـ بتوجيه مظاهرها نحو شخص آخر ، وهو الفرد الذى يعتقد الطفل أنه قد احتل مكانته لدى من يحبونه . وتسبب الغيرة أحيانا حالة من النكوص الى اشكال طفلية من السلوك المتميز لمرحلة سابقة مثل مص الأصابع والتبول اللاإرادى وزيادة السلوك السىء وجذب

انتباه الآخرين برفض الأكل عن طريق التظاهر بالمرض أو الخوف ٠ وتشير الدراسات والملاحظات الى أن الغيرة تكثر بين البنات عن البنين ٠ كما تظهر الغيرة لدى الطفل الأكبر بكثرة وبعنف عن أشقائه الأصغر منه٠وتكثر مظاهر الغيرة في الأسر الصغيرة العدد عن الكبيرة العدد ٠ كما تكون أشد عندما تزداد الفروق في الأعمار بين الأشقاء ٠

حب الاســتطلاع :

يهتم الأطفال بكل ما تقع عليه أعينهم داخل المنزل وخارجه ما دام جديدا عليهم ٠ ويزداد فضولهم بالنسبة لأجسامهم وأجسام غيرهم من الأطفال والكبار « ماو ، ماو » « Maw & Maw » فهم يحبون أن يعرفوا لماذا تختلف الأجسام وكيف تعمل ٠ والطفل يستجيب للأشياء الجديدة والقريبة والمتعارضة بالتحرك نحوها واستكشافها ٠ اننا نلمس فيه دائما الحاجة والرغبة لأن يعرف الكثير عن نفسه وحول بيئته ؛ فيفحصها بدقة باحثا عن خبرات جديدة ، ويثابر في فحصها واستكشافها حتى يعرف عنها الكثير ٠

وتضع الضغوط الاجتماعية المنصبة على الطفل في صورة تحذيرات وعقاب نهاية لبعض أنواع الاستكشافات الحسية الحركية التى يشغل الطفل بها نفسه في كثير من الأحيان ، ولكن عندما تزداد قدرته على وضع الكلمات بجانب بعضها لتكوين جمل ذات معنى فإنه يبدأ في التساؤلات التى لا نهاية لها ٠

ويبدأ سن كثرة الأسئلة بين الثانية والثالثة من العمر ويصل الى أقصى قمته في سن السادسة ٠ وعندما يجاب الطفل على أسئلة فاننا نرضى فضوله ٠ أما عندما لا نجيبه اجابة شافية أو لم نجب كلية فان فضوله يحبط ٠

ويتميز الأطفال الأكثر ذكاءا بفضول أكبر وأقوى وأنشط في استكشاف بيئتهم ويسألون أسئلة أكثر مما يسأله الأطفال الأقل ذكاءا ٠ وقد يمنع الخوف بعض الأطفال من تحقيق رغبتهم في حب الإستطلاع ٠ لكن كلما كان الطفل أكثر أمنا كلما عبر عن حب إستطلاع أكثر ٠ وتميل البنات لأن يكن أقل فضولا من البنين بسبب القيود التى يضعها الآباء عليهم ٠

المـــرح :

يمكن أن نسمى سعادة الطفل في هذه المرحلة بالمرح أكثر من كونه سرورا أو بهجة وكلاهما يمثلان حالات معتدلة من الانفعال . وهناك مصادر عديدة لمرح الطفل وكثير من الأشياء التى تضحكه . فالحالة الجسمية الطيبة والمواقف المتناقصة والأصوات المفاجئة أو غير المتوقعة والكوارث البسيطة أو النكتة جميعها تضحكه . كما أن هناك مواقف تؤدى الى شعوره بالتفوق وتزيد من سعادته مثل اغاظة الآخرين والمزاح مع الأطفال الآخرين والبالغين ووضع الآخرين أو الحيوانات في مأزق . ويمكن للطفل الصغير أن يفهم المتناقضات والقفشات المرحة وتذوق النكتة الخفيفة ويجد فيها تسلية سواء كانت في التلفزيون أو السينما أو الرسوم المتحركة . وأحد مظاهر المرح في الطفولة المبكرة هو الانجاز خاصة عندما يحققه ببذل أقصى جهد من جانبه .

وتتكون استجابة المرح من الابتسام والضحك والقهقهة والتصفيق بالأيدى والقفز لأعلى وأسفل وعناق الشىء أو الشخص الذى أثار هذا الانفعال . ويعتمد الأسلوب الذى سيعبربه الطفل عن مرحه على شدة الإنفعال وعلى الضغوط الاجتماعية المنصبة عليه لضبط سلوكه .

الحـــب :

يتعلم الطفل الصغير أن يحب أولئك الذين يقدمون له المتعة والإشباع ولا يقتصر الحب على الناس بل يشمل الحيوانات والأشياء غير الحية فكلها تستدعى تعبيرات عاطفية . وتوضع أسس التقمص العاطفى في هذه السن . وهو يمثل تلك الرابطة الوجدانية التى تربط الطفل بالناس المهمين في بيئته . ويعتمد قيام هذه الرابطة الوجدانية وتعلم هذا الارتباط على الطريقة التى يعامله بها الآخرين . والطفل الذى لا يتلقى الحب من الآخرين سواء كانوا من أفراد أسرته أو من خارجها يميل لأن ينغلق على نفسه فيحبها ويقل تبادله للحب مع الآخرين .
كذلك من الخطر أن تقوم علاقة حب قوية بين الطفل وبين شخص واحد وبخاصة أحد الوالدين . ويذكر جاريسون Garrison ١٩٥٩ م أن الحب طريق ذو اتجاهين ويكون أفضل عندما يكون أخذ وعطاء . ويؤدى النبذ المستمر

من المنزل الى عدم نمو قدرة الطفل على منح الحب ، وقد يدفعه ذلك الى البحث عن الحب من أفراد آخرين خارج المنزل . ويؤدي الحب الزائد الى نتائج ضارة كنقص الحب أو النبذ . وقد يؤدى الحب الزائد لأحد الوالدين أو كليهما الى منع الحب عن أقرانه من الأطفال .

وهناك نتيجة خطيرة للرابطة الوجدانية الثنائية بين الطفل والوالدين ، هى أنها تعرضه للشعور بعدم الأمن والقلق إذا كان سلوك الوالدين يحمل في طياته التهديد ، كما في حالة توبيخه عندما يخطىء ، أو عندما يولى الوالدان اهتمامهما بشقيق آخر . وعندما يستمر الطفل معتمدا على الآباء كمصدر للحب أو على أحدهما فقط . يجد أنه من الصعب عليه أن يقيم علاقات صداقة بالأطفال الآخرين .

وتكثر التعبيرات اللفظية عن الحب بين الأطفال إذا ما قورنت بالتعبيرات الجسمية ويحبون ملازمة الشيء المحبوب باستمرار ، كما يشعر الطفل بالحب تجاه لعبه ودميته بنفس الطريقة التى يشعر بها نحو الأشخاص المحبوبين . فيجب أن يأخذ لعبته معه الى السرير .

وبإنتقال عاطفة الحب من أعضاء الأسرة الى خارجها تظهر تغيرات في طريقة التعبير عن الحب - من السعى وراء الأمن والحب من الآخرين الى البحث عن الإنتباه والقبول من الآخرين .

وتميل البنات لأن يكن أكثر عاطفة من الأولاد . ويختار كل منهم موضوعا للحب من الأقران أو من الكبار من نفس الجنس أكثر من الجنس الآخر .

سمات الشخصية التى يجب أن تشجع في الأطفال

- المرح	- الثقة بالنفس
- الحماس	- تأكيد الذات
- الفكاهة	- التعاون
- الشجاعة	- الروح الراضية
- عدم الأنانية	- الطموح
- مشاطرة الآخرين وجدانيا	- القناعة المعقولة
- الهدوء	

النمـــو الإجتمـاعى

بالنسبة لمدرج النمو الاجتماعى فإن الطفولة المبكرة هى المرحلة التى تسبق مرحلة تكوين شلة الرفاق وهى المرحلة التى يتعلم فيها الطفل أسس تكوين العلاقات الاجتماعية ويتزود فيها بالتدريب والخبرات اللازمة ليصبح عضوا في جماعة معينة من جماعات الأطفال . ومن الطبيعى أن يتزايد عدد الصلات التى تقوم بين الطفل وبين أقرانه عاما بعد عام ، وتزداد فرص اللعب والحديث مع بعضهم البعض .

ونوع العلاقات القائمة بين الأطفال يعد أهم من عددها ، فلو كانت هذه العلاقات سارة حتى ولو كانت عرضية ستؤثر في اتجاهاته نحو الاتصال الاجتماعى في المستقبل أفضل مما لو كانت صلاته الاجتماعية كثيرة ولكنها من نوع غير مرغوب أو محبوب . كما سيكون للنتائج السارة لخبراته الاجتماعية أثر مشجع له على الاستفادة من الفرص المتاحة لأقامة علاقات جديدة

العوامل المساعدة على النمو الاجتماعى :

وكلما نما الطفل ، اتسع مجاله الاجتماعى ليشمل بالاضافة الى الوالدين والأخوة والأخوات والأقارب الجيران وزملاء اللعب وغيرهم خارج دائرة المنزل والأسرة . وكثيرا ما تكون الخبرات الاجتماعية الأولى التى يكتسبها الطفل خارج المنزل مسببة لاضطرابه انفعاليا وبخاصة لو كان الطفل أقل عمرا من الأطفال الآخرين الذين يرتبط بهم ، فقد يغيظونه ويسيطرون عليه . ويتوقف نجاح تكيف الطفل مع العلاقات الاجتماعية الخارجية على نوع خبراته الاجتماعية التي مر بها في المنزل . فالأطفال الذين نشأوا في ظل ديمقراطية في المنزل أكثر نجاحاً في علاقتهم الاجتماعية الخارجية عن أولئك الذين نشأوا في ظل إسلوب تسلطي .

كما أن وضع الطفل في الأسرة كأن يكون الأول أو الأخير أو الوحيد ـ ونوع العلاقة مع الأشقاء كلها عوامل تؤثر على توافقه الاجتماعى خارج المنزل .

فالطفل الصغير الذى يتعلق بوالدته وجدانيا برباط قوى تكون علاقاته بزملائه ضعيفة ولا يتمتع بشعبية بينهم ، وكثيرا ما ينبذه زملاؤه .

أما توجيه الطفل من صغره نحو اقامة علاقات اجتماعيّة سليمة يجعله أكثر سعادة مما يزيد من رغبته في تكرار هذه العلاقات ، ومحاولة تعلم السلوك بطريقة مقبولة اجتماعية حتى يزيد تقبل زملائه له .

أشكال السلوك الإجتماعى في مرحلة الطفولة المبكرة :

إن أهم أشكال السلوك الإجتماعى الضرورى للتوافق الإجتماعى تظهر وتبدأ في النمو في هذه المرحلة ؛ وهى لا توجد بالدرجة التى تكفى لنجاح الطفل في حياته الاجتماعية في بداية هذه المرحلة . فالطفل في سن الثالثة من العمر لا يدخل في تفاعل اجتماعى مع الأطفال الآخرين إلا قليلا جدا - ويزداد هذا التفاعل تدريجيا بعد الثالثة ، حيث تعد الفترة الممتدة من الثالثة حتى السادسة أهم فترات التطبيع الإجتماعى للطفل . حيث تظهر صفات مثل السيطرة والقيادة والخضوع والإعتماد والإنسجام مع الآخرين ، أو الطاعة والإذعان لرغبات الآخرين وجميعها تعتمد على البيئة وعلاقات الطفل بها . وتشير الدراسات التتبعية للأطفال ان اتجاهاتهم وسلوكهم الاجتماعى الذى تكون في الطفولة المبكرة يظل كما هو دون تغير هام بتقدمهم في العمر . وتتميز بعض أنواع السلوك الإجتماعى للأطفال بأنها غير اجتماعية والبعض الآخر بأنها اجتماعية ، وجميعها هامة لعملية التطبيع الإجتماعى للطفل نذكر منها :-

١ - السلبية :

ان مقاومة سلطة الكبار تبدأ في المهد - ويفسر ماكفرلين (Mc Farlane ١٩٥٤ ذلك قائلا : ان السلبية هى خليط من تأكيد الذات وحماية الذات ومقاومة للضغوط المتزايدة . والأطفال يتعلمون أن المقاومة هى أحسن طريقة ضد عملية التدريب الغربية .

وتعد السلبية في سن الثالثة حالة طبيعية في نمو الذات ، وتصل الى قمتها فيما بين الثالثة والرابعة وبعدها تقل كثيراً . ويصبح الطفل السلبي أكثر تعاوناً عندما يعرف حدود نفسه كفرد ، وعندما يتعلم ان يحصل على الارضاء من الإذعان لرغبات الآخرين . وتظهر السلبية حتى بين أحسن الأطفال تكيفا - ولكنها تكون أقل تكرارا وحدة منها لدى الأطفال الأقل تكيفا .

وتتكون الصور العادية للسلبية من استجابات لفظية وحركية وصمت . وعندما يكبر الأطفال يتظاهرون بأنهم لم يسمعوا أو لم يفهموا ما طلب اليهم ، أو يضيعون الوقت في الأعمال الروتينية أو يهملون القيام بها . وتقل المقاومة البدنية فيما بين الرابعة والسادسة حيث تزداد الأشكال اللفظية .

٢ ـ التقليـــد :

أول صور التقليد يستخدم فيها الوالدين كنموذج . وعندما يبدأ الاهتمام بالأطفال الاخرين يقلد الطفل كلامهم وأفعالهم وانفعالاتهم محاولا بذلك أن يتطابق معهم . ولا يقلد الطفل أى فرد يتصل به بل انه يقلد اولئك الذين تربطه بهم روابط وجدانية ، والذين يريد هو التوحد معهم . فلو وجد الطفل أن علاقته بالأم مرضية له سيقلد كلامها وأفعالها ، ثم يتقبل بعد ذلك ميولها وقيمها . وبنفس الطريقة ينتقى الطفل واحدا ممن يستمتع باللعب معهم ليتوحد معه وغالبا ما يكون هذا الفرد زعيم جماعة اللعب . وعندما يكبر في السن يصبح أميل لإتباع انماط السلوك الخاصة بالجماعة أكثر من تلك الخاصة بفرد . وعندما تكون علاقة الطفل وثيقة بأحد اشقائه الكبار ـ خاصة من نفس الجنس ـ فانه يصبح نموذجا للتوحد معه .

٣ ـ المنافســة :

تظهر رغبة الطفل في التفوق على الآخرين من العام الرابع من العمر . ويعتبر تفاخر الطفل بممتلكاته نوعا من المنافسة وهو سلوك لا يحدث عادة إلا في وجود آخرين وعادة ما يكونوا من البالغين الذين يود الطفل جذب انتباههم ،

والمنافسة ظاهرة كثيرة الحدوث في المنزل خاصة في وجود أشقاء غيورين ، كما يكثر حدوث المنافسة في الأسر التى توجد فيها أطفال من الجنسين أو حيث توجد أم تفضل أحد الأطفال على غيره .

٤ ـ العـــدوان :

يعد العدوان استجابة طبيعية للاحباط ، ويتميز بالقوة بين الأطفال الذين يسعون وراء السلطة والسيطرة أو الذين توحدوا مع راشد عدوانى . ويتميز الأولاد بأنهم أكثر عدوانا من البنات . ويكون تعبير الأطفال المحبوبين عن عدوانهم على زملائهم من خلال اللعب ، أما الأطفال غير المحبوبين فيميلون الى مهاجمة أى شخص يتواجد معهم سواء يستحق أو لا يستحق ذلك . وكلما كان الطفل أكثر معرفة بالأطفال الآخرين كلما كان أكثر عدوانا ، وكذلك عندما يوجد أحد البالغين الذين يحب الطفل أن يجذب انتباهه . ويزداد عدوان الأطفال فيما بين الثانية والرابعة من العمر ويقل بعد ذلك حيث تزداد اتجاهات الصداقة والحب للأطفال الآخرين من العمر ، كما تزداد الخبرات الاجتماعية .

وعندما يصل الطفل الى سن الرابعة أو الخامسة من العمر فانه يعبر عن العدوان لفظيا في أكثر الأحيان ويقل التعبير الهجومى البدنى . وكلما كان الطفل أصغر كلما زاد الهجوم البدنى والبكاء ، وكلما ازداد نموا فان الهجوم اللفظى يتخذ شكلا جديدا هو كلمات التحقير والتأنيب للآخرين . وقد يهاجم بطرق غير مباشرة كالنميمة والوشاية للكبار عما فعله الطفل الآخر .

٥ ـ الشـــجار :

عندما يتشاجر الطفل يسلب ممتلكات الطفل الآخر ويدمر ما صنعه وقد يصرخ ويبكى ويركل ويضرب ويعض . وتتميز اندفاعاته بالشدة وبأنها قصيرة الأمد . وبعد أن ينتهى الشجار ينساه الطفل ، وتعود علاقات الصداقة التى كانت سائدة من قبل .

ويبدأ الشجار عادة بين الأطفال عند الصراع من أجل تملك شيء ما كاللعبة مثلا ، أو عندما يغيظ بعضهم الآخر . ويشيع الشجار بين الأشقاء في الأسرة الواحدة خلال الطفولة المبكرة ، وكلما كان الوالدان متسامحان كلما كان الشجار بين الأشقاء أكثر . ويصل الشجار في سن الثالثة الى أقصاه ، بعدها يتناقص عدده وشدته تدريجيا نتيجة لإزدياد التوافق الاجتماعى . والأولاد أكثر شجارا من البنات . ويتشاجر أطفال الطبقة الإقتصادية الإجتماعية المنخفضة أكثر من أطفال الطبقة العليا . لكن كلما كانت علاقات الطفل الإجتماعية بالأطفال الآخرين كثيرة كلما زاد الشجار . وللشجار قيمة اجتماعية هامة ـ هى أنه يعلم الطفل الموقف الذى يتسامح فيه الآخرون أولا يتسامحون فيه .

٦ ـ التعـــاون :

يتميز الأطفال الصغار بتمركزهم حول الذات وبكثرة شجارهم ، لذلك قليلا ما نجد التعاون قائما بينهم أثناء اللعب مع الأطفال الآخرين ، وحتى تعاونهم مع الكبار قليل أيضا لأن الكبير أميل لأن يمنح ويسمح للطفل بأن يأخذ ما يريد . وتزايد تعاون الطفل في اللعب والأنشطة الأخرى بوصوله الى الثالثة يتكرر ويطول مداه . وعن طريق التدريب يتعلم الطفل كيف يكون التعاون مع الأطفال الآخرين ، وكيف يلعب معهم بطريقة يشيع فيها الانسجام . وكلما قويت علاقات الصداقة بين الأطفال كلما ازداد التعاون بينهم في لعبهم .

٧ ـ الســـيطرة :

يتميز كل الأطفال الصغار بميل قوى نحو السيطرة ، فالطفل يحاول أن يوجه وأن يؤثر على سلوك زملائه . ومن سن الثالثة فأكثر يزداد الميل للسيطرة بازدياد فرص الاتصال الجماعى ، ويصل الى قمته حوالى سن الخامسة . ويعتمد شكل السيطرة اذا ما كانت تسلطا أو قيادة على أسلوب التفاعل في بيئة الطفل . وتتميز البنات بأنهن أكثر سيطرة على جماعة اللعب من الأولاد في سنوات ما قبل المدرسة .

٨ ـ الأنانيــة :

تصل الأنانية الى قمتها فيما بين الرابعة والسادسة من العمر . وليس من المستغرب عندما كان الطفل محورا لانتباه كل من حوله ان يكون متمركزا حول نفسه وان يرغب في أن تسير الأمور كما يشتهي.لكنه بعد أن يتعلم من اللعب مع الأطفال الآخرين أن الأنانية معوق له ، فانه يحاول أن يخفى ميوله الذاتية لتحل محلها ميول متصلة بالجماعة . وهنا يبدوأكثر كرما ويصبح مستعدا لأن يشرك الآخرين في اللعب بخصوصياته . ولكن الكرم والسخاء هنا ما زال في صورة أولية

٩ ـ العطــف :

يحتاج العطف لفهم مشاعر وانفعالات الآخرين . ويلاحظ أن طفل الثالثة يميل الى العطف على أولئك الذين تبدو عليهم التعاسة واضحة كمن يربط ذراعه بالأربطة والشاش المصبوغ باليود والجرحى ومن هم في حالة توعك بدنى كمن وقع من دراجة أو الطفل الذى اعتدى عليه آخر وغير ذلك .
ويبدى الطفل عطفه بمحاولة مساعدة الآخرين ، أو بمحاولة استبعاد أسباب الألم والحزن أو بحماية أولئك المغلوبين على أمرهم ، أو بتحذير الآخرين . أو بوضع واقتراح حلول لمشاكلهم . وتحدث في بعض الأحيان استجابات غير عطوفة كالضحك على الشخص المتألم أو الحزين .

عوامل هامة في النمو الاجتماعى :

(١) ـ التقبل الاجتمـاعى للطفل .
يعد تقبل الكبار للطفل أهم بكثير من تقبل الأطفال الآخرين له . فالطفل الصغير يسعى وراء اهتمام الكبار به عن طريق حركاته وأسئلته وتعليقاته واستجاباته الفورية لملاحظاته الظاهرية . ويميل الأولاد الى جذب اهتمام النساء أكثر من الرجال وعلى عكس طفل مرحلة المهد الذى يخاف الغرباء نجد طفل هذه المرحلة متأثرا بوجود الغرباء أكثر من الآباء .

وبتزايد ميل الطفل نحو الجماعة تصبح الرغبة في تقبل زملائه له هامة جدا أكبر من تقبل البالغين له وقد يؤدي ذلك بالطفل لأن يصبح أكثر شغبا ومثيرا للاضطربات . ومما يثير السلوك غير المقبول اجتماعيا من الطفل هو تفضيله لتقبل زملائه له على تقبل الكبار له .

(٢)- الإنفصال بين الجنسين :

يلعب الأطفال من الجنسين معا حتى سن الرابعة في انسجام دون أى تفضيل منهما لأحد الجنسين على الآخر ، أما بعد الرابعة فإن التمايز بين الجنسين يبدأ في الظهور ويصبح واضحا بعد الخامسة من العمر . حيث يبدأ الأولاد في تفضيل أنواع معينة من الألعاب من أفراد من نفس الجنس ، وأنواع أخرى من الألعاب مع أعضاء من الجنس الآخر . ثم يتجهون بعد ذلك في كل العابهم لأن تكون مع نفس الجنس مع ميل لمعاملة أفراد الجنس الآخر بترفع ان لم يكن بإزدراء .

أهمية مشاركة الطفل في مسئوليات المنزل في الطفولة المبـكرة

- تعلم الإنجاز .
- تعلم إشتقاق متعة من خلال العمل .
- تعلم التعاون مع الآخرين في آداء عمل ما .
- إحداث توازن بين اللعب والعمل .
- الشعور بأنه جزء هام من كيان الأسرة .
- الشعور بأنه قد كبر بدرجة تمكنه من القيام بما يفعله أعضاء الأسرة الآخرين .
- وضع أسس التعاون الفعال في مواقف اللعب مع الأطفال الآخرين .

ويعتمد مدى اتساع المسافة بين الجنسين على العدوان القائم بين الأطفال الذكور تجاه الإناث ·

الطفل وجماعة الرفـــاق :

يعد مجتمع الصغار من الجماعات الأولية حيث التشابه كبير ، وحيث توجد القدرة على تنظيم السلوك أو منعه بين الأعضاء ، كما يوجد تعزيز للسلوك أو عدم تعزيزه بينهم ، وتعد جماعة الرفاق ثانى الجماعات الأولية التى ينتمى اليها الطفل ، ولذا فلها أهميتها في تشكيل معتقدات الطفل وسلوكه ·

وهناك ثلاث متغيرات هامة في دراسة جماعات الرفاق هى :

١ ـ تطور اندماج الطفل في جماعة الرفاق وتطور أنواع النشاط فيها ·

٢ ـ تقبل جماعة الرفاق للطفل ·

٣ ـ الوظائف التى تلعبها جماعة الرفاق في عملية التطبيع الإجتماعى للطفل ·

أولا ـ تطور اندماج الطفل في جماعة الرفـــاق

كلما تقدم العمر بالطفل تغيرت مطالب النمو بحيث تصبح ذات طبيعة اجتماعية · وتزداد عملية التطبيع الاجتماعى في أهميتها بالتالى حيث يتحول الطفل من التركيز حول الذات في مطالبه وحاجاته وعجزه عن تأخير عملية الإشباع أو تحمل تدخل الآخرين في شئونه ، الى الاهتمام بالآخرين وأن يصبح قادرا على تأجيل أو رفض الإشباع أحيانا إذا كان في ذلك خير للآخرين ·

وهناك أسباب هامة وعديدة لعدم تفاعل الطفل مع أقرانه بطريقة صحيحة منها :

أ ـ كثرة الأمور التى تلهيه وينصرف اليها انتباهه ·

ب ـ قلة تسامحه مع عوامل الاحباط ·

جـ ـ ضعف قدرته على تحمل تأجيل الإشباع ·

د ـ نقص المهارات اللازمة للإتصال بالآخرين ·

كل هذه النواحى من القصور هى التى تجعل الطفل عاجزا عن أن يهتم بالآخرين . ولم تنم بعد قدرته على ادراك وتمييز طباع الآخرين ودوافعهم ومشاعرهم ، لذا فإنه يقع فريسة للصراعات الحتمية الناشئة من التفاعل الاجتماعى . وتقل صعوبات ومشاكل الفرد عندما يتمكن من وضع نفسه مكان الآخرين وتقمص حالاتهم الانفعالية .

ويذكر باركر ، رايت Parker & wright (١٩٥٥) ما يلى :
يدخل الأطفال في سن الخامسة أثناء اللعب في صراعات مع زملائهم حوالى ٢٠ مرة في اليوم ، وينجحون في حل أغلب هذه الصراعات وإذا ضربنا الرقم السابق في ٣٦٥ يوما تكون المحصلة ٣٧٠٠ صراع في السنة بين أطفال نفس العمر . لكن الطفل يتعلم من خلال هذه الصراعات تدريجيا ، وعبر السنين كيف يمكن أن يكون دبلوماسيا . فمن خلال نمو القدرة على الفهم والمهارات الاجتماعية كنتيجة للتفاعل مع زملاء نفس العمر . يصبح الطفل قادرا على الاشتراك مع زملائه .

وعندما درست بارتن Partin (١٩٢٩) سلوك اللعب لدى الأطفال في الأعمار المختلفة (من سن ٢- ٤ سنوات ، ١١ شهرا) أمكنها أن تصنف اللعب طبقا لمقدار السلوك الاجتماعى المتضمن الى ست فئات هى : -

١ - اللعب الخالى تماما من السلوك الاجتماعى Unoccupied Behaviour

فيبدو أن الطفل لا يلعب بالمرة . ولكنه يشغل نفسه بمشاهدة شيء ما جذب انتباهه مؤقتا . وعندما لا يكون هناك ما يثير فانه يلعب بجسمه كأن يصعد على كرسي ثم ينزل منه أو يدور هنا وهناك ، أو يتبع شخصا يتحرك ، أو يجلس في مكان معين من الغرفة محدقا النظر فيما حوله .

٢ - اللعب الانفــــرادى : Solitary Play

حيث يلعب الطفل وحده مستقلا عن الآخرين بلعبه التى تكون مختلفة عن تلك التى يستخدمها الآخرون ولا يتكلم معهم الا قليلا جدا ولا يبذل أى جهد للتقارب . أو للحديث مع الأطفال الآخرين . ويتمركز اهتمامه على نشاطه ويستمر فيه غير مبال بما يفعله الآخرون .

٣ - سلوك المتفرج : On looker behaviour

يقضى الطفل معظم أوقاته في مشاهدة الآخرين وهم يلعبون . وكثيرا ما يتحدث للأطفال الذين يلعبون ويسأل أسئلة أو يقدم مقترحات ولكنه لا يشترك في اللعب . ويقف أو يجلس على مقربة منهم بحيث يرى ويسمع كل ما يجرى . وهو في ذلك يختلف عن الطفل في الحالة الأولى الذى يلاحظ أى شيء مثير يحدث حوله ولا يهتم بجماعة الأطفال .

٤ - اللعب المتمـــاثل : Paralled Play

حيث يلعب الطفل مستقلا عن الآخرين ، ولكن النشاط التى يختاره يضعه بطبيعة الحال بين الأطفال الآخرين . فهو يلعب بلعب تشبه تلك التى يلعب بها الآخرون المحيطون به ولكنه يلعب بها كما يحلو له ولا يحاول أن يؤثر على نشاط الأطفال الآخرين . فهو يلعب بجانبهم وليس معهم .

٥ - اللعب المشـــترك : Associated Play

حيث يلعب الطفل مع الأطفال الآخرين ، وهناك تبادل لمواد اللعب ويتبع كل منهم الآخر في التحرك بلعبته كما توجد درجة معقولة من المحاولات التى يقوم بها البعض لضبط عملية اللعب في الجماعة . فالكل يشغل نفسه بنشاط متشابه ان لم يكن متماثل . لكن ليس هناك تقسيم عمل أو تنظيم للنشاط . فكل طفل يعمل كما يحلو له ولا يخضع ميـوله للجماعة .

٦ - اللعب التعاونى أو المنظم : Coopatative or Organized Play

يلعب الطفل في جماعة منظمة من أجل تحديد وسائل اللعب ، من أجل تحقيق هدف معين يتنافسون عليه ، أو من أجل تمثيل أدوار الكبار في حياتهم الجماعية ، أو من أجل لعب مباريات رسمية . وهناك نوع من الانتماء أو من أجل لعب مباريات رسمية . وهناك نوع من الانتماء أو من عدم الانتماء للجماعة

- ويتحكم في الجماعة واحد أو اثنين من أعضاء الجماعة يوجه نشاط الآخرين .
أما الهدف ووسيلة تحقيقه فيستلزم توزيع العمل ، وأن يكون لكل فرد دوره ، وتنظيم النشاط بحيث تتدعم جهود كل فرد في الجماعة عن طريق الآخرين .

ويبدأ الاهتمام بالرفاق من وقت مبكر . ولكن المهارات اللازمة تحتاج في نموها الى وقت وتدريب كما ينمو هذا الاهتمام من خلال مواقف اللعب الذى يتيح فرصا عديدة للتفاعل والاندماج التدريجى . فيلاحظ في الطفل النام أن الاهتمام بالرفاق يبدأ أولا يليه تزايد التفاعل معهم ،وكلما ازداد التفاعل تحسنت المهارات الاجتماعية المكتسبة التى تؤدى دورها الى تفاعل أكثر .

أما الأطفال الذين لا يبحثون عن هذا التفاعل ويفضلون صحبة الكبار يتأخر تعلمهم الاجتماعى وكثيرا ما ينبذهم الرفاق .

وبوصول الطفل الى سن الخامسة يصبح أكثر اهتماما بعالم الرفاق ويكون قد اكتسب نوعا من التلاؤم الاجتماعى لقواعد الجماعة والشعور بالآخرين . وتظهر جماعة الجيرة بعد ذلك في الطفولة المتأخرة والمراهقة ومن خلال الخضوع كجماعة متماسكة وذات تأثير هام يلعب من خلالها الفرد عدة وظائف في العملية الاجتماعية . وتقارب الأطفال في المكان وتوفر الوقت الكافي للقاءات يساعد على قيام الصداقات . وبعد أن تنمو الصداقات تنقسم الجماعات نتيجة لعملية اختيار الأفراد لمن يصادقونهم الى أنواع متنافسة تشعر كل جماعة منها ببعضها ويقل احساسها بغيرها من الجماعات إلا في مواقف التنافس . وتزداد قوة الروابط الاجتماعية داخل كل جماعة ويزداد التعاون بين أفرادها وتقل الأنانية والتنافس بينهم . وعندما يوجد عدو خارجى للجماعة تزداد الروابط بينهم ويقل التعاون بينهم وبين العدو الخارجى .

ما الذى يتعلمه الأطفال من الرفاق

- كيف يتوافق مع الأمور التى تسهل له الحياة مع الاخرين ·
- الرضا الذى يشتقه من حب الاخرين له والرغبة في أن يكون معهم ·
- الميل الى الناس الآخرين وأنشطتهم ·
- يتعلم ما يتوقعه منه الآخرون وما لا يتسامحون فيه ·
- كيف يتوحد عن طريق التقاليد مع معايير الكلام والسلوك والمظهر كما يتقبلها الآخرون ·
- الشعور بالأمن الذى يشتقه من وجود الأصدقاء ·
- الشعور بالثقة في النفس بمعرفة أن الاخرين يريدون صحبته ·

ثانيا ـ تقبل جماعة الرفاق للطفل :

ان القياس الذى يستخدم كثيرا في دراسة درجة تقبل الفرد بين زملائه هو الطريقة السوسيومترية التى وضعها مورينو Moreno (١٩٣٤) وهى طريقة بسيطة فيها يسأل أفراد الجماعة أسئلة كالتالية :

أ ـ أى الأفراد تحب أن يجلس الى جوارك في الفصل ؟ (بالنسبة لأطفال الصف السادس فأكثر) ·

ب ـ من هو أفضل أصدقائك (بالنسبة لأطفال الحضانة) ·

وعندما يتكرر كثيرا اختيار اسم فرد معين اعتبر ذلك مقياسا لتقدير الجماعة له · وقد يصمم السؤال في صورة سلبية كأن يسأل أفراد الجماعة السؤال التالى : من الذى قليلا ما تفضل أن يجلس بجوارك ·

وهذه الطريقة الأخيرة تكشف عن المنبوذين والمعزولين من الجماعة ·

وتفيد المقاييس السوسيومترية في نواح هامة مثل : ـ

١ ـ قياس مدى تماسك الجماعة .
٢ ـ التعرف على الأطفال المعزولين الذين يحتاجون الى المساعدة لتحقيق تكيف أفضـل .
٣ ـ تفيد في معرفة المعايير الخلقية للجماعة بمعرفة أسس اختيار الأفراد لبعضهم البعض داخل كل تجمع معين .
٤ ـ التعرف على مدى سلامة الجماعة ـ أى مدى الإشباع الذى يحصل عليه أفراد الجماعة فلو انتشر في الجماعة ضعف الأخلاق فقد يؤدى ذلك الى تحللها وانتقال أفرادها الى جماعات أخرى وبخاصة عندما يتعرضون لنوع من التهديد الجسمي . وانحلال الجماعات أو إبعاد بعض أفرادها قد يكون حلا في جماعات الأطفال التى يجد الطفل نفسه فيها منبوذا أو متجاهلا .
٥ ـ تفيد في قياس تغير الزعامة في الجماعة :

ويذكر اندرسون Anderson (١٩٥٦) ان طفل الخامسة الذي تتجاهله جماعة ما قد يكون متقبلا كزعيم في جماعة أخرى ، ولكن ذلك لا يحدث عادة كلما ازداد الطفل عمرا ، إذ أن الصدفة تفقد أهميتها . ويزداد ثبات السلوك ويستمر تعلم الأدوار الاجتماعية ولا يستفيد الطفل الكبير المنبوذ من جماعة ما بالانتقال إلى أخرى لأنه يكون قد كون أدواراً سلوكية وميولاً استجابية قد تظل كما هي في البيئة الجديدة ، وتؤدي الى نبذه فيها . ومثل هذا الطفل يحتاج لتعليمه المهارات ذات الأهمية بين أفراد الجماعة الأولى أو أن نعلمه الإستجابات الناضجة .

وهناك طريقة شاع استخدامها الآن في قياس التقبل الإجتماعي هي طريقة التخمين Guess who التي وضعتها « ترايون Tryon (١٩٣٩) حيث سألت مجموعة من التلاميذ في الصفوف ١٢ ـ ١٥ اسئلة من قبيل : « من الذي يمثل دائماً أنه شخص كبير؟وتذكر «ترايون» أن طريقتها بالإضافة إلى الطريقة السوسيومترية الخاصة بالكشف عن شعبية الفرد بين جماعته تكشفان عن السمات والخصائص المتعلقةبشعبية الأولاد ـ وقد ظهر من دراستها أن سمات الزعامة بين الذكور في سن ١٢ تتلخص في الآتي : ـ

ـ العدوان وكثرة الشغب والمظهر المهمل والمهارة في مباراة الاخرين .

أما النموذج المثالي للبنت التي تحظى بشعبية في الجماعة في سن ١٢ فيتصف بالاتي :

- صدوقه ومحتشمة ومطيعة في سلوكها الاجتماعي - وظريفة ومتوحدة مع معايير الكبار (تعمل وفق معايير الكبار) .
أما في سن ١٥ فلم تتغير سمات الشعبية بين الذكور كثيرا عن سن ١٢ مع زيادة في تركيز الاهتمام على المهارة في مباراة الآخرين بالإضافة الى مهارته في التعامل مع أفراد الجنس الآخر . بينما أصبح للبنت دورين جديدين هامين فيما يختص بتقبلها :
الأول : عليها أن تكون بنتا كالبنات - مرحة - وصديقا مسيطرا على البنات والأولاد على حد سواء .
الثاني : وهو دور البنت المثقفة والأنثى الخلابة الفاتنة .

وتصبح سمة الطاعة والتوحد أضعف مما سبق ، ولذلك فإن مشاكل البنات في سن ١٥ أثناء محاولتهن الوصول الى مفهوم عن الذات يتصف بالاستقرار . وقد تكون أكثر من الأولاد وتصبح السمات التي أدت الى تقبلها في سن ١٢ عاملا من عوامل القصور الاجتماعي في سن ١٥ .

عوامل التقبل الاجتماعي :

يتأثر مدى تقبل الفرد بين زملائه بعدد من الخصائص الشخصية الهامة التي تفيد معرفتها في الآتي :
١ - المساعدة في حل كثير من المشاكل المتعلقة بتقبل الفرد بين زملائه .
٢ - استنتاج قيم الجماعة التي يعد وجودها في الفرد أساساً لتقبله .

وفيما يلي أهم عوامل التقبل الاجتماعي :

أ - النضج الاجتماعي
يعد النضج الاجتماعي كما تتصوره الجماعة مطلبا أساسيا لتقبلها للفرد

سواء في الطفولة أو البلوغ.ويتمثل النضج الاجتماعي في اللعب مع من هم أكبر منه وليس مع الأصغر منه حيث يتضمن اللعب مع الأكبر نوعا من التعلم . وتكون جماعة الرفاق عرضة للزوال والتغير نتيجة المحاولات المستمرة من اعضائها لتقليد الأكبر منهم دائما . ولذا فهناك حركة ارتقاء في جماعة الرفاق تبدأ بتقليد الأكبر سنا ، ومع تقدم الفرد في العمر الزمني ينتقل الى مستوى آخر ويندمج في جماعة أخرى ذات معايير مختلفة وهكذا تستمر عملية التغيير الاجتماعي والنمو .

وقد حددت مادنياس Medinnus (١٩٦٢) السمات السلوكية التي ترتبط سلبيا بشعبية الطفل بين أقرانه فيما يلي :

- يميلون الى اللعب منفردين .
- يرفضون أو يتجاهلون مطالب الأطفال الآخرين .
- يهاجمون الأطفال الآخرين .
- يهربون من المواقف غير المرغوبة .
- متلكئون .

ونلاحظ هنا أن التقبل الاجتماعي انعكاس للنضج الاجتماعي . وكما يعد العمر الزمني مؤشرا للنضج الاجتماعي فإن العمر العقلي يعد مؤشرا آخر . حيث تستخدم كفاءة الفرد في التفاعل الاجتماعي في تشخيص النقص العقلي .

ويذكر تيرمان Terman (١٩٢٥) من دراسة له عن العباقرة ان هناك ارتباط بين شعبية الفرد وارتفاع معامل الذكاء في أكثر الحالات وعلى الرغم من ذلك فان هولنجورث Hollingworth أ(١٩٤٢) ذكر ان الأفراد ذوي معامل الذكاء ١٥٥ فأكثر لاهم اجتماعيون ولاهم ضد المجتمع ولكنهم لااجتماعيون في توافقهم مع زملائهم بمعنى أنهم يتجنبون الاختلاط ، ربما لأنهم يؤدون دورا ذو طبيعة مختلفـة .

خصائص الأطفال غير الناضجين اجتماعيا

١ ـ الصف الأول ـ الثالث الابتدائي :

- لايلعبون مع زملائهم بطريقة فيها انضباط عندما لا يكون هناك اشراف .

- يحبون أن يكونوا محور الانتباه دائما - يغيرون أثناء اللعب - لا يؤدون دوراً هاماً .
- ليسوا على استعداد لمشاركة الآخرين .
- ينسحبون من الجماعة .
- لا يراعون حقوق ومشاعر الآخرين - يندفعون تاركين الجماعة
- لا يحترمون خصوصيات الآخرين .
- لا يعاونون الآخرين في نشاطهم ولا يحتملون نصيبهم من المسئولية .
- مثيرون للاضطراب والفوضى .
- يلعبون مع أطفال أصغر منهم .

٢ - الصف الرابع - السادس الابتدائي :

- لا يلعب ولا يعمل بصورة طيبة مع الآخرين .
- يثير كثيرا من الشجار ، يلاكم بدلا من أن يناقش أو يتكلم .
- لا يتعاون في تخطيط اللعب .
- يترك اللعب فورا عندما تكون القرارات في غير صالحه .
- يحب كل شيء لنفسه .
- يشي بزملائه .
- تغير سريع في ولائه لأصدقائه وانقلاب مفاجئ على أفضل أصدقائه .
- خجل شديد مع ميل الى تغطية وجهه عندما توجه إليه أسئلة .
- لا يراعي الآداب العامة .
- يمشي أمام الكبار.
- يقاطع الآخرين أثناء تحدثهم .
- لا يستخدم كلمات مثل : من فضلك ، أشكرك .
- لا يحترم الآخرين .
- يشعر أن قواعد السلوك قد وضعت لغيره فقط ، ولذا يضع لنفسه قواعد خاصة به ولا يتبع قواعد الجماعة .

٣ - الصف السابع - التاسع :

- يلعب مع أولاد أصغر منه ولا يلعب مع أقرانه .
- يهتم بالجنس الآخر اهتماما طفليا (لمجرد القيام ببعض الألعاب المميزة لمرحلة سابقة)
- كثيرا ما يتجاهله زملاؤه مما يؤدى الى انماط من السلوك مثل : السلوك الاستعراضي والقهقهة ، التكشير عن انيابه ، دفع الآخرين الى الأرض ، يلكز الآخرين ويصفعهم ويوقعهم أو ينسحب .
- يتردد في الاستجابة عندما يسأل .
- يجد صعوبة في المشاركة في الألعاب المنظمة .
- لا يتحمل مسئولية أفعاله ودائما يحتاج لمن يذكره بالهدوء .

ب- الجنس :

لا يعد النضج الاجتماعي العامل الوحيد في تقبل جماعة الرفاق للفرد في مرحلة الطفولة فهناك عامل آخر لا يقل أهمية هو جنس الطفل . ففي الطفولة يصبح التمايز الجنسي في الصداقات واضحاً . وعندما ينبذ الطفل الأب من الجنس الاخر كموضوع للحب فإنه ينبذ أيضا كل أعضاء هذا الجنس حتى يصل إلى مرحلة البلوغ . ونجد البنات تنبذ الأولاد الذين ينبذون البنات بالتالي بعد عدة سنوات وبوصولهم إلى المدرسة الاعدادية تبدأ البنات ثانية في تقبل الأولاد ولكن تظل الأولاد في نبذها للبنات لعدة سنوات وربما السبب في ذلك تأخرهم في النضج عن البنات أو بسبب نقص حساسيتهم الاجتماعية . وهذا يعني أن النبات أكثر نبذا من الأولاد في الطفولة وقد يكون بسبب بعض العوامل الإضافية مثل نبذهم لأنفسهم فبعضِ البنات أقل رضا عن دورهم بخاصة في الثقافة الغربية .

ويلعب البناء الجسمي دورا هاما في التقبل الاجتماعي . حيث يحظى البناء الجسمي العضلي التكوين mesomorphic (الرياضي) لدى الأولاد بتقبل الآخرين كما قد يكون الأولاد الذين لا يتمتعون بتكوين عضلي موغوب سلبيون أو عدوانيون ، فذوي التكوين العضلي عادة ما يكونون أكثر نشاطا وحيوية ، ويعطى الصغار منهم أهمية للنشاط المرح .

جـ- المستوى الاجتماعي :

تلعب الطبقة والطائفة دورا في تقبل جماعة الرفاق للفرد ، ويبدأ تأثيرها منذ الطفولة ويتزايد هذا التأثير كلما أصبح الأطفال أصدق في أحكامهم على مكانة الطبقة الاجتماعية . فطبقة الفرد ولونه يلعبان دورا في التقبل ، على أساس أن الصداقات تنشأ وتقوى كلما كان هناك اتصال وثيق . وحيث أن فرصة تجاور أي طفلين تنشأ نتيجة انتمائهما لنفس الطبقة أو السلالة - فمن المتوقع أن نجد أن أكثر الصدقات الدائمة في الطفولة المتأخرة والمراهقة إنما تعتمد على هذين العاملين . بالإضافة إلى ذلك فإن الأطفال الذين ينتمون عادة إلى طبقات اجتماعية أو سلالات مختلفة غالبا ما تكون لهم قيم وميول مختلفة . أما المجتمعات التي تذوب فيها الفوارق بين الطبقات فإن دور الطبقة يكون قليل الأهمية .

ولا يعد تقبل الجماعة للفرد أمرا طيبا دائما - كما لا يعد نبذها للفرد أمرا سيئا باستمرار . فقد يعتمد انجاز البالغين الى حد ما على قلة اندماجهم مع جماعة الرفاق (ماكوردي Mc Curdy ،١٩٥٧) . ومع ذلك فإن النبذ المستمر للفرد من جماعة الرفاق ينبؤنا بسوء توافقه . ومصطلح « جماعة الرفاق » يعني أن الفرد خاضع لأحكام زملائه هذه الأحكام عادة ما تكون قاسية ولكنها صحيحة ربما لأنها أقل تحيزا من أحكام المجتمع وأفضل من أحكام الكبار .

أشكال سلوك الطفل المحبوب وغير المحبوب

سلوك الطفل المحبوب	سلوك الطفل غير المحبوب
- مستعد لأن يلعب ما يلعبه الاخرون	- يصر على أن يلعب الآخرون بالطريقة التي يريدها
- متعاون ومستعد للقيام بأكثر من نصيبه	- يريد دائما أن يقوم الآخرون له بكل شيء
- كريم وعلى استعداد لأن يتقاسم الأشياء مع الاخرين	- يتشاجر ليستولي على خصوصيات الآخرين
- يستأذن ليلعب بلعب الاخرين وأدواتهم	- لا يستأذن ولا يسهم بأدب في أي مناقشة
- يتحدث مع زملائه في اللعب	- يبعث الآخرين بصفات وأسماء غير محببة
- يقول أشياء سارة لزملائه في اللعب	- ينتظر من الآخرين أن يقدموا اقتراحاتهم له
- يقدم مقترحات من أجل اللعب الجماعي	- يبدو كشراً وغير سعيد
- يبدو مرحا ومبتسما	- يقفز فرحا عندما ينتصر ويصرخ ويبكي عندما يخسر
- يتقبل النصر والهزيمة بروح رياضية	- دائما مزاجه منحرف وفاقد الثقة بنفسه
- يعمل بحماس وبثقة في نفسه	- يترأس الآخرين ويصر على أن يقوموا بما يريد
- على استعداد لاتباع رغبة الأغلبية	- مشاعره تجرح بسهولة
- روحه مرحة	- يغيظ زملائه دائما
- يعامل زملاء اللعب باعتبار لكل منهم	

الفصل العاشر

الطفولة المتأخرة

مقدمة

تمتد مرحلة الطفولة المتأخرة من سن السادسة إلى الوقت الذي يصبح فيه الفرد ناضجا جنسيا . وتبدأ هذه المرحلة بدخول الطفل المدرسة الابتدائية التي تعد حدثا هاما في حياته ومسئولية عن كثير من التغيرات التي تحدث في اتجاهاته وسلوكه . وتحدث خلال العام أو العامين الأخيرين من هذه المرحلة تغيرات جسمية ملحوظة تعمل بدورها على احداث تغيرات في الاتجاهات والسلوك . وعلى الرغم من أن سهولة تحديد بداية المرحلة بدخول المدرسة في سن السادسة طبقا لقوانين الدولة التي تنص على وجوب التحاق كل الأطفال بالمدرسة الابتدائية عندما يبلغون السادسة - إلا أنه من الصعب أن نحدد نهايتها . وسبب ذلك أن النضج الجنسي - وهو المعيار الذي استخدمناه كمحدد لنهاية المرحلة والتمييز بين الطفل والمراهق - يحدث في أعمار مختلفة بالنسبة لأفراد الجنس الواحد كما تبكر الاناث عن البنين في نضجهن الجنسي بحوالي عام أو عامين . ولذلك فهناك من الأطفال من يقضي فترة أطول من غيره في الطفولة المتأخرة . بينما تكون هذه الفترة قصيرة نسبيا لدى البعض الآخر ولذا فقد تمتد المرحلة من سن ٦ الى ١٣ أي فترة ٧ سنوات أو تمتد من ٦ - ١٤ أي فترة ٨ سنوات .

خصائص مرحلة الطفولة المتأخرة :

ان الانتقال من بيئة المنزل الى بيئة المدرسة يحدث تغيرات جوهرية في اتجاهات الطفل وسلوكه . وان لم تكن هناك إعاقة جسمية أو عقلية ـ فكل التلاميذ يجب الحاقهم بالمدرسة . وتتصف التغيرات التي تحدث للأطفال في هذه المرحلة بالعمومية .

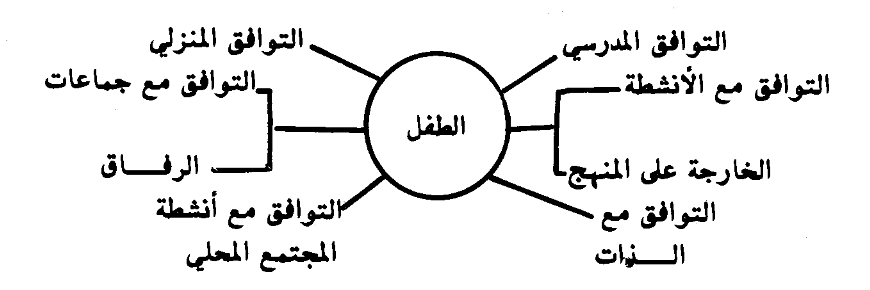
وتسمى مرحلة الطفولة المتأخرة تسميات مختلفة لدى المؤلفين المختلفين ، فالمربون يطلقون عليها « مرحلة المدرسة الابتدائية » أي الوقت الذي يتوقع للطفل فيه أن يلتحق بالمدرسة الابتدائية ويتعلم أوليات المعرفة التي تعد أساسية للتوافق الناجح في حياة البالغين وتعلم المهارات الأساسية سواء من خلال مناهج المدرسة أو من خلال أنواع النشاط الخارجة على المنهج التي تقدمها المدرسة .

أما الآباء فينظرون الى الطفولة المتأخرة على أنها سن النشاط الزائد ، والسن الذي يعتقد فيه الطفل أنه ، يعرف كل شيء ولا يتردد في أن يخبر الآخرين بتفوقه المعرفي . ويؤدي به ذلك إلى المقاومة والتمرد على القواعد من جهة ـ ومن جهة أخرى يطلب كثيرا من الاستقلال عما يتيحه له والداه . ويرى الآباء أيضا هذه المرحلة على أنها « سن عدم النظافة » لأن الطفل فيها يتباهى بقذارة ملابسه ومظهره واهمالهما .

أما بالنسبة لعلماء النفس فمرحلة الطفولة المتأخرة تمثل سن « العصبة » . ففي هذه السن يصبح تقبل الطفل بين أقرانه واعترافهم به كعضو في الجماعة محورا لاهتماماته . ويؤدي به هذا الاهتمام الى التطابق في مظهره وحديثه وسلوكه مع الجماعة لكي تقبله . وقد أطلق بعض علماء النفس على الطفولة المتأخرة مصطلح « مرحلة عبور موانع » moron hurdle على الطفل أن يتخطاها إذا ما كان عليه أن يتوافق مع حياة البالغين . وتعد الاندفاعية والنظرة القصيرة السطحية المميزتان للشخص الأبله ـ تميزان أيضا طفل هذه المرحلة . فكثيرا ما لا يرى ما يحيط به ، ويعمل في إطار اللحظة التي يعيشها وباندفاع يصرف النظر عن النتائج .

مطالب النمو في الطفولة المتأخرة :

يتسع عالم الطفل فيشمل الى جانب الأسرة - المدرسة والمجتمع المحلي ، ويواجه توافقات اجتماعية جديدة . والسلوك الطفلي الذي كان متقبلا منه سابقا يصبح في هذه المرحلة غير متقبل ولا يتسامح فيه الكبار . وتؤدي مثل هذه التفاعلات الاجتماعية المتنوعة الجديدة الى زيادة وعي الطفل بالجماعة ، ويبدأ في مقارنة سلوكه بسلوك أفرادها ، ويؤدي ذلك الى ظهور طموحات جديدة وتوقيعات جديدة بالنسبة للذات . ويبين الرسم التالي المطالب الكبيرة التي تفرضها البيئة على الطفل أو المطالب التي تنشأ من داخله والتي على طفل هذه المرحلة أن يتوافق معها :



ولتحقيق دور معين في الجماعة الاجتماعية يجب على الطفل أن يسيطر على واجبات النمو التي يتوقع المجتمع منه أن يسيطر عليها في هذه الفترة ، ويؤدي الفشل في السيطرة عليها الى نمط سلوكي غير ناضج ، من شأنه أن يجعل من الصعب تقبل الجماعة له وفشله في المحافظة على المسافة القائمة بينه وبين أقرانه الذين تمكنوا من السيطرة على تلك الواجبات . وبازدياد سيطرة الطفل على واجبات النمو تدريجيا تقل مسئولية الآباء قبل الطفل عما كانت عليه في سنوات ما قبل المدرسة ، وتزداد مسئولية المدرسين ، وتزداد مسئولية أعضاء جماعة الرفاق الى حد ما . فنمو المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب

وتنمية الاتجاهات نحو الجماعات والمؤسسات الاجتماعية تصبح الى حد كبير من مسئولية المدرسين كما هي من مسئولية الآباء . وعلى الرغم من أن الآباء يمكنهم المساعدة في ارساء قواعد التعلم عند الطفل لكي يتمكن من مسايرة زملائه قدما ـ تصبح عضويته في جماعة الرفاق عاملا هاما في تعلم مثل هذه الخبرات .

ان التعلم في أساسه مسئولية المتعلم . فعندما يفتقد الطفل الدافع لتعلم واجبات النمو الملائمة لعمره واذا ما وجد نوعا من الارضاء في بقائه عند مستوى أدنى من مستوى عمره ـ فلا يسهل على مدرسية أو أقرانه أن يقدموا له المساعدة اللازمة ليصل إلى الاتجاهات وأنماط السلوك الملائمة لمن هم في نفس سنة . وسواء كان الفشل في السيطرة على واجبات النمو الخاصة بالطفولة المتأخرة نتيجة لأسس غير ملائمة أو نقص في الدافعية أو كليهما فالطفل هو ضحية سوء التوافق الشخصي والاجتماعي .

ويصل الذكور الى النضج الجنسي متأخرين عن الإناث ، وبالتالي يقضون فترة طفولة أطول ، لذا فإنهم يسيطرون على واجبات النمو الخاصة بهذه المرحلة بدرجة أفضل من البنات . الا أنه من الملاحظ أن البنات عادة أكثر نضجا من الأولاد من نفس العمر . وسبب ذلك ربما يرجع الى كثرة توجيه الكبار لهن والإشراف عليهن أكثر من الأولاد مما يزودهم بفرص أفضل للسيطرة على واجبات النمو .

النمو الجسمي في الطفولة المتأخرة :

الطول : تعد مرحلة الطفولة المتأخرة مرحلة نمو بطيء تكاد تكون سرعته ثابتة حتى بداية البلوغ أي قبل عامين من تمام النضج الجسمي للطفل . ويزداد طول الطفل بمعدل ٢ ـ ٣ بوصات سنويا . وعندما يبدأ البلوغ يصبح متوسط طول البنت ذات الأحد عشر عاما حوالي ٥٨ بوصة والولد من نفس السن ٥٧,٥ بوصة . ولأن الأولاد يتأخرون بحوالي عام عن البنات في نموهم الجنسي فإنهم يميلون لأن يكونوا أقصر من البنات حتى يصلوا هم أيضا الي النضج الجنسي .

ويميل الأطفال الذين يتميزون بالنحافة لأن يكونوا أقصر من الأطفال الذين يميلون الى السمنة . كما أن الأطفال الأكثر ذكاءا يميلون لأن يكونوا أطول من متوسطي الذكاء أو من هم أقل من المتوسط . وربما يرجع ذلك الى أن الأطفال الأكثر ذكاءا ينتمون الى بيوت ينمو أطفالها إلى أحجام أكبر بسبب التغذية الملائمة والرعاية الصحية الجيدة . كما توجد علاقة هامة بين طول الأبناء وطول الآباء .

الوزن : يزداد الوزن ببطء وبانتظام في الطفولة المتأخرة . فعند بدء البلوغ يكون وزن البنت المتوسطة في عمر ١١ سنة حوالي ٣٩.٥ كجم ، أما الولد المتوسط فيكون وزنه حوالي ٣٨ كجم ، وفي عمر ١٢ يصل وزن البنت المتوسطة الى حوالي ٤٥ كجم والولد المتوسط ٤٣ كجم . وخلال هذه الفترة يكون ترسيب الدهون تحت الجلد في أماكن ممتعددة من الجسم هو المسئول عن ٢١ - ٢٩ ٪ من الوزن الكلي .

ويتأثر وزن الطفل الى حد ملحوظ ببنائه الجسمي . فالبناء الخارجي التركيب ectomorph ذو الجسم الطويل الأسطواني يتوقع له أن يكون أقل وزنا من البناء المتوسط التركيب mesomorph ذو الجسم الثقيل الممتلىء والأجزاء الخارجية المستديرة .

ويتأثر وزن الأطفال في العمر الواحد بمستوى ذكائهم وبالمستوى الإقتصادي الإجتماعي للأسرة وبوزنهم عند الميلاد .

وتميل البنات خلال الطفولة المتأخرة أن يكن أثقل قليلا في وزنهن بالنسبة لأقرانهن من البنين في أي سنة ، وتزداد الفروق في الوزن عندما تبدأ البنات في البلوغ الجنسي .

وعندما يصل الطفل الى سن السادسة تبدأ شهيته في التفتح ويبدأ في طلب مزيد من الطعام . ويصبح الكثيرون أكثر نهما للطعام وتزداد أوزانهم . وفي بعض الأحيان يكون الشره للطعام تعويضا عن نقص في القبول الاجتماعي للطفل . كما تؤدي عادة الشره للطعام الناتجة عن ضغوط الوالدين على الطفل في المراحل السابقة لكي يتناول المزيد من الطعام الى زيادة الوزن .

ويفقد الطفل البدين كثيرا من فرص اللعب ويخسر كثيرا من الفرص اللازمة لاكتساب المهارات الضرورية للنجاح الاجتماعي . وكثيرا ما يغيظه أقرانه ويسخرون منه بسبب وزنه مما يؤدي إلى شعوره بالنقص وبأنه ضحية . وكما يذكر « سونتاج » Sontag (١٩٤٦) فإن القسوة اللاشعورية التي تميز الأطفال نحو أي فرد لا يتطابق جسمه معهم في الحجم والشكل والآداء تعد عاملا هاما في التكيف الانفعالي للأطفال الذين ينقصهم هذا التطابق .

أبعاد الجسم :

تتغير أبعاد الجسم خلال الطفولة المتأخرة . فما زالت الرأس كبيرة في بداية المرحلة بالنسبة الى باقي الجسم . ويقل عدم التناسب تدريجيا في هذه المرحلة . ومع بزوغ الأسنان الدائمة خلال هذه المرحلة يتغير شكل الفم ويزداد حجم الجزء الأسفل من الوجه وتتغير نسب الوجه التي كانت قائمة في بداية الحياة . ويتغير التناسب بين الفك العلوي والسفلي باختفاء الأسنان اللبنية وظهور الدائمة . وعندما لا يتناسب الفكان يتأثر هذا الجزء من الوجه بدرجة خطيرة . وخلال الطفولة المتأخرة تتفرطح الجبهة وتمتلئ الشفاه ويكبر حجم الأنف ويأخذ شكلا آخر . كل هذه التغيرات تؤدي الى تعديل الشكل الطفلي .

ويتقدم نمو الطفل يستطيل الجسم ويصبح أكثر نحافة ويصبح أكثر عرضا وتفرطحا ، وتستطيل الرقبة وتبتعد الرأس عن الكتفين كما يزداد حجم الحوض . ويلاحظ أن الذراعين والرجلين نحيفتان مع عدم وجود نمو عضلي ملحوظ . كما تنمو اليدان والقدمان ببطء شديد جدا في الطفولة المتأخرة وان كانت اليدان والقدمان عند البنين أكبر نسبيا منها عند البنات .

البساطة التي يتميّز بها طفل هذه المرحلة :

يتميز طفل مرحلة الطفولة المتأخرة بالبساطة وعدم التكلف . فهم لا يهتمون بجاذبيتهم وهندامهم ومظهرهم ، ويرجع ذلك لأسباب منها :

الانتقال من الأسنان اللبنية الى الأسنان الدائمة ، ومن الشعر الخيطي الناعم الذي يصعب المحافظة على تسريحته والناتج من شعر المهد الى الشعر الخشن المميز

للمراهقين والذراعان والساقان النحيلان الذان يعطيان الطفل المظهر الرشيق مع مقاومته للنظافة التي يربط بينها وبين الأنوثة .

واهمال طفل هذه المرحلة لمظهره يعد ظاهرة نفسية قد توجد في الأعمار الأخرى لكنها تظهر في الطفولة المتأخرة بصورة غير مباشرة ٠ على عكس المراهقين والبالغين الذين تنمو لديهم مشاعر بعدم التلائم عندما يعرفون أن الآخرين ينظرون اليهم على أنهم غير مهندمين أو غير جذابين ، نجد الطفل لا يهتم بهذا الأمر فزملاؤه أيضا غير مهندمين ولذا لا يعد ذلك عاملا من عوامل نبذ بعضهم لبعض .

الا أن مظهر الطفل غير المهندم يؤذي أناسا آخرين ، وهذا يؤثر بالتالي على معاملتهم له . فحتى لو كان الوالدان لا يخجلان من الطفل ـ فكثيراً ما يتأثران بما يتركه من أثر نفسي غير طيب على الآخرين . وكثيرا ما يتضايق الطفل من ارغام الوالدين له على لبس ملابس يختارونها له بأنفسهم أو لبس ملابس ضيقة .

وينبذ أكثر الأطفال وخاصة الذكور محاولات الآباء هذه ويرفضون ارتداء ملابس تختلف عما يلبسه أصدقاؤهم حتى ولو كانت تلك الملابس تجعلهم أفضل شكلا . وهذا يؤدي الى احتكاك بين الآباء والأطفال يؤدي بدوره الى شعور الطفل بأنه منبوذ منهم .

أما بالنسبة للناس خارج البيت ـ فالطفل في هذه المرحلة أقل جاذبية من طفل المراحل السابقة . ولكونه أقل جاذبية فإن الانتقاد الموجه لسلوكه عادة ما يكون أكثر والتسامح معه أقل . لذا تكون المضايقات التي يصادفها كثيرة . ويفسر الطفل ذلك على أنه نبذ من الناس خارج المنزل وداخلة ، الأمر الذي قد يدمر صحته النفسية .

أمراض الطفولة المتأخرة :

يتعرض أغلب الأطفال في بداية هذه المرحلة لأمراض عديدة من أمراض الأطفال مثل : الحصبة measles والنكفية mumps والجدري chicken pox والسعال الديكي whooping cough وعموماً فإن هذه المرحلة عادة ما تكون مرحلة الصحة الجيدة .

وقد تكون هناك اضطرابات معدية أو برد في بعض المناسبات ، وهي أمور مؤقتة ونادرا ما يكون لها آثار خطيرة على الصحة الجسمية للطفل .

وحتى عندما يتكرر المرض فإنه قليلا ما يؤدي الى الموت كما في حالة أمراض السنوات الأولى من الحياة ، ويلاحظ أن نسبة وفيات الذكور أكثر من الاناث في هذه السن حيث نجد الموت بسبب الحوادث أكثر منه بسبب الأمراض . والتأثير النفسي للمرض في هذه المرحلة أخطر من التأثير الجسمي . فالمرض يحدث اضطرابا في توازن الجسم ، وهذا يؤثر بدوره على اتجاهات الطفل وسلوكه فيقل استقراره وتكثر مطالبه . الى جانب التغيب عن المدرسة والعجز عن مجاراة زملائه في اللعب مما يحرمه من فرص اكتساب وتعلم المهارات التي تعد هامة لتقبله من رفاق اللعب . كما يتخلف دراسيا نتيجة المرض . وقد يؤدي به الأمر الى اعادة العام الدراسي . وربما كانت أخطر النتائج النفسية للمرض ما يترتب عليه في مجال العلاقات الأسرية . فكثير من الآباء متسامحون ومتفهمون للطفل وهو صغير ، ولكنهم في هذه المرحلة أقل تسامحا ويعاقبونه على مرضه ويلومونه لقيامه بأشياء سبق أن منع عنها ولم يستخدم التفكير السليم ازاءها .

وكما أن هناك أطفال عرضة للحوادث هناك أطفال عرضة للمرض أكثر من غيرهم في هذه السن وربما يرجع ذلك الى ضعف النواحي الوراثية أو فقر بيئة ما قبل الولادة ، ولكنه يرجع في غالب الأحوال الى ظروف حياة الطفل في هذا الوقت . فقد يكون هناك تساهل زائد من قبل الآباء الذين يسمحون له أن يأكل أو أن ينام أو أن يفعل ما يحلو له ، وما يفعله عادة قد يكون ضارا بصحته ، أو قد يكون والداه صارمان جدا ومتسلطان مما يجعله يعيش تحت ظروف من التوتر الانفعالي المستمر الذي يجعله مضطربا وعرضة للمرض .

والأمراض التي يتعرض لها الطفل المستهدف للمرض بعضها حقيقي وبعضها وهمي فقد يتعلم كثير من الأطفال من واقع خبراتهم المبكرة أنهم عندما يكونوا مرضى لا يطلب منهم الآباء القيام بواجباتهم ، كما يتلقون من الآباء رعاية أكثر من اللازم ويتغير نظام التهذيب المتبع . ولذلك فعندما تكون الظروف القائمة غير سارة للطفل أو عندما يتوقع الطفل أن العمل الذي سيقوم به غير ملائم فإنه يستخدم المرض كوسيلة هروبية . وكثير من الأطفال المعرضين للأمراض في الواقع أمراضهم وهمية .

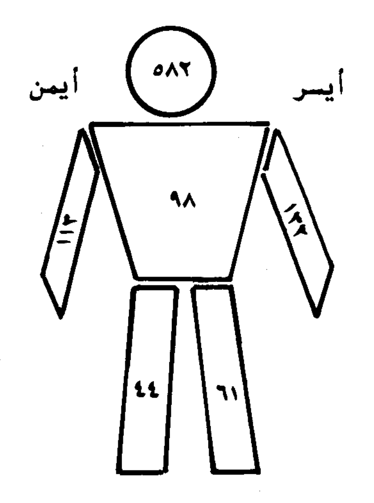
القصور الجسمي عند الأطفال :

يعاني الأطفال من كثير من نواحي القصور الجسمي التي يوجد بعضها منذ الميلاد،والبعض يكتسب في أوقات مختلفة من حياتهم كنتيجة للمرض أو الحوادث أو اهمال صحة الطفل الجسمية وأكثر نواحي القصور الجسمي شيوعا هي تآكل الأسنان . وضعف البصر والسمع والعاهات واصابة اللوزتان والحلق adenoids . أما مدى تأثير هذه النواحي على الطفل ، فيتوقف على مدى ما تسببه له من عجز وقصور . فاصابة اللوزتان والحلق كمثال ليس لها تأثير هام على التوافق الشخصي والاجتماعي للطفل الا إذا كانت اصابتهما حادة ، وتؤديان إلى تسمم الجسم مما يقلل من مستوى حيويته ونشاطه إلى الحد الذي يمنعه من القيام بما يقوم به الأطفال الآخرون . أما فقد السمع والأبصار أو العاهات orthopedic فتجعل الطفل عاجزا عن المشاركة في الأنشطة التي يقوم بها أقرانه .

وعندما يكون الطفل عاجزا بهذه الصورة - فإن خطورة التأثير تكمن في الكيفية التي يعامله بها الناس الآخرون وخاصة زملاؤه . ورغم أن بعض الأطفال قد يبدون بعض الشفقة والاهتمام بالطفل العاجز فإن البعض الآخر يتجاهلونه أو ينبذونه .

الحوادث التي يتعرض لها أطفال هذه المرحلة :

يتعرض الطفل الأكبر الى حوادث أقل من الطفل الأصغر ولكن ما يتعرض له عادة يكون أخطر مما يتعرض له الطفل الأصغر . وقد كشفت الدراسات عن أن — كل حوادث الطفولة تحدث فيما قبل التاسعة من العمر ، وأكثر هذه النسبة تحدث قبل السادسة . وتحدث أكثر الحوادث التي يتعرض لها الأطفال الأكبر سنا خارج المنزل ، بينما تحدث أكثر حوادث الأطفال الأصغر سنا في المنزل . ويتعرض الأولاد لحوادث أكثر من البنات في كل الأعمار . وبينما نجد أن أي جزء من جسم الطفل عرضة للحوادث فقد وجد أن أكثر الأجزاء عرضة هي الرأس وأقلها هي الرجلين . (أنظر الشكل)



(شكل يبين مدى تعرض أجزاء الجسم المختلفة للحوادث)

وكما سبق أن ذكرنا فهناك أطفال أكثر عرضة للحوادث من غيرهم ، ومثل هؤلاء الأطفال يتميزون بالنشاط الزائد وعدم الاستقرار والقلق والاندفاع والمغامرة ومقاومة السلطة ، كما أنهم عادة أقل شعبية بين زملائهم عن الأطفال الأقل تعرضا للحوادث . كما يتميز النوع الأخير (الأقل عرضة للحوادث) بالجبن والخنوع وسهولة انقيادهم .

وعندما يصبح الطفل عضوا في جماعة عليه أن يظهر ملائمته للدور الذي يتفق مع جنسه حتى يحتفظ بمكانته . وكثير من الأولاد الذين يشعرون بافتقارهم لتلك الملائمة الجنسية sex appropriateness اللازمة للتقبل الاجتماعي يقبل على المخاطرات ويقوم بأعمال طائشة متهورة قد تؤدي الى الحوادث . وتفسر ذلك الى حد ما كثرة عدد الحوادث بين الأولاد عن البنات . فالبنت ليس عليها أن تكون جسورة وجريئة لتثبت ملائمتها الجنسية .

وفي الحالات التي لا تترك الحوادث آثارا دائمة في الجسم في صورة عاهات مثلا فقد تترك آثارا نفسية هامة . فالطفل الذي يمر بحوادث أكثر من المعتاد قد يصبح أكثر حرصا وقد يؤدي الحرص الزائد الى أن يصبح الطفل جبانا متهيبا من الناحية الجسمية ، وقد يعمم هذا الأثر الى مجالات أخرى من السلوك ويصبح جبنا عاما يؤثر على علاقاته الاجتماعية وعلى عمله وعلى شخصيته .

مهارات الطفولة المتأخرة :

عندما تبدأ مرحلة الطفولة المتأخرة يكون الطفل قد اكتسب مجموعة من المهارات خلال مرحلة ما قبل المدرسة . ولقد كشفت الدراسات التي أجريت على أطفال السادسة من العمر أن أغلب الأطفال يمكنهم صنع أشياء مبسطة مثل المناضد والعربات الخشبية والقوارب باستخدام الخشب والمسامير ، كما يمكنهم تشكيل أشياء من الطين والألوان والطباشير والعجائن والقماش ، كما يمكنهم عمل الكعك والتورتة ، كما يمكنهم حل مسائل حسابية بسيطة ، والمساعدة في بعض الأعمال المنزلية البسيطة كاحضار كوب من الماء أو اللبن دون سكبه .

وفي هذه المرحلة تنمو مهارات الأرجل مثل نمو مهارات الذراعين . فطفل السادسة يمكنه التزحلق والعوم والغطس وركوب الدراجة والعزف الموسيقي .

وتعتمد المهارات التي سيكتسبها الطفل جزئيا على البيئة التي يعيش فيها وفي جزء منها على فرص التعلم وفي الجزء الآخر على ما هو دارج بين زملائه مع وجود فروق فردية ملحوظة في المهارة وفي دقة الأداء . ويلاحظ أن البنات تتفوق على البنين في المهارات التي تتطلب استعمال العضلات الدقيقة مثل الرسم والتلوين والخياطة والنسيج ، بينما يتفوق الأولاد على البنات في المهارات التي تتطلب استعمال العضلات الكبيرة مثل كرة السلة وكرة القدم ورمي شيء ثقيل لمسافة بعيدة والجري والقفز .

أما الدقة في الآداء التي يصل إليها الأطفال فتتوقف على فرص التمرين والدافع لتعلم هذه المهارات وعلى الأخص التوجيه الذي يحصلون عليه أثناء التعلم بعد اكتساب الأسس التي تقوم عليها تلك المهارات . ويمكننا أن نقسم مهارات الطفولة المتأخرة الى فئات طبقا للهدف الذي تخدمه كل منها ، وهذه الفئات الأساسية هي : مهارات خدمة الذات ، مهارات الخدمة الإجتماعية ، المهارات المدرسية ، مهارات اللعب .

أ ـ مهارات خدمة الذات Self-help

وهي المهارات المتصلة بالأكل والملبس والاستحمام وتصفيف الشعر والتي يجب

أن تكون قد اكتسبت بوصول الطفل الى السادسة بحيث لا يحتاج الا للمساعدة الضرورية في بعض المناسبات . وقد لا يصل الطفل في اكتساب تلك المهارات الى مستوى البالغين في البداية ـ ولكن بالتدريب تصبح تلك المهارات أكثر دقة الى الحد الذي يمكن الطفل أن يقوم بها بسرعة وبكفاءة عالية كالبالغين .

ب ـ مهارات الخدمة الاجتماعية Social-help

وتتعلق هذه المجموعة بالمهارات التي تتعلق بمساعدة الآخرين سواء في المنزل أو المدرسة أو جماعة اللعب . أما المهارات المتصلة بالواجبات المنزلية مثل كنس الأتربة ومسح وغسيل وتجفيف الأطباق ، وتنظيم الفراش والطبخ وجميعها لا تعطي الطفل متعة فقط بل تمنحه شعورا بالأهمية الذاتية . ومن الأمور المهمة أيضا أنها تشجع الطفل على تعلم التعاون ، وهي سمة هامة ستسهم فيما بعد في تقبله كعضو في جماعة الرفاق .

جـ المهارات المدرسية School-help

ينمي الطفل في المدرسة المهارات المتصلة بالكتابة والرسم والتلوين وتشكيل أشياء بالطين والغناء والموسيقى والخياطة والطبخ وعمل أشياء من الخشب .. الخ ورغم أن كثيرا من هذه المهارات يستخدمها الطفل في لعبة ـ فهو يتعلمها في المدرسة تحت توجيه المدرس ، كما يتوقع من الطفل أن يتدرب عليها بجدية رغم كونها مصدرا للمتعة والتسلية .

د ـ مهارات اللعب play skills

يتعلم الطفل بعض المهارات المرتبطة باللعب مثل الرمي والقبض على الكرة ، ركوب الدراجة والتزحلق والعوم وبناء أشياء من الخشب والطين ومواد أخرى . ويلاحظ تفوق الأطفال الذين يتميزون بمهارات عالية في هذه النواحي في توافقهم الدراسي وفي علاقاتهم الاجتماعية خارج المدرسة عن الأطفال الذين تنقصهم هذه المهارات من أقرانهم .

تفضيل أحد اليدين على الأخرى Handedness

تتأثر مهارة الطفل الى درجة ملحوظة باستخدام اليد اليمنى أو اليسرى أو اذا ما كان يستعمل كلتا يديه بسهولة ambidextroux . وعندما يصل الطفل الى سن السادسة يكون استعمال احدى اليدين قد أصبح مسيطرا على الأخرى نتيجة تفضيلها وتدريبها المستمر . فلو أنه نتيجة لظروف بيئية أو ثقافية معينة قد تعلم أن يستخدم اليد اليمنى سيكون توافقه أيسر مما لو تعلم استخدام يده اليسرى . فالطفل الأشول سيضطرب ويشعر بالاحباط عند استخدام أدوات مصممة للناس الذين يستخدمون يدهم اليمنى أو عندما يحاول تعلم مهارات جديدة بتقليد نماذج وضعت لمن يستخدمون يدهم اليمنى . ويبدو ذلك عندما يحاول الطفل الأشول تقليد النموذج الخطي للمدرس الذي يستخدم يده اليمنى .

ورغم أن سرعة ونوعية الكتابة قد تكون متساوية بين الأطفال الذين يستخدمون يدهم اليمنى والذين يستخدمون يدهم اليسرى - فإن من يستخدمون يدهم اليمنى يكونون أكثر تفوقا وأسرع في المراحل الأولى من الكتابة .

وان لم يكن هناك توجيه لاستعمال اليد اليمنى على اليسرى في المراحل المبكرة من الطفولة ، وحتى لو كانت هناك رغبة مخلصة من الطفل ، لكي يستخدم يده اليمنى - فهناك احتمال أن يؤدي ذلك الى اضطرابات في الكلام وتوترات عصبية ، ولكي نتجنب الاضطرابات النفسية التي قد تحدث وتصاحب محاولة تغيير استعمال اليد اليسرى الى اليمنى - يجب أن نهيئ للطفل الذي يقل عمره عن السادسة جوا مريحا وسهلا لتقليل التوتر والعصبية ، كما يجب أن يكون أعلى من المتوسط في الذكاء حتى يكون تعلمه سهلا ، وأهم من كل ذلك يجب أن يكون الطفل موافقا على هذه التغيرات .

الارتباك awkwardness

تلعب المهارات الحركية دورا هاما في نجاح الطفل في المدرسة وفي اللعب مع الأطفال الآخرين . ولذلك فإن الطفل الذي يتخلف في هذه المهارات عن مستوى

أقرانه يعد معوقا . وعندما يكون هيابا وتنقصه المهارات التي تتوافر لدى الأطفال الآخرين فإنه يميل الى الانسحاب من الجماعة ويكون اتجاهات غير صحية نحو نفسه ونحو الحياة الاجتماعية .

وأحد الأسباب العميقة والخطيرة للارتباك عند طفل المدرسة الابتدائية هو التوتر والقلق الذين نتجا من الطريقة التي كان الناس المهمين في حياة الطفل يستجيبون بها لطفولته الخرقاء . وكما يذكر «بركنريدج وفنسنت Breckenridge & Vincent (١٩٦٥) فإن السخرية والتهكم والاستهزاء أو الضحك على حركات الطفل الخرقاء في المراحل الأولى لتعلم الطفل أو الانزلاقات غير المقصودة التي كان الطفل يسقط فيها الأشياء ، أو عندما يتعثر ويخطىء أو يسقط على الأرض قد تسبب إعاقة وجدانية تؤدي الى حركات متوترة وارتباك خلال حياة الطفل فيما بعد .

ويبدأ الطفل الأكبر في مقارنة نفسه وانجازاته بتلك الخاصة بأقرانه . وعندما يجد أن انجازاته أقل من أقرانه بسبب ارتباكه يبدأ في التفكير في نفسه على أنه متخلف ، . ولأن المهارات تلعب دورا هاما في اللعب وفي السنوات الأولى من المدرسة يصبح الطفل على وعي أكثر بتخلفه وتتدعم فكرته عن نفسه بأنه غير متوافق . وكما يذكر « هافجهرست » فإن الطفل عندما يصبح عضوا في نشاط جماعة ما ـ فإنه يسهم في نشاطها عن طريق مهارات ومعلومات معينة ، ولديه الفرصة لوضع الاختبار بالنسبة لمهارات زملائه ، كما ينمى مفهومه عن نفسه كلما استجاب زملاؤه لمهاراته .

النمو اللغوي في الطفولة المتأخرة

باتساع الأفق الاجتماعي للطفل فإنه يكتشف أن الكلام وسيلة هامة للانتماء للجماعة ويمنحه هذا الاكتشاف دافعا قويا لأن يتعلم أن يتكلم بدرجة أفضل ، كما يتعلم أيضا أن الأشكال المشابهة من الاتصال مثل الصراخ والاشارات هي أنواع غير مقبولة اجتماعيا ، مما يضيف حافزا لتحسين كلامه .

وتبدو درجة أهمية الكلام بالنسبة للانتماء الاجتماعي في حالة الأطفال العاجزين لسبب أو لآخر عن الاتصال بأعضاء جماعة الرفاق أو التخاطب كما يفعلون ، فالأطفال الصم على سبيل المثال يصبحون منعزلين اجتماعيا لعدم امكانيتهم سماع ما يقوله الآخرون ، وكنتيجة لذلك لا يمكنهم الاشتراك في محادثاتهم . ولو أنهم تكلموا فسوف يقولون أشياء لا تمت لحديث الآخرين بصلة مما قد يثير عداوة أعضاء الجماعة لهم .

ويجد الأطفال ثنائي اللغة صعوبة في التحدث الى الأطفال الذين يتكلمون لغة واحدة . وعندما يتحدثون فإن لهجتهم الأجنبية تخونهم في حسن التعبير وتكثر في حديثهم الأخطاء اللغوية مما يؤثر على اتجاهات المستمعين نحوهم . كما يهمل الرفاق أولئك الأطفال الذين يتحدثون قليلا لأنهم غير مسموح لهم بذلك بسبب السلطة الضاغطة المنزلية . أما الأطفال الذين يشجعون على الحديث في المنزل والذين يتعلمون أن يتحدثوا عن أنشطتهم أو عن أية موضوعات أخرى ممتعة لدى زملائهم عادة ما يكونوا ذوي شعبية بين زملائهم .

وأحد أخطر معوقات القبول الاجتماعي هو عيوب الكلام . كما أن الطفل الذي يستخدم أساليب طفلية في الحديث يعد طفلا صغيرا ، كما أن الطفل الذي يلثغ ينظر إليه على أنه مخنث ، والذي يتهته كثيرأما يغيظه الاخرون ويسخرون منه أو يضحكون عليه بسبب حديثه المضحك .

وتتحسن لغة الطفل وحديثه كثيرا بدخوله المدرسة الابتدائية . وبتعلم الطفل القراءة يزداد محصوله اللغوي ويصبح على ألفه بالعبارات الصحيحة . ويحدث تصحيح سريع لكثير من أخطاء النطق والارتباطات الخاطئة ببعض الكلمات عن طريق المدرس . ويعاني الأطفال القادمون الى المدرسة من بيئات فقيرة ثقافيا - اذا ما قورنوا بالأطفال القادمين من بيئات غنية ثقافيا - من عجز ظاهر متزايد في التحصيل اللغوي ، ان الفقر اللغوي يسبب لهم الارتباك والتردد في أن يتكلموا في الفصل ، وسريعا ما يصبحوا أكثر وعيا برأي زملائهم ومدرسيهم غير الطيب عنهم بسبب قصورهم اللغوي . ومن جهة أخرى يشعر الآباء المثقفون بأهمية الحديث ويدفعون أبنائهم لتعلم اللغة والحديث بطريقة أفضل . وهناك عدة أمور

هامة تبين أهمية الحديث للطفل ونجاحه الدراسي . فالأطفال الذين يدخلون الصف الأول الابتدائي وهم أقل من متوسط الجماعة في محصولهم اللغوي كثيرا ما يعيدون نفس الصف . كما أن قصورهم اللغوي يجعلهم أقل قدرة على الكتابة والقراءة . وقد أكد جاريسون Garrison) (١٩٥٩) على أهمية حجم المحصول اللغوي بالنسبة للنجاح الدراسي قائلا « ان عدد الكلمات التي يعرفها الطفل يحدد الى درجة كبيرة مدى تقدمه الدراسي ، فالكلمات هي الوسيلة التي يتعلم بها الطفل الكثير عن عالمه . فإذا ما تميزت حصيلته اللغوية بالقصور الواضح - تميزت تفسيراته لبيئته بالقصور الواضح أيضا » .

وتؤدي ثنائية اللغة الى صعوبة في النجاح الدراسي ولكن هذه الصعوبة تقل عاما بعد آخر حتى الصف الخامس . ان النجاح المدرسي يعتمد على قدرة الطفل على ادراك ما يتعلمه وما يقرأه . ورغم أن هذه القدرات تعتمد على ادراكه الى حد ما لمعاني الكلمات فنجاحه يعتمد أيضا على قدرته على الاستماع بانتباه كافي لكي يفهم ما يقوله المدرس ، وهو أمر يرجع أساسا الى التدريب .

المجالات التي يمكن عن طريقها تحسين كلام الطفل :

رغم أن كل الأطفال يحصلون على فرص متساوية لتحسين كلامهم بالمدرسة فهناك فروق فردية في درجة التحسن الناتج . كما أن هناك اختلاف من حيث كمية التحسن الذي يحدث باختلاف الأعمال المتضمنة في تعلم الكلام . وربما يؤدي تحليل هذه الأعمال الى الكشف عن أين يمكن احداث التحسن .

الفهم اللغوي :

يزيد الفهم اللغوي للطفل على حصيلته المستخدمة. فهو يعرف معنى الكثير من الكلمات ولكن بطريقة غير واضحة ، ويمكنه أن يفهمها عندما تستعمل مرتبطة بكلمات أخرى واشارات وتعبيرات الوجه ، وتساعد مشاهدة الطفل للتليفزيون والاستماع الى الراديو والاشتراك في المناقشات العامة للأسرة في تنمية الانتباه والاصغاء مما يؤدي الى تحسين الفهم اللغوي لدى الطفل .

المحصول اللغوي :

ينمو التكوين اللغوي العام خلال الطفولة المتأخرة بخطى سريعة. فمن دراسته بالمدرسة ومن قراءته وإستماعه للناس وللراديو والتلفزيون يبنى الطفل محصوله اللغوي الذي يستخدمه في كلامه وفي كتابته . وقد وجد بالدراسة أن متوسط المحصول اللغوي للطفل في العام الأول الدراسي من ٢٠ ألف ـ ٢٤ ألف كلمة ، أو ٥ ـ ٦ ٪ من الكلمات الأساسية في القاموس . وبوصوله الى الصف السادس يعرف حوالي ٥٠ ألف كلمة .

ان الطفل في هذه المرحلة يتعلم كثيرا من الكلمات الجديدة ، كما يتعلم معاني جديدة للكلمات القديمة ويزداد محصوله اللغوي . والمحصول اللغوي للأطفال الذين ينتمون لآباء أفضل في مستوى تعليمهم أكبر من أولئك الأطفال الذين ينتمون لآباء أقل تعليما ، كما أن البنات بصفة عامة أكبر في حصيلتهم اللغوية من الأولاد .

ويتعلم الأطفال في هذه المرحلة تلك الكلمات ذات المعاني الخاصة والمحدودة في استعمالها . ففي نهاية العام الدراسي الأول يجب أن يكون المحصول اللغوي الخاص بآداب السلوك قريبا من ذلك الخاص بالبالغين في نفس البيئة . وتتفوق البنات بصفة عامة على البنين في المحصول اللغوي الخاص بالألوان بسبب اهتمامهم الزائد بالألوان . ويتعلم الطفل من خلال دراسته للحساب وتعامله بالنقود خارج المنزل ـ كثيرا من أسماء ومعاني الأعداد وغيرها من الفئات النقدية المختلفة . أما المحصول اللغوي الخاص بالزمن فيزداد أيضا وعادة ما يكون كبيرا كالبالغين الذين يتصل بهم باستمرار .

أما الكلمات العامية والشتائم swears فتصبح جزءا هاما من المحصول اللغوي للطفل في نهاية المرحلة . ومثل هذه الكلمات يتعلمها من الأخوة والأخوات الأكبر منه أو من طلاب المدرسة الثانوية المجاورين . ولذلك يتوحد مع الأطفال الكبار ويعطيه ذلك إحساسا بالأهمية الذاتية .

ويميل الأولاد الى استخدام لغة تتميز بالخشونة ويحبون هذه اللغة لأنها تميزهم عن البنات . ويستخدمون لغة رقيقة في الوقت الذي يحبون أن يجذبوا إليهم البنات ويحظون باهتمامهم .

ويعد سن المرحلة الابتدائية سن اللغة السرية عند الأطفال ، ويعمد بعض الأطفال الى استخدام لغة خاصة بهم حتى لا يعرف الآخرون سواء كانوا جماعات معادية أو بالغين ـ ما يريدون قوله أو فعله . وهذه اللغة لا يستخدمها الأطفال الا مع أقرب الأطفال اليهم من الأصدقاء وليعبروا عن أفكارهم بحرية تامة . وتستخدم البنات اللغة السرية أكثر من الأولاد ويقضون وقتا طويلا في وضع رموز جديدة وكلمات أو اشارات جديدة ، وهذه اللغة تشيع عادة فيما بين العاشرة وحتى المراهقة المبكرة . وقد يبكر بعض الأطفال باستخدام هذه اللغة السرية من الثامنة .

النطق :

أخطاء النطق قليلة في مرحلة الطفولة المتأخرة . قد تنطق الكلمة الجديدة خطأ في بداية استخدامها ـ لكن بعد نطقها الصحيح مرة أو مرتين يصبح الطفل قادرا على النطق الصحيح لها . لكن ذلك لا ينطبق على الأطفال الذين ينتمون الى بيئات فقيرة ثقافيا والذين يستمعون كثيرا الى النطق الخاطىء لكثير من الكلمات في منازلهم أكثر من الأطفال الذين ينتمون الى بيوت غنية ثقافيا .
ويميل الطفل الكبير الى أن يتحدث من أعماق رئتيه وبصوت عالي لأنه يظن أن الحديث بهدوء وبطريقة سارة إنما هو حديث المخنثين .

تكوين الجمل :

بوصول الطفل الى سن السادسة يصبح قادراً على تكوين جمل سليمة . ويزداد طول الجمل التي يمكن للطفل تكوينها من السادسة وحتى العاشرة من العمر . ولكن هذه الجمل الطويلة عادة ماتكون غير كاملة أي مشتتة وغير مترابطة . أما بعد سن التاسعة فيبدأ الطفل بالتدريج في استخدام جمل قصيرة وأكثر تركيزاً .

ولكون بناء الجملة يعد أمرا صعبا بالنسبة للطفل حيث تشيع أخطاء قواعد اللغة في هذه المرحلة . ويتوقف عدد الأخطاء ومدى خطواتها على مدى صحة أو خطأ الكلام والحديث الذي يسمعه الطفل في المنزل أو بين زملائه . وهناك علاقة كبيرة بين أخطاء قواعد اللغة في حديث الطفل وبين تلك الأخطاء الشائعة في حديث الوالدين .

عيوب الكلام :

من النادر أن تبدأ عيوب الكلام في سن الطفولة المتأخرة بل تبدأ قبل ذلك ، حقيقي أن بعض العيوب مثل التهتهة واللثغة التي تكون قد بدأت قبل ذلك بكثير تظهر بشدة في هذه المرحلة أن لم تعالج . ومثل هذه العيوب لها صلة أيضا بالتوترات العصبية ولذا فإنها تميل لأن تصبح أسوأ بدخول الطفل المدرسة ، ويتوقف ذلك على مدى ارتباك الطفل عندما يضحك الأطفال الآخرون على طريقة كلامه . كما أن الأطفال المصابون بالتهتهة يظهرون كثيرا من الأعراض الخطيرة لسوء التوافق عن غيرهم .

وأطفال الطبقة المتوسطة أكثر عرضة للاصابة بالتهتهة من أطفال الطبقة الدنيا . كما أن الأطفال الذين يفدون الى المدرسة من بيئة أقل اكتظاظا بالأفراد أكثر عرضة للتهتهة ممن يفدون من بيوت مكتظة بالأفراد .
وهناك بعض الحالات العضوية التي تساعد على ظهور اللثغة مثل وجود فارق كبير بين الأسنان الأمامية العليا ، أو وجود عيوب بالفكين ، أو تغيير الأسنان الأمامية اللبنية إلى دائمة عندما يصل الأطفال الى الصف الثاني .

محتوى الكلام :

أطفال هذه المرحلة أقل تركيزا في حديثهم عن أنفسهم egocentric من أطفال ما قبل المدرسة . وتغيير الحديث من التمركز حول الذات الى الاجتماعية يعتمد الى حد كبير على سن الطفل وعلى ما اذا كانت شخصيته أنانية أو اجتماعية ، وعلى عدد الصلات الاجتماعية التي كونها ، وعلى الارضاءات التي اشتقها من

هذه الصلات ، وعلى حجم الجماعة التي يتحدث معها ، فكلما كانت الجماعة كبيرة كلما كان حديثه اجتماعيا . كما أن الطفل عندما يكون بين زملائه وأقرانه يكون أقل أنانية عما لو كان مع البالغين .

ورغم أن الأطفال قد يتحدثون عن أي شيء ، فإن أحاديثهم المفضلة عندما يكونوا مع أقرانهم تتكون من أمور تدور حول خبراتهم الشخصية وعن منزلتهم وأسرتهم وألعابهم الرياضية وعن السينما وبرامج التليفزيون وعن أنشطة جماعتهم وعن الجنس والأعضاء الجنسية موا وع٩ الجسارة والجرأة والحوادث . أما عندما يكون الطفل مع الكبار فحديثه انما يحدده الكبار الى حد كبير .

وعندما يتحدث الطفل عن نفسه فعادة ما يكون في صورة تفاخر . ويتفاخر الطفل قليلا بممتلكاته المادية ، ولكنه يكثر من التفاخر بمهارته وقوته في الألعاب . والتفاخر كقاعدة شائع فيما بين ٩ ـ ١٢ سنة من العمر وخاصة بين الأولاد .

ويحب الطفل في هذه المرحلة أن ينتقد وأن يضحك على الناس الآخرين . وأحيانا ينتقد الناس علنا وأحيانا من وراء ظهورهم . وعندما ينتقد الكبار فإنه يصيغ نقده في صورة اقتراح أو شكوى مثل : لماذا لا تفعل كذا وكذا ، أو انك لا تتركني أفعل ما يفعله أصدقائي . أما نقد الأطفال الآخرين فيأخذ شكل التشهير والإغاظة أو تسميته بأسماء غير طيبة .

وتكثر أسئلة الأطفال التي تبدأ بـ « لماذا » في السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية .

ويتوقف التحسن في لغة الطفل على مستوى ذكائه وعلى عملية التنشئة الاجتماعية أيضا . فالأطفال الأكثر شعبية لديهم دافع قوي إلى تحسين نوعية حديثهم . فهم يتعلمون من الخبرة الشخصية أن الكلمات يمكن أن تؤذي . وأن الأطفال الأكثر شعبية هم أولئك الذين يساعد حديثهم على زيادة وقوة الصلة مع أقرانهم .

النمو الانفعالي في الطفولة المتأخرة

ما أن يدخل الطفل في هذه المرحلة حتى يكتشف أن التعبيرات العنيفة عن انفعالاته ـ وخاصة الانفعالات غير السارة ـ غير مقبولة اجتماعياً من أقرانه Contemporaries ويعتبر ثورات الغضب كأمور طفيلية ، والانسحاب في حالات الخوف كدليل على الجبن ، وايذاء آخر في مواقف الغيرة على أنه روح غير رياضية . وهنا يكتسب الطفل دافعاً قوياً نحو تعلم ضبط تعبيراته الخارجية لانفعالاته .

أما في المنزل فالأمر مختلف ـ فليس لديه دافع قوي لضبط انفعالاته . وكنتيجة لذلك كثيرا ما يعبر عن انفعالاته بقوة كما كان يفعل في صغره . وتحت هذه الظروف فليس من المستغرب أن نجد الآباء ينقدونه أو يعاقبونه على عدم سلوكه يتلاءم مع سنه .

ومما يميز هذه المرحلة أن التعبيرات الانفعالية السارة تبدو في صورة قهقهة أو ضحك محدثا ضجة وصخبا ويقفز هنا وهناك ويلف حول نفسه ويتمرغ على الأرض ويتدحرج كالحيوان المقيد لحظة فك قيوده . وهذه التعبيرات الانفعالية تعد غير ناضجة اذا ما قورنت بمستويات الكبار ، لكنها تشير الى أن الطفل سعيد ومتوافق .

لكن ليست كل الانفعالات في هذه السن من النوع السار . فهناك كثير من ثورات الغضب كما أن الطفل قد يعاني القلق ومشاعر الأحباط في بعض الأحيان . وقد تبدد البنت انفعالاتها بالدموع وقد تنفجر غضبا بنفس الطريقة التي كانت تتبع فيما قبل المدرسة ، أما الأولاد فهم أكثر ميلا للتعبير عن ضيقهم وغضبهم في صورة تجهم وعبوس .

الانفعالات الشائعة :

تختلف الانفعالات الشائعة في الطفولة المتأخرة عنها في الطفولة المبكرة في

ناحيتين :
الأولى : نوع المواقف التي تثير انفعال الطفل .
الثانية : أسلوب التعبير عن الانفعال .

هذه التغيرات في انفعالات الأطفال من مرحلة لأخرى ترجع الى اتساع خبرتهم وتعليمهم وليس الى عامل النضج . فخبرة الطفل المتزايدة تمكنه من أن يكتشف كيف يستجيب الناس المختلفون نحو التعبيرات الانفعالية المختلفة . وفي ضوء رغبته في أن يصبح مقبولا اجتماعيا فإن الطفل يعدل من طريقته في التعبير عن انفعالاته التي يكتشف أنها غير مقبولة اجتماعيا . أما الأنماط الانفعالية الشائعة في الطفولة المتأخرة فهي :

الخوف ، الغضب ، الغيرة ، حب الاستطلاع ، الحب ، المرح .

(١) الخــوف Fear :

كثير من الأشياء والمواقف والحيوانات والناس التي تخيف الأطفال الصغار لا تصبح كذلك لدي الأطفال هذه المرحلة . بينما تشيع بينهم المخاوف التالية : الخوف من النار والظلام والمرض والأطباء وأطباء الأسنان والعمليات الجراحية ، والخوف من أن تصدمه سيارة أو أن .. يعضه كلب . وتخاف البنات من أشياء كثيرة أكثر من البنين .

وبينما تقل تدريجيا المخاوف التي تثيرها مثيرات واقعية ملموسة بتقدم الطفل في العمر نجد هناك زيادة ملحوظة في المخاوف الخيالية والوهمية والخارقة للطبيعة الى جانب الخوف من الظلام والمخلوقات الخيالية المرتبطة بالظلام ، والخوف من الأمور المرتبطة بالجثث والموت . ويخاف أطفال هذه المرحلة أيضا من كونهم مختلفين أو من التحقير أو من أن يغيظهم أحد أو من الفشل فيما يقومون به من أعمال .

ولكون طفل هذه المرحلة على وعي بعدم القبول الاجتماعي من أصدقائه عندما يظهر خوفه أمامهم فإنه يحاول تجنب المواقف التي قد تثير الخوف لينقذ نفسه من السخرية التي سينالها عندما يراه الآخرون وهو في حالة الخوف .

(٢) الخجل Shyness :

وهو نوع من الخوف من المواقف الاجتماعية غير شائع بين الأطفال الكبار ولكنه يكثر بين الصغار . وعندما يحدث الخجل فإنه يبدو في صورة المظاهر العصبية مثل الامساك بالرأس من أحد جوانبها ، جذب الأنف والأذن أو الملابس أو الانتقال من أحد الرجلين الى الأخرى في الوقوف .

(٣) الهموم Worries :

وهي مخاوف تسببها مثيرات وهمية والتي تبدأ في الظهور في هذه السن .

وتعد المشكلات الأسرية والمدرسية والمشكلات المتعلقة بالتوافق الشخصي والاجتماعي أو بالنواحي الصحية من أكثر مثيرات الهم عند أطفال هذه المرحلة . والهموم المدرسية كالرسوب في الامتحانات أو التأخر عن المدرسة أو أن يترك في المدرسة بعد أن ينصرف عنها التلاميذ كلها مثيرات للهموم عند الطفل أكثر من العوامل الخاجية عن المدرسة .

أما الأشياء التي تسبب للأطفال كثيرا من الهم فهي تلك الأشياء التي تعد هامة لدى الوالدين أو الزملاء . فالآباء ينظرون الى النجاح في المدرسة كأمر هام ، بينما الأهم في نظر زملاء الطفل أن يكون لدى الطفل نقوداً لينفق منها على لهوه وللحصول على مكانة بينهم . وما دام الآخرون يعتبرون هذه الأشياء هامة فإن الطفل يضعها هو أيضا موضع الاعتبار . ولأن القيم تختلف من مستوى اجتماعي لآخر فان هموم الأطفال تختلف في شدتها تبعا لذلك .

(٤) القلق العام Generalized anxiety

حالة اضطراب عقلي مؤلمة من توقع الاعاقة أو الألم ، وهي أكثر شيوعا من غيرها . ويكون القلق كبيرا عند الأطفال الذين لا يتمتعون بحب زملائهم عن أولئك الذين يتمتعون بمحبة الآخرين . وكقاعدة فإن القلق يكون أكثر بين البنات عن الأولاد ، ويزداد كلما كبر الطفل وازدادت الضغوط الواقعة عليه .

(٥) الغضب Anger :

هناك كثير من المواقف الباعثة للغضب في الطفولة المتأخرة أكثر منها في الطفولة المبكرة ، لأن الطفل الكبير لديه رغبة قوية للاستقلال أكثر من الطفل الأصغر . ولذلك كثيرا ما تواجه جهوده بالاحباط عند محاولته تحقيق هذا الاستقلال . ويغضب طفل هذه المرحلة عندما يقاطع أحد من الناس نشاطه الذي قارب الانتهاء ، وعندما ينقده الآخرون باستمرار ، وعندما يقارن الآخرون بينه وبين الأطفال الأكبر منه بطريقة غير مرغوبة ، وفي حالة النصائح والتوجيهات المستمرة . مما يضايقه أن يلام أو يعاقب على شيء لم يرتكبه أو أن يرى شخصا يغش أو يعمل أشياء غير طيبة أو أن يتهم هو بالكذب . ويزداد غضب الطفل كثيرا عن الطفل الأصغر . وكثيرا ما يضع الطفل لنفسه مستويات من الطموح أكبر من امكانياته وعندما يفشل في انجازها فإنه يغضب .

ويعبر الطفل عن غضبه بطريقة سلبية ورفض للكلام والشجار واحداث الفوضى وعدم موافقته لأي شخص على أي موضوع . وفي وجود الكبار يميل الطفل لأن يكون أكثر تحكما في تعبيراته عن غضبه أكثر من الطفل الأصغر .

ويواجه طفل هذه المرحلة احباطات أو مشاعر بالعجز عندما يقف عائق في طريق دوافعه أكثر من طفل المرحلة السابقة . وأحيانا ما تصدر المعوقات من البيئة الاجتماعية متمثلة في والديه ومدرسيه الذين لا يسمحون له أن يعمل ما يريده ، وأحيانا تنبع هذه المعوقات من طموحاته غير الواقعية التي يكتشف أنه غير قادر على الوصول إليها .

ويسلك بعض الأطفال بطريقة عدوانية بضرب ذالك العائق أو ذلك الشخص الذي أعاقه ، بينما يسلك الأطفال الآخرون بطريقة سلبية بالانسحاب من الموقف المعوق . أما في المواقف الاجتماعية التي تتميز بالحرية وعدم التقيد حيث تغيب سلطة الكبار وتأديبهم تصبح الاستجابات العدوانية أكثر تكرارا وأكثر عنفا .

(٦)الغيرة Jealousy

لا تنتهي الغيرة بين الأشقاء بدخول الطفل المدرسة ، بل انها تزداد حدة في

بعض الأحيان لشعور الطفل بأنه أثناء غيابه عن المنزل يحصل الطفل الأصغر على كل اهتمام الأم بينما يكون هو بين غرباء غير أصدقاء له . وربما ينقل الطفل الذي مارس الغيرة في المنزل غيرته الى زملائه وخاصة المحبوبون أكثر بين زملائهم والذين يتفوقون عليه دراسيا .

وقد يظهر الطفل غيرته بصورة مباشرة خلال الشجار وذكر القصص والاستهزاء بالآخرين واغاظتهم والعدوان على من هم أصغر منه ، ووصف بعضهم بعبارات غير محببة ، أو خلق خلافات تؤدي الى التشاجر بينهم . وقد يعبر عن غيرته بطريقة غير مباشرة باهمال الطفل الذي يغير منه ، أو بالتهكم عليه أو بالاسغراق في أحلام يقظة من النوع الدرامي أو بالكذب والغش . وكلما تقدم الطفل في العمر كلما أصبحت المظاهر غير المباشرة للغيرة أكثر من المظاهر المباشرة

(٧) حب الاستطلاع Curiosity

حب الاستطلاع ليس قويا في نهاية هذه المرحلة كبدايتها أو ما قبلها . وقد يفسر ذلك بأن ما يرغب الطفل اكتشافة قد أصبح أقل مما سبق ، فقد أصبح على ألفة بالمكان الذي يعيش فيه ، كما تعلم بالخبرة أن حب الاستطلاع قد يوقعه في المشاكل . ولكن الطفل مازال محب لاستطلاع الأشياء الجديدة التي تظهر في بيئته ، والأشياء التي لم يكن يسمح له وهو صغير أن يقوم باستكشافها كالكبريت والأشياء الموجودة فوق الأسطح أو تشغيل المواقد .

ويرضى الطفل حب استطلاعه بنفس الطريقة التي كان يتبعها عندما كان صغيرا . فهو يفحص الأشياء التي تجذب انتباهه . وكثيرا ما يفكها ليعرف كيف تعمل . كما يوجه استكشافه المباشر في صورة أسئلة لا حصر لها ليعرف ويتعلم . وبوصول الطفل الى الصف الثالث الابتدائي أصبح يقرأ وأصبح في قدرته أن يشتق معاني ما يقرأ . ومن هذه اللحظة تصبح القراءة مصدرا هاما ومتزايداً للحصول على المعرفة .

(٨) الحب Affection :

قليلا ما يعبر طفل هذه المرحلة عن حبه . فالأولاد يشعرون بأنهم أكبر من أن يقبلهم الآخرون أو يعانقونهم ويتضايقون لو حدثت مثل هذه الأمور أمام الاخرين . بل أنهم يقاومون أن ينادون بأسماء الدلع . ورغم أن البنات أقل حدة من الأولاد بالنسبة لنفس المواقف فإنهم أيضا لا يحبون ذلك . ونظرا لأن الأولاد والبنات يكرهون من الناس أن يعلنون عن الحب لهم فإنهم أيضا لا يميلون الى اظهار الحب للآخرين .

ولكن حبهم يظهر بصورة غير مباشرة في صورة الرغبة في أن يكونوا مع من يحبون باستمرار وأن يقوموا بأشياء لمساعدتهم أو مساعدتهم بأي صورة ممكنة ، وعادة ما يفضل الطفل بعض الأشقاء أو أحد الآباء ويبدي نحوهم حبا كبيرا عن باقي أعضاء الأسرة غير المفضلين لديه . وعندما يظهر حبه فعادة ما يكون ذلك بصورة اندفاعية وفي أوقات غير متوقعة .

(٩) المرح joy :

ينمو الطفل ويكبر وتظل مثيرات انفعال السرور هي نفسها عندما كان صغيرا وعادة ما يبتسم أو يضحك على المواقف المتناقضة والسخافات والمآزق البسيطة والأصوات المفاجئة أو غير المتوقعة أو أي شيء دخيل على الموقف المحيط بالطفل . ويشتق الطدل كثيرا من السرور من اللعب بالكلمات ومن النكت الا إذا كان غاضبا . لقد أصبح قادرا على الضحك على المآزق التي يقع فيها ، وقد يضحك عندما يكون في مأزق ليثبت للآخرين أنه ذو روح رياضية . وما يبعث على سروره أيضا أي شيء يمنحه شعورا بالتفوق مثل النكت الموقفية وأكل أطعمة ممنوعة ، وأخذ نفس من سيجارة أو تذوق سائل معين .

ويتمكن الأطفال الأكبر سنا من التحكم في مرحهم عن الأصغر سنا . وقد يظهرون مرحهم بصورة ضحك عال وقهقهة وصوت أجش . وكثيرا ما يضرب الأولاد زملاءهم على ظهورهم أو رؤوسهم عندما يشعرون بالسعادة ، أما البنات فتطوق بعضها بالأذرع .. وتعانقهن وتقبلهن كتعبير عن مرحهن .

فترات الانفعال الحاد عند الطفل :

هناك أوقات في الطفولة المتأخرة تصل انفعالات الطفل فيها الى أقصاها ، فعندما تكون الانفعالات غير سارة على الأخص . تصبح فترات حدة الانفعال نوع من عدم الاتزان حيث تكون الحياة مع الطفل صعبة والعمل معه مشكلة .

ومما يؤدي الى حدّة الانفعال عند الطفل في هذه المرحلة بعض الأسباب الجسمية أو البيئة . فعندما يكون الطفل مريضا أو مجهدا فإنه يتصف بعدم الاستقرار والنكد والمشاكسة ، أما عندما يشعر بالتحسن والراحة فإنه يميل لأن يكون سعيدا . وقبل دخول الطفل الى مرحلة النضج الجنسي مباشرة تصل حدة الانفعالات الى قمتها .

ان عملية التوافق مع المواقف الجديدة كثيرا ما تحدث اضطرابا للطفل . ولذلك فان دخول المدرسة في السادسة تصحبه انفعالات حادة وعامة . وبعد أن يتوافق الطفل مع المدرسة تبدأ الانفعالات في الهدوء . وحتى الأطفال الذين سبق أن التحقوا بمدارس الحضانة ورياض الأطفال فإنهم يتميزون بانفعالات حادة حتى يتم توافقهم مع مطالب الصف الأول ـ وهي احتياجات تختلف بوضوح عن احتياجات الحضانة . وعندما يحدث التوافق الدراسي فإنه يدخل في سن يتصف فيها بالرقة حتى بدء البلوغ . وأسباب تلك الفترة من الهدوء الانفعالي النسبي هي :

(١) تحددت أدوار الطفل البالغ وأصبح يعرف كيف يؤديها .
(٢) من خلال المباريات والرياضات يجد مخارج ملائمة لانفعالاته مما يساعده على استقرار النمط الانفعالي .
(٣) بتحسن مهارات الطفل فإنه يواجه احباطات سبق أن مارسها وفشل في مواجهتها .

وكما يذكر الكسندر وادلرشتين Alexander & Adlerstein (١٩٥٨) . فإن هده الفترة تعد فترة العمر الذهبي .

النمو الاجتماعي في الطفولة المتأخرة

إن الميل القوي نحو أنواع النشاط التي يقوم بها الأقران ، والرغبة القوية في أن يكون الطفل عضوا مقبولا في جماعة وعدم الشعور بالرضا عندما يكون بعيدا عنها جعلنا نطلق على هذه المرحلة سن العصبة gang age وذلك حتى نهاية سنوات الطفولة . ففي هذه السن يسير النمو الاجتماعي بخطى سريعة ، ويتحول الطفل سريعا من التمركز حول الذات والأنانية حيث تتميز علاقاته الاجتماعية بالصراع والخصام المستمر - الى فرد متعاون ومتوافق كعضو في جماعة اجتماعية تتكون من أقرانه .

وفي هذه المرحلة تتحول أنماط السلوك التي تجعل الطفل يبدو أقل نضجا بأنماط أخرى أكثر نضجا . وتختفي السلبية بوصول الأطفال الى سن السادسة . وإن كانت تظهر ثانية بين الأولاد فيما بين ١٠ - ١١ عندما يقاومون سلطة الكبار كطريقة لتأكيد ملائمتهم لجنسهم . ويصبح الطفل أقل رضا باللعب الفردي أو بمساعدة أعضاء الأسرة في الأعمال المنزلية . كما يقل رضاه باللعب مع فرد أو فردين فقط ، فهو يريد أن يكون مع جماعة يمكنه مع أفرادها أن يلعب الألعاب التي أصبح يستمتع بها والمملوءة بالاثارة . فمنذ دخول المدرسة وحتى بدء التغيرات المصاحبة للبلوغ تزداد قوة الرغبة في أن يكون الطفل مع جماعة وأن يكون مقبولا منهم . ولا يختلف الذكور عن الإناث في ذلك .

عصبة الأطفال Children Gang :

عصبة الأطفال هي جماعة للعب وهي على عكس عصب المراهقين - التي تلقى اهتماما كبيرا من وسائل الاعلام . وأثناء اللعب قد يخطىء الطفل فيحطم خصوصيات الآخرين أو يؤذيهم ولكن بصورة غير مقصودة . أما عصب المراهقين فأحيانا ما يصممون على العدوان على الآخرين أو تدمير ممتلكاتهم .

والفرق الجوهري الثاني بين عصبة الأطفال والمراهقين هو أن أعضاء عصبة المراهقين هم عادة الأفراد غير المقبولين من زملائهم الذين يكونون مجتمع المراهقين ، وكثيرا ما ينظر إليهم على أنهم جانحين ومشاكسين غير مقبولين من باقي زملائهم أما الأطفال الذين ينتمون الى عصب الأطفال فهم عادة الذين يتمتعون بشعبية بين زملائهم والمقبولين من أقرانهم وهم كثيرا ما يدعون الى الإنضمام الى جماعات الأطفال .

أهمية اللعب بالنسبة للطفل المدرسة الابتدائية

- يجد في اللعب تنفسا لغضبه الشديد .
- نمو لكل أجزاء الجسم بما في ذلك العظام والعضلات والأجهزة الداخلية .
- تدريب يساعد على رفع شهيته ونومه نوما صحيا .
- تنمية لكثير من المهارات التي ستصبح ذات أهمية وفائدة كبيرة في حياته .
- تنمية لقدرته على التركيز على العمل الذي يقوم به .
- مخرجا ملائما للتنفيس عن الغضب والغيرة والخوف .
- وسيلة لتعلم كيفية التعامل مع الأطفال الآخرين .
- يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يتوحد مع رغبات الآخرين .
- يتعلم من خلال الطفل كيف يتعاون وكيف يشارك الآخرين .
- يتعلم الطفل من اللعب المروح الرياضية (التي لا تتباهى بالنظر ولا تثور للهزيمة) .
- يتعلم الطفل من خلال اللعب كيف يتوحد مع الآخرين .

وتكون جماعات الأطفال من أطفال من نفس الجنس . وتبدأ الجماعة أو الشلة عادة بثلاثة أو أربع أفراد ، ثم بازدياد اهتمام الأطفال بالألعاب الرياضية يزداد عدد الشلة تدريجيا بحيث يصبح هناك عدد كاف لتكوين فريق للعب . وكقاعدة فإن شلل الأولاد أكثر عددا من شلل البنات . ويتأثر حجم الشلة بعدد الأطفال

الممكن التقاؤهم والنشاطات التي يود أفراد الشلة الاندماج فيها .

وعادة ما تكون الأنشطة التي تقوم بها شلل الأولاد من النوع غير المقبول من الكبار . فعادة ما تكون فيها مضايقة للناس مثل : سرقة الفاكهة والتدخين . أما شلل البنات فقليلا ما تندمج في أنشطة غير مقبولة اجتماعيا وان كانت في بعض الأحيان تقوم بأمور مثل التدخين وأحيانا السرقة من المحلات التجارية . وأغلب وقتهم يقضونه في الحديث أو جمع النقود من أجل الاحسان أو لعب مباريات أو عمل أشياء أو تمثيل أدوار درامية .

وتختلف أنشطة الجماعة من مجتمع لمجتمع ومن مستوى اجتماعي لآخر داخل المجتمع الكبير ، ورغم هذا فهناك تشابه من حيث ميلهم جميعا الى المباريات والرياضة والذهاب الى السينما أو مشاهدة المباريات الرياضية ، واكتشاف البيئة ، أو حتى الجلوس معا للكلام والأكل .

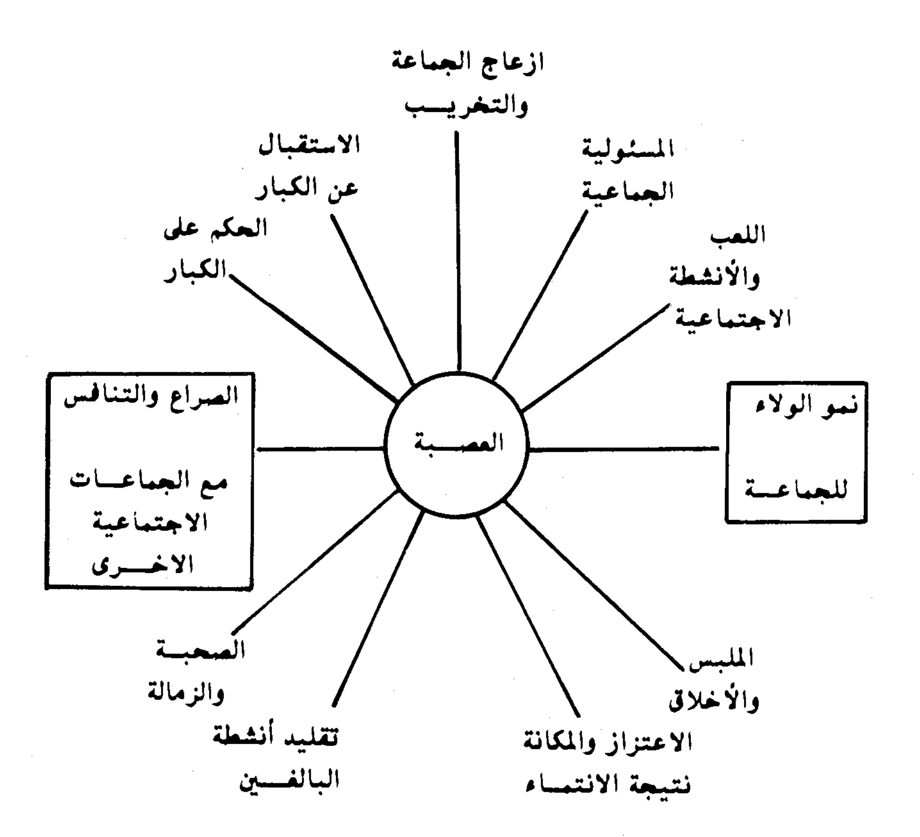
وعادة ما يكون للجماعة مكان ثابت للقاء . قد يكون ركنا في شارع أو قبوا في منزل أو فناء أو حظيرة أو جراجا أو مكانا مهجورا أو غير ذلك . وعادة ما تكون أماكن لقاء الأولاد بعيدا ما أمكن عن المنزل ليكونوا بعيدين عن رقابة الكبار وتدخلهم في شئونهم . أما البنات فكثيرا ما تكون لقاءاتهم الدورية في منزل أحدهن حيث يتوفر المكان والحرية ليفعلوا ما يحلوا لهم .

تأثير عصبة الأطفال :

ان خوف الطفل من أن يفقد مكانته في العصبة أو أن تنبذه - الا اذا توحد كلية معها - يدفعه الى التطابق مع معاييرها في الملبس والآراء والسلوك . وعندما يبدأ الصراع بين المعايير الوالدية وتلك الخاصة بالعصبة - يميل الطفل الى التوحد مع الأخيرة أكثر من الأولى .

ويتعلم الطفل من خلال التفاعل مع العصبة معنى التنافس مع الآخرين والتعاون معهم والعمل كعضو في فريق ، وأن يتقبل المسئوليات وكيف يتحمل

نتائجها ، وأن يقوم بدور الآخرين عندما يبعدوا عن الجماعة أو يعاقبوا ، وكيف يكون ذو روح رياضية في الفشل وفي الفوز . ومثل هذا التدريب على عملية التطبيع الاجتماعي والتي لا يمكن تحقيقها من خلال أي جماعة أخرى الا من خلال هذا التفاعل اليومي مع زملائه من نفس السن يعد ذو قيمة بالغة بالنسبة للطفل وعبر السنوات التالية من حياته ، تزيد في أهميتها على الازعاج المؤقت الذي يسببه الأطفال لآبائهم نتيجة لعلاقاتهم بشللهم .



خصائص الطفل الزعيم

- ذكاؤه أعلى قليلا من الجماعة ككل
- أكبر قليلاً في بنائه الجسمي من أعضاء الجماعة .
- على استعداد للقيام بأكبر من نصيبه لينجح العمل الذي تقوم به الجماعة
- على استعداد للتضحية برغباته الشخصية من أجل رغبات الجماعة
- يأخذ بالمبادرة في تنفيذ أي واجب
- يستخدم خياله الابداعي في تخطيط نشاط الجماعة
- ماهر أكثر من المتوسط بالنسبة لأعضاء الجماعة .
- يتعاون مع الجماعة في أي نشاط
- يشاطر أي فرد في الجماعة أحزانه أو مصائبه
- يهتم بالآخرين وبميولهم .
- يحترم حقوق ورغبات وخصوصيات الآخرين .
- واثق من نفسه ولكن ليس لدرجة الغرور
- روحه رياضية في النجاح والفشل
- يتحدث عن أشياء غير نفسه
- يقول أشياء سارة عنه وعن الاخرين
- ذو منظر مهندم ونظيف وجذاب
- شكله ملائم لجنسه
- يبدو سعيدا ومرحا
- روحه مرحة
- متفهم للآخرين ولبق
- متفهم لما تحبه الجماعة ويقدم أنواع من النشاط يحبونها
- يشعر الآخرون بسعادة لوجودهم معه أو للعمل معه

الصداقات في الطفولة المتأخرة

يفضل كلا الأولاد والبنات في هذه المرحلة صحبة الأفراد الذين ينتمون لنفس الجنس. (ففي المهد يكون اهتمام الأطفال مركزا حول أنفسهم، وفي الطفولة المبكرة يسعى الأطفال الى اللعب مع الأطفال الآخرين بصرف النظر عن جنسهم، وفي سن ٦-٨ يفضل الولد اللعب مع الأولاد وتفضل البنت اللعب مع البنات). وتصل الكراهية لأعضاء الجنس الآخر الى أقصاها قبل البلوغ مباشرة، ففي هذا الوقت تنظر البنت الى الأولاد على أنهم فوضويون ولا يصبرون على ما يثيرونه من ضوضاء وسوء خلق. وعادة ما يناصبونهم العداء. وتصطبغ اتجاهات البنات نحو الأولاد بصبغة انفعالية أكثر من اتجاهات الأولاد نحو البنات. فالأولاد أكثر موضوعية من البنات ومحايدين وغير عداليين في اتجاهاتهم نحو البنات.

وهناك سبب للاعتقاد بأن الاتجاهات المرغوبة من البنات نحو الأولاد في هذه السن تنبعث من اعتراض البنات على الحرية الكبيرة التي يتمتع بها الأولاد من ناحية ومن حقيقة أخرى مؤداها أن البنت عندما تصل الى البلوغ تكون قد وصلت الى مستوى أكبر من حيث النضج الاجتماعي الذي يصاحب نضجها الجنسي المبكر عن الولد مما يجعل سلوك الأولاد من أقرانها يبدو سلوكا غير ناضج.

وهناك عدة عوامل تؤثر على اختيار طفل هذه المرحلة لأصدقائه. فهو يختار كأصدقاء أولئك الذين يدرك أنهم يتشابهون معه، والذين يشيعون حاجاته العميقة. كذلك فإن القرب في المكان سواء في المدرسة أو الجيرة عامل هام في قيام الصداقة بين الأطفال لأن الطفل محدود بمجال ضيق في اختياره لأصدقائه. وهناك ميل قوي للأطفال نحو اختيار أصدقائهم من نفس الصفوف الدراسية التي ينتمون لها.

وتعد السمات الشخصية عاملا هاما في اختيار الأصدقاء. ومن السمات المفضلة المرح الودود، المتعاون، الحنون، الأمين، الكريم، المعتدل المزاج، الرياضي. وكلما اقترب الطفل من نهاية المرحلة فإنه يفضل الأصدقاء الذين يتشابهون معه في المستوى الإقتصادي الاجتماعي والسلامة والعقيدة.

العلاقة بين الأصدقاء :

عندما تتكون جماعة الأصدقاء فإن أفرادها يميلون الى القسوة على الآخرين من غير أصدقائهم . وأكثر أسرار العصبة يدور حول ابعاد الأطفال الآخرين الذين لا يرغبونهم كأصدقاء عن عصبتهم . ويصل الميل للقسوة والغلظة مع الأطفال الآخرين من غير أصدقائهم الى أقصاه في سن الحادية عشرة . ويعاني الطفل الجديد لفترة معينة صعوبة قبول العصبة له كصديق جديد ، وعليه هو أن يبادئ بإقامة الصلات اذا كان عليه أن يصبح صديقا ، وذلك بمحاولة الكلام واللعب مع واحد من الأعضاء القدامى في الشلة وملاحظة وتقليد العابهم ومحاولة جذب انتباههم نحوه ـ قد يتجاهله أفراد العصبة في البداية أو يصدونه لكنه اذا حاول مرة تلو المرة فقد ينجح في الحصول على اهتمام أحد أعضاء العصبة به . ومن هذه الصلة قد يكسب مكانا في العصبة .

وتعد العصبة من الوجهة الاجتماعية جماعة منظمة تنظيما جيدا ، فلديها أسرارها وتحافظ على كيانها ضد أي غريب أو أولئك الذين لا يرغبهم أفراد العصبة كأعضاء فيها ، كما أن هناك قدر كبير من الصراع من أجل المكانة . وتنتهي الصراعات عادة بإعادة تنظيم الصداقات . ولذلك فصداقات الأطفال نادرا ما تتصف بالإستقرار ، فقد يتحول الطفل من صديق عزيز الى عدو ، أو من علاقات سطحية الى صداقة وثيقة بسرعة ولأسباب تافهة . ومن أكثر أسباب تغيير الصداقات كما يعبر عنها الأطفال أمور مثل : الشجار والسيطرة وعدم الإخلاص والمكر والغرور والمعارضة والتنافر . وكلما كبر الأطفال تصبح صداقاتهم أكثر استقرارا . وقد وجد أيضا أن الأطفال الذين يتمتعون بشعبية بين أقرانهم كثيرا ما يغيرون صداقاتهم مثلهم في ذلك مثل الأطفال الذين لا يتمتعون بشعبية .

القيادة في عصبة الأطفال :

يمثل القائد في عصبة الأطفال معايير العصبة . وفي حالة الأولاد يجب أن يتصف القائد بأنه رياضي ذو بناء جسمي قوي ومتفوق في نواحي كثيرة . ويكون الأولاد والبنات في هذه السن اتجاها نحو بطل معين أو شخص معين له الخصائص التي يعجبون بها ـ ولذا فإن القائد الذي يتمتع بمثل هذه الخصائص ينال احترام الشلة ، وبذلك تتأكد شعبيته على أنه يتمتع بخصائص تفوق جميع

أفراد الشلة وخاصة في الذكاء والتبعية وسياسة الأمور والثقة بالنفس والاتزان الانفعالي والقدرة الرياضية (البدنية) ، والوعي برغبات الآخرين .

وهذا التفوق يجب أن يعبر عن نفسه ، فالطفل الهادئ المنطوي عادة ما لا ينظر إليه أحد بصرف النظر عن بعض الخصائص التي يتفوق فيها . فكل القادة يتميزون باتجاهاتهم الانبساطية ، وليسوا منطوين على أنفسهم وكلما كانت الجماعة أكبر كلما ازدادت المهارات التي يجب أن يتحلى بها القائد وكلما كان الطفل أكثر خبرة بالقيادة عندما كان صغيرا كلما كانت الفرصة أمامه أفضل ليكون قائدا عندما يزداد حجم الجماعة وتصبح أكبر .

القبول الاجتماعي :

يصبح طفل هذه المرحلة أكثر وعيا برأي زملاء فصله فيه واذا كانوا يحبونه أم لا . وهناك بعض الأطفال وخاصة ذوي الذكاء الفائق أو الذين يتميزون ببعض القدرات الخاصة التي تجعلهم ذوى اهتمام بأشياء ذات أهمية قليلة لدى زملائهم . وكنتيجة لذلك يكونون منعزلين يبحثون عن أصدقاء ولكن الآخرون ينبذونهم .

وقد كشفت المقارنة بين الأطفال المحبوبين وغير المحبوبين عن أن أولئك المحبوبون يتوحدون أكثر مع مطالب فصلهم وتوقعاته ، يبتسمون أكثر ، ويتعاونون أكثر ، ويتطوعون كثيرا في أنشطة الجماعة ، وأقل ميلا الى الانفرادية خلال اللعب ، وأقل عدوانا ويتجهون نحو الجماعة أكثر من تمركزهم حول الذات . وكثيرا ما يتميزون بسمات اجتماعية مرغوبة من الجماعة تتصف بالايجابية كما أنهم أكثر تكيفا .

أما الأطفال غير المقبولين اجتماعيا من أقرانهم فكثيراً ما يكونوا انعزاليين هادئين أو عدوانيين ، ومن النوع المشكل الذي يكرهه باقي الزملاء . ولأنهم كثيرا ما يفسدون على الآخرين لعبهم فان الجماعة تنبذهم .

ويميل الأولاد لأن يكونوا أقل تقبلا من البنات . والسبب الرئيسي في ذلك أن

الأولاد أثناء محاولة اثبات ملائمتهم للدور الجنسي الملائم لهم كثيراً ما يلجأون الى العدوان والتسلط الذي يعادي الآخرين ويفسد عليهم لهوهم .

أما البنات المندفعات الاستعراضيات فتنظر الأخريات من زميلاتهن على أنهن متشبهات بالأولاد فينبذوهن .

ويتمتع الأولاد الأكثر ذكاء بحب زملائهم أكثر من الأولاد متوسطي الذكاء أو الأقل من المتوسط . وذلك لأن الأذكياء يمكنهم أن يقترحوا أنواعا من النشاط تمتع الجماعة ويعملون بصورة أكثر نضجا عن زملائهم . أما الأطفال الأغبياء فيتجاهلهم زملاؤهم وكثيرا ما لا يحبونهم . وسبب ذلك أن بطئهم في التعلم وسلوكهم غير الناضج جعلهم معرقلين للعب وقليلي التعاون في انجاح النشاط .

كيف نرفع من مستوى القبول الاجتماعي :

ان أسوأ ما في عدم التقبل الاجتماعي هو أنه يحرم الطفل من العلاقات الاجتماعية المهمة في السن المعين حيث تكون هذه العلاقات ذات أهمية حيوية للطفل في تعلم طرق التوافق الناجحة مع الأطفال الآخرين . ويتصف الطفل غير المتقبل من الآخرين بالوحدة والتعاسة وثقل الظل . ان جعل الطفل غير المتقبل متقبلا من زملائه أمر صعب لثلاثة أسباب :

(١) انه اشتهر بصفات طيبة بين زملائه ، أنه جاف ، يدفعهم أرضا ، كثير البكاء ، ثرثار .
(٢) أن نمط السلوك الذي يجعله غير محبوب نمط متعلم من قبل دخوله المدرسة بكثير بحيث أصبح تغييره صعبا .
(٣) ان الطريقة التي يتقرب بها الطفل من الاخرين هي التي تحدد طريقة استجابتهم له فإذا كان متسلطا ويسعى الى ان يرأسهم سيقاومه الآخرون .

ولكن هذا لا يعني أن الطفل غير المحبوب لا يمكن تعديل سلوكه ليصبح محبوبا ومتقبلا بل من الممكن ذلك . فبالتوجيه يمكن للطفل غير المحبوب أن

يكتسب أنماطا من السلوك المقبول اجتماعيا ، فمثلا يمكنه أن يتعلم أن يقول أشياء سارة بدلا من غير السارة وأن يتكلم عن الأشياء الأخرى بدلا من الكلام عن نفسه . وسواء كان الطفل محبوبا بين زملائه قبل المدرسة أم لا فإنه يحتاج لتوجيه ليستمر هذا الحب .

اللعب في الطفولة المتأخرة

تسمى مرحلة الطفولة المتأخرة أحيانا بسن اللعب ، هذه التسمية في الواقع مضللة لأنها تفترض أن الطفل سيكرس أغلب وقته للعب .. هذا غير ممكن . فالوقت الذي يمكن أن يتوفر للعب عند طفل المدرسة قليل جدا عما كان متوفرا قبل ذلك . والاسم الذي يطلق على هذه المرحلة بأنها سن اللعب نبع من وجود تداخل بين أنشطة اللعب الخاصة بالصغار وتلك الخاصة بالمراهقين .

تنوع لعب الأطفال :

ويبدو أن هناك اختلاف في نوع وكم أنشطة اللعب في المستويات الاجتماعية الاقتصادية المختلفة . فأطفال المستويات الاجتماعية الاقتصادية المتوسطة تشترك في أنواع النشاط الجماعي المنظم مثل الكشافة ، بينما يميل أطفال المستويات المنخفضة الى الاشتراك في الأندية أو الساحات الشعبية . ويلاحظ أن كلا الجنسين على وعي بالأدوار الملائمة لجنسه في مواقف اللعب ويبتعدون عما هو غير ملائم لجنسهم بصرف النظر عما اذا كانوا يفضلونه أم لا . وكلما كان التباعد بين الجنسين كبيرا كلما كان الأولاد والبنات أكثر وعيا بالأدوار المميزة لجنس كل منهما .

ويزداد ميل الأولاد الأكثر ذكاءا الى الألعاب الفردية تدريجيا كلما تقدموا في العمر كما يشتركون في عدد أقل من الأنشطة التي تتصل بالنشاط والقوة الجسمية عن الأولاد الأقل ذكاءا . كما أن الحي السكني الذي يعيش فيه الأطفال له أثره على نوع ألعابهم لأنه يقرر نوع الفرص المتاحة ومداها . فالطفل الحضري يقضي وقتا أطول في مشاهدة التليفزيون لأن البيئة لا تمنحه الا فرصا قليلة أخرى اللعب .

وبصرف النظر عن تنوع مواقف اللعب فإن الأطفال كلما تقدموا في العمر قلت حيوية اللعب وزادت أهمية المسليات كالسينما والراديو والتليفزيون والمسرحيات والقراءة وكسب شعبية بين زملائه ... الخ . وهذا التغير يرجع الى الضغوط المتزايدة الناشئة عن كثرة العمل المدرسي وكثرة الواجبات المنزلية .

أنواع اللعب المرغوبة في هذه المرحلة :

يتوقف نوع النشاط الذي سيندمج الطفل فيه على مدى شعبيته . فالأطفال الذين يعدون أعضاء مقبولين في الشلة يشتركون في الأنشطة الجماعية أكثر من أنواع النشاط الفردي ، والعكس صحيح بالنسبة لمن هم أقل شعبية . ومن بين أنواع اللعب الشائعة والمحببة في الطفولة المتأخرة : اللعب الأنشائي Constructive play ، جمع الأشياء ، المباريات والرياضة ، أنواع التسلية مثل القراءة والراديو والتليفزيون وأحلام اليقظة .

اللعب الانشـائي :

مثل صنع أشياء لمجرد الاستمتاع بصنعها وبصرف النظر عن الفائدة الممكن الحصول عليها من صنع هذه الأشياء سوى السمعة الطيبة بين زملائه . وبناء أشياء من الخشب أو الأولاد من الأمور المفضلة لدى الأولاد . بينما تفضل البنات الأعمال الدقيقة مثل الخياطة والرسم والتلوين وتشكيل التماثيل وتشكيل الأحجار الكريمة .

الرسم والتلـوين والنحت :

ويقل الاهتمام بهذه الأمور كلما تقدم الطفل في العمر ، ولا يرجع ذلك لأن الطفل قد فقد اهتمامه بها ولكن لوعيه الذاتي بالنقد الذي يوجه اليه من زملائه ومدرسيه ، لأنه عندما يرسم فانه يقدم رسوماً كاريكاتيرية لمدرسيه وزملائه والناس الآخرين .

الغنـــاء :

الغناء نوع آخر من اللعب البنائي يستمتع به طفل هذه المرحلة . وهو لا يحب أن يغني كجزء من عمله المدرسي ولكنه يستمتع بالغناء عندما يكون بين زملائه وأصدقائه بعيداً عن أسماع والديه ومدرسيه . ولا يحاول الأولاد أن يجيدوا الغناء ولكن متعتهم تأتي من احداث فوضي وأصوات عالية عندما يرددون الأغاني بصورة كاريكاتيرية . أما البنات فانهن يحاولن اجادة الغناء ويستمتعن بذلك .

جمـع الأشـــياء :

جمع الأشياء كأحد صور اللعب يزداد بتقدم الطفل في العمر . ويصبح الجمع انتقائياً في نهاية المرحلة عما كان عليه في بدايتها ، حيث يحدد جمعه للاشياء في صورة عدد محدد منها ثم يحاول أن يحصل على تشكيلة واسعة داخل هذا العدد المحدد .

المباريات والألعاب الرياضية :

تتميز ألعاب الطفل في بداية هذه المرحلة بأنها بسيطة وغير متمايزة . ونجده دائما قلقان من أجل اللعب مع الأطفال الأكبر سناً ، ويبدأ في التدريب على ألعاب كرة السلة وكرة القدم وغيرها . وعندما يصل الطفل الى سن العاشرة أو الحادية عشرة تظهر روح التنافس في ألعابه . فقد أصبح ميله مركزاً على المهارة والتفوق وليس على مجرد اللهو .

ويبدأ أغلب الأطفال الذين ينتمون الى جماعات أو شلل في أداء ألعاب داخلية في المنازل عندما لا تكون الظروف الجوية ملائمة للعب خارج المنزل . وأغلب هذه الألعاب من النوع الذي تعلموه من الكبار في المنزل عندما كانوا صغاراً .

وللألعاب الرياضية والمباريات قيمة كبرى كعامل في التطبيع الاجتماعي للطفل فهو يتعلم من خلالها كيف يتعاون وكيف يتفاهم مع الآخرين ، وكيف يلعب دور التابع ودور القائد وكيف يقيَم نفسه وقدراته بصورة واقعية بمقارنة نفسه بزملائه في اللعب .

أنواع التسـلية :

هناك أوقات خلال النهار وكثير من المساء كل يوم وفي الأجازات لا يتمكن الطفل فيها أن يكون مع أصدقائه . وخلال فترات العزلة هذه يقضى الطفل وقته بعيداً عن العمل المدرسي وعن مسئوليات المنزل في التسلية ، لكن ليس باللعب الفردي ولكن بالقراءة والاستماع للراديو ومشاهدة التليفزيون أو الذهاب الى السينما أو أحلام اليقظة .

ورغم أنه قد لا يشارك زملاءه مثل هذه التسليات فانه يتأثر بهم أكثر من تأثره بوالديه من حيث نوع التسليات التي يختارها . ففي القراءة قد يختار الكتب أو المجلات أو القصص الهزلية مثلا . فهو يقرأ ما يقرأه أصدقاؤه حتى يمكنه أن يتحدث معهم عما قرأه وحتى يصبح على ألفة بما يتحدثون عنه .

القـــراءة :

يمكن لطفل هذه المرحلة أن يدرك المغزى الكامن وراء قصة خيالية . وقد أصبح أغلب وقته موجها نحو قراءة قصص المغامرات ، وأصبح يشتق متعة من تصور نفسه مكان بطل تلك القصص التي يقرأها والقيام بأشياء مما يفعلها البطل وان كان واقع حياة الطفل ينكرها . ويميل الطفل في هذه المرحلة الى كتب البطولات والتاريخ والحياة المدرسية وأبطال الرياضة وممثلى السينما وممثلاتها ويضعهم في موضع البطل المفضل .

وتبدأ الفروق الجنسية في الميل للقراءة في الظهور في الطفولة المتأخرة ، حيث يميل الأولاد الى ما هو ملائم للأولاد ، بينما تفضل البنات ما ترى أنه ملائم لهن ومع ذلك فان البنات يملن الى قراءة كتب ومجلات الأولاد بينما لا يميل الأولاد الى ما هو خاص بالبنات ، أما الأولاد الأكثر ذكاءاً فانهم يميلون الى قراءة الموضوعات الجادة أكثر من الأولاد الأقل ذكاءاً .

ويميل الأطفال أيضا الى قراءة المجلات والصحف اليومية . ففي بداية الأمر تكون قراءاتهم مجرد النظر الى الصور والرسوم الهزلية ، أما بعد ذلك فانهم يقرأون العناوين الرئيسية ، وقد يقرأون جزءاً من الموضوع الخاص بعنوان

معين ذو أهمية لهم . ويذكر سكرام وآخرون Schramm etal (١٩٦٠) أنه قليلا ما نجد طفلاً يقرأ الصحف اليومية . فأول ما يجذب انتباههم في الصحف هو الرسوم الهزلية ، وأول اهتمام بقراءة الصحف يكون في سن الثامنة تقريباً . وتصبح الرياضة ذات أهمية كبيرة بالنسبة للأولاد . ويقرأ الأولاد الأكثر ذكاءاً الصحف اليومية أكثر من الأقل ذكاءاً .

وهناك أسباب عديدة تفسر اقبال الأطفال على الهزليات . فهي من جهة مسلية ومثيرة لهم وسهلة القراءة ورخيصة وتستثير خيال الطفل . وقد تمثل هروباً من الواقع ، وقد تساعد الطفل على نسيان الخبرات غير السارة ، كما تقدم للطفل شيئاً يغذي فكره . كما أن الهزليات تقدم للطفل أشياء لا يواجهها في هذه السن المبكرة مثل الجنس والعدوان والجريمة المثيرة . الا أنها قد تؤخر لدى الطفل مهارات القراءة وتعطلها نتيجة الاثارة الشديدة . وعندما يتوفر الاشراف السليم حول الهزليات التي على الطفل أن يقرأها وتلك التي عليه الا يقرأها والوقت الذي يجب أن يقضيه في القراءة ، فقد يؤدي ذلك الى تقليل الانغماس الشديد في مثل هذه الكتب الهزلية .

السينما :

يتزايد الاستمتاع بمشاهدة السينما بتقدم الطفل في العمر ، كما أنه يعد من الأنشطة المحببة لعصب الأطفال . وتعد الأفلام الكوميدية وأفلام الكارتون من الأفلام المفضلة للأطفال حتى سن العاشرة ، اذ أن الأطفال بعد ذلك يفضلون أفلام المغامرات .

وهناك العديد من التأثيرات المختلفة التي تسببها رؤية الأفلام على الأطفال ، فالأطفال الأصغر سناً يتأثرون أكثر من الأطفال الأكبر سناً . كذلك فان الأقل ذكاء يتأثرون أكثر من الأذكياء ويتحدد التأثير بنوع شخصيات الأفلام التي يتوحد الطفل معها ، أو أنه قد شاهد الفيلم بصورة موضوعية ناقدة ، ان الغرض القائل ان الاطفال يصبحون أكثر عدوانية بعد رؤيتهم لأفلام العنف وأفلام رعاة البقر لم يجد ما يدعمه علمياً للان . وفي الحقيقة فان البحوث العلمية قد بينت نقصانا في العدوان عند الأطفال بعد رؤيتهم للأفلام وبخاصة اذا كانوا من نوع الأطفال العدوانيين .

الراديو والتليفزيون :

يفضل الأطفال حتى سن المراهقة مشاهدة التلفزيون عن الاستماع الى الراديو ويقضي أطفال المستويات الاقتصادية الدنيا والأطفال الصغار وقتاً أطول في مشاهدة التليفزيون بينما يفضل الأطفال الكبار صحبة أقرانهم . كذلك فان هناك العديد من الفرص لأطفال الطبقات الاقتصادية العليا لممارسة أنشطة لعب أخرى .

وتعد القصص والكوميديا والفكاهات والموسيقى من البرامج المحببة لكل الأعمار . ومع التقدم في العمر يصبح الأطفال أكثر اهتماما بالبرامج الجادة مثل المسرحيات والبرامج العلمية والبرامج التي تتصل بتنمية المهارات . ويفضل الأولاد عادة البرامج الرياضية بينما تفضل البنات برامج القصص الخيالية .

ويميل الآباء لأن يكونوا أقل اهتماما في الاشراف على مشاهدة التليفزيون كلما كبر أبنائهم . كذلك فانهم يعتقدون أن للتليفزيون قيمة تعليمية لأطفالهم . وهذا يدعوهم الى السماح لهم بالجلوس أمام التليفزيون فترة أطول . وقد يسبب ذلك للأطفال متاعب بصرية ، وتوتر عصبي ، وأحلام مزعجة ، وعادات أكل سيئة ناتجة لاستثارتهم الانفعالية واجهادهم . كذلك فقد يكتسبون قيماً مشوهة عن مدى خطورة الجرائم . ومن المؤكد أن مشاهدة التليفزيون باستمرار قد يؤثر في الاستجابات الأنفعالية للأطفال تأثيراً سيئاً . وقد بين فيرتام Wertham (١٩٦٢) أثر مشاهدة التليفزيون على القسوة والعدوان قائلاً « ان النتيجة الحتمية هي تشويه الاتجاهات الطبيعية حيال القسوة والعدوان والعنف .

ويظهر ذلك واضحاً في سلوك الأفراد الظاهر ، وفي خيالاته وأحلامه . كذلك تحدث تغيرات في الشخصية تتصل بتقليل الكف أو تغير في عتبة المقاومة لكل أنواع التأثيرات الضارة . ان تأثيرات وسائل الاعلام الضارة تعد عاملاً أساسياً من العوامل التي تسهم في اضطرابات الشباب » .

أحلام اليقظة

ان الطفل الذي لا يحقق توافقا مدرسياً كافياً ، أو ذلك الذي لا توجد لديه

فرص للتعامل مع الأطفال الآخرين ، قد يقضي معظم وقته في أحلام اليقظة . كذلك فان الأطفال الوحيدين في المنزل مثل الأطفال الأول first born أو أولئك الذين بينهم وبين أخوانهم فواصل زمنية كبيرة يميلون الى قضاء أوقاتهم في أحلام اليقظة أكثر من أولئك الذين لهم أخوة متقاربين معهم في السن .

ويكون موضوع أحلام اليقظة الأساسي في هذه الفترة من العمر هو القائد الذي لا يهزم ويرى الحالم نفسه كما لو كان في الحياة الحقيقية .

وتتيح أحلام اليقظة للطفل الفرصة لتحقيق اكتمال الذات ، كما أنها تحقق له سروراً وبهجة وتعوض له النقص الفعلى في التوافق الأجتماعي .

ازدياد الفهم لدى الأطفـال :

يتسع عالم الطفل وتتسع اهتماماته بدخوله المدرسة . ومع اتساع اهتماماته يزداد فهمه للناس والموضوعات فتصبح أكثر معنى بالنسبة له .

ويستمد الطفل معان جديدة للناس والموضوعات من وسائل الاتصال الجماهيرية كالسينما والتليفزيون . ويتضح هذا في بناء مفهوم القومية لدى الطفل . فمن خلال دراسة الجغرافيا والتاريخ والدراسات الاجتماعية تتكون لدى الأطفال مفاهيم خاصة بهم عن الدول الأخرى . ولكن السينما والتليفزيون يعطيان الأطفال نظرة مباشرة عن هذه الدول مما يؤثر بشكل ملحوظ على اتجاهاتهم نحوها .

التغيرات التي تطرأ على بعض مفاهيم الطفل :

من المفاهيم الكثيرة التي تتغير أثناء مرحلة الطفولة المتأخرة ما يلى : مفهوم المكان ، العدد ؛ المال ، الزمان ، الحياة ، الموت ، المفاهيم الاجتماعية ومفهوم الجمال والفكاهة .

مفهوم المكـــان :

يتغير مفهوم المكان لدى الطفل في هذه المرحلة . ولا يعود هذا المفهوم غامضا أو تافها حيث يتعلم الطفل ماذا يعني الجرام والكيلو والمتر والكيلو متر من خلال دراسته للأوزان والمقاييس في مادة الحساب . وبالاضافة الى ماتقدم تكسب مادة الحساب الطفل أفكاراً محددة عن المكان والمسافات أكثر مما يكتسبه عن طريق خبراته الشخصية . كما تزداد معرفة الطفل بالفضاء الخارجي نتيجة لاهتمام وتركيز وسائل الاعلام الجماهيرية الكبيرة على اكتشاف الفضاء . وبهذا يكتسب الطفل عن الفضاء الخارجي معلومات تساوي المعلومات التي اكتسبها والداه في طفولتهما عن البيئات القريبة .

مفهـــوم العـــدد :

في هذه المرحلة يتغير مفهوم العدد لدى الطفل ويكتسب هذا المفهوم معان جديدة نتيجة لتعامل الطفل بالنقود ودراسته للحساب ، وقد وجد في احدى الدراسات أن الطفل في سن الثامنة يستطيع أن يطرح في حدود ٢٥ ويستطيع استخدام الكسور وعمليات الضرب والقسمة . وفي سن التاسعة يدرك مفهوم الأرقام حتى ١٠٠٠ .

مفهـــوم المـــال :

لا يجد معظم الأطفال فرصاً كثيرة لاستعمال المال حتى سن المدرسة . ويكون مفهوم المال لديهم مجرد كلام ببغائي : اذ يستطيعون مثلاً أن يميزوا بين القطع النقدية المختلفة ويعرفون قيمتها ولكنهم لا يعرفون ما يمكن أن يشترى بهذه النقود . ولا يفهم الطفل ما تعنيه قطع النقود فهماً حقيقياً الا بعد أن تتاح له فرصة استخدام المال في شراء بعض الأشياء .

ويزداد فهم الطفل لمعنى المال عندما يتعلم ادخار جزء من مصروفه . ويتعلم الأطفال الذين ينفقون نقودهم في شراء أشياء بسيطة مفاهيم عن المال أكثر مما يتعلمه الأطفال الحريصون في انفاق نقودهم أو اولئك الذين ينفقون نقودهم تحت اشراف والديهم .

أما الأطفال الذين يكسبون بعض المال بمزاولة عمل ما بعد المدرسة فيتعلمون عن معنى المال أكثر من الأطفال الذين يحصلون على المال من والديهم كمصروف مخصص لهم وكمكافأة على درجاتهم العالية أو سلوكهم الحسن . وفي هذه المرحلة يبدأ الطفل في تفسير استخدام المال تفسيراً أخلاقياً وبذلك يضيف معان جديدة لمفهوم المال عنده .

ويكسب الطفل معان جديدة للمال نتيجة لزيادة اتصاله برفاقه . هنا يصبح المال رمزاً للاحترام ولأنه يمكن الطفل من شراء الحلوى والسكريات وغيره مما يستمتع بأكله الأطفال . كما يعطي المال الطفل شعوراً بالاستقلال وهذا يدل على وصوله الى مرحلة من النضج يتمكن فيها من استخدام نقوده وانفاقها بحرية تامة . أما المعاني الجديدة التي يكتسبها الطفل للمال فتنجلى في الانفاق الذي له اعتبار خاص في عيون أقرانه وفي الأدخار الذي له اعتبار خاص عند الراشدين

مفهوم الوقت « الزمن » :

توسع الدراسات الاجتماعية التي يتعلمها الطفل في المدرسة فكرته عن الاخلاقيات والعادات وأساليب الحياة لدى الشعوب في الدول المختلفة والأزمنة المختلفة من مفهوم الزمن لدى الطفل . كما أن السينما والتليفزيون والصور الموجودة في المجلات تقرب البعيد وتجعله في متناول الطفل مما يمكنه من تنمية مفهوم التسلسل الزمني .

وبالاضافة الى ما سبق يتعلم الطفل كيف يقدر قيمة الوقت وكيف ينجز عملا ما في فترة زمنية محددة من خلال البرنامج الصارم لليوم المدرسي الذي يتمثل في قرع الجرس عند نهاية كل حصة .

مفهـوم الحيـاة :

لا يضفي الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة سمة الحياة على الجمادات كما كان يفعل في المراحل السابقة . وعلى الرغم من أن الطفل في هذه المرحلة لا

يستطيع التمييز بين ما هو « حى » وبين ما تتوفر فيه صفات « الحياة » كالأشجار والقمر والأنهار الا أنه يدرك تماماً أن الحركة ليست المعيار الوحيد للحياة .

مفهوم المـوت :

اذا صادف الطفل موت أحد أفراد الأسرة أو موت حيوان أليف مدلل فانه سيظهر ردود فعل تجاه الموت مشابهة تماماً لردود فعل والديه . فاذا كان الوالدان على درجة كبيرة من الحزن بدت على الطفل علامات الارتباك والقلق والاضطراب لانشغال والديه في أحزانهما وعدم اهتمامهما به ، وتعتبر مشاعر الارتباك والقلق والاضطراب من العلامات التي تلون مفهوم الموت لدى الطفل . فلو أخفى الوالدان مشاعرهما عن الطفل لقل اهتمامه الشخصي بالموت .

أما الأطفال الذين يشاهدون أفلاماً عن الموت في السينما والتليفزيون أو أولئك الذين يرون صوراً لأموات في الصحف والمجلات فتنمو لديهم مفاهيم عن الموت تعتبر خبرات بديلة له . وفي هذا الصدد قال « باركلى » :

« أن اسلوب الحياة الذي نعيشه اليوم يجعل الأطفال معرضين باستمرار لنماذج بديلة من الموت على شاشة التليفزيون والسينما . ويظهر في هذه النماذج البرود وانعدام الرأفة وعدم الحزن أو انعدام الاستجابة العنيفة للموت ، ويظهر كل هذا بطريقة مثيرة . وفي نفس الوقت تنقل البرامج الاخبارية في الصحف والمجلات المصورة للأطفال وقائع مصورة للموت الحقيقي وردود الفعل الحقيقية تجاهه ـ فيرى الطفل أناساً مبتلين بالموت واخرين متبلدي العاطفة وقلة تتكلف الابتسام ...... فاذا حزن الطفل لمشهد موت راه على شاشة التليفزيون أو السينما أكد له والده أن ذلك المشهد المحزن غير واقعي بل ضرب من الكذب والزيف . ولكن الطفل يعلم في قرارة نفسه أن هذا المشهد المحزن وقع في مكان ما أو زمان ما » .

هذا ويتوقف المفهوم الذي يكونه الطفل عن الميت في الحياة الاخرة على ما تعلمه من الدين ومن أصدقائه . عندئذ يعتقد الطفل أن الميت سيذهب اما الى الجنة حيث يكافأ على حسناته أو الى النار حيث يلقي العذاب المقيم على سيئاته

. أما الطفل ذو المعلومات الدينية المحدودة أو قليل الاهتمام بالدروس الدينية التي يتلقاها في المدرسة فانه سيتولد لديه اهتمام قليل بما يحدث للميت بعد الموت مما يؤدي الى عدم تكون مفهوم الموت عنده أو الى تشوهه .

مفهوم وظائف الجسم :

يكون الطفل قبل سن المدرسة مفاهيم غير صحيحة عن وظائف الجسم . فنجده يعتقد مثلا أن الرئتين عباره عن حقيبتين من العظم والجلد والدم واللحم ، ويعتقد أنهما موجودتين في الرأس أو الرقبة . ويعتقد أن الأعصاب عباره عن خيوط مكونه من العظم والدم واللحم وتغطي الرأس بأكمله أو جزءاً منه . كما يعتقد أن المعده مكونة من الجلد والعظم واللحم والدم وموجودة في أماكن مختلفة من الجذع .

ومن المفاهيم الخاطئة لدى الأطفال في سن المدرسة أسباب المرض . فهم يعتقدون أن المرض نتيجة للشقاوه . ويعتقد البعض أن المرض سببه الجراثيم ولكنهم يتخيلون الجراثيم على هيئة أشكال مجردة أو حيوانات تطير أو ديدان . وتدخل هذه الجراثيم جسم الانسان عن طريق الفم والأنف والجلد ، وبعد أن تصيب الجسم بالمرض تخرج منه من الممرات السابقة . كما يعتقدون أن بامكانهم التخلص من الجراثيم عن طريق السعال والعطس .

فاذا ما دخل الطفل المدرسة ووصل مرحلة الطفولة المتأخرة تغيرت مفاهيمه عن أجزاء الجسم وعن المرض نتيجة لما يتعلمه عن جسمه وعن الأمراض في دروس الصحة بالمدرسة .

مفهـوم الذات :

يدرك الطفل مفهومه عن نفسه عندما يرى صورته في عيون مدرسيه وزملائه في المدرسة وعندما يقارن قدراته بقدرات أقرانه . ووضح « فرانك وفرانك » كيف ينمي الطفل هذا المفهوم بقولهما : « يتعلم الطفل أن يفكر في نفسه ويشعر بها عن طريق الآخرين . ويرسم صورة لذاته يبدو فيها الممثل الرئيسي في عالمه

الخاص · ويكوّن الطفل هذه الصورة من الطريقة التي يصفه بها والداه ومدرسوه وغيرهم من الأشخاص ذوي الأهمية ومن الطريقة التي يعاقبوه أو يثيبوه أو يحبوه بها ·

ويكون الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة على علم كاف بالفروق الجنسية وبالأدوار الجنسية المناسبة لكل من الأولاد والبنات · ويضع هذا جزءاً من مفهومه عن ذاته · ويدرك معظم الأطفال من الأولاد والبنات قبل نهاية مرحلة الطفولة أن للرجل دوراً أكثر ايجابية واحتراماً من دور المرأة · وفي احدى الدراسات سألت مجموعة من الأولاد تتراوح أعمارهم ما بين الثامنة والحادية عشرة عما يتوقعه المجتمع من الأولاد فكانت الصورة التي رسموها كما يلى :

أن يكون الأولاد قادرين على القتال ، أن يكونوا رياضيين ، أن يركضوا بسرعة ، أن يلعبوا ألعاباً خشنة ، أن يتقنوا عدة ألعاب رياضية مثل كرة القدم وكرة السلة ، أن يتمتعوا بالذكاء ، أن يعتنوا بأنفسهم ، أن يعرفوا مالا تعرفه البنات مثل التسلق وايقاد النار وحمل الأشياء ، أن يتمتعوا بقدر اكثر من البنات ، أن يتعلموا كيف يجنبون أنفسهم الوقوع في ورطة ، ان يتقنوا الحساب والهجاء أكثر من البنات ·

أما مفهومهم لدور البنت في المجتمع فكان على النحو التالى :

أن تبقى البنت قريبة من المنزل ، أن تلعب بهدوء وبطريقة أقل خشونة من الأولاد ،ألا تكون خشنة ، أن تظل نظيفة ، أن تبكى عندما تشعر بالخوف واذا أصابها أذى ، أن تخاف الذهاب الى أماكن خشنة كالصعود الى السطح أو الذهاب الى الأماكن الخالية ، أن تلعب مع العرائس (بالدمى) ، أن تهتم بالأطفال ، أن تتحدث عن الملابس · أن تعرف كيف تطهو الطعام وتحيك الملابس وتعتنى بالأطفال · أما اتقان الحساب والهجاء فهى أقل أهمية بالنسبة لهن من الأولاد ·

وبعد أن يذهب الطفل الى المدرسة بوقت قصير نجده يألف أعضاء جماعته الاجتماعية والدينية التى ينتمى اليها كما يألف اتجاهات أقرانه نحوهما · وتؤثر

هذه الاتجاهات على مفهوم الطفل لذاته . وفي نهاية مرحلة الطفولة يضيف الطفل الى مفهومه عن ذاته مفهوم المركز الاجتماعي كما تحدده وظيفة الأب .

المفاهيم الاجتماعية :

ينمو لدى الطفل في هذه المرحلة القدرة على تمييز مركز أقرانه الديني والاقتصادي والاجتماعي والعنصري . ويتقبل اتجاهات الراشدين نحو هذه الجماعات مما يؤدى الى ظهور الشعور بالانتماء الى جماعة معينة والى بداية التحيز الاجتماعى . وهذا التحيز لا يتوقف فقط على خبرات الطفل الشخصية ولكنه أيضاً انعكاس للنمط الثقافي لبيئة الطفل . وفي هذا الصدد بينت احدى الدراسات كيف تغيرت اتجاهات التلاميذ في احدى المدارس الابتدائية عندما تعلموا التحدث بلغة الأطفال الذين كانوا يتحيزون ضدهم .

كما يشمل مفهوم الطفل الاجتماعى تحيزه ضد أفراد الجنس الآخر ، فاذا شجع الراشدون الطفل على التمييز بين أصدقائه من الأولاد والبنات وأن يتوقع اختلافات في السلوك بينهم ـ تعلم الطفل أن ينظر الى كلا الجنسين نظرة مختلفة معتبراً أحد الجنسين أفضل من الآخر .

مفهوم الجمـال :

يتعلم الطفل في هذه المرحلة كيف يقدر الجمال على نحو أكثر نضجاً مما كان عليه سابقاً . فالأشياء لم تعد تبدو جميلة أو قبيحة في نظر الطفل بسبب حبه أو كرهه لها بل ان تقديره للجمال والقبح مشروط بمعايير الجماعة أكثر من كونه ردود فعل فردية . فقد وجد في دراسة عن مفهوم جمال الوجه عند الأطفال انه كلما تقدم الأطفال في السن كلما اقترب تفضيلهم للجمال من تفضيل الراشدين ومع تقدم الأطفال في السن أيضا يقل اضفاؤهم لصفة الجمال على الألوان الصارخة بل يفضلون الألوان المشبعة (الهادئة) التى يميل اليها الكبار .

مفهوم الفكاهة :

يكتشف الطفل من خلال اتصالاته بالجماعة أن هناك موضوعات معينة

تبدو مضحكة وأخرى لا تبدو كذلك . فمن الموضوعات المثيرة للضحك عند الأطفال : وقوع الآخرين في مأزق ، التقطيب ، رسم صور كاريكاتورية للمدرسين، اطلاق النكات وخاصة على الراشدين أو الأطفال غير المحبوبين . الاشارة الى الجنس والدين . تحدى السلطة حتى لو أدى ذلك الى العقاب . ولكن الطفل لا يتقن الدعابة حتى سن العاشرة . حيث يستمتع بالنكات السخيفة المبتذلة ، أما في سن الحادية عشرة فيستمتع بالنكات الخشنة العنيفة والرخيصة .

السلوك الأخلاقى والاتجاهات الأخلاقية (المعنوية) :

يتأثر الدستور الأخلاقى للطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة بالدستور الأخلاقى للجماعة التى ينتمى اليها . وهذا لا يعنى انه يرفض الدستور الأخلاقى للأسرة مفضلا عليه الدستور الأخلاقى لجماعته ، ولكنه يعنى تفضيل الطفل لمعايير الجماعة عندما يكون فيها ليحافظ على مركزه فيها . كذلك نجده يساير الجماعة سواء وافقت على سلوك ما يخالف معايير الراشدين أم رفضته .

وفي هذه المرحلة تتسع مفاهيم الطفل أكثر من ذى قبل ومن ثم فهو يعممها بالتدرج ويدرك الطفل درجات الخطورة التى الصقتها الجماعة بالأفعال المختلفة ومن ثم يدخل الطفل هذه المعرفة ضمن مفاهيمه . فهو يتعلم أن السرقة خطأ بغض النظر عما اذا كانت السرقة سرقة نقود أو ممتلكات مادية أو أعمال الآخرين كما في الغش . ويعتبر الطفل الكذب عملا خاطئا سواء كذب على أحد والديه أو مدرسيه أو اصدقائه . ونتيجة لهذه المعرفة نجد أن الطفل في هذه المرحلة يكذب بدرجة أقل من السابق .

وكلما اقترب الطفل من نهاية مرحلة الطفولة اقترب دستوره الأخلاقى من الراشدين الذين يرتبط بهم حتى يتوافق سلوكه مع معاييرهم . ويميل الأطفال ذوو الذكاء المرتفع الى أن يكونوا أكثر نضجاً في احكامهم الأخلاقية وسلوكهم الأخلاقى من الأطفال ذوى الذكاء المنخفض . والبنات عموماً أكثر نضجاً من الأولاد .

النظـــام :

يحتاج كل طفل الى النظام ولكن ينقصه النضج الكافي والخبرات الكافية ليتولى أموره بنفسه بعيداً عن توجيه وضبط الراشدين . ويعتبر النظام من المشكلات الخطيرة لدى الأطفال في هذه المرحلة . فاستمرار أساليب النظام التى كانت فعالة مع الطفل عندما كان أصغر سنا لم تعد تجدى الان مما يحتم ضرورة اتباع أساليب جديدة في النظام مؤكدين على جوانب مختلفة منه مراعين في ذلك مستوى نمو الطفل حتى يتحقق الهدف المرجو من النظام كحاجة غائية للطفل .

عناصر النظـــام :

للنظام ثلاثة عناصر هامة : التربية لبناء المفاهيم الأخلاقية عند الطفل ، ومعاقبة الطفل عند ارتكابه سلوكاً خاطئاً متعمداً ، وإثابته على السلوك القويم « السليم » .

ومن الضروري اجراء التعديلات اللازمة على هذه العناصر لمواجهة الحاجات النمائية للطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة . وهذا لا يعني اتخاذ اتجاه جديد للنظام الا اذا ظهرت عدم فعالية أساليب النظام التي كانت متبعة لأنها ولدت لدى الطفل نقصاً في دافعيته للقيام بمحاولة توافق مع أنماط السلوك المقبول .

ان عملية تعليم الطفل في هذه المرحلة لما هو خطأ وما هو طواب لها نفس الأهمية كما في الطفولة المبكرة . ولكن ينبغي أن يتخذ التعليم في هذه المرحلة شكلاً آخر حيث يكون مركزاً على اعطاء الطفل تفسيرات توضح له أسباب كون هذا السلوك مقبولاً ، وذلك غير مقبول . كما ينبغي مساعدة الطفل على توسيع مفاهيمه الأخلاقية المحددة التي كونها في صغره وجعلها أكثر تعميماً .

هذا وللمكافآت التي تتخذ شكل مدح أو معاملة خاصة بسبب نجاح الطفل في مواجهة موقف صعب ، قيمة تربوية عظيمة لأنها تؤكد للطفل أن ما قام به صواب وتشكل حافزاً قوياً لتكرار ذلك السلوك . وحتى يكون للمكافآت قيمة دافعة « حافزة » ينبغي أن تكون مناسبة لعمر الطفل ومستوى نموه . ويفضل الطفل

الصغير المكافآت المادية كقطع النقود واللبان والألعاب الجديدة ، أما في الطفولة المتأخرة فيفضل الطفل المكافآت اللفظية مثل هذا حسن » ، « أحسنت » .

هذا ويستخدم الآباء والمدرسون أشكالاً كثيرة للعقاب ، من أكثرها شيوعاً : الصفع على الوجه ، الصفع على الكف ، حرمان الطفل من بعض الملذات التي يتوقعها أو الاعتبارات التي تعود عليها ، ارسال الطفل الى غرفته وابقائه فيها وحده حتى يعيد النظر في سلوكه ، الاقناع ، التوبيخ ، التهديد ، التجاهل ، التملق ، اللجوء الى احترام الذات ، التحذير بعدم التقبل الاجتماعي .

ويستخدم آباء الطبقة الدنيا العقاب البدني ، وغالبا العقاب البدني المبرح ، بينما يلجأ الآباء في الطبقة الوسطى الى استثارة الشعور بالذنب والخجل عند الطفل أو تهديده بفقدان الحب الأبوى . ونتيجة لذلك نجد أن طفل الطبقة الدنيا يحاول تجنب العقوبة عن طريق الكذب والمراوغة بينما يحاول طفل الطبقة المتوسطة أن يتوافق مع رغبات الوالدين .

هذا ومن الضرورى أن يكون العقاب مناسباً لنمو الطفل كما هى الحال في الثواب .

ردود فعل الأطفال تجاه النظام :

يحب الأطفال الصغار أن يشعروا بأن آبائهم يعرفون أكثر منهم . ولكن عندما يصل الأطفال الى مرحلة الطفولة المتأخرة نجد أنهم يثورون في وجه آبائهم ويتمردون على المعايير الوالدية اذا كانت مخالفة للمعايير التى يستخدمها أصدقاؤهم . ويؤدى النظام الصارم بالأطفال الى اساءة التصرف ليثبتوا لأنفسهم ولأصدقائهم استقلالهم عن والديهم . أما النظام المتساهل فيربك الطفل ويخلق لديه شعورا بعدم الأمن .

وتعتبر النتائج الطويلة الأمد للنظام أكثر أهمية من النتائج القصيرة الأمد . وفي هذا الصدد أكد (دوبوا) أن :

«على الآباء أن يفكروا في النتائج المؤقتة للنظام في سن ٢ ، ٦ ، أو ١٦ سنة ، وكذلك في النتائج النهائية للنظام في سن ٢٠ و ٤٠ و ٦٠ حينما يكون الفرد خارج نطاق السلطة الأبوية » .

وفي هذه المرحلة لا يتقبل الأطفال العقاب الذى يوقعه الراشدون على السلوك الذى لا يوافقون عليه دون ابداء أى اعتراض كما كان الحال سابقا ، بل يكون لدى الطفل شعور قوى بالعدالة ، ولا يتردد أن يلجأ الى الشكوى اذا شعر انه عوقب ظلما . ويشعر كثير من الأطفال أن الأم لا تلوم نفسها اذا صدر السلوك منها ولكن تلوم الطفل اذا بدر منه نفس السلوك وهذا ما يغيظ الطفل . ومما يغيظه أيضاً معاقبته على سلوك بدر منه اليوم وعدم معاقبته عليه عندما بدر منه بالأمس .

أما ردود فعل العقاب فهى البكاء عند الأطفال الصغار والغضب والعدوان الجسمى واللفظى على الشخص المتعاقب والعدوان الجسمى على ضحية بريئة لدى الأطفال في الطفولة المتأخرة .

نمـو الضمـير :

من المطالب الهامة لمرحلة الطفولة المتأخرة تنمية الضمير . ويعني بالضمير استجابة قلق مشروطة بمواقف وأفعال معينة نتيجة لارتباط هذه الأفعال بالعقاب . والضمير رقيب داخلى يدفع الطفل ليأتي بما يعتقد أنه صواب اجتناباً للعقاب .

والشعور بالذنب نوع خاص من التقييم الذاتي السلبي ويحدث عندما يعرف الانسان أن سلوكه يغاير قيماً أخلاقية معينة ، عليه أن يتوافق معها . أما الخجل فرد فعل وجداني مكدر عند الفرد نتيجة لحكم الآخرين السلبي عليه سواء كان هذا الحكم حقيقياً أو افتراضياً وينتج عنه استخفاف بالذات أمام الجماعة . ويعتمد الخجل على عقوبة خارجية وقد يصحبه شعور بالذنب ، أما الشعور

بالذنب فيعتمد على عقوبة خارجية وداخلية .

ويؤدي نمو الشعور بالذنب والخجل عند الطفل الى ظهور الرغبة لديه في الاعتراف بسلوكه السئ حتى يتخلص من الشعور بالتوتر الذي يسببه الشعور بالخجل أو الذنب . فاذا أساء الطفل التصرف وافتضح أمره يلجأ الى هذه الطريقة في التماس الغفران وذلك للتخفيف من العقوبة أو ازالتها نهائياً . من هنا نرى أن الخجل المعنوي عامل قوى في نمو السلوك الأخلاقي لدى الطفل .

عوامل تؤثر في نمو الضمير :

ان مدى فعالية الضمير لدى الطفل تكمن في كونه قوة حافزة توجه أفعاله ضمن مسارات تؤدي الى السلوك الأخلاقي الذي يتوقف على معرفته لما هو خطأ وما هو صواب ، وعلى نوع العقوبة التي تعود أن ينالها . وكما أشرنا سابقاً يبدو أن الأطفال الذين يتعرضون للعقاب البدني أكثر صلافة (خشونة) وأقل دافعية للقيام بما يعتقدون أنه صواب ، والدافع لديهم في هذا هو تجنب الوقوع في الخطأ ومن ثم العقاب . فاذا وقعوا في الخطأ فانهم لا يشعرون بتأنيب الضمير ولا يعترفون بالذنب بل يحاولون أن يستروا ما فعلوه بالكذب أو أن يلقوا باللوم على كبش الفداء . أما الأطفال الذين يتعرضون لعقاب لفظي كالتوبيخ أو النقد فنجد أنهم يعترفون بخطئهم بملء ارادتهم ولا يلقون باللوم على كبش الفداء .. ومن ثم يعانون من الشعور بالخجل بصورة أكبر .

ان اساءة التصرف في العقاب ذو الطبيعة العامة كالضرب لها تأثير سلبي على نمو الضمير . أما العقاب المحدد الذي يرتبط بعمل غير مقبول اجتماعياً فيكون دافعاً لعدم القيام بمثل هذا السلوك ويكون على هيئة خجل وشعور بالذنب .

ويؤثر العقاب على علاقة الطفل بوالديه وعلاقة الوالدين بالطفل ، وهذه بدورها تؤثر على نمو الضمير . فاذا كان الوالدان يتميزان بالتفهم والدفء فان الطفل يرفض الاغراءات ويقلع عن السلوك السئ بسبب عطف والديه وحنوهما عليه . ولما كانت البنات أكثر قرباً من الوالدين في هذه السن فانه يتولد لديهن دافع أقوى من الأولاد للسلوك وفقاً لتوقعات الوالدين .. ومن هنا نرى أن العقاب السليم والعلاقة السليمة بين الطفل ووالديه من وسائل بناء الضمير .

الحكم على الآخـــرين :

الميل للحكم على الآخرين عملية حتمية تصاحب عملية تعلم الحكم على الذات فاذا نظر الطفل الى سلوكه نظرة ناقدة مقارناً اياه بسلوك الآخرين فانه سيجد فيه عيوباً لم يدقق عليها الوالدان من قبل . عندئذ يشعر الطفل أن من حقه أن ينتقد الآخرين اذا كان سلوكهم لا يواكب المعايير المتقبلة اجتماعياً لأنه سبق وأن انتقده والداه وعاقباه على سلوك لم يكن مقبولاً اجتماعياً .

ونتيجة لهذا يصبح الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة أكثر انتقاداً لعيوب الآخرين من أقران وراشدين . فهم يشجبون بشدة التدخين أو الغش أو الكذب أو أي سلوك آخر دون المعايير المقبولة اجتماعياً والتي سبق وأن عوقب عليها . وهذا يولد لديهم اتجاها لم يكن موجوداً من قبل وهو اتجاه عدم التسامح .

ولا يوجد عند الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة حالات استثنائية للخير والشر . فهو يوافق على السلوك الذي يراه خيراً ويدين السلوك الخاطئ الذي يراه شراً . فاذا وصل الى مرحلة المراهقة فان ظاهرة عدم التسامح تتحول الى تسامح وبالتالى يخفف من نقده للآخرين نتيجة لميله الى فهم أنواع السلوك وهذا ما يفتقده الطفل في هذه المرحلة .

ويصدر الطفل في الطفولة المتأخرة أحكاما على الآخرين ويشعر بالرضا عندما يفتضح أمر أفعالهم السيئة ويعاقبوا عليها ، نجد مثلاً أنه يشعر بالرضا والارتياح اذا نال أحد اخوته عقاباً لأن غيرته من أخيه أو زميله تجعله يغتاظ للاعتبارات الخاصة (المكانة) له عند والديه . أما اذا شعر بظلم العقاب أو اذا كان يميل لهذا الأخ فانه سيقف الى جانبه ضد والديه مظهراً استياءه وعدم رضاه .

وهذا ما يحدث أيضاً مع أقرانه اذ يدفعه الشعور بالانتماء الى الشلة الى مساندة هذا العضو بغض النظر عن تصرفه السئ . اما اذا كان يغار من أحد أقرانه لتفوقه العلمي أو الاجتماعي أو الرياضي فانه سيشعر بالرضاء والارتياح والسرور اذا فقد مركزه أو تعرض للاذلال والعقاب .

الانحرافات السلوكية في الطفولة المتأخرة :

يسئ بعض الأطفال في مرحلة الطفولة المبكرة والمتأخرة التصرف نتيجة لجهلهم بتوقعات الوالدين منهم أو نتيجة لعدم فهمهم للقوانين التي وضعها الوالدان أو نتيجة لمحاولد الطفل اختبار السلطة وتحقيق الاستقلال . والسلوك السئ عادة ما يكون محاولة للوصول الى الاحترام الاجتماعي .

يشعر الأطفال في الطفولة المتأخرة بالسرور عند قيامهم بأعمال يعرفون جيداً أنها خاطئة ولكنهم يقترفونها لما يحققونه من أهمية شخصية ناجمة عن الاعجاب الذي تبديه جماعة الرفاق نحو هذه الأعمال . ومثل هذا الشعور يدفع الأطفال في هذه المرحلة من الأولاد والبنات سواء في المدرسة أو في الحي الى الانحرافات السلوكية .

ومن مظاهر الانحرافات السلوكية عند الأطفال الصغار في الصف الأول في المدرسة : الهمس في الفصل ، وتحطيم الأشياء ، اللعب بالنار ، الخروج عن قوانين المدرسة ، وعصيان الوالدين . ويدرك الأطفال أن هذه السلوك خاطئة من وجهة نظر الآخرين ويقدرون خطورتها النسبية ويستطيعون ترتيبها حسب خطورتها . ولكنهم يقومون بهذه السلوكات المنحرفة نتيجة للضغوط التي يلقونها من رفاقهم وتحدياً للسلطة .

فاذا عاد الطفل الى المنزل وأصبح بعيداً عن شلته ولم يكن لها أية ضغوط عليه تجعله يتحدى السلطة ، نجده يقوم بسلوكات منحرفة في المنزل بسبب شعوره بأن قوانين المنزل غير عادلة ومن ثم يرى في العقاب الذي يلقاه على سوء تصرفاته نوعاً من القسوة بالاضافة الى عدم معرفة الطفل متى يكون والداه متسامحين ومتى يكونان غير متسامحين .

ويسلك الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة سلوكاً مماثلاً لسلوك الأطفال في الطفولة المبكرة كأن يتمردوا على والديهم أو ان يكونوا مصادر ازعاج عندما يكون والداهم متعبين أو مضطربين انفعالياً .

الانحرافات السلوكية الشائعة :

يتوقف نوع السلوك المزعج الذي يبديه الطفل على نوع القواعد التي يخرقها . وتختلف الانحرافات السلوكية في المنزل عنها في المدرسة نظراً لاختلاف قوانين المنزل عن قوانين المدرسة . ومن الانحرافات السلوكية في المنزل : الشجار مع الأخوة وتحطيم ممتلكات الآخرين . الفظاظة في مخاطبة أفراد الأسرة . تبديد الوقت بدلاً من القيام بالأعمال الروتينية . اهمال مسؤوليات البيت . الكذب . المراوغة واختلاس الأشياء . اراقة الأشياء عمداً .

أما الانحرافات السلوكية في المدرسة فتتمثل في السرقة والغش والكذب واستخدام الألفاظ الفاحشة والبذيئة وتبديد ممتلكات المدرسة والتهرب من اداء الواجب وازعاج الأطفال الاخرين عن طريق الاغاظة « الاستفزاز » والاعتداء على الأطفال الأصغر سناً . قراءة الفكاهات أثناء ساعات العمل المدرسي . مضغ اللبان . الهمس أثناء الحصص واثارة الصخب والتهريج . الشجار مع الأطفال الآخرين .

وكلما تقدم الطفل في المدرسة ازداد ميله الى الخروج على قوانينها ذلك لأنه لم يعد يحب المدرسة كما كان يحبها من قبل فقد يكره مدرسه بدلاً من أن يحبه ، وقد يشعر بأن بعض المواد مملة ، وقد يشعر أنه أقل قبولاً من جماعة الأقران عما كان عليه في السابق .

الاختلافات (الفروق) الجنسية في الانحرافات السلوكية :

يخالف الأولاد قوانين المدرسة والبيت والحي أكثر من البنات وهذا ينطبق على الأطفال من جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية وخاصة الجماعات ذات المستويات الاقتصادية والاجتماعية الدنيا .

أما أسباب هذه الاختلافات فهي :

أولا ـ تمتع الأولاد بحرية أكثر من البنات وتعرضهم للعقاب بدرجة أقل من البنات وذلك لأن الأولاد سيكونون رجال المستقبل .

ثانياً ـ شعور الأولاد بوجوب تحدي القوانين لاظهار رجولتهم ، ومن ثم حصولهم على القبول من الأقران .

مدى خطورة الانحرافات السلوكية :

سوء السلوك ظاهرة عابرة عموماً عند جميع الأطفال في سن المدرسة ، ولكن هذه القاعدة ليست صحيحة دائماً . فاذا تعود الطفل أن يعتمد على سوء السلوك للحصول على التقبل الاجتماعي من أقرانه فانه يبلغ مراده بصورة مؤقته ولكنه يخسر شعبيته على المدى البعيد . وفي هذا الصدد أشار (لوربر) الى أن الأفعال الملفتة للنظر التي يقوم بها الطفل ما هي الا لحظات عابرة وتافهة من الاعتراف الاجتماعي تفسد النمو الايجابي للعلاقات الشخصية والحياه الاجتماعية السليمة على المدى البعيد .

فاذا حدث وأن رفضت مجموعة الأقران الطفل فانه يشعر بالاستياء نحوهم ومن ثم يصب جسام غضبه على المجتمع ويسئ التصرف بالمقابل ليشعر بالتعادل معهم . وهذا كثير الحدوث عند الأطفال في المستويات الدنيا .

وتزداد مظاهر السلوك المنحرف عند الطفل اذا أصبح هذا السلوك طابعاً مميزاً له يحصل به عن طريقه على القبول الاجتماعي من أقرانه أو يصب عن طريقه جسام غضبه على المجتمع الذي يعتقد أنه أساء معاملته وبذلك يحقق الهدف الذي ينشده من وراء هذا السلوك .

وهكذا يعرف هؤلاء الأطفال بأنهم مصادر للازعاج في البيت أو المدرسة ، ولكن

السلوك المنحرف لا يكون مصدر إزعاج في جميع الأحوال . ومن المفروض أن يظهر الأطفال سلوكات مقبولة اجتماعيا بدرجة متزايدة كلما كبروا في السن ، أما أولئك الذين يحيدون عن هذه القاعدة فيجب الإهتمام بهم نظرا للمشكلات التى سيواجهونها عندما يكبرون .

ميول الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة :

تتوقف ميول (اهتمامات) الطفل على الفرص التى تتاح له لتنميتها .

ويتميز الطفل الأول أو الوحيد بأن لديه اهتمامات (ميول) أكثر من باقى الأطفال الذين يولدون بعده وذلك لأنهم يعيشون فترة أطول مع الراشدين ، ومن ثم يكتسبون اهتمامات الراشدين والأطفال على حد سواء . وعندما تم فصل الأطفال الزنوج عن الأطفال البيض نمت لدى الأطفال الزنوج ميول (اهتمامات) مختلفة ولكنها كانت ضيقة النطاق نظرا لقلة الفرص المتاحة لهم . ونجد مثلا أن لدى الأطفال ميل الى الحيوانات الأليفة المدللة . إلا أن الأطفال الذين يقتنون مثل هذه الحيوانات يظهرون اهتماما أكثر بها من أولئك الذين لا يقتنون مثل هذه الحيوانات .

وتعد العلاقات الشخصية أكثر فعالية في تنمية الميول (الاهتمامات) من التعليم الخاص . فالطفل الذى يكره مدرسه يكره المادة التى يدرسها بل والمدرسة عموما. وتلعب الأشياء التى يحبها المرء وتلك التى لا يحبها دورا هاما في قوة الميول مما يضفى عليها مسحة عاطفية .

ويكتسب الأطفال ميولهم من جماعة الأقران نظرا للوقت الطويل الذى يمضونه معها مما له دور كبير في تنمية ميولهم . فاذا كان الطفل يعلق أهمية

كبيرة على الرياضة نجده يشجع الآخرين على تنمية ميل قوى نحوها . ولا يتأثر الطفل بميول جماعة الرفاق فحسب بل يتعلم منها ما هو ملائم لجنسه مما يؤثر على نوعية الميول التى ينميها .

الميول الشائعة لدى الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة :

ينمى كل طفل ميولا معينة لها طابع فردى . وينمى الأطفال الذين يعيشون في اطار ثقافي معين ميولا معينة موجودة الى حد ما لدى الأطفال الذين يعيشون في اطار ثقافي آخر . ومن اهتمامات الأطفال في الولايات المتحدة والموجودة لدى الأطفال في الثقافات الأخرى ما يلى : الدين . الجسم الانسانى . المظهر . الملابس . الجنس . الرموز التى تدل على المركز والاستقلال .

الديـــن :

يجد الطفل متعة في الذهاب الى المسجد بصحبة أبيه وجلوسه مع الراشدين ، ويشعر الطفل بالشك تجاه بعض التعاليم ولا يتردد في أن يبدى شكه فيطلب من مدرسه أو والديه أن يشرحوا له ما لا يفهمه من أمور الدنيا . كما أنه يستفسر عن المعتقدات الدينية لأسرته .

ويترك التعليم الدينى الذى يتلقاه الطفل في السنوات المبكرة بصماته على عقلية الطفل في الطفولة المتأخرة حيث تتكون عند الطفل مفاهيم تصبح أكثر وضوحا مع تقدمه في السن . وبهذا يستطيع أن يفهم النظريات المجردة على نحو أفضل . والملاحظ أن لدى معظم الأطفال مفهوم واضح عن الله . ويتأثر مفهومهم عن الخطيئة والمغفرة بتعاليم دينهم وبالطريقة التى عوملوا بها عندما أساؤا التصرف .

ومما يثير الشك عند الطفل في المرحلة المتأخرة من الطفولة قيمة الدعاء نظرا لعدم استجابة أدعيته . ولكنه يلجأ الى الدعاء بحكم العادة وليس لاعتقاده بجدوى الدعاء . وهكذا يصبح الدعاء نوعا من الطقوس التى لا تعنى شيئا بالنسبة له .

الجسم الإنســـانى :

مما يثير القلق عند الطفل في هذه المرحلة رغبته في معرفة ما يدور داخل جسمه . ولما كان الطفل غير قادر على ملاحظة الوظائف التى يؤديها جسمه مباشرة . لذا نجده يحاول اشباع فضوله عن طريق الأسئلة اللانهائية ودائرة القصص والكتب التى تصف الجسم الإنسانى وكيف يعمل . وعلى الرغم من هذا فليس عند الأطفال مفاهيم دقيقة عن أجسامهم ولكن لديهم معلومات كافية تشبع فضولهم .

ويبدى الأطفال اهتماما حقيقيا بصحتهم اذا تعرضوا لمرض ما أو إذا كانوا يعانون من مرض مزمن كالربو وداء البول السكرى مما يجعلهم يوجهون

اهتمامهم الى صحتهم في حين يعتقد بعض الأطفال أن مظاهر الاهتمام بالصحة من علامات التخنث . أما الأطفال غير المتوافقين فيلجأون الى المرض الوهمى كوسيلة لتجنب المواقف التى لا تناسبهم .

الملابس :

يهتم الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة بالملابس كدليل على انسجامه مع الجماعة . وتستحوذ الملابس الجديدة والملابس ذات التصميم المميز للأطفال الكبار والملابس ذات الألوان المفضلة لدى الطفل على اهتماماته في سن المدرسة وقبل سن المدرسة . وحتى سن التاسعة فان ألوان الملابس هى المصدر الحقيقى لميل الطفل لها .

وحتى سن الثامنة والتاسعة تضفى الملابس التقليدية التى ترتديها المجموعة على الاطفال مظهرا معينا . ويبدى الأطفال في هذه السن مظاهر قلق ازاء قبول الجماعة لمظهره وسلوكه على حد سواء. فقد أشار (رايان) ان من أهم مستلزمات الملابس عند طفل المدرسة أن تكون مشابهة لملابس بقية أعضاء الجماعة حتى تتقبله ولا تسخر منه . ومن تعبيرات الأطفال المألوفة لدى الأمهات « الاخرون يملكون مثل هذا .. « أو » لا أحد يرتدى مثل هذا .. » .

وتزيد ملابس الطفل في هذه المرحلة من ثقته بنفسه وشعوره بالانتماء الى الجماعة ويدرك رأى الاخرين في ملابسه مما يؤثر على اتجاهاته نحو ملابسه ونحو نفسه . والفقرة التالية توضح أهمية الملابس للطفل في هذه المرحلة :

يحب الاطفال الملابس ويشعرون برضا حقيقى نحوها ، ومما يبعث السرور في نفس الطفل الألوان الزاهية والخامة الجيدة وملمس النسيج ، والملبس المريح ، والملابس المألوفة والجديدة . فاذا كانت الملابس على ما يرام من وجهة نظر الطفل فإنها تسهم في عملية نموه وهى بذلك تساعد في صنع رجل المستقبل .

الجنس :

يدرس الطفل الفروق الجسمية ويهتم بها . ويود لو عرف مزيد من تفاصيل

العلاقات بين الجنسين كعملية الولادة وكيف ينمو الجنين في بطن الأم وعلاقة الأب بالتناسل ·

وكلما كبر الطفل كلما أصبح فضوله أقل صراحة وأكثر خفاء من ذى قبل · وذلك بسبب اتجاهات الوالدين السلبية تجاه أسئلته أو بسبب تجنبهم للموضوع الذى يسأل عنه مما يؤدى بالطفل الى اللجوء الى أصدقائه والى الصور المغرية في المجلات الهزلية والقصص والفكاهات البذيئة والكتب للحصول على معلومات حول الجنس · فاذا ما وصل الطفل الى سن العاشرة ازدادت حصيلته من المعلومات الصحيحة وغير الصحيحة عن الجنس ·

ويحصل الأطفال أيضا على معلوماتهم عن الجنس عن طريق اكتشاف ذلك عن طريق أجسامهم أو عن طريق الاكتشاف المتبادل بين أجسام الأطفال من نفس الجنس أو الجنس الاخر ·

ويتخذ الاكتشاف الجنسى عدة أشكال من أكثرها شيوعا اختلاس النظر والملاحظة المباشرة للتشريح التناسلى والاكتشاف باليد واظهار العورة والاتصالات الفمية والعادة السرية واستخدام الألفاظ الفاحشة والأسرار · ويعتبر اللعب مع نفس الجنس أكثر شيوعاً من اللعب مع الجنس الآخر · أما العادة السرية فهى أكثر شيوعا عند الأولاد منها عند البنات ووجد أن أطفال الطبقة الدنيا لا يدركون أن التعبير عن دوافعهم الجنسية عن طريق العادة السرية والأنشطة الاكتشافية مع الأطفال الآخرين أعمال خاطئة · أما أطفال الطبقة الوسطى فيتعلمون في سن مبكرة أن مثل هذه الأعمال خاطئة ان لم تكن شريرة ·

المدرســة :

ينتظر الطفل بلهفة اليوم الذى يذهب فيه المدرسة لأن هذا يعنى بالنسبة له أنه قد أصبح ناميا بالإضافة الى أن ذهابه الى المدرسة يعتبر فرصة ليتعلم فيها القراءة والكتابة ·ويلاحظ أن الأطفال في السنتين الأولى والثانية يحبون المدرسة والمدرسين ويستمتعون بالدروس إلا أنه يطرأ تغيير واضح على

اتجاهاتهم قبل نهاية السنة الثانية فيحل الملل والعداء محل المتعة والمحبة في اتجاهات الأطفال نحو المدرسة ويحل الإتجاه الانتقادى نحو المدرس مجل الحب ٠

ولا زال الطفل في هذه الفترة يحب بعض الجوانب اللاأكاديمية للمدرسة كالحصول على عطلة أو اللعب مع الأصدقاء ٠ كما أنه يحب بعض المواد اللاأكاديمية ـ كالغناء والعمل في الورش ، بينما يشعر بالملل نحو دروسه ويستاء من القيود المفروضة على حريته وبذا يقل اتجاهه الودى نحو المدرسة عما كان عليه قبل الآن ٠

الاختلافات في إتجاهات الأطفال :

هناك اختلافات ملحوظة في اتجاهات الأطفال نحو المدرسة وتتراوح من الإستغراق الكامل في الدراسة الى الكره الكامل لها مما يؤدى الى أن يرفض الطفل الذهاب الى المدرسة ٠ ويظهر بعض الأطفال مخاوف مرضية من المدرسة تجعله يصاب بالمرض كلما خطرت له فكرة الذهاب الى المدرسة ٠

ومن العوامل التى تؤثر على اتجاهات الطفل نحو المدرسة :
اتجاهات الوالدين والاخوة والأصدقاء نحو المدرسة ، تكيف الطفل الاجتماعى للمدرسة ، تفوقه الأكاديمى ، اتجاهاته نحو العمل المدرسى ، معاملة المدرس له ، الاتجاهات والنظم المدرسية في مقابل الاتجاهات والنظم التى اعتاد عليها في المنزل ٠

ويظهر الأطفال الذين يصغرون أقرانهم تكيفا أقل للمدرسة وهذا ما يؤدى بهم الى كره المدرسة ٠ أما الأطفال الذين يكبرون أقرانهم في السن والذين رسبوا مرة أو أكثر فيكرهون المدرسة لأنهم يجدون أنفسهم غير منسجمين اجتماعيا ٠ أما البنات فهن على وجه العموم أكثر حبا للمدرسة من الأولاد الذين يعتبرون كثيرا من الموضوعات التى يدرسونها غير ملائمة لجنسهم ومن ثم يستاؤن للحكم النسوى المفروض عليهم من قبل المدرسات وبخاصة مدارس الذكور التى يقوم بالتدريس فيها مدرسات ٠

أما الأطفال الأذكياء وخاصة أولئك الذين يجيدون القراءة ويحصلون على درجات كبيرة فهم أكثر سعادة من الأطفال الذين يعانون من ضعف قدرتهم على القراءة أو الذين يحصلون على درجات تقل عن توقعاتهم وتوقعات والديهم . ويبدى أطفال الطبقة الاجتماعية العليا اتجاها نحو المدرسة أكثر ايجابية من أطفال الطبقة الدنيا وذلك في جميع الأعمار .

عوامل تؤثر على الاتجاهات :

يتأثر سلوك الأطفال وعملهم داخل المدرسة باتجاهاتهم السلبية نحوها . حيث يتحول كره المدرس في السنوات المبكرة من المدرسة الى اتجاهات أقل ودا كلما تقدم الطفل في العمر . ويصاحب التغيير في اتجاهات الطفل نحو المدرسة ميله إلى إثارة المتاعب للمدرس . وينطبق هذا على الأولاد أكثر من البنات ويفسر الى حد ما الاتجاه العدائى الذى يكنه المدرسون للأولاد دون البنات .

وتقل دافعية الطفل لأداء واجباته المدرسية اذا كان اتجاهه نحو المدرسة سلبيا . ومن هنا يبدأ مستوى تحصيله في الانخفاض ويزيد توبيخ الاباء وعقابهم للطفل هذا الأمر سوءا . وأحيانا ما يسبب ضعف التحصيل صعوبات يواجهها الطفل في مادة ما . ولكن هذه الظاهرة تمتد لتصبح سمة عامة في جميع المواد مما يجعل الطفل يعمل دون حدود قدراته الفعلية في جميع المواد وهذه ظاهرة خطيرة لما لها من أثر كبير في المدرسة الابتدائية .

الطموح المهـــنى :

يعبر معظم الأطفال في المدرسة الابتدائية عن مستقبلهم المهنى وتكون طموحاتهم المهنية في البداية غير حقيقية دون اعتبار لمدى ملاءمة قدراتهم الحقيقية لهذا العمل . وينهج الطفل في طموحاته الأولى خطى والده أو قريب له أو أى شخص اخر يكن له الحب والإعجاب . ويتوق الأطفال للانخراط في مهنة مثيرة ساحرة لها مكانة من وجهة نظرهم . ويزداد اهتمامهم بالمهن التى تلائم جنسهم تدريجيا .

وعلى الرغم من أن الأطفال لا يقررون مهنة المستقبل بشكل قاطع إلا أنهم ينمون اتجاهات ايجابية وسلبية تجاه المهن في هذه المرحلة ، ومتى رسمت هذه الاتجاهات في انفسهم بقى لها أثر دائم يؤثر على اختيارهم للمهنة وتكيفهم لها في المستقبل وبخاصة اذا كان عليهم أن يعيدوا النظر في طموحاتهم ، ويقبلوا أعمالا دون المستوى الذى كانوا يرجونه ٠

فإذا حدث تغيير قسرى للمهنة التى كان يرغب فيها فإن هذا سيؤدى الى اعاقة تكيف الفرد لأى عمل آخر ، وفي هذا الصدد أكد«نلسون» على أن الطفل سيعتنق المفاهيم التى يكونها عن الوظيفة والتى يتعذر الغاؤها باعتبارها سمة ذاتية نظرا لعدم مساعدة الكبار للطفل على الفهم الموضوعى والمبكر لعالم المهن ٠

الرموز الدالة على المركز الإجتماعى :

تتولد لدى الطفل في هذه المرحلة ميول (اهتمامات) نحو نمو الرموز الدالة على المركز الاجتماعى (المكانة) من خلال تنميته للمفاهيم الاجتماعية ٠ هذه الرموز عبارة عن علامات توضح للجميع مركز الطفل في الجماعة ٠ وتزداد اهتمامات الطفل بالرموز التى تدل على المركز الايجابى من وجهة نظر الاخرين كلما اتسعت معرفته بالدور الذى يلعبه المركز الاجتماعى الاقتصادى للفرد ٠

ويرى الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة أهمية وضوح الرمز الذى يدل على المركز الاجتماعى للجميع ٠ أما الرموز غير المرئية مثل خلفية الأسرة وعضوية النادى فهى أمور من العسير أن يفهمها ٠ وفي هذا الصدد أوضح (رايان) عند حديثه عن الملابس المتماثله لأفراد الجماعة أهمية مثل هذه الرموز قائلا :

يفكر الطفل تفكيرا حسيا أكثر منه مجردا ٠ لذا فمن السهل عليه أن يصف رفضه أو قبوله لموضوع مجرد كالروح الرياضية والود ٠

ويستخدم الطفل عددا من الأمارات في الحكم على مركز الآخرين مثل : نوعية الثياب التى يرتدونها وطريقة تصميمها ، حجم المنزل وطرازه وملكيته وعدد السيارات التى تملكها الأسرة وطرازها ، من يقوم بأعمال المنزل الأم أم الخادمة ٠

ولا يدرك الطفل الفروق في النوعية إلا في نهاية مرحلة الطفولة . ويعتبر الطفل التغير في الكمية والحجم مرادفين للتفوق ، فمثلا تعتبر البنات الملابس الكثيرة المزخرفة أكثر تفوقا من الملابس البسيطة التصميم التى تم شراؤها من محل فخم . ويعتبر الأولاد السيارة الكبيرة الرخيصة الصنع أرقى من السيارة الصغيرة ذات التصميم الغالى .

فإذا ما لاحظ الأطفال انحرافات عن المتوسط من حيث الكمية أو الحجم فأول ما يلاحظونه تلك الأشياء ذات المستوى الأقل من الناحية النوعية قبل أن يلاحظوا الأشياء ذات المستوى الأرقى . اذ قد يلاحظون بيتا خربا متهدما قبل أن يلاحظوا بيت من نفس الحجم ولكن أحسن حالا . وهم يفضلون الأخير على الأول .

وتحدد الرموز الدالة على المركز الاجتماعى لدى الأطفال ما يعتبره رفاقه في اللعب هاما ، فاذا كان لدى أحد الأطفال دراجة تولدت في نفس كل طفل في الجماعة الرغبة في الحصول على دراجة مماثلة أو شىء مماثل . وهذا ما يحدث عندما تكتشف البنات أن لدى احداهن فستانا مزدانا بالورود اذ تتولد في نفس كل بنت الرغبة في الحصول على مثل ذلك الفستان .

ومن الممتلكات المادية التى يهتم الطفل حاليا في الحصول عليها : الملابس وأجهزة التلفزيون وأجهزة الراديو والسيارات وأدوات الرياضة والدراجات وسيارة العائلة ومنزل كبير ذو أثاث حديث وبيانو وجهاز تسجيل . ويعتبر كثير من الأطفال في المدن اقتناء قطة أو كلب من الرموز الدالة على المكانة الاجتماعية كما يعتبرون وظيفة الأب العالية رمزا لارتفاع مستوى الأسرة .

الإســـتقلال :

يزداد الوقت الذى يقضيه الأطفال خارج المنزل تدريجيا . ومن ثم فهم يرغبون في مزيد من الاستقلال ويستاؤن للحماية الزائدة التى يظهرها الوالدان نحوهم والتى يربطون بينها وبين الطفولة المبكرة . كما أنهم يستاؤن لمشاعر

عدم الكفاية التى تنمو لديهم نتيجة لعدم تشجيعهم على أن يتعلموا كيف يكونوا مستقلين . وهذا ينطبق على الأولاد الذين ينظرون الى الاتكالية على أنها من سمات النساء .

ومن ناحية أخرى يميل الأطفال الذين يشجعهم آباؤهم على الاستقلال الى اظهار علاقات اجتماعية أفضل ويتأثر مدى الاستقلال الذى يرغب الأطفال في الحصول عليه بالاستقلال الممنوح لجماعة الرفاق ، فاذا تمتع الطفل بتسط من الاستقلال يعادل ما تتمتع به أقرانه شعر بالرضا .

التغيرات التى تطرأ على العلاقات الأسرية :

على الرغم من اتساع نطاق بيئة الطفل في هذه المرحلة ، فان للأسرة تأثير ملحوظ على نمو الطفل في هذه المرحلة المتأخرة . فقد أوضح (بوسارد) و (بول) أهمية المنزل بالنسبة للطفل بقولهما :

« البيت هو المكان الذى يعود اليه الطفل مزودا بخبرات جديدة . انه الملجأ الذى يلجأ اليه لتلتئم جراحه . انه المسرح الذى يعود اليه ليستعرض عليه اعتزازه بما حصله . انه الملجأ الذى يلجأ اليه ليفكر في سوء المعاملة التى تلقاها سواء كانت حقيقية أو متوهمة . وبعبارة أخرى يعد البيت المكان الذى يعود اليه الفرد بحصيلة خبراته اليومية لتمحيصها ويقيمها أو ليحرفها أو يفسدها أو يمجدها أو يتجاهلها تبعا لنوعية هذه الخبرات » .

وتشكل الأسرة الجزء الأكثر أهمية من شبكة الطفل الاجتماعية ، لما للعلاقات الأسرية من تأثير على كثير من جوانب حياة الطفل وخاصة ما يتعلق بعمله المدرسى واتجاهاته نحو المدرسة . وتؤدى العلاقات الأسرية السليمة الى حفز الطفل للوصول الى المستوى العلمى الذى يمكن أن يصل اليه في حدود قدراته . كما تؤدى العلاقات الأسرية غير السليمة الى التوتر العاطفى الذى يدمر قدرة الطفل على التحصيل .

واذا كانت العلاقات الأسرية ايجابية أدت الى توافق الطفل الاجتماعى مع الناس خارج بيته على نحو أفضل مما لو كانت هذه العلاقة متوترة . فإذا كانت

الأم مسيطرة على البيت ، وكان هناك خلاف بين الوالدين فهذا سيؤدى الى أن يكره الأولاد البنات وإلى أن تكره البنات الأولاد · مما يزيد من حدة العداء بين الجنسين وهى ظاهرة شائعة بين الأطفال في الطفولة المتأخرة ·

ويؤثر الدور الذى يلعبه الطفل في الأسر، كذلك تؤثر نوع العلاقات بين الطفل وأخوته على علاقة الطفل بأقرانه خارج المنزل وعلى نمط سلوكه أيضا ·

وفي احدى الدراسات سجل الأطفال الوحيدون في عملية التقبل الاجتماعى معدلات أعلى من تلك التى سجلها الأطفال الذين لهم عدد من الاخوة · ووجد أن الطفل الوحيد أكثر نضجا من الطفل غير الوحيد نظرا لارتباطه المستمر بالراشدين في البيت ـ وهذه سمة تؤدى الى التوافق الاجتماعى ، وتعد مسئولة عن القيادة · ويتعرض الأطفال الوحيدون أحيانا للحماية الزائدة ولكنهم لا يتعرضون للضرر النفسى الناجم عن التنافس والغيرة بين الاخوة ·

ويتعلم الطفل في العائلة الكبيرة كيف يلعب دورا معينا بين أفراد الأسرة · ويتأثر هذا الدور بترتيب الطفل في الميلاد · فيتوقع من الطفل الأول مثلا أن يلعب دور البديل للأب في رعاية أخوته الصغار بينما لا يكون دور الطفل الأوسط محددا مما يخلق عنده موقفا مشكلا · أما الطفل الأصغر فيجد نفسه مضطرا الى مواجهة مشكلة التنافس مع أخيه الذى يكبره على الرغم من اهمال اخوته الكبار له في الغالب · من هذا يتضح أن علاقة الطفل باخوته ستربى أنماطا سلوكية يحملها معه في علاقته بأقرانه ·

ولا يوجد جانب في نمو الطفل تلعب فيه العلاقات الأسرية دوراً أكبر من الدور الذى تلعبه في سمة نمو الشخصية ، لأن فكرة الطفل عن نفسه ما هى إلا انعكاسا مباشرا لتصوره عن فكرة أفراد الأسرة عنه من خلال حكمه على طريقة معاملتهم له · فإذا تقبلوه وتقبلوا قدراته دون ضغوط مستمرة ليعيش وفقا لتوقعات مستحيلة فانه سيصبح حسن التوافق وإلا فينجم عن هذه الضغوط اضطرابات انفعالية لها خطورتها في قريب أو بعيد ·

وقد عبر أحد الكتاب عن أهمية الدور الذي تلعبه الأسرة في تكوين شخصية الطفل وتحديد نوع الشخص الذي سيكون عليه الطفل في المستقبل على النحو التالي :

ـ إذا	عاش	الطفل	في جو	مشحون	بالنقد	فإنه	سيعلم	الادانة .
ـ »	»	»	»	»	بالعداء	»	»	الشجار .
ـ »	»	»	»	»	بالخوف	»	»	الوجل .
ـ »	»	»	»	»	بالشفقة	»	»	الأسى على نفسه
ـ »	»	»	»	»	بالغيرة	»	»	الشعور بالغيرة .
ـ »	»	»	»	»	بالتشجيع	»	»	الثقة .
ـ »	»	»	»	»	بالتسامح	»	»	الصبر .
ـ »	»	»	»	»	بالمديح	»	»	التقدير
ـ »	»	»	»	»	بالقبول	»	»	الحب .
ـ »	»	»	»	»	بالتقبل	»	»	كيف يحب ذاته
ـ »	»	»	»	»	بالاعتراف	»	»	يكون له هدف .
ـ »	»	»	»	»	بالعدالة	»	»	تقدير العدل
ـ »	»	»	»	»	بالأمانة	»	»	كيف يقدر الحقيقة .
ـ »	»	»	»	»	بالأمن	»	»	كيف يثق بنفسه وبالآخرين .
ـ »	»	»	»	»	بالولد	»	»	أن العالم مكان جميل للعيش فيه .

عوامل تؤثر على العلاقات الأسرية :

هناك عدة عوامل تؤثر على نوعية علاقة الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة بأفراد الأسرة من أهمها :

شخصية الوالدين ، توقعات الوالدين ، طرق تدريب الطفل ، الاتجاهات نحو الوالدين والمركز الاجتماعى الاقتصادى ، وظيفة الوالد ، والتماسك الأسرى .

شخصية الوالدين :

يهيىء الوالدان المتوافقان بيئة منزلية أفضل وعلاقات طيبة مع أطفالهم أكثر من الوالدين غر المتوافقين ، فعلى سبيل المثال يعانى أطفال الأمهات اللواتى يشعرون بالخجل من الطبقة الاجتماعية التى ينتمون اليها (النقص) من مشكلات سلوكية . أما أطفال الأم غير السعيدة والصامتة فيعانون من الكآبة والكبت .

توقعات الوالدين :

لبعض الآباء طموحات عالية وقد تكون غير واقعية بالنسبة لأبنائهم مما يجعل الأطفال يشعرون بعدم الأمن والقبول اذا أخفقوا في السلوك وفقا لتوقعات الأبوين . وتتوقع بعض الأمهات الناجحات نفس مستوى الأداء من أولادهن لأنهن تعودن على مثل هذا المستوى في عملهن .

فإذا ما دخل الطفل المدرسة توقع والداه منه مسئولية العناية بممتلكاته وأن يساعد في المنزل وفي الأنشطة الروتينية كالذهاب الى الفراش في الوقت المحدد له ، وسواء سلك الطفل وفقا لهذه التوقعات أم لا فإن هذا يتوقف على شخصية الطفل من ناحية وعلى تدريبه المسبق على تحمل المسئوليات من ناحية أخرى .

طرق تدريب الأطفال :

لا يزال بعض الآباء متشبثين بالمفهوم التقليدى لدور الأب الذي يتمثل في

تقييد حرية الطفل لضمان نجاحه ويتجنبون اظهار كثير من الحب والعطف للطفل خوفا من افساده . مما يخلق جوا أسريا سلبيا لعلاقة الوالدين بالطفل . أما أطفال الآباء المتساهلين فيعانون من صعوبات في التوافق في البيت وخارجه على حد سواء ، إذ أن قلة احترامهم وميلهم الى عمل ما يريدونه يغضب باقى أفراد الأسرة وأقرانهم ومدرسيهم على حد سواء .

اتجاهات الآباء نحو أبنائهم :

يميل الآباء الذين يعتقدون أن دورهم كآباء سلبى ، ويرون أن حياتهم الأسرية دون توقعاتهم الى إنشاء علاقة سلبية مع أطفالهم . أما الآباء الذين يرون أن دورهم كآباء يقترب من مثالياتهم فان أطفالهم يظهرون توافقا اجتماعيا وانفعاليا أفضل ويكن مناخ المنزل ايجابيا لجميع أفراد الأسرة .

المكانة الاجتماعية الاقتصادية للأسرة :

اذا أتيحت الفرصة للطفل لزيارة بيوت أصدقائه وأتيحت له الفرصة لمقارنة بيته ببيوتهم فانه سيشعر بالرضا اذا كان يملك من الممتلكات المادية أكثر مما يملكون ، ولكنه لن يشعر بالرضا والسعادة اذا كان بيته أقل مستوى من بيوت أصدقائه ، وهذا ما يجعله يظهر تذمره ونقده متى عاد الى البيت ، ومثل هذه الاتجاهات تجعل الجو الأسرى سلبيا .

وظيـــفة الأب :

لوظيفة الأب في نظر الطفل في هذه المرحلة أهمية حضارية قد تمنحه وقد تحرمه من اعتبارات معينة . وتؤثر اتجاهات أقران الطفل نحو وظيفة أبيه على اتجاهات الطفل نحوها ونحو أبيه .

وتتوقف مشاعر الطفل نحو عمل أمه خارج البيت على مدى تأثير هذا العمل على حياته من ناحية ، وعلى شعور أقرانه نحوها من ناحية أخرى . ويتقبل بعض الأطفال عمل الأم دون احتجاج بينما يرفض أطفال آخرون عمل الأم بتاتا

. وتتأثر مشاعر الطفل نحو عمل الأم بنوع البديل الذى يخلف الأم عندما تكون خارج البيت . فاذا كانت العناية متروكة لأخ أكبر يستاء لقيامه بعمل الأم في حالة غيابها لأن ذلك يمنعه من اشتراكه في الأنشطة التى يمارسها أقرانه كانت هذه التأثيرات مدمرة للمناخ الأسرى .

التماسك الأسرى :

اذا كانت الأسرة وحدة متماسكة يساهم كل عضو فيها في شئون الأسرة المختلفة فان ذلك سيجعل المناخ الأسرى ايجابيا للجميع . أما اذا كان المنزل منهارا بسبب وفاة أحد الوالدين أو كلاهما أو بسبب انفصال الوالدين عن بعضهما فان الوالد الباقى الذى يعيش مع الطفل أما أن يرفضه الطفل وأما أن يبدى حماية زائدة نحوه ، وبهذا يقيم علاقة غير سليمة بينه وبين الطفل . وقد يحل محل الوالد المفقود زوج الأم أو زوجة الأب مما يجعل الطفل مستاء لوجوده مع زوج الأم أو زوجة الأب بشدة ، ومن ثم يؤدى الى اثارة الخلاف في المنزل .

وعلى الرغم من أن مفهوم الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة لا يكون واقعيا إلا أن موت أحد أفراد الأسرة يؤثر عليه أكثر مما لو كان أصغر سنالأنه بذلك يدرك التغيرات التى طرأت على أسلوب حياة الأسرة ويحرمه من صحبة ذلك العضو حتى ولو كان أخا له . لأن فقدانه ينتج عنه اضطرابا كبيرا بسبب الحزن الذى يعيش أفراد الأسرة فيه وجو الأسرة لعدة أشهر .

الخلافات الأسرية المتزايدة :

مع اضافة عضو جديد للأسرة سواء كان هذا العضو الجديد أخا أم قريب تزداد عدد العلاقات الأسرية بين أفراد الأسرة الواحدة بدرجة ملموسة . متيحة بذلك فرصا متزايدة للخلاف بين أفرادها ، مما يزيد هذه العلاقات سوءا كلما كبر الطفل .

فإذا ما تغيرت اتجاهات الوالدين نحو الطفل صاحب هذه التغيرات تغيرات في

اتجاهات الطفل نحو والديه وتغيرات في سلوكه . فقد وجد في احدى الدراسات أن والد الطفل الذى يبلغ التاسعة من العمر يكون أقل دفئا وتسامحا وحنانا واثارة عقليا له وأكثر تقييدا للعب الطفل وعقابا له عما كان عليه قبل ثلاث سنوات .

ويأتى جزء من هذا التغيير نتيجة لانهماك الوالدين في رعاية الطفل في الأسرة ومن هنا تبدأ ثورة الطفل في نهاية هذه المرحلة ضد السلطة الوالدية وقوانين الوالدين ونصائحهم ويدفع كل هذا الطفل الى مناقشة والديه في مثل هذه الأمور .

وبالاضافة الى ما تقدم يكون الطفل في هذه المرحلة في حالة صراع مستمر مع اخوته نتيجة للعداءات التى تنشأ بين الطفل والجنس الآخر ويحملها معه الى البيت .

فاذا ما انتقد الأخوة والأخوات الكبار اذا كانوا من المراهقين الطفل على مشاكساته وسوء أخلاقه وصراخه المستمر فإنه سيسعى لإستفزاز اخوته والسخرية منهم والشجار معهم . ونتيجة لذلك ينشب الصراع بينهم مما يؤدى الى الاضطراب المستمر في البيت . فإذا حاول الوالدان وضع حد لهذا الاضطراب اتهمهم الطفل بالمحاباة .

ومن الطبيعى أن تكون هناك أوقات للسلام والانسجام بين الاخوة وذلك عندما يظهر الاخوة الكبار حبا واهتماما حقيقين باخوتهم الصغار ويقابل ذلك اتباع الطفل للنصائح وأنماط السلوك التى يضعها له اخوته الكبار . ولكن العلاقات السلبية بن الاخوة تفوق العلاقات الايجابية من حيث العدد والتكرار .
وقد يمتد التفكك في العلاقات الأسرية الى الأقارب حيث يعتبرهم الطفل « كبارا في السن » و « دكتاتوريين » و « مملين » ويرفض سلطتهم أكثر من رفضه لسلطة والديه ويبدى احتجاجه اذا طلب منه أن يحضر اجتماعا عائليا سواء في بيته أو بيت قريبه .

تفضيل الأطفال لأحد الوالدين :

غالبا ما يهرع الطفل الى أمه أكثر من أبيه طالبا منها المساعدة نظرا لوجودها المستمر الى جانبه . ومن ثم تكون رابطة الطفل بأمه أقوى من رابطته بأبيه لأن الأم عموما أكثر تسامحا ، وتفهما لسلوك الطفل المزعج من الأب . فقد أشار (هنرى) الى أنه ليس هناك شك في أن الأطفال غالبا يميلون أكثر الى الوالد الذى « يجعلهم يفعلون كذا » من الوالد الذى « لا يجعلهم يفعلون كذا » .

ويزداد ادراك الطفل للاختلافات في المعاملة التى يتلقاها الأطفال باختلاف جنسهم كلما كبروا في السن . فيدرك معظم الأطفال أن الأم غالبا هى رئيسة المنزل إلا أننا نجد أن البنات يشعرن أن الأم أكثر صرامة في معاملتها لهن من اخوتهن الذكور . أما الأولاد فيشعرون أن الأب أكثر تساهلا مع البنات منه مع الأولاد .

من هنا كان الطفل في هذه المرحلة أكثر انتقادا لسلوك والديه ومظهرهما واتجاهاتهما وأخلاقهما . والأولاد عموما أكثر انتقادا وأقل رضا بوالديهم وأحوالهم المنزلية من البنات ويشعرون انهم أكثر قربا لأمهم من أبيهم على الرغم من انتقادهم لها أيضا .

ويرفض الأطفال من الأولاد والبنات توبيخ والديهم لهم وخاصة الأب كما يرفضون أن يفقد الوالدان صلاتهم بهم أو أن يعودا الى المنزل متأخرين أو يتحدثان اليهم بتهكم أو يهملا مظهرهم . وعلى نقيض ذلك فهم يتقبلون الآباء الذين يمكن معاشرتهم ومصاحبتهم كما يتقبلون الآباء المحبين العطوفين المتفهمين الطيبين الودودين الذين يهتمون بهم وبشئونهم ويهتمون ببذل قصارى جهدهم لجعل البيت مكانا بهيجا .

من هنا نجد أن الطفل يكون مفاهيم عن الأب المثالى من خلال اتصالاته بالأطفال الآخرين ومن خلال قراءتهم ومن خلال الأنماط الثابتة للآباء التى تقدم على شاشة السينما أو التلفزيون ، مما يتيح للطفل فرصة لمقارنة والديه

بهؤلاء الآباء المثاليين ، فاذا لم يصل والداه الى المستوى المثالى بأى حال من الأحوال فان الطفل سينتقد أفعالهما ، ويعمم هذا الاتجاه الانتقادى الى كل ما يفعله ويقوله الوالدان .

نمـو الشـخصية :

يتسع أفق التلميذ الاجتماعى بدخوله المدرسة ويؤدى هذا الى ظهور عدة عوامل جديدة هامة تؤثر على نمو شخصيته . لذا كان من الضرورى أن يراجع الطفل مفهومه لذاته . ولما كان الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة يرى نفسه غالبا من خلال نظرة والديه وزملائه وجيرانه له فان مفهومه عن ذاته يكون انعكاسا لتقييم الآخرين له . واذا كان تقييم الآخرين للطفل ايجابيا كان مفهوم الطفل عن ذاته ايجابيا.أما اذا كان سابيا فإن الطفل سيقلل من قيمة نفسه . وفي كثير من الحالات يكون تصور الطفل عن الكيفية التى يقيمه بها الآخرون غير منسجم مع تقييمهم الحقيقى له .

وتلعب الضغوط الاجتماعية دورا كبيرا في التأثير على هذا المفهوم . ويؤكد هذه الناحية ما يلاحظ عادة على الأطفال عندما يدخلون المدرسة لأول مرة حيث توجد لديهم رغبة حقيقية في التعبير عن أنفسهم بينما تختفى مثل هذه الرغبة عند أغلبية الأطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة . وهذا ينطبق على البنات بوجه خاص عندما يكتشفن الدور الايجابى للأولاد في المجتمع مما يولد لديهن الرغبة في أن يصبحن أولاد ، لو كان ذلك بامكانهن .

فإذا ما اقترب الطفل من نهاية الطفولة ، تبدأ عبادة البطولة لديه لشخصية من التاريخ أو من الفن أو من الرياضة أو من الشئون القوميه وبذلك يكون للذات المثالية أى مفهوم للشخص الذى يود أن يكونه في المستقبل .
في البداية يكون هذا المثل الأعلى متفقا مع الصورة التى رسمها الوالدان والمدرسون وغيرهم . ولكن فيما بعد عندما يتسع أفق الطفل ويصبح مثله الأعلى شخصيات لا يعرفها ولكنه سمع وقرأ عنها في نواة ذاته . ثم يحدث أن يؤلف الطفل صورة للذات المثالية التى يصفها أمامه كنموذج يحذو حذوه .

سمات تعجب الطفل :

كلما أمضى الطفل وقتاً أطول مع أطفال آخرين كلما ازدادت معرفته بحقيقة وجود سمات شخصية معينة تعجب بعض الأطفال وسمات أخرى لا تعجب الأطفال . ونظراً لابتعاد الأطفال من الجنسين في هذه المرحلة عن بعضهما البعض كثيراً فليس غريباً أن نرى مستويات مختلفة لأنماط الشخصية التي يقبلها كل جنس من أفراده وتؤدي الى تكوين عادات سلوكية ترتبط بجنس الطفل . ويمكن القول أن سمات الولد المثالى هي : إثارة الشجار . العدوان . الديكتاتورية . التفاخر . أما سمات البنت المثالية فهي : أن تكون هادئة ، محبوبة ، مرحة ، رياضية جيدة ، غير عدوانية ، غير ديكتاتورية ، غير مثيرة للشجار ، مرتبة ، أنثوية الاهتمامات ، وباختصار سيدة صغيرة .

هذا وتتغير مثاليات الأطفال في السمات الشخصية المقبولة لكلا الجنسين بتغير السن ، وعلى العموم كلما كان الطفل أكثر عدواناً كلما كان أكثر تقبلاً وإثارة لاعجاب الآخرين . كما توجد اختلافات بين الطبقات الاجتماعية في سمات الشخصية المقبولة لأفراد الجنسين . فنجد أن جميع الجماعات الثقافية تتوقع أن يكون الولد فيها أكثر عدواناً من البنت . ولكن يزداد هذا التوقع لدى الأولاد في الطبقة الدنيا ليس في السمات الشخصية فحسب بل وفي مقدار المسئولية التي ينميها الأطفال عادة لتأثرها بالاختلافات الاقتصادية . كما يلاحظ أن المجموعات الاجتماعية العليا تقدر المسئولية أكثر من المجموعات الدنيا .

نمط الشخصية :

كلما تقدم الطفل في العمر كلما أخذت شخصيته تميل إلى الثبات . فقد وجد أن الطفل الخجول والمنسحب يبقى هكذا عندما يكبر إذا اكتشف أن هذه السمات لا تؤثر على تقبل الجماعة له .

ومن ناحية أخرى تبدأ اضطرابات الشخصية لدى الطفل في الظهور في السنوات الأولى من حياة الطفل في المدرسة وتزداد هذه الاضطرابات سوءاً إن لم تعالج في

حينها . أما سمات الشخصية الشائعة التي تثير المشكلات في حياة الطفل في المستقبل فهي : الانسحاب ، الحساسية الزائدة ، الرفض المفرط للسلطة ، الكآبة المزمنة ، القلق المزمن ، جمود العاطفة .

عوامل الشخصية :

يتأثر مفهوم الطفل عن ذاته بمظهره العام ، فالطفل الذي يبدو جسمه أضخم من سنه أو الطفل الأضخم من الأطفال الآخرين . يتوقع منه الآباء والمدرسون أن يكون أكثر نضجاً في سلوكه مما لو كان جسمه مناسباً لسنه . فاذا أخفق في أن يسلك وفقاً لتوقعات الآباء والمدرسين ، فإن ذلك سيخلق لديه شعوراً بعدم الكفاية وخاصة إذا سخر منه زملاؤه في الفصل ولقبوه بلقب يشير إلى عدم تقبلهم له .

وتؤثر صحة الطفل العامة على مفهومه لذاته ، إذ من الممكن أن تمنعه من اللعب مع الأطفال الآخرين مما يجعله يشعر بالنقص أو بالدونية . أما الأطفال الذين يعانون من نقص جسماني كالعمى والصمم والعرج .. الخ . فقد يحاولون الانسجام مع مطالب البيئة الاجتماعية على حساب قلقهم وتوترهم الداخلي . كذلك فإن هؤلاء الأطفال المعوقين يكونون أكثر حساسية لمشاعر التهديد مما يؤدي بهم إلى عدم توازن انفعالي يؤثر بدوره على نمط شخصياتهم .

ويؤثر اسم الطفل على مفهومه لذاته ، فإذا تقبل أصدقاء الطفل اسمه دون سخرية وانتقاد كان مفهوم الطفل عن ذاته ايجابياً ، أما إذا تعرض الطفل لتعليقات الجماعة فإن ذلك سيكون له أثر سلبي عليه كما لو علقوا على مظهره الخارجي . ويجد أطفال الأقليات أن أسماءهم تسبب تحيزاً ضدهم ، ولذا فهم يحاولون استبدالها بألقاب تخفي مركزهم باعتبارهم أقليات . ويبدي الطفل استياءه تجاه الألقاب التي ينبذه بها أصدقاؤه سواء كانت تلك الألقاب تعبر عن سمات جسمية أم عن سمات شخصية وذلك لأنها ضرب من ضروب السخرية ، ومن ثم يشعر الطفل بالنقص إذا استخدم اللقب بصورة دائمة . وتحمل بعض الألقاب مثل « بدين » ، « نحيف » ، « ذو مشية مترهلة » اختلافات جسمية ، كما تعكس شعور الأطفال الآخرين تجاه هذه الاختلافات .

وكلما كبر الأطفال كلما زادت قدرتهم على التمييز بين الألقاب التي تتضمن السخرية ، وتلك التي تتضمن القبول والعطف والحب . كذلك فإن الطريقة التي يفسر بها الأطفال الألقاب الموجهة اليهم تساهم بشكل ما في تحديد أنماط شخصياتهم . وقد أشار « ماكديفيد وهاراري » عند مناقشتهم لتأثير الأسماء والألقاب على شخصية الطفل إلى أنها تعكس اتجاهات الأطفال الآخرين نحو الطفل على النحو التالي :

« يتم الحكم على الأفراد كما في الأشياء عن طريق ألقابهم ، وقد يتعرض الطفل الذي يحمل اسماً غير جذاب أو محبوب للاعاقة في علاقاته الاجتماعية مع أقرانه ويميل الناس عموماً إلى تقييم الأسماء غير الشائعة كثيراً على نحو سلبي ، وذلك إلى الحد الذي تصبح العلاقة بين اسم الطفل وردود فعل الأقران نحوه مثل مسألة من أوجد أولاً الدجاجة أم البيضة . فقد يحب الأطفال طفلاً معيناً لأنهم يحبون اسمه ، وربما يحبون اسماً معيناً لارتباطه بطفل يحبونه » .

من هنا نرى أهمية حسن اختيار الآباء لأسماء أبنائهم لما للاسم من دور كبير في نمو مفهوم الذات عند الأطفال .

كذلك فإن انتماء الطفل إلى أقلية معينة يجعله يتعرض للعديد من الضغوط والتحيزات من الأطفال الآخرين ، فالأطفال المنتسبون إلى أقلية ما يشعرون بهذه الضغوط والتحيزات وبخاصة عند دخول المدرسة . وهذا بالطبع قد ينمي لديهم شعوراً بالنقص يؤدي إلى عدم التوافق الاجتماعي والسلوك المضاد للمجتمع ، بل قد يؤثر بصفة عامة على الطفل مدى الحياة .

ومن العوامل التي تؤثر على مفهوم الذات لدى الطفل الاعتبارات الاجتماعية حيث ترتبط بالمركز الاجتماعي والاقتصادي للأسرة . إن ادراك الطفل ذي المستوى الأسري غير اللائق يزداد لهذه الحقيقة مع مرور الزمن ، حيث يقارن بين ألعابه وملابسه ومنزله ومركز والديه في المجتمع ووظيفتهما بأقرانه مما يؤدي إلى عدم رضاه واستيائه مما قد يؤدي إلى ضرر في شخصيته .

وتؤثر بيئة الطفل من حيث كونها ريفية أو حضرية على شخصية الطفل ، فقد

دلت إحدى الدراسات على أن أطفال الريف أكثر توافقاً من الناحية الاجتماعية والشخصية من أطفال المدن ، كما أنهم يحصلون على تقديرات عالية من مدرسيهم وأقرانهم .

ومن العوامل ذات الأثر الملموس على مفهوم الطفل لذاته البيئة المدرسية ، ذلك أن المدرسين المتوافقين يساعدون تلاميذهم على التوافق . أما المدرسين غير المتوافقين فإن تأثيرهم يكون سلبياً على تلاميذهم . إن المدرسين الذين يشعرون بسعادة في عملهم والذين يكنون الحب للأطفال لهم دور كبير في نمو شخصيات هؤلاء الأطفال .

إن ما يهدد شخصية الطفل هو حصوله على درجات ضعيفة أو عدم ترفيعه من صف إلى صف ، ذلك أن الدرجات الضعيفة وانعدام الترقية (الانتقال من صف إلى آخر) يخلق في نفس الطفل شعوراً بعدم الكفاية .

كذلك فإن تقبل زملاء الطفل له والحاجة إلى هذا التقبل تؤثران على شخصيته نتيجة لتأثيرهما على مفهومه لذاته ، كما أن الطفل يتأثر أيضاً بالأطفال النجوم والأطفال المنعزلين .

ويؤثر مستوى ذكاء الطفل على شخصيته وعلى مفهومه عن ذاته . فالأطفال ذوو الذكاء المنخفض يشعرون أنهم أقل من باقي أقرانهم من الناحية العقلية ، كما أنهم يدركون بسرعة اتجاهات الجماعة نحوهم ، ويشعرون بعدم الكفاية ، وبالتالي ينعكس ذلك على جميع جوانب سلوكهم ، فقد يصبحون خجولين ومنطوين ولا مبالين أو عدوانيين وبخاصة تجاه الأفراد الذين يفوقونهم في الذكاء .

أما الطفل اللامع فيشعر بالاستعلاء على الجماعة ومن ثم ينمو لديه الشعور بعدم القدرة على مسايرة الأطفال وتحملهم وبخاصة أولئك الذين يقلون عنه في الذكاء . ويحدد هؤلاء الأطفال الأذكياء مستويات للطموح ضمن حدود قدراتهم . بينما تكون مستويات الطموح للأطفال الأقل ذكاء غير واقعية في معظم الأحوال فلو أخفق الطفل الذكي في الوصول إلى هدفه فإن استجابته ازاء ذلك ستكون

واقعية في الغالب ، ولا يسمح لهذا الفشل أن يؤثر على شخصيته . أما استجابات الأطفال الأقل ذكاء نحو فشلهم فإنها عادة ما تكون سلبية ومن ثم تؤدي إلى شعورهم بعدم الكفاية ، وعلى ذلك فإنه كلما تعرض الطفل للفشل كلما تعرض مفهومه عن ذاته للدمار .

ومع نمو الطفل يقل تأثير البيئة المنزلية على تشكيل شخصيته ، ولا يعني ذلك عدم وجود تأثير لعلاقاته الأسرية عليه . ذلك أن شعور الطفل نحو والديه ورضاه وعدم رضاه عن علاقته بهم ، اتجاهاتهم نحوه ، أسلوب الحياة المنزلية وعلاقته بإخوانه ، كل ذلك يلعب دوراً في تحديد نوعية شخصية الفرد في المستقبل .

ويعد ترتيب الطفل بين اخوانه سواء كان الأكبر أم الأصغر أم الأوسط عاملاً مهماً في تشكيل شخصيته ، وعادة ما يظهر الأطفال الوحيدون سلوكاً أكثر استقلالاً وأقل ثقة بالنفس من الأطفال الذين لهم العدد الكثير من الأخوة .

السعادة في الطفولة المتأخرة :

من الممكن أن تكون فترة الطفولة المتأخرة ، بل وينبغي أن تكون من أسعد المراحل في حياة الفرد ولكنها لا يمكن أن تكون فترة خالية تماماً من الهموم لأن الطفل عليه فيها أن يتحمل مسئوليات عديدة في البيت والمدرسة ، والنجاح في تحقيق هذه المسئوليات هو الشيء الوحيد الذي يحقق له السعادة لأن هذا النجاح عادة ما يرضي الأشخاص ذوي الأهمية في حياته (الآباء ـ المدرسين ... الخ) . ومن البديهي أن الفشل في تنفيذ هذه المسئوليات سيجعله يشعر بالتعاسة ، ومن العوامل التي تزيد من سعادة الطفل تمتعه بطاقة حيوية وصحة جيدة ، لأن ذلك سيمكنه من أن يفعل ما يريد مثلما يفعل أصدقاؤه تماماً ، وهذا بالطبع يبعث في نفسه شعوراً بالرضا . وعلى الرغم من تمتع أطفال هذه المرحلة بالصحة عادة إلا أنهم قد يتعرضون لبعض الأمراض العابرة أو الوبائية . ونجد أحياناً أن علامات المرض قد تظهر على أحد الأطفال لأن صديقاً له مريض ، أي أنه يشارك في الخبرة التي يمر بها أقرانه .

والطفل في هذه المرحلة لم يعد يعتمد على غيره كما كان من قبل ، وذلك لأنه اكتسب مهارات لديه تمكنه من القيام بعمل ما يريد دون طلب المساعدة من الآخرين .. أو الاعتماد عليهم ، فمهارته في الكلام تنمو بدرجة تجعله قادراً على فهم ما يقوله الآخرون كما تجعل الآخرين قادرين على فهمه عندما يتعامل معهم

وفي هذه المرحلة يحصل الطفل على فرص وإمكانات كافية للعب مع أقرانه إلا إذا حالت بعض الظروف غير العادية دون ذلك ، فإذا حصل على تقبل اجتماعي من الآخرين كان لعبه مصدراً أساسياً من مصادر السعادة له ، ولما كان اللعب جزءاً هاماً من حياة الطفل فإن سعادته تتوقف على مدى إشباع اللعب لحاجاته .

ومن مصادر سعادة الطفل المدرسة ، لأنها تحتل جزءاً كبيراً من حياة الطفل ، ويتزايد هذا الجزء باستمرار ، ومن ثم فإن شعوره نحو المدرسة والمدرسين والتحصيل الدراسي وزملائه في الفصل يمكن أن يكون مصدراً من مصادر السعادة الحقيقية عنده . فالطفل الناجح في دراسته ، المنسجم مع مدرسيه وزملائه في الفصل ، والذي يجد متعة في تعلم أشياء جديدة يكون لديه كثير من مصادر السعادة .

بالإضافة إلى المدرسة فإن المنزل يلعب أيضاً دوراً هاماً في شعور الطفل بالسعادة على الرغم من أن الوقت الذي يقضيه الطفل خارج المنزل يتزايد تدريجياً . ان المناخ الأسري وعلاقة الطفل بأفراد الأسرة من العوامل الهامة والحيوية في إسعاده . فإذا كانت علاقة الطفل بأسرته تتميز بالدفء والعطف حتى لو كان هناك خلاف وعقاب في بعض الأحيان لبعض مناحي السلوك غير المقبولة من الطفل ، فإنه يشعر أن أسرته تحبه وتعامله معاملة عادلة . كذلك فإن سعادته تزداد إذا عاش في مناخ بهيج غير متوتر. ومن هنا تتحدد بوضوح مسئولية الآباء إلى حد كبير عن سعادة أطفالهم أو شقائهم . ان الآباء مسئولون مباشرة عن العناية بصحة الطفل ومرضه بحيث لا يلقيان عليه اللوم على المضايقات التي يسببها لهما من جراء مرضه .

كذلك فإن على الآباء تدبر الخلافات التي تحدث في المنزل وجعلها تحدث في

أقل حدود ممكنة ، وهم في الحقيقة يستطيعون أن يفعلوا ذلك من أجل إشعار الطفل بمزيد من السعادة والطمأنينة . كما أن الوالدين مسئولان عن تطبيعه النظام وخلق انطباع يشعر معه الطفل أن جميع أفراد الأسرة يعاملون معاملة واحدة وأنه لا يوجد أي مزايا يحصل عليها أحد دون الآخرين .

ويعد الوالدان مسئولين عن سعادة أطفالهم من خلال اتجاهاتهم نحو تحصيله المدرسي ومع أقرانه ، فإذا كانت مستويات الطموح التي وضعاها عالية وغير واقعية بالنسبة له كأن يتوقعوا منه التفوق على أقرانه في كل أمر يتولاه متجاهلين حدود طاقاته العقلية والجسمية فقد يؤدي ذلك الى شعور الطفل بالاخفاق وبالتالى الاحساس بالتعاسة .

والآباء مسئولون عن القبول الاجتماعي الذي يحصل عليه الطفل من أقرانه من خلال تفاعلهم معه ، ومن خلال المثل الأعلى الذي يضعانه للطفل ليحذو حذوه فإذا قدما للطفل نموذجاً أعلى للخلافات أو الكلام الناقد البذيء ، وأفسحوا المجال لاخوته لحسم الأمر بالشجار والإيذاء البدني أو اللفظي دون توجيه أو إرشاد إلى الطرق المقبولة اجتماعياً لتحقيق الغايات التي يودون الوصول إليها ، فإنهم بذلك يدفعون الطفل إلى تنمية عادات سلوكية غير مقبولة اجتماعياً وبالتالي تؤثر على علاقته بمدرسيه وأقرانه .

وعلى الرغم من أن حصول الطفل على السعادة لا يضمن بالضرورة سعادته في باقي مراحل حياته ، إلا أن الظروف والعوامل التي تسهم في سعادته في مرحلة الطفولة ستسهم بصورة ما في سعادته عندما يتقدم به العمر ، فالمراهق أو الراشد الذي تعلم في طفولته كيف يكون مقبولاً من الناحية الاجتماعية يستطيع أن يبني أنماطاً جديدة من السلوك تساعده في الإنسجام مع القيم الجديدة التي تتطلبها طبيعة مرحلة النمو التي يحياها .

كذلك فإن الفرد الذي تعلم في طفولته كيف ينظر إلى نفسه نظرة واقعية وكيف يتقبل اخفاقه وينظر إليه كنوع من التحدي يساعده في تطوير أساليبه للوصول إلى أهدافه أو ينظر إليه كنوع من التدعيم لخفض مستوى طموحه ، هذا الفرد

سيتجنب في الكبر التعاسة التي تنجم عن الاخفاق المتكرر سواء كان اجتماعياً أم مهنياً أم أكاديمياً ، كما سيتجنب مشاعر عدم الكفاية والنقص والشعور بالدونية

ومرحلة الطفولة المتأخرة هي المرحلة التي يبدأ فيها الفرد غير السعيد في استخدام الحيل الدفاعية التي تتجلى في صورة التبرير الذي يفسر به فشله أو إسقاط اللوم على الآخرين . كما أنه يستخدم حيل دفاعية مختلفة للهروب من قبيل أحلام اليقظة وتوهم المرض . وعلى الرغم من أن هذه الحيل الدفاعية تخفف من تعاسة الطفل إلا أنها بطبيعة الحال بدائل مؤقتة ، فإذا ما كبر الطفل ازداد ما نتوقعه منه من حيل دفاعية ، وبالتالي تقل قدرته على الارتقاء إلى مستوى التوقع المطلوب منه . إلا إذا عرفنا أسباب تعاسته وحاولنا علاجها ، فإذا لم يحدث العلاج فإن استخدامه للحيل الدفاعية سيزداد باستمرار لدورها التعويضي الذي تقدم له إلى أن تفقد فاعليتها ولا تستطيع أن تمنع مشاعر التعاسة والتهديد

إن عدم وجود ركن من أركان السعادة الثلاث عند الطفل وهي : تقبله لذاته ، تقبله للآخرين ، حب الآخرين له . يعد مؤشر خطر لمشكلة ستوجد في المستقبل ، فإذا لم يشعر الفرد بالسعادة في مرحلة من مراحل حياته بينما تكون الظروف مواتية للسعادة ، فإن ذلك يوحي بأن هذا الفرد لم يزود على نحو طيب بما يمكنه من مواجهة الظروف غير المواتية للسعادة . وعلى سبيل المثال فإن مرحلتي المراهقة والبلوغ يعدان من المراحل القريبة من مرحلة الطفولة المتأخرة ، وتوصفان بأنهما لا تحققان السعادة للأفراد الذين يمرون فيهما ، فإذا كان الطفل غير سعيد عموماً في مرحلة الطفولة المتأخرة فإنه سيجد أن هاتين الفترتين لا يمكن أطاقتهما ، وقد يجره ذلك إلى الانسحاب المؤقت واللجوء إلى أحلام اليقظة ، وقد يصاب بفصام الشخصية ، وربما يحاول الانتحار لكون الحياة لا تستحق أن يحياها الإنسان .

فإذا ما عرفنا هذه الأخطاء الكامنة وتمكننا من تحديد الإجراءات البناءة لعلاج أسباب التعاسة في الطفولة المتأخرة لتمكنا مقدماً من اتخاذ الإجراءات التي تضمن تقليل حجم المشكلات التي يمكن حدوثها في المستقبل .

ومن أهم الإجراءات البناءة الممكنة لعلاج أسباب التعاسة لدى الطفل تشجيعه على التفكير في نفسه وفي الآخرين بواقعية ، فإذا قام بذلك يكون من السهل عليه أن يتقبل نفسه وأن يصبح مقبولاً ومحبوباً من قبل الآخرين بغض النظر عن أي قصور جسمي أو عقلي يكون موجوداً لديه .

الفصل الحادي عشر

المـــراهقـــة

مقـــدمـــة

المراهقة هي الفترة الممتدة من بداية البلوغ الجنسي وحتى الرشد ، وتقابل الأعمار ١٣ في حالة البنات ، ١٤ في حالة الذكور ، وتمتد حتى سن ١٦ ـ ٢٠ من العمر . ويمكن تقسيم هذه المرحلة كالتالي :

البلـــوغ	سن ١٣ للإناث .
	سن ١٤ للذكور .
المراهقة المبكرة	سن ١٣١/٢ ـ ١٦ .
المراهقة المتأخرة	سن ١٦ ـ ٢٠ .

وتعد فترة المراهقة فترة هامة في حياة الفرد ، ومرحلة انتقال هامة من الطفولة إلى الرجولة يصحبها تنظيم جديد لكثير من الأمور . وقد أعطى كثير من المفكرين اهتماماً كبيراً لهذه المرحلة ، فقد أولاها أرسطو جانباً من تأملاته حيث وصف صوت الطفل الذي انتقل إلى سن البلوغ قائلاً أن صوته يشبه صوت ذكر الماعز . كما وصف المراهق بأنه ذو مبادىء سامية ولكنه كثير الشك في طبيعة الدوافع البشرية وذلك لنقص خبراته ، كما أعطى أوصافاً لنواحي متعددة مثل

تغير شكل الثدي والحيض لدى الأنثى وشعر العانة والمني لدى الذكور . وأعطى أفلاطون كثيراً من وقته وفكره ليكشف عن أفضل طرق تنشئة الشاب ليكون مواطناً صالحاً .

وكلمة « مراهقة » مشتقة من الفعل يراهق أي يبلغ أو ينتقل من الطفولة إلى النضج. ويفضل علماء النمو النفسي هذا المصطلح لأن أصل الكلمة يتلائم تماماً مع الخصائص الجسمية والسلوكية لهذه المرحلة . وبالنسبة للأهمية التطورية للمراهقة فهناك تطبيقات هامة مرتبطة بزمن هذه المرحلة لدى علماء الاجتماع . وتشير هذه الفترة كما حددها جيزيل Gesell إلى السنوات ١٠ ـ ١٦ من العمر ، وتعني لدى البعض مراهقة بيولوجية وتعني لدى البعض الآخر العلاقة أو الصلة بين المراهقة المتأخرة والرجولة المبكرة . ومن الناحية التاريخية فإن المراهقة تعني العمر المتوسط أو الفترة مابين الطفولة المبكرة إلى سن الكبار . أما بالنسبة لمحاكم الأحداث فتتضمن مدى أوسع من العمر . ولدى الانثربولوجيين (علماء الأجناس البشرية) فتعني الفترة التي تقع بين الطفولة والبلوغ أوما قبل البلوغ . ومن الناحية التعليمية فهي تشمل مرحلتي المدرسة الاعدادية (المتوسطة) والثانوية .

نظــرة تاريخيـــة :

لقد وعى المفكرون منذ آلاف السنين لبعض الظواهر المصاحبة للمراهقة وإلى التغييرات التي تصيب السلوك الإنساني بتقدم العمر . فقد وصف أرسطو تغيرات الصوت لدى الجنسين خلال المراهقة ، كما وصف تطور الثديين وعملية الحيض في الإناث وظهور شعر العانة والقذف المنوي لدى الذكور . كما حدد متوسط الأعمار التي تظهر فيها هذه الخصائص . وقد قدم أرسطو أيضاً بعض الخصائص النفسية للمراهقة حيث أنه لاحظ بعض السمات التي ارتبطت بهذه المرحلة من مراحل النمو . كما قسم مراحل النمو إلى ثلاث مراحل هي الطفولة والشباب وكبار السن

ولم يميز الرومانيون بوضوح بين المهد والطفولة والمراهقة وصغار البالغين فليس الرضيع لديهم هو الذي لم يبدأ الكلام بعد ولكنه ذلك الطفل الذي يقع عمره بين الميلاد وحتى السابعة . وكثيراً ما استخدمت كلمة صبي وكلمة مراهق بمعنى واحد لتشيران إلى الصغار من الذكور دون إشارة إلى العمر المحدد فقد سمى اكتافيوس وهو في سن ١٩ بالصبي وسمي قيصر وهو في سن ٣٨ بالمراهق .

وببداية القرن الرابع الميلادي أشار المفكرون البيزنطيون إلى وجود ٦ أو ٧ فترات من العمر ، حيث أطلقوا على الفترة الثالثة من هذه الفترات كلمة مراهقة وذكروا أن الفرد ينمو خلالها إلى الحجم الذي تحدده الفطرة كما ذكروا أن الشباب يلي المراهقة وهو سن القوة العظمى . وفي القرن السادس عشر ترجم الفرنسيون من اللاتينية ثلاث مصطلحات تمثل ثلاث مراحل للنمو هي : الطفولة Childhood والشباب Youth والكهولة Oldage .

وكان الطفل ينتقل إلى فترة الشباب وذلك في عصور الظلام في أوروبا بين سن الخامسة والسابعة وخاصة في الطبقات الفقيرة . وخلال هذه الفترة لم يكن التعليم قائماً على أعمار زمنية معينة وقد استمر هذا الوضع لعدة قرون وتأثرت المراحل التعليمية به حيث كانت مرحلة الطفولة أكثر المراحل اتساعاً وإن كانت قد ظهرت بعض المحاولات للتمييز بين الطفل وبين المراهق وبين البالغ الصغير ، فلم يكن

الالتحاق بالمدرسة أو الصف الدراسي محكوماً بعامل السن حتى القرن السابع عشر

وبدأت المراهقة في اتخاذ مفهوم جديد في القرن ١٨ ، هذا المفهوم له جانب أدبي والآخر اجتماعي . ويحدد شيروبين Cherubin البلوغ فيؤكد على أمور هامة منها : ظهور الميل إلى الإناث عند الولد وبدء مرحلة الحب . أما القوة فهي المعبر الحقيقي عن المراهقة .

نظرة بيولوجية للمراهقة :

استخدم البيولوجيون (علماء الحياة) الاستخدام القديم للمصطلح « مراهقة » ليعني الفترة الممتدة من البلوغ وحتى انتهاء النمو الجسمي . وقد بدأت دراسات كثيرة تتجمع عن سلوك المراهقين من سنة ١٧٩٥ اتصفت بالتنظيم العلمي ، وكان للكتاب الذي نشره « هول » Hall عن المراهقة أثره الكبير ـ فقد ضمن هذا الكتاب أكثر من ٦٠ دراسة عن النمو الجسمي وحده أجريت في عدة دول .

المراهقة والبلوغ والتكاثر :

أحياناً مايقصد بالبلوغ ـ في بعض الدراسات ـ سن الحيض عند الإناث وسن أول قذف لدى الذكور وأحياناً مايقصد به السن الذي يبدأ فيه ظهور شعر العانة لدى الجنسين .

وتحدد قواميس اللغة معنى المصطلح « بلوغ » بأنه المرحلة التي ينضج فيها الفرد جنسياً ولكن هذا التعريف غير كاف فمن المعروف أن الصلاحية للزواج ـ أي القدرة على إنجاب أطفال أو القدرة على الحمل ـ لا تتم إلا بعد مرور فترة على بدء الحيض أو أول قذف . بالإضافة إلى أن المظاهر الخارجية الملحوظة للنضج الجنسي هي في العادة ازدياد في حجم الخصيتين في الذكور وبدء نمو الثديين لدى الإناث وليس ظهور شعر العانة . كما أن ترتيب ظهور الخصائص الثانوية للنمو الجنسي ليست أمراً ثابتاً في جميع الأحوال .

فبعض علماء الحياة يفضل اعتبار أن البلوغ قد بدأ عندما يبدأ إفراز

الأندروجين والأستروجين في التزايد (في حوالي ـ ٨ سنوات) فالمراهقة تتحدد ببدء البلوغ ، خاصة إذا تحدد معنى البلوغ على أنه أول علامة خارجية للنضج الجنسي وأن سلسلة العمليات المعقدة المتضمنة في النضج الجنسي قد بدأ طريقها

تعريف المراهقة :

لا يمكن أن ننظر إلى النمو في الطول على أنه المعيار الوحيد في تعريف مصطلح مراهقة فالتغيرات التشريحية والفسيولوجية تعم كل الأنسجة والنظام العضوي كله كماً وكيفاً ، ويختلف طول فترة النمو والتغير بالنسبة للأبعاد والوظائف المختلفة . ولأن النمو الجسمي وتغير العمليات الفسيولوجية ينشأ نتيجة تغير في الإفرازات الهرمونية المرتبطة بالنضج والتي تتعلق إلى حد كبير بالنمو الجنسي ـ فإن التعريف الذي يتضمن عملية النضج التناسلي هو التعريف الصحيح . ويعد تعريف فورد وبيتش Ford & Beach أفضل التعريفات المستخدمة فيقول : « إن المراهقة هي الفترة الممتدة من البلوغ وحتى النضج التناسلي الكامل » .

فالأجزاء المختلفة من الجهاز التناسلي تنمو وتصل إلى حدودها القصوى في مراحل مختلفة من حياة الإنسان ولكن المراهقة لا تكتمل إلا بعد نضج التكوينات والعمليات اللازمة للاخصاب والحمل وتكوين الجنين وافراز اللبن . هذا التعريف يضع في الاعتبار حقيقة هامة هي أن كثيراً من التكوينات الجسمية وعمليات التمثيل الغذائي لا تعد عوامل ذات تأثير مباشر على النضج التناسلي .

وقد تحدد المراهقة بطرق مختلفة ـ بالربط بينها وبين النمو الجسمي مثلاً ، فنقول أن مراهقة الفرد قد بدأت عندما تبدو عليها علامات ابتداء النضج الجسمي وانها انتهت عندما يتوقف النمو الجسمي والذي يتوقف عادة فيما بين ١٧ أو ١٨ من العمر .

وقد تحدد فترة المراهقة في صورة الاستجابات الاجتماعية وتزايد الميل نحو الجنس الآخر الذي يصاحب عادة النضج الجنسي وتنتهي بتحقيق الاستقلال

الاجتماعي والمادي عن الوالدين . ورغم أن هذه المرحلة لم تحدد قانوناً إلا أن في نهايتها يكون الشخص قانوناً في عداد البالغين من بعض النواحي بوصوله إلى سن الثامنة عشر ، ويكون بالغاً شرعاً بوصوله سن ٢١ .

وهناك وجهات نظر متعددة في تحديد المراهقة ترجع أهمية معرفتها إلى أن أي مدخل لدراسة فترة المراهقة يتحدد في الواقع بالخصائص المحددة للمصطلح المستخدم وتحدد « جين مادينا س » وجهة نظرها قائلة أن المراهقة تبدأ بظهور علامات النضج الجنسي في جوانب النمو الجسمي والاجتماعي وتنتهي عندما يقوم الفرد بتولي أدوار الكبار وعندما يتقبله الكبار في أغلب الأحوال على أنه شخص بالغ . وهم الأفراد الذين يهتم بتقبلهم له واعترافهم بنضجه ، إلى جانب ذلك فالمراهقة لها أسس جسمية وحتى ينظر لها على أنها مرحلة ذات خصائص متميزة يجب أن تنظر لها الثقافة كمرحلة خاصة بحيث ينظر إلى المراهقين ويعاملون بطريقة مختلفة عن الأطفال وعن الكبار في نفس هذه الثقافة .

النمو الجسمي في المراهقة :

رغم أن المراهقة تعد فترة تغيرات جسمية سريعة فإن هناك إتصال واضح وملحوظ بين ما يحدث من تغير جسمي في المراهقة وبين النمو الجسمي الذي حدث في الطفولة فالأشخاص الذين كانوا يتميزون بالطول وهم أطفال يميلون لأن يظلوا كذلك وهم مراهقون وكذلك وهم بالغون ، كما يظل النمط الجسمي كما هو رغم تلك التغيرات السريعة فالنمط الممتلىء أو العضلي أو النحيف يظل ثابتاً نسبياً دون تغير يذكر . فعندما يدخل الشخص إلى المراهقة بتغيراتها المختلفة إنما يصحب معه تاريخاً طويلاً من النمو الجسمي ونمطاً مميزاً من النمو يظل محافظاً على نفسه خلال التغيرات السريعة في المراهقة .

وأول علامات التغير التي تحدث في الفرد خلال المراهقة هي ذلك النمو المتفجر الذي يحدث قبل المراهقة مباشرة حيث يحدث نمو سريع نتيجة لسلسلة من التفاعلات المعقدة التي تحدثها هرمونات الغدد الصماء . فيلاحظ مثلاً وجود أنسجة ليمفاوية بكثرة منتشرة بين الأنواع المختلفة من أنسجة الجسم خلال

الفترة التي تسبق مباشرة تلك الزيادة السريعة في الأنسجة التناسلية ، وخلال هذه الفترة يكون النمو أسرع ما يمكن . أما نمو الأعضاء التناسلية المصحوب بتغيرات في افرازات الغدد فيبطىء ثم يتوقف عن النمو .

ويطلق على الفرد الذي تحدث به التغيرات المؤدية إلى النضج الجنسي أنه في فترة بلوغ ومن الصعب أن تحدد بالضبط متى يصل الفرد إلى النضج الجنسي أي أنه قد مر بمرحلة البلوغ ـ ولكن هناك بعض العلامات التي تشير إلى ذلك .

علامـات البـلوغ :

عندما نتحدث عن العمر فإن أول ما يتبادر إلى الذهن هو العمر الزمني لكننا في أي عمر نمر في الواقع بعدة أنواع من الأعمار . فالفرد في عمر زمني ١٣ يقل أو يزيد عن ١٣ طبقاً لمجموعة من المقاييس الأخرى . المثال على ذلك هو العمر العقلي وما يرتبط به من مفهوم معامل الذكاء . فالشخص الذي يكون عمره الزمني ١٣ قد يكون عمره العقلي ١٥ ، وبنفس الطريقة فإن هذا الشخص ذو العمر الزمني ١٣ قد يكون في أعمار مختلفة بالنسبة لنموه الجسمي .

فقد نجد بعض من هم في سن ١٣ في عداد البالغين بمقاييس النمو الجسمي الأخرى بينما يكون غيرهم ممن هم في سن ١٣ أطفالاً لأنهم لم يصلوا بعد للبلوغ الجنسي . وربما كانت أكثر علامات النضج الفسيولوجي استعمالاً هي السن الهيكلي . فعندما ننمو من المهد إلى النضج تحدث تغيرات منتظمة ومتوقعة في البناء الهيكلي . فكثير من عظام الهيكل العظمي لم تصبح بعد عظاماً في مرحلة المهد والطفولة المبكرة ومازالت في حالة غضروفية ومع تقدم العمر تتحول إلى عظام . ويبلغ عدد العظام الموجود بالجسم عند الميلاد ٢٧٠ وعند البلوغ ٢٥٠ وبعد البلوغ ٢٠٦ وهذا العدد يختلف لتكلس العظام والالتحام بعضها بالبعض فيما بعد وتحول بعضها من غضاريف الى عظام ، ويعد هذا التغير في عدد العظام وفي تلكس بعضها عملية منظمة ومتتابعة وعن طريق تحديدنا لمكان الفرد في هذه العملية التطورية يمكننا أن نحدد عمره الهيكلي . وأكثر الطرق المستخدمة في التعرف على العمر الهيكلي حالياً هي تلك

التي وضعها جروليش وبايل Greulich & Pyle ١٩٥٩ مستخدمين لصور أشعة « × » لليد والرسغ ، حيث تقارن درجة تكلس عظام الفرد بتلك الصور المعيارية في أطلس جروليش وبايل الخاصة بكل جنس في الأعمار المختلفة ويحدد مدى تشابه صور الأشعة الخاصة بيد ورسغ الفرد بصورة الأشعة الموجودة في الأطلس وضع الفرد بالنسبة للعمر الهيكلي . فإذا ما كانت صور أشعة × لفرد معين سنه ١٣ تنطبق على صور أشعة × الخاصة بسن شهر ١١ سنة في الأطلس نعرف بصورة غير مشكوك فيها أن بلوغه سيتأخر بالنسبة لأقرانه من نفس السن وأن نموه في الطول سيستمر لفترة أطول من الوقت ونتوقع أن يواجه هذا الفرد - إذا كان ذكراً - بعض مشكلات التوافق . تلك المشكلات المرتبطة بتأخر النمو . وقد يضطر الأمر إلى التدخل لعلاجه باستخدام الهرمونات الجنسية لاسراع عملية النمو الجنسي . وقد أمكن لبعض الباحثين أن يحددوا مستوى النضج الفسيولوجي باستخدام العمر الاسناني بطريقة مشابهة لتحديد العمر الهيكلي .

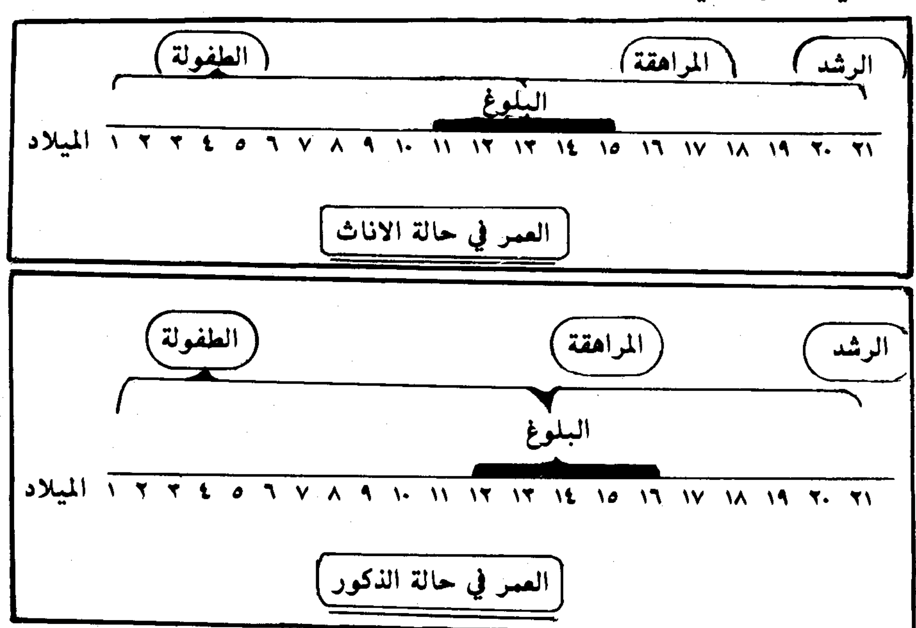
لقد اقترح ويلارد أولسون Willard C. Olson سنة ١٩٤٩ أن نحدد مستوى نمو الفرد باستخدام عدد من الأعمار : العمر العقلي ، العمر القرائي ، العمر الطولي ، العمر الوزني والعمر الأسناني والعمر الهيكلي . ويفترض أن هذه الأعمار عادة ما تسير متآنية (بمعنى أن الفرد الذي يكون عمره الزمنى ١٥ يكون عمره في المقاييس المختلفة عادة ١٥) لكن معرفة الانحرافات القائمة في هذه المقاييس عن العمر الزمني ١٥ يعد أمراً هاماً . وقد يكون نمو أحد الأفراد ذو معدل طبيعي بالنسبة لكل مقاييس العمر الجسمية . ولكنه بطيء بالنسبة لمقاييس العمر المعرفي . وقد نجد شخصاً آخر متأخراً في كل المقاييس . وحيث أن الجميع في النهاية يصل الى النضج الجسمي فإن الشخص الأخير سيصل أيضاً إلى النضج الجسمي ولكن ببطء أكثر . كما أن مثل هذا الشخص البطيء النمو قد يصل ببطء أيضاً إلى مستوى الذكاء المميز للعاديين من البالغين. ولو كان رأي أولسون Olson صحيحاً فسيكون الشخص الأخير أفضل من الأول لأنه آجلاً أو عاجلاً سيصل إلى بالغ ذي مستوى عادي من الذكاء لأن كل أعماره تنمو بسرعة تكاد تكون متساوية . وبنفس الطريقة فإن انحراف واحد أو أكثر من مقاييس الأعمار الجسمية يسمح لنا بالتنبؤ بالنتاج النهائي - وأن نقرر في بعض الأحيان إذا ما كان من الممكن أو من الضروري تقديم علاج

يغير من المحصلة النهائية للنمو أم لا .

ان هذه المقاييس الجسمية للعمر (وخاصة الهيكلية) تمكننا من تحديد مستوى النمو الجسمي لفرد ما بدرجة أدق من اعتمادنا على العمر الزمني فقط .

البلوغ والتغيرات المصاحبة له

قبل أن تصل الطفولة الى نهايتها ـ تبدأ التغيرات الجسمية التي تنقل الطفل الى بالغ ناضج جنسيا . والوقت الذي تحدث فيه هذه التغيرات يسمى البلوغ وهي كلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية Pubertas وتعني سن الرجولة . وعلى عكس الاعتقاد الشائع فان الانتقال ليس سريعا أو سهلا فهو يستغرق في المتوسط من ٢ ـ ٤ أعوام . ويتداخل نصف هذه المرحلة تقريبا مع الجزء الأخير من مرحلة الطفولة ، والنصف الآخر يتداخل مع الجزء الأول من المراهقة ، وهذان الجزءان من البلوغ يسميان مرحلة ما قبل المراهقة والمراهقة المبكرة . وفي مرحلة ما قبل المراهقة لا يكون الطفل طفلا بمعنى الكلمة ولا مراهقا ولكنه غالبا ما يشار اليه على أنه طفل محتلم Pubescent ويبين الشكل التالي التداخل بين البلوغ وبين الطفولة وبين المراهقة .



وعندما تبدأ الاعضاء الجنسية وظائفها تكون الطفولة قد وصلت الى نهايتها وابتدأت المراهقة وتصل البنات الى النضج الجنسي في حوالي الثالثة عشرة عندما تبدأ دورة الحيض ونزول دم الحيض . فمن ١١ ـ ١٣ تحدث كثير من التغيرات الجسمية . فبعد الحيض تحدث تغيرات أخرى وتكتمل تلك التي بدأت مبكرة . أما الأولاد فيصلون الى المراهقة ـ كما تعرف بأول قذف أو احتلام ـ في حوالي سن ١٤ . أما تغيرات البلوغ الجنسي فتبدأ فيما بين سن ١٢ ـ ١٤ في الأولاد وتتم فيما بين سن ١٦ أو ١٧ من العمر .

علامات النمو الجنسي :

يوجد عدد من المعايير التي يحدد على أساسها جنس الفرد . من هذه المعايير تلك التي وضعها هامبسون وهامبسون Hampson & Hampson (١٩٦١) الكروموزوم الجنسي ، الغدد الجنسية ، الهرمونات الجنسية ، الاعضاء الجنسية الداخلية ، الأعضاء الجنسية الخارجية ، جنس التربية ، الجنس النفسي (الدور الجنس) . فنحن ننتمي الى جنس الذكور أو جنس الاناث ولكننا ننتمي الى جنس واحد على أساس كل من المقاييس المتعددة السابقة ويوجد عدد له أهمية من الأشخاص الذين لا ينتمون الى نفس الجنس طبقا للمعايير السابقة للجنس . وعلى سبيل المثال فقد يوجد شخص له الكروموزومات الجنسية والغدد الجنسية والاعضاء الجنسية الداخلية والهرمونات الجنسية التي تشير جميعها الى أنه ذكر ـ ولكن الأعضاء الجنسية الخارجية تظهره كأنثى ويؤدي ذلك إلى أسلوب أنثوي في تربيته وإلى دور أنثوي . وهنا نسأل : من الناحية النفسية ما هو جنس هذا الشخص ؟ وما هو دوره أو دورها الجنسي ؟ .

عندما يختلف تشخيص الجنس من فرد الآخر كما في حالة اختلاف الكرموزومات .. والهرمونات الجنسية الموجودة في الشخص عن الدور الجنسي الذي يحدده الوالدان تصبح القوى البيولوجية متمايزة ومختلفة عن القوى الاجتماعية في تحديد جنس الفرد .

ولقد أشارت بعض الدراسات الهامة عن الجنسية « موني وايرنهارت » (١٩٧٢) إلى أن القوى الاجتماعية ـ التي تحدد الدور الجنسي للفرد ـ تعطي الفرد أهمية

أكبر لتلك العوامل البيولوجية (كالهرمونات الجنسية) على أساس أنها تحدد الجنسية النفسية والتطابق الجنسي . ويرى موني وارنهاردت أننا إذا عاملنا الولد كأنثى حتى سن الرابعة فإنه لن ينمي مفهوماً سليماً وتطابقاً صحيحاً مع نفس جنسه .

ويشير امبراتو وماجنلي وجويريرو وجوتير وبيترسون Imprato, Mc Ginley, Guerero, Gautier and Peterson (١٩٧٤) الى ذكور ورثوا بعض الاضطرابات الحيوية الكيمائية التي أدت الى ولادتهم بأعضاء جنسية خارجية غامضة وفي غالبية الأحيان كانوا يربون كإناث وتؤدي التغيرات الكيمائية الحيوية التي تحدث عند البلوغ الى أن تقوم الأعضاء الجنسية الداخلية والخارجية بوظائف ذكرية كاملة . وهنا نجد أفرادا لهم كروموزومات ذكرية تمت تربيتهم على أنهم بنات ودعمت فيهم اتجاهات البنات ونظروا لأنفسهم كبنات . وعندما حدث التغير الهرموني نمت الغدد الجنسية الذكرية ، وعندئذ عوملوا كذكور ودعم فيهم السلوك الذكري ومن الغريب حقا أن ينظروا لأنفسهم كذكور بمجرد أن أصبحوا ذكورا من الناحية الهرمونية ، وفي الحال يبدأون في مغازلة الإناث ويصبحون أزواجا وآباءا . ومن المدهش أيضا أن يكون للهرمونات هذا التأثير الهام جدا والا يكون لذلك التاريخ الطويل من التعزيزات الاجتماعية الأهمية في تحديد التطابق الجنسي والجنسية النفسية .

وتفترض نتائج الدراسة السابقة أن الهرمونات هي المحددات الأساسية لجنس البالغين وأن ما يزيل الغموض الذي يحيط بجنس الفرد هو النشاط الهرموني . وأنه عندما تكون لدينا معايير متعددة لتحديد الجنس فإن الهرمونات الجنسية هي أكثرها تحديدا لمدى تطابق الفرد مع جنس معين من الجنسين . وأيا كان الأهم هل هو الهرمونات أو مطالب الدور Role assignement فكلاهما يعملان معا على تحقيق التطابق الجنسي لدى الجنسين ولكن التساؤل الهام ما هو مقدار الفروق في السلوك الاجتماعي كالعدوان مثلا - التي ترجع الى الفروق البيولوجية بين الجنسين ، وما هو المقدار الذي يرجع الى الانماط الثقافية في كلا الجنسين ؟ وللاجابة على هذا السؤال يجب أن نضع التوقعات الاجتماعية في الاعتبار إذ أنها تتفاعل مع الجنسية البيولوجية .

النمو الجنسي لدى البنات :

تحدث عدة تغيرات في البنات باقترابهن من النضج الجنسي ، فينمو حجم الثديين مارا بعدة مراحل تبدأ من البرعم وهو عبارة عن تضخم ونتوء الحلمة . الى الثدي الكامل النمو ، ويصاحب نمو الثديين نمو في كمية ونوع الشعر المنتشر على الجسم لكن أهم معيار لتحديد النضج الجنسي لدى البنات هو أول دورة حيض . وأول حيض يعد نقطة بداية في النضج الجنسي فالبنت لا تعد قادرة على الحمل والانجاب الا بعد فترة من الخصوبة تستمر عاما أو أكثر بعد أول حيض .

وتعد الفروق في بدء الحيض كبيرة في الجيل الواحد ولها تأثير هام على الشخصية وعلى التوافق الاجتماعي لأولئك الذين ينحرفون كثيرا في نموهم عن المتوسط . ولا نعرف تماما أسباب تلك الاختلافات الكبيرة في سن الحيض ويبدو أن لعوامل الوراثة دور في ذلك ما دامت هناك ارتباطات هامة بين سن الحيض لدى البنت وأمها وبين الأخت وأختها ، كما تبين من بعض الدراسات أن التشابه كبير بين سن الحيض لدى التوائم المتماثلة من الاناث أكثر من التوائم المتآخية . وقد وجد أيضا أن عوامل التغذية تلعب دورا في ذلك ولكنها أقل أهمية هذه الأيام عما مضى حيث قلت الفروق بين الطبقات الاجتماعية من الناحية الغذائية خلال العشرين سنة الماضية . وربما يكون لبناء الجسم تأثير على بدء الحيض فقد لوحظ أن البنات التي تصل مبكرة الى سن الحيض عادة ما يكن أقصر وأعرض من البنات اللاتي يصلن متأخران الى سن الحيض ولكن لم يتضح بعد بصورة قاطعة اذا ما كانت الفروق في النمط الجسمي هي التي تسبب الفروق في سن الحيض أم العكس أم أن كليهما يسببه عامل ثالث .

وتشير الدراسات التي أجريت خلال القرن التاسع عشر والعشرين على الأمريكيين والاوربيين أن سن الحيض قد تناقص بمعدل أربعة أعوام تقريبا في هذا القرن عن القرن الماضي وان هناك اتجاه نحو تبكير النضج الجنسي . كما يشكو الآباء من أن بعض المظاهر السلوكية المميزة للكبار قد بدأت تظهر لدى المراهقين مبكرة عما سبق ، كالسهر في الخارج والميل نحو الجنس الآخر وارتداء ملابس البالغين والتجمل .

النمو الجنسي لدى الذكور :

لا يوجد دليل واحد مفيد كالحيض لدى البنات للدلالة على النضج الجنسي لدى الذكور . ومن الدلائل المستخدمة ما وضعه كرامبتون ١٩٠٨ وهو نضج شعر العانة . فشعر العانة يمر في نموه بثلاث مراحل تقابلها ثلاث مراحل من البلوغ الجنسي هي :

أ ـ مرحلة الشعر غير الملون (وتقابل مرحلة ما قبل البلوغ) .
ب ـ مرحلة الشعر الملون غير المجعد (وتقابل البلوغ) .
جـ ـ مرحلة الشعر الملون المجعد (وتقابل ما بعد البلوغ) .

لكن أحدا من هذه المراحل لا يمكن أن يكون دليلا على أن الفرد قد أصبحت لديه القدرة على تكوين الحيوانات المنوية ، ولذلك فإن السن المحدد الذي يصل فيه الذكر العادي الى النضج الجنسي لا يمكن تحديده بدقة على أساس معايير كرامبتون . وحيث يصل الأولاد عادة الى البلوغ الجنسي متأخرين بأكثر من عامين عن البنات في بعض جوانب النمو مثل سن الطول ، فإنهم يصلون الى سن النضج الجنسي في المتوسط في حوالي سن ١٣،٥ ـ ١٤ من العمر . مع وجود مدى واسع من الفروق (تبدأ من سن ٩ ـ ١٦) وحول هذا المتوسط يقع الافراد العاديون والاصحاء .

النضج الجنسي والسلوك الجنسي :

تعد المراهقة فترة تغير سريع ، وهذه التغيرات تتميز بسرعتها وظهورها واضحة في النواحي الجسمية والجنسية أمام أفراد المجتمع الذين يتفاعل معهم المراهق . ويصاحب النمو الجسمي والجنسي نمو هام آخر هو الوعي بالذات والبحث عن المثل الأعلى للتطابق معه . لكن من المؤكد أن نمو مفهوم الذات (الطريقة التي يرى بها الفرد نفسه ويميز بين الخير والشر) لا تبدأ في المراهقة .

وتحتاج المراهقة الى اندماج وتكامل عدد كبير من الأحاسيس والمشاعر والخبرات الجديدة .

التغيرات الجسمية ومفهوم الذات :

يتكون مفهوم الذات من تقييمات الفرد للعناصر المتنوعة من الذات ومن أفكاره عن نفسه . ومن عنصر الذات ما يسميه علماء النفس الأدوار الاجتماعية والصورة الجسمية ((أي وعي الفرد وتقبله لذاته الجسمية)) . ويؤدى النمو الجسمي السريع والتغيرات التي تطرأ عليه الى تغير سريع في الصورة التي كونها عن جسمه ورفضها بالتالي ، ومن النادر أن يتقبل المراهق ذاته الجسمية فهناك خطأ ما - قد يكون في الطول أو في الوزن أو في درجة النضج الجسمي أو في البشرة أو في الشعر أو في عدد آخر من العيوب الذاتية التي تصبح محور اهتمامه والتي تؤدي كثيرا الى رفضه للذات . وتؤثر معتقدات الفرد وتقبله للذات الجسمية على السلوك ولنأخذ مثالا على ذلك البنت الجميلة التي تظن نفسها قبيحة . اذا لم تكن قبيحة بالفعل - فيحتمل أن تسلك بصورة مختلفة في كثير من المواقف الاجتماعية على عكس البنت التي لها نفس المستوى من الجمال لكنها تميل نحو ذاتها الجسمية .

وتظل الذات الجسمية ثابتة في كثير من المواقف المتنوعة التي تتضمن مطالب متنوعة وعادة ما تكون صورة الجسم المستقرة عاملا هاما في ثبات السلوك . ان مطالب أي دور تتغير بسرعة في المراهقة وكذلك صورة الجسم تتغير بسرعة خلال مرحلة النمو الجسمي السريع . وعليه فان العناصر الأساسية لمفهوم الذات تجعل سلوك المراهق أميل الى الاختلاف وعدم الثبات ويرتبط تقبل المراهق لصورته الجسمية بمدى صحته العقلية ومن المعروف أن كثير من التغييرات الجسمية (سواء في النسب أو الطول أو المظهر العام) في المراهقة تؤدي الى رفض الذات الجسمية لدى كثير من المراهقين لبعض الوقت على الأقل . وقد تنتج بعض الانحرافات السلوكية في المراهقة من هذا الرفض لصورة الجسم أو من الجهود التي يبذلها المراهقون في اعادة تشكيل صورة الذات الجسمية بشكل يجعلها مقبولة ، وصبغ الشعر والعناية به وتصفيفه واستخدام ملابس تتمشى مع أحدث الموضات - قد تكون جميعها محاولات من المراهق للوصول الى صورة للذات الجسمية تتصف بالثبات والقبول . ولكن ان آجلا أو عاجلا سيصل كل فرد الى نوع من التفاهم مع ذاته الجسمية ويكتسب صورة مستقرة واتجاهات اكثر ايجابية نحوها ربما لأننا

نكون قد تعودنا عليها . ولكن تكوين صورة مرغوبة ثابتة للذات الجسمية عملية طويلة وربما تكون عملية غير سارة تستغرق فترة المراهقة وقد تمتد حتى مرحلة الرشد قبل أن تكتمل . وقد يكون الأمر كذلك حتى بالنسبة لأولئل الأفراد الذين يبدو لنا أنهم عاديون ومظهرهم جذاب .

وتعد الجاذبية الجسمية معيارا أساسيا للقبول الاجتماعي في المراهقة وبداية مرحلة الرشد لذا يجد الشخص الذي لا يتميز بالجاذبية أو الذي لديه بعض العيوب الجسمية صعوبة في تقبل ذاته الجسمية . بالاضافة الى ذلك فهناك علاقة هامة بين التكيف ومفاهيم الفرد عن ذاته خاصة المظهر ففي دراسة ممتعة قام بها موسى وروش Musa & Roach (١٩٧٣) سئلت مجموعة من تلاميذ الصف الأول الثانوي ان يقدروا أنفسهم على المقياس التالي :

١٠
٩
٨
٧
٦
٥
٤
٣
٢
١

تخيل أن هذا السلم يمثل كل طرق ارتداء الملابس التي يستخدمها التلاميذ الذين هم في نفس سنك ، حيث قمة السلم تمثل ما ترى أنه المظهر المثالي المرغوب جدا للتلاميذ ويمثل أول السلم من أسفل المظهر غير المرغوب لزملائك كتلاميذ .

أ ـ أي درجة تعتقد أنها تمثل ما يلبسه الغالبية في فصلك ؟

٢ ـ أي درجة تعتقد أنها تنطبق عليك ؟

وقد حدد الباحث مدى رضا التلميذ عن مظهره من خلال الاجابة على السوال التالي :

« اذا كان من الممكن أن تغير ما تريده بالنسبة لمظهرك ـ فما هو التغير الذي تحب اجراؤه ؟ وهنا يمكن للتلاميذ أن يكتبوا التغيير الذي يريدونه أو يكتبوا أنهم لا يريدون أي تغيير . وقد طبق على التلاميذ أيضا اختبارا للتكيف الشخصي هو « اختبار كاليفورنيا للشخصية » . وحدد الباحث من خلال هذا الاختبار ستة مكونات للتكيف هي :

« الاعتماد على النفس ـ الاحساس بالقيمة الشخصية ـ الاحساس بالحرية الشخصية ـ الاحساس بالانتماء ـ الميل للانطواء ـ مظاهر القلق » .

وقد بينت النتائج فروقا واضحة بين الجنسين في عدة مجالات كالتالي :
١ ـ ٣٥ ٪ من الأولاد رتبوا مظهرهم على أنه مرغوب أكثر من مظهر زملائهم بينما رتبت ٢٨ ٪ فقط من البنات مظهرهن على أنه مرغوب أكثر من مظهر زميلاتهن .

٢ ـ ٤٨ ٪ من الأولاد كانوا راضين تماما عن مظهرهم ولم يرغبوا في أي تغير بينما رغبت ١٢ ٪ فقط من البنات في عدم التغير .
٣ ـ وجدت علاقة في مجموعة البنات بين التكيف الشخصي والتقييم الذاتي للمظهر الشخصي .

٤ ـ تبين أن البنات اللاتي رتبن مظهرهن باعتباره مساو لمظهر زميلاتهن انهم أعلى في تكيفهن الشخصي ، والبنات اللاتي رتبن مظهرهن الشخصي على أنه مرغوب أقل من مظهر زميلاتهن كان تكيفهم الشخصي منخفضا . ولم توجد مثل هذه العلاقة بين الأولاد .

هذه النتائج تشير الى الدور الذي يلعبه التقييم الذاتي للمظهر في المراهقة على مفهوم الذات لدى البنت .

ان تقبل الذات يعد ذو أهمية كبيرة في كل الأعمار ولكن معايير التقبل التي يستخدمها الكبار قد لا تكون لها نفس الأهمية التي لدى جماعة المراهقين حيث تدخل عوامل أخرى غير المظهر كعناصر للذات مثل سمات الشخصية والذكاء ، وتصبح أكثر أهمية من الجاذبية الجسمية بين الكبار .

علاقة مفهوم الذات بالأدوار الاجتماعية :

ان الأدوار الاجتماعية واجبات مفروضة علينا. وتبدأ واجبات الدور منذ فترة مبكرة من حياتنا . فهناك دور الذكور والانوثة ، وهناك التأهيل وعدم التأهيل أو

العجز وغير ذلك كثير من الأدوار . وكل منا لديه ميل قوي لان يلعب هذه الأدوار . وتصبح الأدوار محددة وواضحة بتقدم الفرد في السن ، ويؤدي استمرار الفرد في أداء الدور الى زيادة عامة في تماسك الذات . وحيث أن المراهقة هي الوقت الذي يحدث فيه أكبر قدر من البحث الواعي عن تطابق الذات فان استقرار السلوك يزداد كثيرا كلما تقدم الفرد خلال فترة المراهقة . والتوحد الذي يقبله المراهق هو توحد مع نفسه مع قليل من التحور في بعض الحالات . ولذا فمن الضروري أن يزود البالغون الصغار بالعناصر الملائمة للتوحد في صورة الأدوار الملائمة لتقبل الذات وتقبل الآخرين قبل أن تحدث أزمات التوحد في المراهقة .

التوحد والدور الجنسي :

يعد الدور الجنسي مشكلة لكل منا في فترة من فترات نمونا ، ومن الواجبات التي نتعلمها هي أنه نسلك بطرق ملائمة لجنسنا حتى لا نصبح مختلفين . وفي ثقافة كثقافتنا يتميز الذكور بالسيطرة والعدوان والاستقلال والتنافس والنشاط وأنهم ليسوا مطيعين دائما بينما تتميز الاناث يالسلبية والخضوع والاعتماد وعدم التنافس والطاعة . ويتم تعلم الدور الجنسي منذ الطفولة وليس من المراهقة بحيث يتضح أثر التعلم الصحيح أو الخاطئ للدور في المراهقة وما بعدها .

وترى مدرسة التحليل النفسي أن التوحد مع الجنس الملائم يحدث كنتيجة لحل الموقف الأوديبي . ففي المرحلة الأولى منه نجد الطفل يحب الأب من الجنس الآخر ولكنه على مستوى ضعيف من الوعي ويتمنى موت منافسه وهو الأب من نفس الجنس . وفي وقت ما يبدأ الطفل في التفكير قائلا لنفسه : اذا كان هذا هو إحساسي نحوه وتمنيت موته فربما كان هو الاخر يشعر نفس المشاعر نحوى . كما أنه أضخم ويمكنه أن يحول مشاعره الى فعل . فيبدأ الطفل في الخوف من الأب من نفس الجنس ، وكنتيجة لهذا الخوف يتخلى عن الأب من الجنس الآخر كموضوع للحب ويتوحد مع الأب من نفس الجنس (يشعر نفسه بأنه يشبهه ويحاول أن يسلك مثله) . وعند التوحد مع الأب من نفس الجنس يتطابق الطفل أيضا مع المجتمع ككل وينمى ذاته العليا (جزء من الذات مرادف للضمير) فيصبح متقبلا قوانين المجتمع على أنها صحيحة وعادلة ويحاول اتباعها ويشعر

بالذنب عندما يعتدي عليها . ويخاف الأولاد من الموت والاخصاء ـ بينما تخاف البنات الموت ولا تخاف الأخصاء من الأب من نفس الجنس . وبسبب خوف الأولاد الشديد فإنهم يحلون الموقف الاوديبي بطريقة ملائمة أكثر من البنات ، وكنتيجة لذلك تكون الانا العليا للاولاد أكثر نموا .

فإذا كان تفسير مدرسة التحليل النفسي عن التوحد صحيحا ، كان علينا أن نتوقع ضعف الانا العليا للاولاد الذين تغيب آباؤهم عنهم خلال المرحلة الأوديبية (سن٣-٥ تقريباً) عن الأولاد الذين لم يتغيب آباؤهم خلال هذه الفترة ، على أساس أن تغيب الاب (من نفس الجنس) سيقلل من امكانية حل الموقف الاوديبي بطريقة ملائمة . والواقع ان نتائج البحوث تؤكد ذلك . ان غياب الأب يرتبط عادة بتوحد غير سليم مع الدور الجنسي مؤديا الى أولاد مخنثين (سيرز وبنتلر Sears , Pintler & Sears ١٩٤٦ وستولز Stolaz ١٩٥٤ أو الى ذكوره جانحة أو مضطربة عقلياً « سيجمان Seigman » ١٩٦٦ لكن نوع عدم التلائم مع الدور يتوقف على سن الولد الذي يغيب فيه الأب ، وعلى السن الذي ندرس

فيه هؤلاء الأولاد ، لأن الدراسات التي ظهر منها أن غياب الأب قد أدى الى تخنث الأولاد أجريت على أولاد فيما قبل البلوغ ، أما تلك التي اظهرت تعويضا زائدا من السلوك الذكري فكانت على عينات من البالغين (تعدوا مرحلة البلوغ) .

هناك تفسيرات أخرى لين ، كاچان Lynn , Kagan (١٩٦٢) تنظر الى عملية التوحد على أنها تعلم يشبه الأنواع المختلفة الأخرى من التعلم وانها عرضة لنفس المؤثرات (كمية التعزيز الايجابي أو السلبي على سبيل المثال) وان النظرية الجنسية لفرويد تبالغ في تفسيرها لعملية التوحد .

وتذكر التفسيرات الأخرى أن التأثير النسبي للتعزيزات التي يقوم بها كل من الوالدين هو الذي يحدد مدى ملائمة توحد الطفل مع الدور الجنسي (هذه التأثيرات خليط من الآتي : كمية الاتصال ، كمية الرعاية ، كمية السلطة التي يقوم بها كل من الوالدين) . وهذا التفسير يتفق مع نظرية التعلم أكثر من نظرية التحليل النفسي .

ونتوقع من وجهة النظر الفرويدية الا نجد فروقا في الدور الجنسي لكل من الأولاد والبنات خلال المرحلة السابقة للمرحلة الاوديبية ، لكننا نعلم الآن وجود فروق واضحة بينهما حتى في سن الثانية والثالثة - قد تكون هذه الفروق بسبب الاختلافات الوراثية أو الاختلاف في معاملة كل منهما ، أو لاختلاف الواجبات المتضمنة في دور كل منها (ما دامت البنات تقلد أمهاتها بينما يخرج الأولاد شعوريا على هذه القاعدة وهي تقليد الأم ويصرون على تقليد ما هو ذكرى) .

ويلاحظ بالنسبة للاولاد أن الدرجة العالية من التوحد مع الدور الذكرى ترتبط بدرجة أفضل من التكيف .. وان الدرجة العالية من توحد الأولاد مع آبائهم تدل على درجة عالية من التكيف (هيلبرم ١٩٦٤)

أما بالنسبة للاناث - سواء في المراهقة أو في الرشد - فإن التوحد التام مع الأم ومع الدور الانثوى فلا يتعلق بالتوافق ، أو يتعلق به سلبيا . وربما كان السبب في هذا الاختلاف بين الجنس فيما يختص بعلاقة التوحد بالتوافق هو أن الدور الانثوي في ثقافتنا لا يعد دوراً مرغوباً لأنه يتميز بالسلبية والاعتماد على الغير وقلة التأثير فنحن جميعا نبدي ميلا قويا نحو تأدية الأدوار المتوقعة منا ونقاوم ونعارض الأدوار غير الملائمة لنا . ولذا فإن التوحد الذكري غير الملائم يؤدي بالأولاد الى سلوك انثوي (مخنث) مرفوض ثقافياً ، أو الى ذكورة تعويضية ينظر اليها على أنها انحراف أما بالنسبة للبنات فيؤدي رفض الدور الانثوي الى زيادة في الانجازات المعرفية والابتكار والنجاح الاكاديمي والمهني . ولا يعتمد التكيف على توحد الفرد بصورة ملائمة مع الدور الجنسي فقط بل يعتمد أيضا على مدى ملائمة الدور الجنسي الذي نتوقع من الفرد أن يتوحد معه .

ان لكل من الجنسين مشاكله المتميزة ففرصة الولد للتدريب على الأدوار التي تلائمه قليلة نسبيا - بينما تتوفر الفرص أمام البنت لكي تتدرب على أدوار الاناث ، لكن البنات لا ترغب في أنواع السلوك المتضمنة في هذه الأدوار عندما نضع في الاعتبار عملية التكيف والانجاز .

ان استجابات كل من الجنسين للآخر يعد أحد عناصر الذكورة والأنوثة وهو نفس العنصر الذي يضع دور أحد الجنسين على خط النار - أي أن محور الاهتمام

الرئيسي في فترة المراهقة والتفاعل بين الجنسين في المراهقة لا يتضمن الذكورة أو الأنوثة نفسها كاختبار عملي يتحقق به من مدى صحة دوره الجنسي فقط ، بل أن العلاقة الطبيعية الواقعية للمراهق بزملائه انما تهدف الى تحديد مدى ملائمة أدوارهم الجنسية .

النمو العقلي للمراهقين

تتميز مرحلة المراهقة بأنها فترة نضج القدرات حيث تسير الحياة العقلية فيها من المجمل الى المفصل أي أنها فترة تمايز القدرات العقلية .

وتبين الدراسات المتعددة أن الذكاء يزداد عموما أول فترة الدراسة الابتدائية والاعدادية والثانوية وتقل سرعة هذه الزيادة تدريجيا خلال مرحلة التعليم الاعدادي والثانوي ـ وليس معنى ذلك أن يقف بعد هذه المرحلة ولكن الدراسات العديدة تشير إلى أن الذكاء يقف نموه عند سن ١٦ والبعض الآخر يشير الى أن نمو الذكاء يستمر حتى سن ٢٠ إلا أن أغلب الدراسات تشير الى أن الذكاء يكون سريعا في نموه في العشر سنوات الأولى من الحياة ثم تقل السرعة تدريجيا ، ويصل النمو اقصاه فيما بين ١٨ ـ ٢٠ عاما .

وتشير بعض الدراسات إلى أن الأطفال الذين يصلون الى المراهقة مبكرا ـ يكونون أذكى بعض الشيء من أقرانهم الذين يتأخرون في مراهقتهم ولا يرجع ذلك الى المراهقة نفسها ، لكن الى أنهم في العادة اذكى من غيرهم .

ولا يقتصر النمو العقلي على النمو في الوظيفة العقلية العليا التي نسميها الذكاء بل أنه يشمل مظاهر هذه القدرة وهو ما نسميه بالقدرات الخاصة من حيث أنها العامل الذي يقف وراء أسلوب معين من أساليب النشاط العقلي . ولكي نبين الفرق بين القدرة العامة والقدرات الخاصة نذكر أن اختبار الذكاء الواحد يتكون من عدة اختبارات متنوعة تقيس قدرات مختلفة ؛ اذ قد يشتمل الاختبار الواحد اختبارات في معاني الكلمات واختبارات في الحساب واختبارات في القدرة اللغوية وما اليها . وقد يتفق فردان في الدرجة النهائية التي يحصلان عليها

والتي تحدد مستوى ذكاء كل منهما على الاختبار ، غير أن أحدهما يصل الى هذا المستوى لتفوق في الاختبارات الحسابية بينما يصل الآخر إلى نفس المستوى لتفوقه في الاختبارات اللغوية . بمعنى أن كل من الفردين متفوق في جانب معين على الرغم من أنهما يتساويان في درجة ذكائهما العام .

وقد سبق أن ذكرنا في حالة طفل المدرسة الابتدائية (٦ ـ ١٢) أنه لا يوجد تمايز واضح للقدرات العقلية بمعنى أن نجد فردا متفوقا في مادة معينة وغير متفوق في أخرى وآخر متفوق في الحساب مثلا ومتخلف في اللغة بل أن ما نجده فعلا هو تخلف في الجميع أو تفوق فيها جميعا مع اعتبار خاص للعامل الخارجي الذي يؤدي الى تخلفه . ولكن في المرحلة الاعدادية والثانوية حيث بدأت هذه القدرات في التمايز نجد اختلاف الأفراد فيما بينهم في نواحي تفوقهم ونواحي تخلفهم . ويلاحظ من البحوث العديدة أن القدرات لا تنمو بدرجة واحدة في مرحلة المراهقة لذا يلجأ الباحثون الى قياس القدرات العقلية منفصلة في هذه المرحلة .

وتبين اختبارات الذكاء فروقا بين البنين والبنات في القدرة العامة . كذلك هناك دراسات تبين تفوق البنات في القدرة اللغوية والكتابية وتفوق البنين عليهم في القدرة المكانية والقدرة الميكانيكية ، ثم يتفوق البنين على البنات في سن ١٦ ـ ١٧ في القدرة العددية والتفكير اللغوي .

سرعة النمو العقلي :

تشير البحوث التي أجريت لقياس سرعة النمو العقلي في مراحل النمو المختلفة أن النمو العقلي يكون سريعا في الطفولة ثم تقل السرعة في المراهقة حتى يصل الانسان الى سن النضج ، فيقف النمو العقلي وقد يأخذ في الانحدار قليلا بعد ذلك ولكن يتوقف ذلك على طبيعة المهنة التي يمارسها الفرد الى حد كبير .

ويتضح من الجدول التالي اختلاف سرعة النمو العقلي في الأعمار المختلفة

وذلك من دراسة قام بها كل من جون وكونراد على ١١٩١ شخصيا مستخدما في ذلك اختبار الفا لقياس الذكاء . ويلاحظ من هذا المنحنى ما يلي :

١ - اطراد كبير في نمو الذكاء الميلاد حتى الرابعة عشر .

٢ - نمو بطيء فيما بين سن ١٤ وسن ١٦

٣ - يكاد يقف النمو بعد سن ١٦ حيث لا نجد ارتفاعا ملحوظا في منحنى النمو حتى سن ٢٠ ويجب ان نلاحظ أن هذه الدراسة قد أجريت على أفراد أمريكيين في منطقة من المحتمل أن يكون سن المراهقة فيها متأخرا الى حد ما عن المنطقة التي نوجد فيها ولذلك فمن الأهمية بمكان أن يكون لدينا نتائج أجريت فعلا على البيئة العربية .

الوحدة في القياس العقلي :

السنة العقلية هي وحدة القياس العقلي ونحصل عليها بتطبيق اختبار الذكاء على مجموعات كبيرة من الاطفال في أعمار مختلفة ثم حساب متوسط اجابات الأطفال في كل عمر معين على هذا الاختبار . فلو كانت نتائج الأخبار كما يلي :

العمر بالسنة	متوسط الاجابة
١٢	٢٢
١٣	٢٥
١٤	٢٧
١٥	٢٨
١٦	٣٠
١٧	٣٩

واذا كانت الفروق بين هذه الدرجات دالة احصائيا فإنه يمكن القول بأن :

٢٢ اجابة صحيحة تعادل	١٢ سنة عمر عقلي
٢٥ " " "	١٣ " " "
٢٧ " " "	١٤ " " "
٢٩ " " "	١٥ " " "
٣٠ " " "	١٦ " " "
٣٩ " " "	١٧ " " "

ولكن ليس معنى هذا أن درجة الطفل في أي اختبار عقلي ليست عرضة للتغيير كلما تقدم في السن فهذه الدرجة تتغير كلما تقدم الأفراد في العمر حتى سن معين ونتيجة لهذا التغيير تظهر الفروق الفردية في الذكاء أو في القدرات بصورة واضحة .

وخير تعريف يمكن أن نضعه للعمر العقلي هو أن العمر العقلي في اختبار ما ، هو متوسط مجموع الاجابات الصحيحة التي تناسب عمرا زمنيا معينا .

ومن أشهر المقاييس التي استخدمت في قياس الذكاء اختبار بينيه .
وعندما طبق هذا المقياس لوحظ أن العمر العقلي وحده ليس كافيا فالطفل المتأخر عقليا عاما واحدا وهو في سن الخامسة لا يتأخر عاما عقليا فقط في العاشرة بل يتأخر عامين . أي أن الفرق النسبي يجب أن يظل ثابتا ، لذلك ادخل وليم شترن ما يسمى بالنسبة العقلية ويحصل عليها كالاتي :

$$\text{النسبة العقلية} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}}$$

أي أنه اذا كان الطفل في سن ١٠ وعمره العقلي ٨ سنوات تكون نسبته العقلية — أي ٨,٠٠ أما اذا كان عمره الزمني ٨ وعمره العقلي ١٠ أصبحت النسبة العقلية ١,٢٥ ولكن تيرمان ادخل تعديلا على النسبة العقلية فاقترح ما يسمى بنسب الذكاء وهي عبارة عن العمر العقلي مقسوما على العمر الزمني × ١٠٠

$$\text{نسبة الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$

وهذه النسبة هي المستعملة الآن في معظم المقاييس . والواقع أن معظم البحوث تشير الى أن نسبة الذكاء هذه ثابته بالنسبة لمتوسطي الذكاء في اعمارهم المختلفة أما بالنسبة لضعاف العقول فان عمرهم العقلي يتأخر عن عمرهم الزمني وكلما زاد في العمر كلما زاد الفرق بين العمر العقلي والعمر الزمني . أما الموهوبين والعباقرة فإن زيادة العمر العقلي والعمر الزمني في مراحل الطفولة المبكرة والمتأخرة قد لا تكون واضحة ، ولكن الفرق بين العمر العقلي والعمر الزمني يأخذ طريقه في الظهور في مرحلة المراهقة وبعدها بقليل . ولذلك تتغير نسبة الذكاء في حالة الموهوبين والأغبياء ولا تتغير بالنسبة لمتوسطي الذكاء .

تنوع النشاط العقلي في المراهقة :

يسير النمو من المجمل الى المفصل ومن العام الى الخاص وينطبق هذا المبدأ على النمو العقلي أيضا فقلما يتميز الطفل في نوع معين من أنواع النشاط العقلي ، ولكن في سن الثالثة عشرة وما بعدها يبدأ بعض المراهقين في التمايز في بعض نواحي النشاط العقلي . أي تبدأ القدرات العقلية في الظهور في فترة المراهقة حيث يبدأ النشاط العقلي نحو التمركز والتباين حول مظهر معين من مظاهر النشاط مما يساعدنا على توجيه وارشاد الطلبة نحو أنواع التعليم الملائمة لهم . إذن تنوع النشاط العقلي في هذه الفترة فائدة يجب أن يتبعه ضرورة تنوع التعليم الذي يتفق مع مقدرة الفرد العامة وقدراته الخاصة في مرحلة الثانوي .

الفروق الفردية :

يقصد بها أن توزيع الذكاء يختلف من شخص لآخر . الأمر الذي يفيد المدرس والوالد على حد سواء لان مدى نجاح الفرد في عمل معين أو مهنة أو دراسة معينة يتفق الى حد كبير على حظه من الذكاء . ومن الخطأ أن ندفع الفرد الى نوع من الدراسة أو العمل لا تؤهله له قدراته لتحمل اعباءه وتمكنه استعداداته من القيام به . ومن الأهمية بمكان أن نحدد مستوى ذكاء الفرد وقدراته وميوله ثم نوجهه الى أنواع التعليم الملائمة له والتي تتفق واستعداداته . وبالنسبة للمدرس تفيده معرفة الفروق الفردية بين تلاميذه في تقسيمهم على الفصول المختلفة في مجاميع متقاربة من حيث مستوى الذكاء . الأمر الذي يوفر على الدولة الكثير من الجهد والمال والوقت كما يجب الأفراد أنفسهم كثيرا من الأمراض النفسية التي تنتاب المراهقين في المدارس كالتاخر الدراسي أو الفشل أو أحلام اليقظة أو أساليب السلوك غير السوي .

النمو في الوظائف العقلية العليا :

يقصد بالنمو في الوظائف العقلية العليا نمو عمليات الانتباه والتذكر والتخيل والتفكير .
فبالنسبة للانتباه : فان مقدرة المراهق تزداد من حيث مدة الانتباه أو مدى الانتباه فتزيد قدرته على استيعاب مشاكل طويلة معقدة في يسر وسهولة . ونمو هذه القدرة على الانتباه مرتبط بنمو القدرة العقلية العامة (الذكاء) ، ومعنى مدى الانتباه قدرة الفرد على الاستمرار في الدرس مدة طويلة وان يفكر في موضوع واحد معقد نسبيا دون ملل .

ويرتبط بنمو القدرة على الانتباه نموا في القدرة على التذكر : حيث نجد أنه بدلا من التذكر الآلي (السرد للموضوع دون فهم لعناصره ومحتواه) لدى التلميذ في المدرسة الابتدائية ، نجد أن تلميذ المدرسة الثانوية يبني تذكره على أسس أخرى هي الفهم والميل ، أي القدرة على ادراك العلاقات بين عناصر الموضوع

والقدرة على استنتاج العلاقات الجديدة بين هذه العناصر . أي قدرة الفرد على فهم الموضوع وربطه بغيره من الموضوعات التي سبق أن مرت بخبرته .

ولا تظهر قدرة الفرد على التذكر بالنسبة للموضوعات أو نواحي النشاط التي لا يميل اليها المراهق فقط بل أن مما يدعم ويقوي قدرته على التذكر باعتبارها عقلية عليا ، ميل المراهق لهذا النوع من النشاط أو ذاك .

وتختلف قدرة المراهق عن طفل المدرسة الابتدائية في القدرة على التخيل ؛ فعندما يحاول طفل المدرسة الابتدائية أن يتذكر شيئا مما قاله المدرس ، تصوره كفيلم متحرك أمامه ، أما طالب المدرسة الثانوية فان خياله يتجه نحو الخيال المجرد المبني على الألفاظ والصور اللفظية ، ويرجع ذلك الى أن عملية اكتساب اللغة تكاد تكون في طورها النهائي من حيث انها وسيلة اصطلح المجتمع على التعبير بها عن المعاني التي تدور في اذهانهم .

ويرتبط بالقدرة على التخيل القدرة على التفكير المجرد في المواد الرمزية كالحساب والهندسة وخلافه . والهدف الأساسي من عملية التربية مساعدة التلاميذ على اكتساب القدرة على التفكير الصحيح في جميع مشاكلهم سواء كانت اقتصادية واجتماعية أو عملية أو سياسية ؛ فالعناية بالتربية الفكرية في التعليم الثانوي من الأمور الهامة في مثل هذه الفترة التاريخية التي يمر بها مجتمعنا لذا كان على مناهج التعليم الثانوي أن تعطى الفرصة للطالب أن يجرب وان يدرك العلاقات من نفسه وأن يستعمل قدراته وعملياته العقلية . ويتطلب ذلك أن تكون المناهج مرنة بحيث لا تقف عائقا في طريق نموه العقلي والانفعالي وان تيسر للفرد أساليب الفهم الصحيح وتكوين آراء صائبة .

النمو الاجتماعي للمراهق

ان الظاهرة النفسية ليست ظاهرة منفردة منعزلة تحدث في فراغ ، انما تحدث في اطار اجتماعي معين وتحت تأثير شروط ثقافية معينة.ومن أهم العوامل الثقافية المحددة لسلوك المراهق ما يلي :

أولا الاسرة :

يميل كثير من الناس الى النظر الى المراهقين باعتبارهم.يمرون بفترة من الرعونة وعدم الاستقرار ومن الصراع . وان فترة المراهقة تتميز عن غيرها من الفترات بكثرة ما تمتلئ به من مشكلات تعد سمة من سمات هذه المرحلة بالذات . ولكن الاتجاه السائد يذهب إلى أن المراهقة لا تختلف عن غيرها في كثرة ما فيها من مشكلات وصعوبات في التوافق فليس هناك داع للاعتقاد بان استجابات المراهق أشد وأقسى مما هي عليه بالنسبة لاستجابات الآخرين في مراحل العمر المختلفة . وما يمكن قوله ان مشكلات وصعوبات التوافق في هذه الفترة انما ترجع الى افتقارهم الى الخبرة وعدم نضجهم وهي أمور ليست وقفا على المراهقين وحدهم . ومن أهم المشكلات التي يواجهها المراهقون في حاجاتهم اليومية . علاقته بالكبار المحيطين به وخاصة الوالدين ومحاولاته الاستقلال والتخلص التدريجي من سلطة الكبار . فعلاقته بالكبار المحيطين به وخاصة الوالدين ، تتطلب منه تقبل بعض القيود التي تفرض على رغباته وشهواته . كما تتطلب منه أيضا تقبل توجيهات الكبار وأقوالهم باعتبارها نصائح موجهة اليه . ورغبة المراهق في الاستقلال أمر طبيعي ومظهر من مظاهر النمو،وتعرف عملية الاستقلال عن سلطة الآباء والتحرر من سلطة الاباء والكبار والاعتماد على النفس باسم الفطام النفسي ، وهي سمة من سمات المراهقين وفي نفس الوقت مشكلة من مشكلاتها . وهذه المشكلة لا تقتصر آثارها على المراهقة وحدها ، بل قد تستمر مع الفرد طيلة حياته . فالشخص الذي لم يحصل على الاستقلال أو الفطام النفسي ، قد يتقبل وضعه كطفل بل وقد يفضله على الاعتماد على النفس أحيانا وعلى الاستقلال عن سلطة الآخرين ، ومن هنا يبدأ سوء التوافق مع البيئة الخارجية والأمثلة كثيرة على هذه الحالة في الحياة الزوجية كالزوجة التي ترفض ان تبتعد عن أهلها وأن تنتقل الى بلد أخرى بعيدة عنهم .

الوظيفة النفسية للمنزل :

ما من شك في أن المنزل سيظل الوحدة الأساسية الأولى التي تطبع الطفل بالآراء والقيم والمعتقدات السائدة في الأسرة والمجتمع . ويبدو أثر المنزل على الطفل في نواح ثلاث :

أولاً : في ناحية الوراثة البيولوجية : التي تحدد إلى حد ما الصفات التي يولد الطفل مزوداً بها كالصفات الجسمية والقدرات العقلية ... الخ .

ثانياً : في ناحية البيئة الثقافية للأسرة : مثل الأفكار والقيم ومستويات الطموح التي يكون لها أكبر الأثر في تكوين الطفل بعد ذلك .

ثالثاً : ناحية الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة .

مثل الدور الذي يلعبه المنزل في النمو الجسمي والرعاية الطبية والفرص التي تتاح للطفل من الناحية التعليمية والمهنية ... الخ .

هذه النواحي الثلاثة تؤكد لنا أهمية الأسرة سواء بالنسبة لنمو الطفل أو المراهق ، فالدور الذي يقوم به المنزل في عملية النمو النفسي أكبر في الأعمار التي يعتمد فيها الفرد اعتماداً كلياً على الأسرة ولكنه يقل بالتدريج كلما نمى الطفل وخضع لتأثير ظروف أخرى خارج نطاق المنزل . وقد تقوي هذه الظروف الأخرى أو تضعف الدور الذي يقوم به المنزل ، ومما هو جدير بالذكر أن الجو النفسي للأسرة له أكبر الأثر في نمو المراهق .

ولقد أجرى سفت Sfatt تجربة على ١٥٥٠ مراهقاً من قرى ومدن مختلفة وتبين له أن الفرد من بيت هادىء أكثر اتزاناً واستقراراً وشخصية متماسكة عن الطفل الذي أتى من بيت يفتقر إلى الاستقرار والهدوء . وإذا كانت حياة المراهق تتسم بالصراع مع مصادر السلطة الوالدية فإن المدرسة والبيت ينظر لهما على أنهما مصادر قيود وضغط على المراهق. وليس معنى هذا ألا تمارس المدرسة أو المنزل أي ضغط على المراهق ، فالمراهق يحتاج بالفعل إلى توجيه ومساعدة . ومن وظيفة المنزل والمدرسة تقديم هذه المساعدة وهذا التوجيه ولكن المشكلة هي في الطريقة وفي الأسلوب الذي تقدم به هذه المساعدة أو التوجيه .

فالمنزل الصالح والمدرسة الجيدة تدرك حاجة المراهق إلى الاستقلال والحرية ، وتساعده على بلوغ غايته بما تتيحه له من فرص ووسائل لتحقيق ذلك وتشجيعه على تحمل المسئولية والبت في الأمور برأي ورسم مستقبله ولكن لا يتم كل هذا فجأة بل تدريجياً وخلال مراحل النمو المتتابعة .

والمراهق في نموه النفسي يحتاج دائماً للشعور بالأمن والانتماء لجماعة، وانه مرغوب فيه من أفراد الجماعة . فهو في حاجة للشعور بأن المنزل والوالدين في عونه ويقدمان له السند إذا احتاج إليه . فالوظيفة النفسية للمنزل والوالدين هي تقديم العون والسند للمراهق في الوقت الذي يكون فيه المراهق في حاجة إلى هذا السند أما التدخل في كل شئونه نتيجة عدم الاعتراف بمستويات نضجه أو نتيجة رغبة الوالدين أنفسهما في عدم تحرير المراهق من شأنه أن يعوق نموه النفسي ويحول بينه وبين الاستقلال والحرية .

وتشير معظم الآراء إلى أنه من الضروري منح المراهق قدر من الاستقلال ونصيب من الحرية . ولكن هناك من يمنح الحرية والاستقلال في سن مبكرة جداً قبل أن يكون الفرد مستعداً لتحمل مسئوليتها . وهناك من يضغط ويكبت طوال فترات الطفولة وما ان يصل الطفل إلى مرحلة المراهقة حتى يمنحه الحرية فجأة ويترك له الحبل على الغارب . ومن الواضح أن كلا الطرفين ضار . فالأب العاقل هو الذي يسير تدريجياً في تعويد المراهق على التمتع بالحرية والاستقلال طوال المراحل المختلفة من النمو . أما منح الحرية فجأة قد يؤدي إلى إساءة فهم دوافع الآباء أو إحساس المراهق بأنه قد فقد العون والسند الذي كان يسنده ويعينه في مراحل الطفولة .

والمهم أن يكون موقف الآباء وسطاً بين التدليل الزائد عن الحد والقسوة الزائدة عن الحد .

الأجواء النفسية للبيوت المختلفة :

يتوقف مستوى نمو شخصية المراهق وتوافقه النفسي على اتجاهات الوالدين نحو المراهقين وعلى الجو النفسي السائد في المنزل ومن الطبيعي أن تكون هناك فروق واضحة بين الأجواء النفسية في المنازل المختلفة فبعضها تعد أمكنة صالحة وطيبة لتنشئة الأطفال وبعضها لا تعد كذلك . ولما كان الطفل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمنزل . ولما كان المنزل يؤثر فيه تأثيراً ملحوظاً خلال مراحل نموه المختلفة سواء جسمياً أم نفسياً كان على الباحث في مشكلات المراهقة أن يلم الماماً

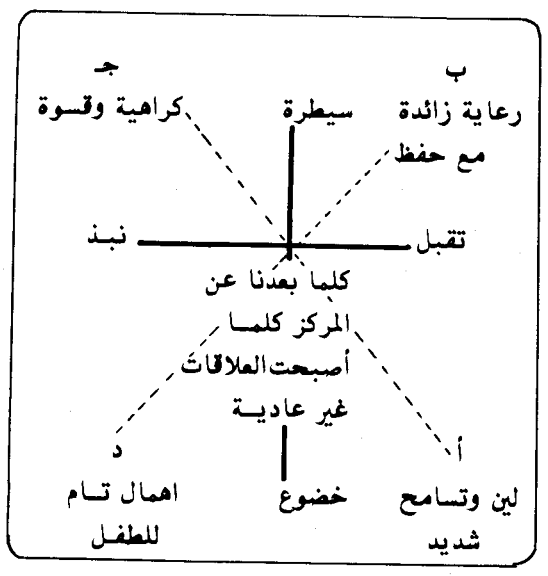
تاماً بالجو النفسي السائد في الأسرة واتجاهات الوالدين نحو الأبناء وهل المنزل نابذ للطفل ؟ ومن الذي يقوم بعملية النبذ ؟ أهي الأم أم الأب أو هما معاً ؟ وهل يلقى المراهق العطف والحنان خارج المنزل بحيث يعوضه عما يشعر به داخل المنزل ؟ . والواقع أن المواقف العائلية متعددة . ويمكن أن نكشف منها عن :

أولاً : اتجاهات الآباء نحو الأبناء :

كشفت معظم البحوث التي درست العلاقة بين الآباء والأبناء عن وجود محورين أساسيين هما :

١ ـ عامل السيطرة والخضوع
٢ ـ عامل التقبل والنبذ

ويرى سيمونز أن كلا هذين المحورين (العاملين) موجود بمقادير متفاوتة في علاقات الآباء بالأبناء .



ويوضح الرسم المقابل صورة أحداثيان متقاطعين يمكن بواسطتهما تحديد مكان الطفل من ناحية أنه منبوذ أو متقبل ومن ناحية أنه مضغوط عليه أي يخضع لسيطرة وقسوة . ومعظم استجابات الآباء وسلوكهم عادة لا يقع على الأطراف المتباعدة وإنما يكون قريباً من المركز أما إذا كان الطفل يقع عند المركز فإن هذا يشير إلى معاملة طيبة من جهة الآباء . ليس فيها افراط ولا تفريط ، ويمكن أن نوضح ذلك لأربعة أشخاص ، وهي تمثل أربعة اتجاهات والدية :

الاتجاه (د) يمكن تحديده بما يلقاه الفرد من نبذ على محور النبذ (المحور الأفقي) وما يلقاه من إغفال وإهمال وعدم مبالاة على المحور الرأسي . ويتحدد مركز الطفل بتقاطع هذين المحورين عند النقطة (د) التي تشير في هذه الحالة إلى أب ينبذ الطفل وفي الوقت نفسه لا يعني به إطلاقاً . الاتجاه (جـ) يمثل أباً ينبذ الطفل وفي نفس الوقت يستخدم السيطرة والقسوة في اخضاعه .

الاتجاه (ب) فيمثل أباً يتقبل إبنه تقبلاً زائداً عن الحد لكن مع سيطرة وزيادة في الرعاية .

الاتجاه (أ) فيمثل أباً يتقبل الإبن تقبلاً زائداً عن الحد لكنه مع ذلك خاضع ومتسامح في علاقته مع الإبن ـ وكما سبق أن أشرنا ـ أن هذه الأطراف المتباعدة ليست هي الاتجاهات الطبيعية ولكن كلما اتجهنا نحو المركز كان الاتجاه أقرب إلى الوضع الطبيعي ولسوء الحظ فليست الاتجاهات الوالدية على هذا النحو من الثبات ، إنما هناك حالات ملحوظة من التذبذب والتأرجح في سلوك الوالدين ، فهناك حالات من التناقض الوجداني تشير إلى تذبذب واضح بين الكراهية الشديدة والنبذ وبين المبالغة في العطف والمحبة والرعاية . فقد يشعر الأب أساساً بشعور الكراهية والنبذ للطفل لكن تحت ضغط الشعور بالذنب (ذنب هذا الولد) يتحول أو يحدث تحويل لهذا الشعور تتجلى فيه الرعاية الزائدة والإكثار من تقديم الهدايا للفرد ، كما أن سلوك الآباء أنفسهم يتأرجح بين الزيادة في القسوة والسيطرة والمبالغة في الخضوع فأحياناً نلاحظ في سلوك بعض الآباء قسوة على الطفل ، فإن بكى الطفل سرعان ما تغير السلوك وأصبح استعطاف ، وقد ينقلب إلى مشاركة الطفل البكاء .

ثانياً : اتجاهات الأبناء نحو الآباء :

في الكشف عن اتجاهات الأبناء نحو الآباء بسؤالهم عن الأمور التي يفضلونها في الآباء (نواحي التقبل والنبذ) والتي لا يفضلونها ـ تبين من الدراسات العديدة أن المراهقين يميلون إلى توجيه النقد للآباء في سلوكهم وتصرفاتهم . وينصب معظم النقد على القيود التي يفرضها الآباء على أبنائهم ونواحي أخرى

كالتأنيب والإصرار على القيام بعمل لا يرغب المراهق في القيام به أو الوقوف في سبيل تحقيق أشياء يرغب المراهق القيام بها . وقد ينقد المراهق بعض العادات الخاصة والصفات المزاجية والسلوكية في آبائهم ، كالعراك في المنزل وتمييز بعض الأبناء على الآخرين ، ونقد بعض العادات الخاصة كتدخين السجائر أو عدم الثبات الانفعالي أو شدة غيرة الزوج على الزوجة .

ومن أهم العوامل التي تؤدي إلى المشكلات وألوان الصراع بين الآباء والأبناء هي :

١ ـ المبالغة في التدليل :

الحب المعقول أو العطف المقبول يجعل توافق المراهق سهل ميسور ويمنحه الشعور بالأمن ويتيح الفرصة أمامه للتحرر والاستقلال التدريجي عن سلطة الأبوين لكن الإفراط في التدليل غالباً ما يأتي بنتائج غير ذلك . فالتدليل الزائد عن الحد يجعل المراهق يتوقع المساعدة والاهتمام من الآخرين ـ وأنه مركز اهتمام الجميع ومحور عطفهم . ومثل هذه الاتجاهات تعود الفرد الأخذ دون العطاء ، أي تجعله يعرف حقوقه ولا يعرف واجباته ، ويتطلب المزيد من الاهتمام داخل البيت وخارجه ، لكن الذي يحدث عادة هو أن المراهق لا يلقي نفس القدر من الاهتمام خارج المنزل وهذا يعني أن موقفه في أول الأمر موقف عدائي ، لكن إذا فشل العدوان في تحقيق رغباته قد يتحول إلى سلوك انسحابي أو انطوائي على نفسه . والمراهق المدلل في الأسرة قد يتطلب مثل هذا التدليل من المدرسين أو من الزوجة إذا تزوج ، وكثيراً ما تفشل الحياة الزوجية إذا لم تقم الزوجة منه مقام الأب الذي كان قد عوده على التدليل الزائد وبالغ في تدليله . وأسباب المبالغة في التدليل كثيرة :

- أن يكون الآباء قد مروا بطفولة غير سعيدة فيحاولون شعورياً أو لاشعورياً تجنيب الأبناء نواحي الاحباط التي مروا بها أنفسهم في حياتهم .
- قد تنشأ بعض العقبات نتيجة العلاقة القوية غير السليمة بين الطفل وأحد الأبوين بأن يتخذ الطفل بديلاً انفعالياً عن خيبة الأمل في الحياة الزوجية أو

موت أحد الأبوين الأمر الذي يعوق النمو النفسي الطبيعي للأبناء .
- مركز الطفل في الأسرة كأن يكون الولد الوحيد أو البنت الوحيدة بين ذكور أو أن يكون مريضاً .

٢ - المبالغة في الضغط والشدة والسيطرة من جانب الوالدين :

وهي أن تحرم المراهق من أخذ مكانته في المجتمع ومثل هؤلاء الآباء يفرضون قدراً كبيراً من الضغط والتحكم والشدة الزائدة على المراهق ويضربونه ويهددونه لأتفه الأسباب ولا يتيحون له فرصة التفكير المستقل وحده وينقدونه باستمرار والنتيجة أن المراهق يقع في صراع مع السلطة وقد يرد ذلك الصراع إلى عوامل كثيرة منها :

أ - درجة السيطرة المفروضة على المراهق .
ب - مدى استقلاله أو عدم استقلاله خلال الطفولة .
جـ - هل السيطرة من جانب واحد أو من الجانبين معاً ؟
د - هل السيطرة معقولة ولصالح المراهق - كي يتقبلها - أم أن الأب يجبر المراهق على الخضوع للسيطرة .

وإذا كانت السيطرة جائرة - فعادة ما يكون رد الفعل قوي من جهة الأبناء أو أن يتحول رد الفعل إلى خضوع أو استكانة .

٣ - النبـــذ :

وأخطر عوامل الصراع هو الشعور بالنبذ من الآباء وهو إما صريح كالكراهية أو ضمني كالإهمال وعدم الاهتمام بالمراهق ومن أهم أسبابه :

- أن يكون الطفل نفسه غير مرغوب فيه من جانب الوالدين لكثرة عدد الأولاد .
- أو أنه يمثل رابطة بين زوجين كارهين لبعضهما .

ومثل هذا الطفل يحاول جاهداً أن يفوز برضى الوالدين وعطفهما المفقود ـ فإن لم يستطع زاد شعوره بالمرارة وعدم الرضى ـ وقد يتسم السلوك بناء على ذلك بالانطواء والانسحاب وبالصورة العدائية . وفي كلتا الحالتين يكون المراهق سيء التوافق ـ ومثل هذا المراهق غالباً ما يكون غير مستقر انفعالياً ـ وقد نجد لديه ميلاً للجنوح كالسرقة أو الكذب وقد يتخذ الكذب وسيلة دفاعية أو انتقامية

٤ ـ إختلاف الأجيال التي ينتمي إليها كل من الآباء والأبناء :

يقال عادة أن المراهقة تأتي في وقت تكون فيه ظروف الآباء غير متيسرة . ويعتمد هذا القول على سن الوالدين عندما بدأ تكوين الأسرة ، وعادة ما يكونا في سن ٤٠ ـ ٥٠ من العمر عندما يصل طفلهما إلى المراهقة . ويمثل سن الأربعين بالنسبة للأب بداية أواسط العمر بكل ما يحمله من معاني . وقد يتضمن تقييماً غير سار لوضعه بالنسبة لأهدافه التي لم يحققها ؛ فقد لا يكون مثلاً قد وصل إلى مرتبة رئيس عمل طمح بها في يوم ما . وفي الوقت الذي يسعى فيه المراهق في نهاية المرحلة إلى إيجاد مكان له في العالم المهني يكون الأب هو الآخر يبحث عن نفس الفرض وهنا تكون اتجاهاته مصبوغة بالاحباط وباليأس من إمكانية تحقيقه لوضع أفضل في المستقبل .

ويواجه الأب والإبن أيضاً ـ وإن اختلفت نوعية المشاكل ـ عملية توافق من نوع آخر . فكلاهما يتباعد عن الآخر حيث ينمو الإبن بينما يشيخ الأب ففي المجال الجنسي مثلاً يتجه الإبن نحو الحيوية وتكوين الأسرة بينما يتجه الأب نحو الضعف والوهن الجنسي . يحصل الإبن على الاهتمام والإعجاب من الجنس الآخر بينما يقل الإعجاب بالأب . وقد يتصور الأب أن الإبن يغير من أبيه في بعض الأمور . كل ذلك يخلق عقبات في طريق الاتصال والفهم بينهما .

أما من جهة المرأة ذات الأربعين عاماً فإنها لن تستعيد شبابها ثانية فلن يؤدي التجميل إلى التخلص من التجاعيد التي خطها الزمن على وجهها . كما أن المنتجات الصناعية الخاصة بالتجميل تبدو واضحة على وجهها . وسن الأربعين يعني بالنسبة للمرأة نهاية حلم جميل وهو إعجاب الآخرين والنتيجة مرارة

ويأس - مما قد ينعكس بصورة أو بأخرى على اتجاهاتها نحو ابنتها المراهقة .

ويرغم الآباء الطفل الذي يتجه نحو النضج على مواجهة هذهٓ الحقيقة وهي أنه يكبر أيضاً مثلهما . والأم تلعب أهم دور في تنشئة الطفل . فعندما يكون الأطفال صغاراً تكون مطالبهم كثيرة وكذلك الارضاءات ، ويكون دور الأم هو الإشباع والجزاء . أما في المراهقة فإن الطفل يتجه نحو جماعة الرفاق ويتناقص اعتماده على الوالدين . وعلى الأم أن تواجه ذلك الوقت الذي تنتهي فيه رعايتها للطفل ، وقد ينتابها الخوف من الفراغ وأنه لا قيمة لوجودها وهنا عليها أن تتكيف لهذا الدور المختلف في علاقتها بأطفالها .

وأحد المشاكل التي يواجهها الآباء هو استرجاعهم للصراعات التي سبق أن واجهوها وهم مراهقون ولم يتمكنوا من حلها . ولذا نجد أن محاولات الآباء التعامل مع الصعوبات التي يواجهها الأطفال قد يعرقلها ظهور القلق الذي ارتبط بمراهقتهم أنفسهم . وعندما نقول أن الخبرة هي أكبر معلم فإن الدروس المستفادة منها لا تكون كاملة أبداً ، فالأب كثيراً ما يسقط نواحي فشله في حل صراعاته عندما كان مراهقاً على سلوك المراهق . ويذكر بعض الباحثين أمثال جونسون وسزوريك Johnson & Szurek (١٩٥٢) أن ألوان السلوك اللااجتماعي للأطفال كالمغامرات الجنسية لبعض المراهقات أو جناح بعض الأولاد الموجه ضد السلطة - قد يكون تعبيراً عن الرغبات اللاشعورية للآباء . فالطفل يرى في والديه التفوق والثقة والصدق ويقتدى بهما دون تحفظ . وينمو الطفل عقلياً واجتماعياً ويبدأ في تقييم الآخرين والحكم على سلوكهم على أسس موضوعية بما في ذلك الوالدين وعندما يصل إلى المراهقة فإنه يصبح واعياً بنواحي القوة والضعف والفشل المتعلق بزملائه ووالديه ومدرسيه ، وكثيراً ما يكون في هذا التقييم الموضوعي نوع من التهديد لوالديه .

وعندما قام هافجهرست وروبنسون ودور Houighurst, Robinson & Dorr (١٩٤٦) بتحليل استجابات الأطفال على سؤال يدور حول « الشخص الذي يريد أن يكونه » تبين أن الشخص المثالي في نظر الأطفال الصغار هو الأب ، بعد ذلك استبدل الأب بنماذج خيالية خلابة أما في المراهقة فكان النموذج الذي يعجب

المراهقين هو الأفراد المحترمون في المجتمع . وليس هناك تهديد للآباء في أن يختار الأطفال نماذج خيالية لكن عندما يختار المراهقون تلك النماذج ذات التقدير الاجتماعي تهتز صورة الآباء في أذهانهم . والآباء لا يمكنهم الهرب من كون المراهق قد أصبح يقيم الآخرين على أسس واقعية بدلاً من الأسس المثالية . فإذا ما أضفنا إلى ذلك التهديد - ذلك الولاء القوي لجماعة الرفاق - فإن الآباء ينظرون إلى هذا الموقف الجديد على أنه رفض للأسرة .

المجتمعات في العصر الحاضر تتطور بسرعة ولذلك تزداد الفروق بين الأجيال اتساعاً . كما أن بعض القيم والمعتقدات أيضاً قد تغيرت نسبياً ولم تعد قيماً مطلقة بالإضافة إلى ما سبق فإن معايير السلوك ليست ثابتة ، إذ تتغير كما تتغير العوامل الاقتصادية ارتفاعاً وانخفاضاً . كل هذه التغيرات أدت إلى تغير فلسفة تربية الطفل خلال الخمسين سنة الماضية . وقل الاهتمام بالسلطة الوالدية وحل محلها مفاهيم مثل المساواة أو الاتجاهات الديمقراطية التي أثقلت كاهل الآباء بالأعباء خاصة لو كان الأب ممن نشأ في ظل جو من السلطة الوالدية الديكتاتورية . ولا شك أن الأسرة تتأثر بما يسود المجتمع من تغيرات وأصبح الآباء أكثر تساهلاً مع الأبناء حتى لا يظهروا في نظرهم ونظر الآخرين أنهم « دقة قديمة » ومتخلفون ، فنجد كثيراً من الآباء يستسلم لمطالب المراهقين . وفي بعض الأحيان يرغم المراهق والديه على إعادة تمحيص قيمهما ومعتقداتهما والأسس التي بنيت عليها قيمها واتجاهاتهما . وقد يكون ذلك مصحوباً بالشك والاستياء وزيادة في الصلابة والجمود من قبل الوالدين . فقيم الآباء قد تشكلت خلال فترة طويلة من الخبرة والسنين سواء كانت حلوة أم مرة - ولا يمكن لها أن تتغير بسهولة .

٥ - العلاقة بين جنس الطفل وجنس الأب :

تتحمل الأم في الطفولة المبكرة المسئولية الأولى في تربية الطفل . بعد ذلك يلعب الأب دوراً متزايد الأهمية خاصة بالنسبة للمراهق الولد . فيشترك الوالد بصورة فعالة في عملية تهذيب وضبط سلوك الولد بينما تستمر الأم كعامل أساسي في عملية التطبيع الاجتماعي بالنسبة للبنت .

وعندما سئل المراهقون عمن يتخذ القرارات الحاسمة في الأسرة ذكرت البنات

الأم بينما ذكر الأولاد الأب (بروفنبرنر Brofenbrenner ١٩٦١) .
كما سئل المراهقون عن الأب الذي يتخذ عادة القرارات الحاسمة التي تؤثر عليهم في عدد من المجالات المختلفة . وكانت الأسئلة كما يلي :

١ ـ أي الوالدين له سلطة السماح لك بالخروج ليلاً لحضور حفل أو زيارة ؟
٢ ـ أي الوالدين له التأثير الأكبر في اختيارك لمهنة المستقبل ؟
٣ ـ إلى من تذهب من والديك ليواسيك عندما تشعر بالتعاسة ؟
٤ ـ أي الآباء يتحكم في الأمور الخاصة بك كعلاقاتك بالأصدقاء ، والتحدث في التليفون ومشاهدة التليفزيون واختيار الملابس وعددها .. الخ .
٥ ـ أي الوالدين أكثر تأثيراً في التخطيط لاستغلال وقت الفراغ . (جرندر وسبكتور Grinder & Spector ١٩٦٥) .

وتتلخص نتائج دراسة قام بها ستينت ووالترز Stennett & Walters (١٩٧٤) على تلاميذ في الصف الثاني والثالث الثانوي في الآتي :

١ ـ إن الأب هو المصدر الأساسي للعقاب في الطفولة في نظر الأولاد أكثر من البنات .
٢ ـ قليلاً ما يحصل الولد على المديح خلال الطفولة بينما كثيراً ما تحصل عليه البنت .
٣ ـ إن الأم هي المصدر الأساسي للحنان في الطفولة لدى الأولاد ويتساوى الوالدان في نظر البنات .
٤ ـ الأب هو صاحب التأثير الأكبر على الأسرة في الطفولة من وجهة نظر الأولاد بينما الأم هي صاحبة التأثير الأكبر في نظر البنات .

وهذا يعني أن الأولاد الذكور ينظرون إلى علاقتهم بالآباء على أنها علاقة أقل إيجابية وأقل تشجيعاً لهم . وقد يفسر ذلك كثرة السلوك المنحرف (الجناح والتهتهة وفصام الشخصية ومشكلات القراءة) بين الأولاد أكثر من البنات . ومهما كانت الأسباب فإن الآباء يستخدمون اتجاهات سلبية في تربية الطفل الذكر أكثر منها في حالة البنت وأن الأم لها تأثير أكبر من الأب على الأولاد .

وتشير بعض الدراسات إلى أن الأولاد الذين عاشوا في جو يقل فيه الحب الأبوي تميزوا بأنهم أقل أمناً وأقل ثقة بأنفسهم وأقل في تكيفهم الاجتماعي إذا ما قورنوا بالأولاد الذين أحاطهم آباؤهم بالحب الكافي ٠

ويلاحظ أن التفاعل بين المراهقين من الجنسين وبين الأم أكبر مما في حالة الأب وهذه الصلة الكبيرة بالأم لها جوانب إيجابية وأخرى سلبية ، منها كثرة الخلاف معها ٠ حيث الصلة والتفاعل بين الأم والمراهقة أكثر منه في حالة الإبن وعلى ذلك فإن خلافات البنت مع الأم تكون أكثر ٠ وربما ترجع كثرة خلاف البنت مع الأم إلى رغبة البنت في الاستقلال ٠ وعندما تصل البنت إلى مستوى عال من النضج فإنها تتقبل دورها كأنثى وتصبح علاقتها بالأم أكثر انسجاماً ٠

ويرى « بروفنبرينر » (١٩٦١) أن الأولاد البنات في الأسرة يجدون أنفسهم دائماً في مواقف متعارضة فالبنات تحصل على حنان واهتمام ومديح أكثر من الأولاد ، خاصة من الأب بينما يتعرض الأولاد لضغوط وتأديب أكثر من نفس الأب ٠ وتكون علاقة الولد بالأم في وضع أفضل لأنها تعطي حناناً أكثر وضغوطاً أقل من الأب ٠

وتشير البحوث الخاصة بالعلاقة بين المراهقين والآباء إلى بعدين رئيسين هما :

أ ـ بعد توجيه الذات ـ السيطرة ٠
ب ـ بعد الحب ـ العدوان ٠

وتهتم بعض هذه البحوث بالمصادر الأساسية للصراع بينما يهتم البعض الآخر بمتغيرات المنزل ٠٠ ويمكن أن نلخص هذه البحوث فيما يلي :

أولاً ـ دراسة بيك وهافجهرست Peck & Havighurst (١٩٦٠) :

فمن دراسة موسعة على أطفال من سن ١٠ ـ ١٧ عاماً أمكن تحديد خمسة مستويات من نمو الشخصية character هي :

أ ـ الشخصية اللا أخلاقية (تقابل المهد) . amoral

ب ـ الشخصية النفعية (تقابل الطفولة المبكرة) . expedient

جـ ـ الشخصية المتطابقة مع الآخرين حية الضمير غير المنطقية (تقابل الطفولة المتأخرة) . conforming and irrational-conscientions

د ـ الشخصية المحبة للغير ـ المنطقية التفكير (وتقابل المراهقة والرشد) .

هـ ـ النوع الأخير وهو أكثر الأنواع نضجاً وتصف الفرد الذي يتميز بمجموعة من المبادىء الخلقية الثابتة التي تحكم وتوجه أفعاله ويقيم نتائج السلوك في أي موقف بطريقة موضوعية ويتقبلها على أساس مدى فائدتها للآخرين وفائدتها للآخرين وفائدتها لنفسه .

ثانياً ـ دراسة بروفنبرينر (١٩٦١) :

درس بروفنبرينر العلاقة الارتباطية بين الأسرة وبين المسئولية والقيادة لدى أطفال الصف العاشر (الأول الثانوي) . حيث قيمهم المدرسون على أساس بعدي المسئولية والقيادة ، ثم أجاب التلاميذ على استفتاء مكون من ١٠٠ عبارة لقياس ٢٠ بعداً مختلفاً من أبعاد العلاقة بين الوالدين والطفل ، وقد تبين الآتي :

١ ـ وجود ثلاثة متغيرات سلوكية تتعلق بسمة المسئولية هي :

النبذ ـ الاهمال ـ تجنب الطفل .

فالمراهق الذي يحصل على درجات منخفضة في المسئولية يصف والديه بأنهم كثيرو الشكوى والتذمر والسخرية منه ، ويقارنون بينه وبين الأطفال الآخرين بطريقة غير محببة ويتجنبون مرافقته .

أما الدرجة العالية في المسئولية لدى الأولاد فكانت مرتبطة بالتغذية الجيدة والحب والصحبة من جهة الأم وكمية عالية نسبياً من التأديب والسلطة من قبل الأب . لكن هذه المتغيرات في حالة الثبات كانت ذات ارتباط سلبي بالمسئولية .

٢ ـ لا تختلف نتائج العلاقة بين القيادة وبين المتغيرات التي ارتبطت بالمسئولية عدا أن الحماية الزائدة من الوالدين تضعف من محاولات المراهق الوصول الى مركز قيادي بين جماعته .

إن قدرة الوالدين إذن على المواجهة الناجحة لمرحلة المراهقة تتوقف على تكيف الآباء أنفسهم . فالمشاكل التي يواجهها المراهقون قد تثير في الآباء بعض صراعاتهم التي لم يتمكنوا من حلها عندما كانوا مراهقين ، لأن الأب في مثل هذا الموقف عليه أن يواجه أمرين : مشاكل المراهق ومشاكل مراهقته هو والمشاكل التي يواجهها الآن في مرحلة أواسط العمر . وعلى المراهق أن يحاول أن يكون صبوراً وأكثر تفهماً لموقف والديه .

والأم عادة ما تكون أكثر تأثيراً على الأولاد والبنات في المراهقة . ولكن بتقدم المراهقين في العمر يصبح الأولاد أكثر تأثراً بعلاقتهم بآبائهم والبنات أكثر تأثراً بأمهاتهن ، حيث أن التوحد مع الدور الجنسي الملائم يصبح عاملاً هاماً في نمو عملية التوحد في المراهقة .

مبادىء العلاقات الوالدية :

هناك مجموعة من المبادىء الأساسية في العلاقات الوالدية تعد ذات أهمية كبيرة لتأثيرها على نمو شخصية الطفل في الاتجاه السليم هي :

- مبدأ الحب الحاني .
- مبدأ الحرية .
- مبدأ التهذيب والنظام .

ففي اطار الجو الذي يتميز بالأمن يمكن للطفل أن يعمل بحرية وأن يغامر وأن يتصرف بتلقائية . وفي ظل النظام يكتسب السلوك التلقائي للطفل الاتجاه والتنظيم فتتحرر الشخصية . ولذا فالتهذيب والنظام ضروريان للحرية الحقيقية على أساس أن الحرية ضرورية للتنظيم الحقيقي للذات . ويعد الإحساس بالأمن مطلباً حيوياً لكليهما .

مبدأ الحب الحاني :

وربما كان الوليد البشري عند الميلاد أكثر الكائنات الأخرى عجزاً وقلة حيلة

ولكن لهذا العجز ميزاته فالطفل البشري لديه القليل من الانعكاسات الثابتة وعدد ضخم من الاستجابات المتنوعة .

والانعكاسات الثابتة للحشرات تمكنها من التوافق بنجاح مع مطالب الحياة العادية ولكن إذا اختلفت الظروف كأن زادت درجة الحرارة عن معدلها العادي فإن الحشرة لا تتحمل هذا التغير وتموت . لكن الطفل البشري لديه القدرة على ملائمة نفسه مع الظروف المتغيرة أكثر من الحشرة . فذكاؤه يمكنه من أن ينوع من استجاباته للحياة .

زيادة على ذلك فإن عجز الوليد يعوضه حب ورعاية الوالدين له وبخاصة الأم وكلما زاد التطور كلما زاد عجز الوليد وكلما زادت العناية الأبوية التي تمنح الطفل الرعاية والحماية الضرورية للبقاء . أما إذا أهملت رعاية الطفل وحمايته وحبه أصبح أكثر عجزاً وتعرضاً للمخاطر أكثر من الحشرة . وهو نفس الأمر الذي يظهر في أكثر الاضطرابات النفسية العصابية نتيجة لنقص الأمن الذي نعبر عنه بالشعور بالحرمان من الحب .

فلو أراد الإنسان أن ينمو طفله قوياً واستقلالياً ومتكيفاً مع الحياة فأول الأمور أن يمنحه شعوراً بالأمن . فالشعور بالأمن يعطيه الثقة في والديه اللذين يعتمد عليهما ثم الثقة في نفسه كي يواجه الحياة ومسئولياتها . وتعد هذه الحاجة للحب الحاني كبيرة في المهد . وعندما يصل الفرد إلى المراهقة فإنه يشعر بالقدرة على حماية نفسه ونجده يقاوم تدخل والديه في نشاطه على الرغم من أنه يحتاج لمساعدتهما . والحاجة للحب الحاني تعني من الناحية العملية أن نجنب الطفل كل أشكال الخوف في الطفولة المبكرة ، مثل الحوادث والانفصال عن الأم والعقاب الشديد وكل العوامل التي تهدد أمن الطفل .

وهناك بالطبع بعض المناسبات التي يحدث فيها الخوف والتي لا يمكن تجنبها كما في حالة العمليات الجراحية الضرورية في المستشفيات . ولكن عندما تظهر مثل هذه المناسبات فمن المهم جداً أن يحصل الطفل على زيادة في الطمأنينة خاصة من جهة الأم ـ هذه الطمأنينة لا شك أنها ستساعده على التغلب على مخاوفه .

وهناك مثال آخر مأخوذ من حالات الانفصال عن الأم ومجيء طفل جديد . فقد تركت طفلة صغيرة في الثالثة من عمرها في دار للحضانة لأن والديها يعملان . وعندما اكتشفت ذهاب أمها عنها ـ شعرت في أول الأمر بالتعاسة واليأس ثم بالغضب بعد ذلك . وقد استمرت الحالة المزاجية وأصبحت في موقف عدائي نحو المدرسات والأطفال الآخرين بالمدرسة كما أصبحت غير محبوبة من الآخرين ، ولم تتحسن حالتها خاصة وأن زملاءها أصبحوا يغيظونها فانعزلت عن الجماعة وتكونت لديها اتجاهات غير طيبة (عطوفة) تجاه الناس ككل . وبعد أن كبرت أصبحت تخاف من اقتراب أي رجل منها وتقف دائماً على مسافة منه ، وكانت تعاني في المنزل من حالة مزاجية سيئة ومن الاكتئاب اللذان يعبران عن عودة التعاسة والغضب اللذان كبتتهما في الطفولة إلى الظهور مرة ثانية . وقد كشف التحليل عن السبب الحقيقي . وقد استعادت حالة التوافق التام للموقف وشفيت من حالة الاكتئاب والعزلة وتزوجت من فارس أحلامها . ولو أن الأم قد حاولت فهمها ولو حاول الأب فهم اتجاهاتها ووفر لها ظروفاً مريحة عندما أصبحت تعاني من هذه الصعوبات وصراخها في خوف طلباً للأم لأمكنهما أن يجنباها كل هذه المتاعب .

حالة أخرى : ترك الطفل في مستشفى وكان في بداية الأمر يصرخ ويصيح من أجل الأم لكي تعود إليه ثم سقط في حالة تشبه الصدمة والقنوط ثم أفاق من الصدمة وبدأ يلعب باللعب وتأقلم مع الجو الموجود حوله وتقول الممرضة أن الأم كلما عادت لرؤية الطفل لم يكن يستجيب لها ويستمر في لعبه . وكأنه يقول : إنك لم تأت إلي عندما صرخت في طلبك ، إنني لن أستجيب لك عندما تريدينني وقد يحدث ذلك في المنزل محدثاً تصدعاً قد يكون دائماً في العلاقة بينه وبين والدته . فقد تركته وقد فقد هو ثقته فيها . وقد يصبح الطفل في النهاية عصابياً وقد يحدث ذلك خلال عدة أيام أو عدة أسابيع وقد يكون لعدة سنوات كمخاوف الليل التي تمثل استمراراً لمخاوفه المكبوتة أو قد يبلل الفراش كرغبة لا شعورية في مكافأة الأم . وفي كل هذه الحالات في هذا الوقت ـ لو أن الأم أحاطت الطفل بالحب فقد يرفضها . ولكن إصرارها على تقديم الحب والعطف للطفل باستمرار بدعوى أنها ستتغلب على مقاومته وسيستجيب لحبها قد يأتي بنتائج معاكسة تصدم الأم ويجعلها تتبنى اتجاهاً معيناً نحو الطفل وتتركه وشأنه فتزداد الحالة سوءاً .

لكن عندما تتصف الأم بالهدوء والاتزان والبقاء مع الطفل . بدلاً من تركه وشأنه ـ حتى يطمئن فسيكون الأمر عادياً وتقل عوامل الاضطراب .

وفي بعض الأحيان يكون وجود الأم باعثاً على زيادة اضطراب الطفل وعدم اطمئنانه لأنه في الوقت الذي يشعر فيه بالألم والأسى يجد الأم بجواره تضحك مع الآخرين ، ولا تشعر بما يعاني منه وما يخافه . ويجب على الأم أن تراعي حالته التي يعاني منها وأن تخفف من مشاعر الخوف التي تنتابه .

وقد أدرك الأخصائيون التأثيرات المرضية للانفصال عن الأم حتى أن الطرق الحديثة توصي باستمرار بضرورة وجود الأم مع الطفل في المستشفى لمساعدته إلى جانب الممرضة أثناء مرضه . فالطمأنينة التي يحققها وجود الأم تساعد على شفاء الطفل من آلامه الجسمية وستحمي أيضاً كثيراً من الأطفال من الاضطرابات العصابية .

المواقف الشائعة التي تبعث على القلق وبعد ذلك العصاب :

من المواقف الشائعة التي تثير القلق لدى الطفل وتحوله فيما بعد إلى عصابي هو مجيء طفل جديد . فأول الحاجات أهمية عند الطفل هي الحاجة للأمن التي تتحقق من خلال إشباع حاجته للحب . فإذا ما رأى أن الحب ينتقل إلى آخر ـ فإنه يقع في حالة من الهلع والذعر ، وتبدأ مظاهر الغيرة والغضب كما يبدأ في الكفاح في سبيل حياته .

والغيرة ببساطة هي حفظ الذات . ويجب أن يدرك الوالدين ذلك . وإذا عوقب الطفل على ذلك فكأنما قذفنا به بعيداً عن إطار الأمان الذي كان يعيش فيه . وقد تجبره مخاوفه على أن يكون حسناً كوسيلة لاستعادة تقبل والديه له . ولكن الخوف المكبوت قد يظهر فيما بعد كقلق عصابي أو قد يظهر استياؤه ثانية فيما بعد في صورة سلوك عنيف ليحصل به على ما سبق أن فقده .

وقد أدركت كثير من الأمهات أنه لا يكفي أن يخبرن الطفل بقدوم طفل جديد

ـ بل يجب عليهن أن يمنحن الطفل القديم حباً ورعاية خاصتين بعد ولادة الطفل الجديد . وهنا يشعر الطفل بالأمن ويتوحد مع الأم ويبدأ في العناية بالوليد بسعادة كما يفعل كثير من الأطفال. يجب علينا كآباء أن نجنب الطفل بقدر الإمكان كل المخاوف والمخاطر على الرغم من أن هناك الكثير من الأخطار البسيطة لا يمكن للآباء تجنبها بأي طريقة كالسقوط من الكرسي وجرح نفسه بالسكين ، وخدش وجرح ركبته من الاحتكاك الأرضي ـ وكل هذه المخاطر حتمية إذا ما أعطيت الحرية للطفل ليغامر ويجب أن يستعيد الطفل طمأنينته في جميع هذه الأحوال .

وكلما أحطنا هذه المواقف واتبعناها بطمأنينة الطفل ازدادت ثقته بنفسه على مواجهة الحياة لأنه يتعلم أن المواقف الخطرة أيضاً يمكن التغلب عليها . كما أن الثقة التامة التي تواجه الأم بها الموقف تزيد من ثقته وتمكنه من أن يكون مغامراً وحريصاً أيضاً .

الألـم والخـــوف :

كما يحتاج الطفل للحماية من المخاوف فإن يحتاج لحمايته أيضاً من الألم الذي لا داعي له . ويرتبط الألم برباط وثيق بالخوف لأن الخوف هو العنصر المسيطر في الألم . وتعد الوظيفة الطبيعية للألم استدعاء انتباه الفرد إلى أن شيئاً ما غير سليم أي خاطىء وأن هناك خطر . فالألم هو اشارة تنبيه تهدف بها الطبيعة إثارة الخوف .

ويمثل الخوف ٣/٤ حالة الكرب المرتبطة بالألم . ولو أننا طمأننا الطفل لأمكننا التغلب على جزء كبير من الألم . ويصرخ الطفل الصغير الذي يمشي بضع خطوات ثم يسقط على الأرض ويؤذي نفسه ـ يصرخ من الخوف لا من الألم فإذا ما أسرعت الأم إلى الطفل معانقة إياه ومطمئنة له فإن الألم يختفي ثم يزاول الطفل بعد ذلك نشاطه في سعادة . فقبلة من الأم تزيل آلام الطفل . وعندما يتجرد الألم من الخوف المرتبط به فإنه يفقد حدته .

ومن الطرق الفعالة في تحويل الطفل إلى شخص جبان هو أن نقول له عندما

يكون خائفاً أو حدث له ضرر ما ؛ لما كل هذا الهرج الذي تقوم به . لأنه سيشعر في هذه الحالة بعدم وجود أمان ضد الأخطار .

وأسوأ ما في الأمر هو تلك المخاوف التي تسببها الأم نفسها وبخاصة إذا كانت عصبية المزاج سيئة الطباع ؛ فوظيفة الأم هي حماية الطفل وعندما نقول له لا تفعل كذا حتى تحبك أمك فإننا في الواقع نحطم الطفل الذي يرى في حبها له أماناً واطمئناناً .

والعقاب قد يكون ضرورياً في بعض الأحيان ولكل القسوة الزائدة أو نظرة الكراهية التي تبدو في أعين الأم أثناء عقابها للطفل تزيد من رعبه وخوفه الشديد من الترك والتخلي وحرمانه لذلك من الاطمئنان . وقد نرى الطفل يزداد التصاقاً بالأم التي تعاقبه وهو منظر يدعو للشفقة حقاً . لكن كيف يتأقلم الطفل مع قسوة والديه ؟ لقد شوهدت إحدى الأمهات توجه إلى إبنتها الصغيرة ضربة شديدة على يدها ، فتحول وجه الطفلة إلى أبيض شاحب ولكنها لم تبك . ويبدو أنها تعودت على ذلك . ولكن ما الذي ستفعله الأم عندما تكبر الطفلة وتصل إلى المراهقة ويصبح في إمكانها أن تتحدى تلك الأم ؟

إن وظيفة الوالدين هي منح الطفل الحماية والأمن من خلال الجو الذي يشيع فيه الأمن وتتحقق للطفل حريته . كما أنه يريد أن يطمئن أنه عندما يلعب لا يضار وأنه عندما يغامر سيجد من يحميه من الأذى وأنه إذا ما جرح ووقع في خطر ما سيجد أمه ترعاه وتعني به . كل ذلك يعطيه مزيداً من الثقة ولا يصبح جباناً هياباً للمواقف من كثرة الخوف أو من العجز عن الابتعاد عن والدته . والطفل الذي لا يغامر والذي لا يتمتع بالحرية هو الطفل غير الآمن .

ومن العوامل التي تضر بأمن الطفل وبحرية ـ الحماية الزائدة ـ وهي تعني حماية الطفل في الوقت الذي لا يوجد فيه أي خطر أو أي استغاثة أو طلب للحماية فإذا وقع طفل الثانية من العمر من على الكنبة ـ فما يحدث هو أنه يرفع نفسه ويصرخ صرخة قصيرة ثم يتسلق الأريكة ثانية ـ ومن الطبيعي لأي طفل أن يكرر الفعل الذي يقوم به حتى يتقنه . فإذا ما كان الموقف أبعد عن

قدرته كأن أخافه كلب ـ تقوم الأم بطمأنينته بقدر الموقف فقط دون زيادة ولا مبالغة ولا رعب كما لو كانت هي الخائفة ·

وتبدو الأم التي تبالغ في حماية طفلها أكثر قلقاً وتجري خلفه دائماً لحمايته من أشياء غير موجودة · ويريد الطفل أن يستكشف العالم من حوله بنفسه · ويجب أن نتيح له ذلك وأن نراقبه ولكن عن بعد فحماية الطفل ليس معناها أن نبالغ في تدليله · فللحماية الزائدة أضرارها ، ومنها :

١ ـ يشعر الطفل الذي تبالغ الأم في حمايته بأن أخطار الحياة التي تحميه الأم منها والتي يزداد قلقها عندها هي أخطار أكبر مما هي عليها في الواقع ·
٢ ـ أن الطفل الذي تبالغ الأم في حمايته لا يتعلم أن يميز بين المواقف الخطرة وغير الخطرة ـ وتتصف مغامراته بالغباء نتيجة لجهله بمقدار الخطر الكامن في الموقف ، فقد قامت الأم بحمايته ولكنها لم تعلمه أبداً أن يحمي نفسه ·
٣ ـ أن الطفل الذي يعيش في حماية زائدة من الأم مع زيادة الارتباط بها ـ تنمو لديه عقدة النقص التي تظهر عندما يوجد بين أقرانه ، وسيتصرف بتبجح أو تظاهر بالشجاعة ليثبت لنفسه وللآخرين أنه ليس جباناً ويقوم بأشياء سخيفة · أما الطفل الذي يسمح له أن يواجه المواقف والمخاطر العادية مع تهيئة جو من الطمأنينة له ـ فإننا نجده شجاعاً واثقاً من نفسه وحريصاً في نفس الوقت ، وكل ذلك نتيجة لما اكتسبه بنفسه من خبرات ·

وتشير الدلائل على أن كثيراً من الأطفال يصبحون عصابيين لا بسبب حرمانهم من الحب ولكن بسبب غمرهم بحب زائد · والحقيقة أن ما يسمى بالحب الزائد ليس حباً حقيقياً بل حباً زائفاً ، لأن الحب الحقيقي هو الحب الذي يعمل لصالح الطفل وإسعاده من شخص محب ·

مبدأ الحرية في العلاقات الوالدية بالطفل :

إذا كان للطفل أن يتمتع بكامل صحته العقلية وأن يتجنب الاضطرابات النفسية المختلفة كان على الآباء أن يشبعوا حاجته للحرية · ومن وظائف الآباء أن يزودوا الطفل بالفرص المتعددة التي تتوفر فيها هذه الحرية ·

ـ فالطفل يحتاج للحرية في القيام بأنواع متعددة من النشاط ـ لأنه عن طريق التجريب والاستكشاف يكون انعكاسات شرطية تمكنه من التوافق مع ظروف الحياة .

ـ كما يحتاج للحرية للتعبير عن نزعاته الطبيعية وانفعالاته كالحب والخوف وحب الاستطلاع وتأكيد الذات ـ لأنها مصدر القوة التي زود بها الطفل للتغلب على صعوبات الحياة .

ـ كل الخصائص السابقة قد وجدت لمساعدتنا على نمو شخصيتنا ككل ويجب أن نحسن توجيهها نحو هذه الغاية . كما أنها لا توجد بمعزل عن الشخصية ، كما أن الشخصية لا يمكن أن توجد بدونها . ولا يوجد تعارض بين حرية نزعات الفرد وحريته الشخصية وبخاصة عندما تستغل هذه النزعات وتوجه لخدمة الشخصية ككل . ويلاحظ أن الطبيعة قد زودت الطفل بالوسائل التي تعمل على التنسيق بين امكانياته المختلفة ليصل عن طريق التوحد إلى معايير مستقرة أي إلى ذات مثالية توجه هذه الامكانيات وتلك النزعات حتى تتحقق أهدافها . كما أن الوسائل الطبيعية التي زود بها الطفل يمكن أن تستخدم أفضل استخدام عن طريق الذكاء والتخيل والتفكير .

وهنا يجب أن يهتم الآباء بمنح الطفل الحرية لتدريب تلك الوظائف العليا التي زودته بها الطبيعة . ولكن هذا لا يعني أن نترك الطفل ينجرف تحت تأثير تلك القوى الطبيعية العمياء ، ولكن توجه هذه القوى نحو عادات وأهداف سليمة. وبدلاً من القيام بكل شيء للطفل يجب أن يسمح للطفل بمحاولة القيام بنفسه بهذه الأشياء وبدلاً من أن نتخذ له القرارات التي تخصه يجب أن نعطيه الفرصة ليتخذ قراراته بنفسه وأن نشجعه على أن يفكر لنفسه . فالطفل من طبيعته يريد أن يتعلم ويجب أن نعطيه الفرصة لتحقيق ذلك .

ويلاحظ أن الطبيعة قد ساعدت الطفل بأن زودته ببعض أنماط السلوك الفطرية وبأنشطة معينة يحتاجها في بداية حياته .. كما زودته بمخارج ومنطلقات لهذه الأنماط السلوكية عن طريق اللعب ـ وتدريب هذه الأنماط السلوكية عن طريق التكرار الذي يجعل الطفل قادراً على أداء الفعل مرات ومرات حتى يكتسب مهارة القيام به .

ان أنماط الاستجابات المختلفة التى يتزود بها الطفل لا يبدأ تدريبها في وقت واحد . ولكن كل منها يظهر في فترة معينة من فترات الطفولة وتستغرق وقتا لنموها ، فهناك فترة لتنمية العدوان وأخرى لتنمية الفردية وأخرى لنمو الاجتماعية . وهذا يعنى أن كل امكانية من امكانيات الفرد تحتاج لزمن معين لتمام نموها وحتى يمكنها أن تسهم في النمو الكلى للشخصية ويجب على الآباء أن يراعوا حاجة الطفل للتدريب والفرص الملائمة لذلك .

وهنا نجد مبدأ في غاية الأهمية للعملية وهو « مبدأ التلقائية قبل التدريب »- فالطفل يولد مزودا بقدرة على اللعب ونجده يعبر تعبيرا تلقائيا عن أنواع النشاط المتصلة بهذه القدرة قبل أن تقوم القدرة بتوجيه النشاط المتعلق بها في حياة البالغين . لكن كيف نتبع هذا المبدأ في تدريب الطفل ؟ لنفرض اننا سنعلم الطفل السباحة فماذا نفعل ؟ هناك مدرستان فكريتان : الأولى تقول - علم الطفل السباحة الصحيحة منذ البداية - حتى توفر عليه جهود التخلص من أخطائه بعد ذلك . وتقول المدرسة الثانية أن الطفل قد يفقد الاهتمام بالسباحة فيصبح التدريب مملا ومضايقا للطفل . ويكون من الأفضل أن نترك الطفل يبلل نفسه بالماء ويمتع نفسه بذلك بحيث يألف هذا الموقف . وفي وقت ما سيشاهد آخرين يسبحون فيبدأ محاولاته فيجد أنه غير قادر على السباحة بنجاح فيطلب أن نعلمه ذلك . وهنا نجده « يريد » أن يتعلم فيضع كل امكانياته من أجل أن يتعلم أكثر وبسرعة . وأعتقد أنها أفضل طريقة . ويمكن صياغة المبدأ بطريقة أخرى : إبداء بإتاحة الفرصة للدوافع الطبيعية أن تعبر عن نفسهاتلقائيا ثم نظم ووجه بعد ذلك .

ولو أرادت طفلة صغيرة أن تخبز رغيفا كما تفعل أمها - فأعطها الدقيق والماء والفرصة لتصنع ما تشاء وهنا ستطلب بنفسها أن تعلمها كيف يصنع الرغيف ويصبح التعلم سهلا لأن الإرادة والرغبة قد توفرت .

ومبدأ التلقائية قبل التدريب يعنى أننا لا يجب أن نندهش عندما يسلك أطفالنا الصغار بطريقة فيها شيء من الهمجية لسببين : الأول أنهم ما زالوا في فترة السلوك التلقائى ، الثانى أنه لا يمكنهم بين يوم وليلة ان يتحولوا من أطفال الى أعضاء مهذبين في المجتمع . إننا لا نقول ان هذا التحول غير ممكن

فقط بل انه غير مرغوب أيضا ، لأنه يجب أن تكون هناك فرصة للتعبيرات التلقائية عن الدوافع الفطرية وأنماط الاستجابات المختلفة قبل أن يبدأ التدريب والتهذيب والتوجيه نحو المستويات الأعلى . وسيتعلم الأطفال كيف يكونون مهذبين عندما يروا الكبار مهذبين .

ومرور الطفل بفترة السلوك التلقائى ثم فترة السلوك الموجه ليست سهلة دائما وتحتاج لكثير من الصبر منا ومن الطفل أيضا . ومما يزيد من صعوبتها تلك المشاكل التى جلبتها المدنية الحديثة . فلكى نضمن درجة أعلى من الأمن في وسط الحياة الحديثة فاننا لا نحتاج من الغرائز الفطرية أن تنطلق بقوة في تعبيرها عن نفسها ولا نريد أن يصارع كل فرد الآخر كالحيوانات في الغابة ، كما لا نريد أن ننتج عددا كبيرا من الأطفال لكى يقاتلوا . فكل منا لديه عددا كبيرا من الطاقات الغريزية المعرضة للخروج على كل عوامل الضبط وتعرضنا للمشاكل .

ويذكر « ماكدوجل » Mc Dougall في حديثه عن علم النفس الاجتماعي ان الطاقات الغريزية عندما تنطلق خلال مطالبها الضرورية يمكن تحويلها وإعادة توجيهها نحو فائدة الانسان وخيره . فيتحول العدوان الى قوة الإرادة ، وحب الاستطلاع يتحول إلى البحث العلمى ، وتتحول غريزة الأمومة إلى العناية بالمرضى ، ويتحول الخوف إلى ابتكار وسائل للحماية والأمن ، ويتحول التنافس الى الإنجاز الشخصى . وهذا التحول يسميه « فرويد » بالاعلاء أو التسامى (ولكنه نسب كل هذه العمليات الى غريزة الجنس فقط) ، بمعنى الارتفاع بالغرائز ، والدوافع البدائية الى مستوى أفضل . وكما يذكر « فرويد » فإن العمليات التلقائية والطبيعية في ظل المدنية الحديثة تحولت الى جوانب لا شعورية .

مبدأ التأديب والتهذيب :

ينصب المفهوم القديم للتهذيب على رأى مؤداه أن الغرائز الحيوانية في الانسان تحمل في طياتها الشر . ولذا يجب تخليص الطفل منها بأى طريقة ، أما الأفكار الحديثة عن التهذيب فتنصب على رأى مؤداه أن الإنسان يولد مزودا

بإمكانيات فطرية وان وظيفة التهذيب هى توجيه وضبط هذه القوى الطبيعية .

التهذيب الطبيعى :

قد يتصور الفرد من ملاحظته لحديث علماء النفس وسلوك بعض المراهقين ان التهذيب والمنع والتقييد وضبط النفس جميعها مخترعات خلقية حضارية . والحقيقة ان المنع والتقييد من قوانين الحياة الفسيولوجية والنفسية والخلقية . ففى المخ يوجد المخ المتوسط الذى يختص بالانفعالات البدائية ولكن لحاء المخ يقوم بوظيفة أساسية هى التقييد والضبط . كما أن الجهاز العصبى السيمبتاوى يسرع من ضربات القلب أما الجهازالعصبى الباراسيمبتاوى فيقوم بضبط ضربات القلب بحيث تصبح منتظمة وذات كفاءة عالية . وفي الجسم كثيرا ما نجد الأمور المتعارضة ـ فأحد الوظائف تنشط والأخرى تضبط وتتحكم .

التقييد والكفاية :

ولنأخذ مثالا بسيطا على ذلك وهو الذراع . ففى الذراع توجد عضلات عند انكماشها ينثنى الذراع وعضلات أخرى عند استرخائها ينفرد الذراع . والحقيقة ان كلا النوعين من العضلات يعمل في نفس الوقت ـ فعندما نقرب فنجانا من القهوة نحو الفم فإن عضلات فرد الذراع تعمل وتنكمش أيضا ولكن إلى درجة أقل من العضلات المضادة (عضلات ثنى الذراع) . ولذا فكلا النوعين من العضلات يعمل كمقيد وضابط لحركة بعضهما البعض . وهذا التناسق بين عمل العضلتين لا يتم إلا في الطفولة المتوسطة تقريبا ولذلك كثيرا ما نجد الطفل يسكب اللبن أثناء تقريب كوب اللبن من فمه كما أنه لا يحسن استخدام الملعقة عند استخدامها في الأكل ، كما لا يحكم التصويب على الأهداف . ولكن بالتدريج تنمو العضلات المقيدة المضادة ويتعلم الطفل التحكم في أفعاله . هذا التصوير يفترض أن عملية التقيد والضبط ضرورية لكى يكون الفعل أكثر كفاءة . ولذلك فنحن نقول ان التهذيب قانون أساسى في الحياة زودتنا به الطبيعة ولازم لتحقيق حياة ذات فعالية . ولذلك فإن أولئك الذين ينادون بالتعبير الحر عن غرائزنا انما يعارضون

قانون الفطرة بل انهم يناقضون الطبيعة . هذا الكلام السابق لا يعنى ان التهذيب يتعارض مع حرية الشخصية ـ إنه لازم لها ولا يمكن أن نتمتع بالحرية الحقيقة ان لم يكن هناك تهذيب .

وضبط النفس يعنى توجيه امكانياتنا وقدراتنا الطبيعية لصالح الشخصية . وضبط النفس مفهوم يختلف عن الكبت . فالكبت يعنى النسيان اللاإرادى لبعض الحوافز الغريزية الفطرية كالعدوان مثلا ـ بحيث نتخلص منها ـ لكنها قد تظهر بعد ذلك في صورة عصاب . ولذلك فالكبت يختلف عن ضبط النفس ويناقضه في المعنى . فنحن لا يمكننا أن نوجه أى دافع قد كبتناه مادمنا قد نسيناه .

القمع : وكما يختلف معنى الكبت عن ضبط النفس فإن هناك مفهوماً آخر يعد لازما لعملية الضبط الا وهو « القمع » والقمع هو عملية كبح مؤقت لبعض الدوافع الفطرية حتى يمكن توجيهها الى نواحى أكثر فائدة للفرد . فلو أن طفلا يضرب آخر ويقذف بصحيفة في النار فلن يحتاج لأن يمنع وأن يحول عدوانه نحو لعب أو أن نمرح معه أو أن نجعله يساعدك فيما تعمل . وهذه طرق كثيرا ما تستخدمها الأمهات . أما قمح المراهق الجانح الذى يحطم الأشياء أو الذى يحطم النباتات في المنتزهات العامة فهو أمر هام وضروري . ومن الضروري أيضاً أن يزود المجتمع المراهقين بمخارج مرغوبة لطاقاتهم .

ويشبه هذا الموقف بالطاحونة المائية . فالطحان عندما يريد الاستفادة من مجرى الماء لتحريك طاحونته ـ فانه يحدد مجرى الماء ويجعله أضيق فتزداد قوة اندفاع الماء ويوجهه ليصبح قوة محركة يستخدمها في طحن الغلال . ولذا فان

وظيفة القمع هى أن نحدد اتجاها سليما لكل القوى الطبيعية فتزداد قوتها واتجاهها ، أما الكبت فقد يعنى تحطيم المجرى وتكسير حدوده فيطفو على الجانبين دون فائدة بل قد يضر . وكبت الدوافع قد يعنى الاضرار بالشخصية وانفجارها في صورة سيل من المخاوف والغضب والانحرافات الجنسية .

بينما يكون الكبت مضرا ـ فالقمع ضروريا للحياة السليمة . والقمع يكون خارجيا أو داخليا .

القمع الخــارجى :

يعد القمع الخارجى ضروريا في السنوات المبكرة من الحياة - قبل ان يكتسب الطفل قدرته على ضبط النفس - وذلك لتجنيبه الضرر والخطر الناشىء عن اندفاعه وسط الأخطار مثل أخطار حركة المرور المزدحمة أو الاحتراق بالماء المغلى او اصابته بماس كهربائى وهى أشياء على الاباء أن يجنبوه اياها . . والقمع الخارجى في بداية الحياة ضرورى لمساعدة الطفل على بناء الارادة . فعندما يكون الآباء أكثر هدوءا وحزما سيتعلم الطفل هو الآخر أن يتحكم في نفسه . وعندما تستقر ذاته المثالية يصبح أكثر قدرة على تهذيب وضبط النفس أو تكون أسس البناء الخلقى للطفل قد تكونت .

وعندما يسعى الطفل نحو التعبير عن فرديته من خلال التعبير عن ميوله وبناء المكعبات وعمل الرفوف واصلاح الكراسى أو ركوب الدراجة - فإن التدريب على هذه الأنشطة يساعد على تهذيب النفس . ويكون دور الآباء هو تزويد الطفل بكثير من الخامات اللازمة لهذا النشاط على أن يبينوا للطفل كيف يستخدمها وأن يشجعوه على ذلك .

أما التهذيب في المراهقة فيأتى من شلة المراهق ، فنظام الشلة الحازم والطاعة للقيادة أمور هامة يلتزم بها أفراد الشلة . كما تفرض عليهم أعمال شاقة وينفذونها طواعية .

وأحيانا ما يكتشف بعض الآباء سعى أبنائهم وراء بعض أنواع من النشاط غير المرغوب وهنا يكون القمع الخارجى أمر ضرورى . فمثلا اشعال النار في فناء المنزل يمكن أن يؤدى الى الخطر ، كما أن قطف الزهور رغم أنه أمر محبب - لا يجب أن يسمح به لأنه من حق الآخرين الاستمتاع بنفس هذه الزهور . وفي مثل هذه المواقف يجب أن ندعو العقل للعمل فان فشلنا وجب أن نستخدم وسائل أكثر صرامة - قد تأخذ شكل الخوف بصورة أو بأخرى . وهذا أمر طبيعى لأن الخوف يحمى الفرد من الأفعال الخاطئة عن طريق الهروب من الألم .

عدم التقبل : ان أبسط صور تثبيط الهمة هو اظهار الأم لعدم تقبلها للطفل فالطفل الصغير يعتمد في شعوره بالأمان والاطمئنان على الحالة المعنوية للأم .

فعندما تقول الأم للطفل أنا لا أحب منك أن تفعل هذا « يكون كافيا تماما لتعديل سلوكه . لكن قد يكون الأمر متطرفا عن ذلك ـ وتبدى الأم حزنها مما فعل الطفل ولا تكلمه طوال اليوم مما قد يكون مدمرا لمعنويات الطفل ويقوض شعوره بالأمن .

المدح والذم : ولهما نفس آثار التقبل وعدم التقبل ..

التحـذير :

ويعد التحذير من الأمور الضرورية . فلا أحد ينكر ضرورة تحذير الطفل من خطر أكل المواد السامة ، وأن نحذره عندما يجرى مندفعا في الطريق من الاصابة ومن الحوادث وان نحذر الفتاة المراهقة من أخطار الحمل المحرم شرعا وما يترتب عليه من شقاء وتعاسة . وكل هذه الأمور السابقة تعد صورا من تهذيب السلوك من أجل حياة أفضل .

التهـديد :

ويختلف التهديد كثيرا عن التحذير . ففى التحذير إنما نشير إلى ما ستكون عليه النتائج ـ أما في التهديد فنحن نفرض نوع النتائج والتهديد يعد شخصيا الى حد كبير ولذلك فهو يثير الاستياء ـ ويكون التهديد ضروريا عندما تفشل كل الطرق الأخرى . فعندما تهدد الطفل « اذا لم تكن قادرا على اللعب بطريقة أفضل مع الأطفال الآخرين فعليك ان تذهب الى الغرفة الأخرى وتجلس فيها وحدك » فإننا نكون حذرناه واعطيناه فرصه للاختيار بين اللعب الحسن أو وضعه في غرفة منفردا . فاذا استمر في أحداث الفوضى والضوضاء فأبعدناه ـ يكون قد حصل فقط على ما اختاره لنفسه ولا يكون هناك ضرر يذكر . إلا أنه من الضرورى أن نعرف الأسباب التى تكمن وراء مثل هذا السلوك من الطفل . فقد يكون سبب الضوضاء التى يحدثها هو أنه لا يعامل معاملة عادلة .

أما اذا قلنا للطفل « اذا لم تكف عن البكاء فسأضعك في الغرفة المظلمة » ويعجز الطفل عن الكف عن البكاء يصبح الموقف مؤلما له جدا .

العقـاب :

هناك مجال للعقاب في بعض الأحيان كنتيجة للسلوك الخاطىء . ولكن يجب ألا يكون جزاءا كما لا يجب أن يكون انتقاميا . فالطفل يريد القيام بشيء ما لأنه يرى فيه متعة أو يجد ميزة في القيام به . فاذا كانت أحد نتائج الفعل عقابا فقد يقرر أنه فعل لا يستحق ، وتتغلب مساوىء الفعل على ميزاته .

* ويجب ألا يحدث العقاب إلا بعد تحذير : فليست لدى الطفل الصغير أدنى فكرة عن السبب الذى من أجله صفع على وجهه . ويؤدى التحذير ميزة هامة وهى انه يعطى الطفل فرصة اتخاذ قراراته . هل يرتكب الفعل الخاطىء فيعاقب أم يتجنبه فيعفى من العقاب . فالطفل الذى يكسر القوانين ويعرف ما سيكون العقاب تكون لديه الفرصة لتجنبه واذا ما أخطأ سيتحمل العقاب دون تأثيرات ضارة تترتب على ذلك .

ويجب أن يكون الجزاء أو العقاب فوريا . فلو كان الفاصل الزمنى طويلا بين ارتكاب الفعل والجزاء أو العقاب . فلن يربط الطفل بينهما . كما أن العقاب لا يجب ان يتلائم مع حجم الخطأ فقط بل يجب أن يلى الخطأ مباشرة . فعندما يسرق الطفل تفاحة فإن صفعة من رجل البوليس في الحال تكون أوقع أثرا من الوقوف في محكمة الأحداث بعد الحادث بأسبوع حيث يصبح الارتباط بين السرقة وبين العقاب ضعيفا .

* ويكون العقاب حتميا للطفل (أو للجانح أو للمجرم) الذى يستمر في الخطأ سواء بسبب ضعف التأديب والتهذيب أو بسبب إمكانه الهروب من أعين الرقابة مما يشجعه على الاستمرار في الفعل الخاطىء .

* ويجب ألا يكون العقاب لينا جدا ولا عنيفا جدا . فعندما يكون العقاب هينا جدا فسيكون فيه تشجيع على مزيد من الخروج على القواعد . وهناك من يعطى عقابا متساهلا لأولى أخطاء الطفل والعقاب الصارم عندما يتكرر الخطأ . وهذا في حد ذاته خطأ كبير في مواجهة الموقف حيث يجب أن يكون عقاب الخطأ رادعا من أول مرة فلا يتكرر . كما أن الأب الذى يهدد ولا ينفذ تهديده يضر أيضا بمستقبل الطفل حيث أنه يشجعه على عدم الطاعة وعلى ارتكاب الخطأ .

وعندما يكون العقاب قاسيا جدا فإنه يترك أثرا هاما وإحساسا بالظلم ويصبح العقاب غير متقبل ٠

* ويجب ألا يحدث العقاب شرخا في علاقة الحب القائمة بين الطفل والوالدين سواء كان ذلك في صورة خوف من الوالدين أو كراهية لهما ٠ فالأب الذى يقول للطفل يجب ألا تكون وقحاً هكذا مع والدتك ـ ثم يطرده من الغرفة وبعد قليل يسمح له بالعودة مظهرا له علاقات صداقة وود ويشركه في الحياة العادية للأسرة لا يضر بصحته النفسية ٠ ويجب على الأب أن يبحث أولا عن السبب الذى دعا الطفل لأن يتصرف بحماقة مع أمه فربما كانت متسلطة عليه ٠

* لا يجب أن نوجه العقاب دون أن نجد الأسباب التى أدت الى ارتكاب الخطأ فلو وجدنا جانحا يضرب كل من يقابله من السيدات كبار السن على رؤوسهن ـ فقد يكون ذلك لأن والدته كانت تضربه على رأسه ويريد أن ينتقم بنفسه منها في صورتهن.حقيقى اننا يجب أن نوقفه فورا عن ذلك ـ لكن يجب ألا نضع كل اللوم على عاتقه وحده ٠

وعموما ـ فان هناك طرقا ايجابية في معاملة الطفل وهى أفضل بكثير من الطرق السلبية فالعقاب واللوم وعدم التقبل تمنع الأعمال السيئة ، والمكافأة والمدح والتقبل وعدم التشجيع تعد حوافز هامة للقيام بأعمال طيبة وهى أكثر فعالية ٠ وهى أفضل لأن الأفعال الناتجة عنها ارادية بينما عدم التقبل والعقاب يعملان من خلال الخوف ٠ والخوف لا يمنع الفعل الخطىء فقط بل أنه غالبا ما يشل عمل الطفل ما دام خائفا من القيام بأى شىء ٠

وقد نلخص تصورنا للعلاقات الوالدية بالطفل فيما يلى :ـ

١ ـ أن تمنح الطفل الحب لا أن تتسلط عليه بأفكارك لأن لهم أفكارهم ٠
٢ ـ يمكنك أن تقيد أجسامهم لكن لا تقيد أرواحهم لأن أرواحهم تطوف وتتطلع للمستقبل الذى لن تتطلع إليه أنت حتى في أحلامك ٠
٣ ـ قد تتمنى أن تكون مثلهم لكن لا تحاول أن تجعلهم مثلك لأن الحياة تسير للأمام ولا تعود الى الخلف فلا تربط الطفل بالماضي ٠٠

المراهق وجماعة الرفاق :

يطلق على جماعات المراهقين فيما بين سن الثانية عشرة والرابعة عشرة كلمة « الشلة » Gang وهى تختلف عن جماعة اللعب المميزة للمرحلة السابقة التى كانت تتميز بأنها تتكون من الجنسين على قدم المساواة . لكن الشلة التى تبدأ بمرحلة البلوغ فإنها تتكون فقط من جنس واحد حيث يكون الأولاد شللاً من الأولاد وتكون البنات شللاً من البنات .

وتتميز جماعات المراهقين بالتنظيم ، فعندما يتجمعون في مكان ما ينظمون أنفسهم للقيام بنشاط معين لكل فرد فيه دور محدد ولهم قيادة توجه سلوكهم وقوانين تحكم هذا السلوك ، وحيث تربطهم ببعضهم روابط قوية من الاخلاص لبعضهم ، فإنهم يطيعون قائد الجماعة بإختيارهم . ولا تقبل الجماعة أى غريب إلا بعد فترة من الدراسة .

وبينما تتكون شلل الذكور بسهولة وتلقائية فإن البنات تحتاج لشىء من المساعدة في ذلك وعندما تتكون شلة البنات فانها تستمر . وقد يرجع هذا الاختلاف في سرعة تكوين شلة الذكور عن شلة الإناث الى طبيعة الوظائف البيولوجية في الحياة البدائية فقد كان على الرجل أن يخرج للصيد والحرب وكانت مشاركة الآخرين له في ذلك ضرورة ، كما كان الإخلاص والولاء أساسيا للنجاح . أما النساء فقد تكون لديها ميل نحو الأعمال المنزلية حيث مساهمة الآخرين غير ضرورية . كما منحت المرأة ولاءها الى فرد هو الزوج الذى يزودها بالطعام والحماية . لذلك نجد علاقات البنات شخصية الى حد كبير ، فغريزتهم البدائية توجههم نحو الحصول على الرجل للحصول على النسل ولتأمين الرعاية لأطفالهن . وتصبح النساء الآخريات في درجة ثانوية من الاعتبار أو قد يصبحن منافسات لها .

ويبدو أن العمل المشترك صفة فطرية لدى بعض الكائنات كالذئاب مثلاً بينما لا تتوفر هذه الصفة لدى البعض الآخر كالنمور . وتسمى هذه الصفة بغريزة

التجمع .

ومن العوامل التى تساعد على قيام الشلة الميول المشتركة كلعب الكرة أو التصوير أو حتى العدوان على الشلل المنافسة . وقد تقوم بعض الشلل لا لسبب الا مجرد التجمع فنراهم يتجولون هنا وهناك دون وجود هدف محدد اللهم إلا إشباع حاجتهم للانتماء إلى شلة ما . وفي حالات أخرى يربط بينهم وجود حاجات مشتركة أو ألم أو خطر مشترك .

وفي بعض الحالات تقوم الجماعة وتقوى نتيجة لولاء أفرادها لزعيم معين يطيعونه دون مناقشه، وعادة ما ينتمي القائد أو الزعيم للجماعة ومعاييرها، ومن الضرورى أن يمثل ويفهم رغبات وحاجات جماعته . وولاء المراهق لزعيم الجماعة الذى يختاره بنفسه لا يعنى انه لا يقبل قيادة الكبار له - فليس هناك من سبب يدعو الى عدم تقبل المراهق لقيادة الكبار له ، فالقيادة في جماعات الكشافة والأندية والريادة المدرسية كلها من الكبار ويقبلها المراهقون . لكن تقبلهم أيضا مشروط - فلكى يتقبلهم المراهقون يجب ان يكونوا على وعى وفهم بطبيعة شلل المراهقين ، وأن تكون القيادة نابعة منهم وليست مفروضة عليهم .

- تمــرد المراهقين :

أحيانا ما يطلق على المراهقين أنهم متمردون وغير مطيعين . وهذا حقيقى ويبدو في اتجاهات المراهق نحو السلطة الضاغطة خاصة سلطة أولئك الذين يرفض الاعتراف بهم . ويكون المراهق في فترة البلوغ مطيعا جدا وخانعا ولكن فقط للقيادة التى يتقبلها سواء كانت مراهقا أو شخصا آخر أو شخصا من الكبار . وقانون الشلة هو الطاعة وليس التمرد .

وغالبا ما يتحول الإخلاص للزعيم الى تبجيله واحاطته بهالة من التقدير ، بل ويتوحد مع الزعيم ، ويمتص خصائصه وفضائله وربما عيوبه أيضا ، وبالتالى فإنه يشكل أو يعيد تشكيل شخصيته . وهنا قد يتخلى كلية عن التوحد مع الوالد الذى لم يعد يتقبل خصائصه التى سبق ان تبناها والآن ينبذها .

وهنا تظهر أهمية وجود القيادات الطيبة التى يتوحد المراهق معها لأن تأثير عملية التوحد أهم بكثير من التعليم والنصح والأوامر . كما أن شخصية المدرسين تعد غاية في الأهمية بالنسبة للصحة النفسية للتلميذ أكثر من قدراته الدراسية .

ـ ولاء المراهقين وجماعة الرفاق :

ان أهم جوانب الحب المميزة لهذه الفترة هو الاخلاص والولاء. فالأولاد يرتبطون بأعضاء الشلة برباط قوى أساسه الإخلاص والحب . هذا الإخلاص يمتد لكل فرد في الشلة لا لأسباب شخصية ولكن لأنهم ينتمون لهذه الشلة . كما أن الحب الموجه لزعيم الشلة يغلب عليه طابع الاعجاب والرغبة في الانصياع لقيادته وطاعة أوامره . ولذلك فإن الاخلاص والخضوع والاحترام والاعجاب تعد خصائص أساسية في جماعة المراهقين وتوضح هذه العوامل لماذا تكون للوشاية أهمية مختلفة في الأعمار المختلفة. ففى المرحلة الابتدائية يصبح من السهل علينا أن نتعرف على التلميذ المخطىء بمجرد أن نسأل التلاميذ من الذى فعل ذلك فسيذكر بعض التلاميذ ان لم يكن أغلبهم حقيقة ما حدث وما شاهدوه . لكن شلة المراهقين تختلف عن ذلك ـ فولاء المراهق للشلة يدفعه الى السكوت وعدم الوشاية بالمخطىء .

ونلاحظ أن الأمور الخلقية في مرحلة البلوغ تتصل بامور اجرائية وليست مثالية فالاحسان مثلا يحدده الطفل بأنه « منح نقود للناس الفقراء ، والاخلاص هو « ان تخلص للشلة » . والحكم على السلوك الخاطىء لا يكون في اطار الدافع ولكن في اطار الفعل نفسه ـ فالسرقة خطأ فقط لأنك ستعاقب عليها .

ـ فردية الفرد وجماعة الرفاق :

لا يفقد الولد فرديته بانتمائه الى الشلة ، بل على العكس ينمى فرديته من خلال الشلة،فهو يقدم للشلة اسهاماته الفردية لتحسين حال المجموع.فهو يريد أن يبزغ بينهم لا أن يستعرض نفسه ، وقد يخطىء ولكن هدفه هو الحصول على التقبل لما يمكن أن يفعله من أجل الشلة . فعندما تقوم الجماعة برحلة خلوية

ويقوم أحد الأفراد يجمع الاحطاب لإشعال النار اللازمة فإنه في حقيقة الأمر يلبى دافع جمع الأشياء ويعمل كعضو في مجتمع ، يضيف الى هذا المجتمع ، ويكتسب من عمله تقديرا خاصة على ما أسهم به . وعندما يطلب زعيم الشلة أحد الأفراد لمهمة ما سيتصدر له عدد كبير ليقوموا بهذه ، ويكون الفرد الذى يقع عليه الاختيار فخورا بقيامه بها خدمة للشلة وان الشلة لا تمحو فردية الفرد ـ بل هى توجهها وتستفيد من امكانيتها لصالح المجتمع .

ـ حرية الفرد وجماعة الرفاق :

لا يفقد الفرد حريته داخل جماعة الرفاق ، فالفرد داخل مجتمعه يشعر بأقصى درجات الحرية بل إنه يشعر بالحرية الحقيقية أثناء خدمته للجماعة . أما ما يفقده بانتمائه لجماعة الرفاق ليست فردية ولكن أنانيته الطفلية وتمركزه حول ذاته .

ـ التوحد وجماعة الرفاق :

يكره المراهق في هذه الفترة أن يكون مختلفا عن الآخرين سواء في ملبسه أو في عاداته أو في كلامه أو حتى في مصروف الجيب أو الأشياء الأخرى المسموح له بها . ويجب ألا يغيب عن ذهن الآباء قانون التوحد كما يجب عليهم ألا يحاولوا اعاقته . فهؤلاء المراهقون ينتمون لجيل مختلف عن جيل الآباء وهم مصممون على أن تكون لهم شخصيتهم ويعملون على أن يحققوا لأنفسهم في عالم الكبار مكانة مرموقة وشهرة بين أفراد مجتمعهم بطريقة أو بأخرى ـ وعادة ما يكون عن طريق الزى وفي بعض الحالات عن طريق الجريمة كوسيلة لجذب أنظار المجتمع نحوهم بعد أن كان يتجاهلهم .

وعندما يصر الآباء على أن يلبس المراهق بطريقة مختلفة عن أفراد جماعته ويعاملونه بطريقة مختلفة عنهم فإن ذلك من شأنه أن يؤدى الى حرمانه من شعبيته وإلى إذلاله بين رفاقة فيكره والديه حيث يصبحان في نظره غير متفهان له ولحاجاته . وهذه حقيقة بالنسبة للولد الذى يحصل على مصروف

قليل جداً بالنسبة لأقرانه - حيث يتصور أن الآخرين ينظرون نظرة تقلل من شأنه ، (ولا يحدث منهم ذلك في واقع الأمر) فيشعر بالذلة لأنه مختلف عنهم .

وشعور الفرد بأنه مختلف عن الآخرين سواء بالارتفاع أو بالإنخفاض يسبب له كثيرا من التعقيدات وتجعله غير متسامح مع كثير من زملائه في كثير من الأمور .

العدوان وجماعة الرفاق :

يخلص الأولاد لشلتهم ويتجه عدوانهم الى الشلل الأخرى التى ينظرون اليها على انها اعداء لهم . ويمكن أن يكونوا في منتهى القسوة على الشلل الأخرى بل وعلى الأفراد الآخرين الذين يتميزون بنوع من الانحراف عن مستويات الجماعة ، وقد يكون هذا الانحراف في صورة ميزة خاصة لا تتوفر في أفراد الجماعة أو عيبا خلقيا أو عيبا سلوكيا . ومن الصعب أن تؤثر على فرد ما إلا من خلال شلته التى منحها ولاءه . ومثل هذا النوع من العداء يظهر حتى بين جماعات الكبار ذات المعتقدات المختلفة أو الآراء المختلفة أو المدارس المختلفة والدوائر الطبية المختلفة والمراكز التجارية المختلفة . ويذكر كثير من علماء النفس أن أولئك الأفراد الذين لا يمكنهم ان يكون لهم دور في جماعة ما في هذه السن يحرمون من كثير من المتعة والحيوية التى تستمد من الاندماج في جماعة الرفاق .

نبذ الجماعة للفرد :

وعندما تنبذ الجماعة أحد الأفراد فانه يلجأ الى كل الوسائل ليحصل على تقديرها فقد يلجأ الى شراء حبهم اذا كانت حالته طيبة بالهدايا والحلوى واذا لم تكن حالته طيبة فقد يسرق ليجعل نفسه ذو شعبية بما يهديه للآخرين . وقد يلجأ ولد آخر لأن يحصل على الشهرة بكسر القواعد والتعدى على مدرسيه ليحظى باستحسان واطراء زملائه . ولكن لسوء الحظ فإنه غالبا ، يضحى بمستقبله من أجل تحصيل لا شىء .

وقد ينسحب الفرد من الجماعة ويعوض نفسه عنها بالاستغراق في ملاحظة الطيور أو في الموسيقى أو الاستغراق الكامل في هواية معينة ليحصل من خلالها على تقدير ذاتى ما دام لم يحصل على هذا التقدير من الآخرين ، ومن الممكن أن ينجح في محاولته في القدرة الموسيقية أو في القدرة الفنية مما يثير اعجاب الآخرين به الى حد ما .

جماعات الرفاق وأنواعها :

أولا ـ جماعات الأصدقاء :

المراهق العادى السوى يكون عادة في حاجة لصديق يتجاوب معه ويثق فيه ويساعده على حل مشكلته،وله عادة صديق أو أكثر ، وغالبا ما يتجاورون في السكن وينتمون الى نفس الطبقة الاجتماعية الاقتصادية ، وغالبا ما يتشابهون في الاتجاهات والميول الشخصية والنواحى المزاجية ـ وأحيانا يجمع بين الأصدقاء الاتجاهات المتعارضة كأن يميل أحدهما للسيطرة والآخر للخضوع ؛ أى أن كلا منهما يكمل الآخر . ومن الملاحظ أن صداقات المراهقة عادة ما تكون أكثر دواما واستمرارا وأطول عمرا من صداقات الطفولة . فليس من المراهقين من يتخلون عن صداقة أصدقائهم الحميمين خلال فترة المراهقة ـ وعادة ما يملأ الأصدقاء فراغ بعضهم البعض كأن يلعبون مع بعض ـ ومن مظاهر الصداقة خاصة عند الفتيات تبادل بعض الملابس أو ارتداء أزياء من نفس النوع أو نفس الموضة .

ثانيا ـ جماعات اللعب غير المنظمة :

أوضح مثال لها جماعة الأطفال قبل المراهقة ـ الشلة التي غالباً ما تقطن في مكان متجاور يتجمعون لقضاء وقت فراغ ـ لا عن روابط متينة ـ وهى التى نقابلها عادة في الطرقات وكثيرا ما تتجمع بعيدا عن منازلهم كى يبعدوا عن رقابة الكبار وهى عادة جماعات غير منظمة .

ثالثا : جماعات الشباب المنظمة :

وهى جماعات منظمة تتألف عادة تحت اشراف الكبار ويكون الرائد موجود مع الجماعة وغالبا ما تمارس الجماعة ألوان نشاطها في أماكن معلومة ولهم نظم موضوعة وقواعد للعضوية والانتماء اليها ـ وأمثلة ذلك واضحة في جماعات الكشافة والجماعات العلمية والثقافية والاجتماعية المختلفة ومن الواضح أن ألوان النشاط المختلفة التى تمارس في هذه الجماعات المنظمة لو كانت تحت اشراف دقيق موجه فانها تؤدى وظائف هامة بالنسبة للمراهقين .

الأدوار المختلفة للمراهق في الجماعة :

يلعب المراهقون أدوارا مختلفة داخل الجماعة فالبعض قادة والبعض تابعين والبعض يرسم الخطط والبعض الآخر عليه تنفيذ هذه الخطط ـ وقد يلعب الفرد أدواراً مختلفة داخل الجماعة وفي كل حالة قد يؤثر نجاح الفرد في قيامه بدوره داخل الجماعة على سلوكه المقبل وهذا التأثير يتضح فيما بعد في الدور المتوقع من الفرد ؛ بمعنى أن أى فرد من أفراد الجماعة لو اكتسب سمعة بأنه يقوم بدور ما داخل الجماعة ، فإن الجماعة تتوقع منه القيام بهذا الدور في المناسبات المختلفة وقد يجد الفرد نفسه مضطرا للقيام بهذا الدور حفظا لعلاقته بأفراد الجماعة .

ـ القـــادة ـ

يبدو القائد فيما يبديه من آراء أو جرأة في مناسبات مختلفة كالشجار ، وفي تنظيم ألوان نشاط الجماعة ، وما يتميز به من قوة جسمية ، والامتياز في النواحى الرياضية أو العلمية . وفي جماعات الجانحين نجد بالاضافة الى ما سبق عوامل أكثر تحديدا منها قدرة الفرد على اصدار الأوامر ، وقدرته على مقاومة الضغط الاجتماعى المفروض من جانب السلطة .

وقد تنتقل القيادة من فرد لفرد ـ فقد يفقد بعض المراهقين زعامته لأن

مستوى نموه الجسمى قد أصبح أقل من مستوى النمو الجسمى للآخرين ، قد يشعر بالخجل من تحمل المسئولية ولذا لا يصلح للزعامة . ولا يعد مركز القيادة مدعاة للفخر والزهو بل قد يتسبب عنه الشعور بالقلق نتيجة لشعوره بأنه مسئول امام الكبار عن اخطاء الجماعة .

ـ التابعـــون ـ

ما دام هناك قادة فهناك تابعون ـ ويشعر البعض بالارتياح اذا كان هناك من يتولى زمامهم ويجد لذة في أنه أصبح داخل المجموع العام ، وقد يدفع لذلك الشعور السائد بأنه إذا أخطأت الجماعة فلن يتحمل وحده جميع أخطاء الجماعة إنما يكون نصيبه إذا كان عضو ضئيل ـ ومثل هؤلاء الأفراد عادة ما يتركون لغيرهم حل مشكلاتهم وهذا هو الشعور السائد لملايين الناس في المجتمعات العادية .

ـ الموجهون داخل الجماعة ـ

الى جانب الدورين السابقين نجد جماعة أخرى لا تصلح للزعامة في جماعة المراهقين لكن لديهم من خصب الأفكار ونضجها ما يمكنهم من توجيه الجماعة وتموينها بالخطط ورسم الخطط والأساليب المختلفة في شتى المناسبات،وهؤلاء غالبا ما يكشف عنهم الزعماء ويقربونهم ويصبحون بمثابة المعاونين لهم . وأقرب مثل لهؤلاء في المجتمع مجموعة المستشارين للزعماء السياسيين أو الذين يكتبون لهم الخطب والأحاديث ورسم السياسة العامة .

وعلى العموم فمن الواضح ان هذه الأدوار تحدد المواقف المختلفة ونوع شخصية الفرد داخل الجماعة ، وان الفرد غير الانعزالى والجماعة غير المنبوذة غالبا ما تكون أكثر استقرارا من الناحية الانفعالية .

السمات العامة لجماعة المراهقين :

أولاً - اهتمام المراهق بتحليل الخبرات الشخصية التي يمر بها في علاقته مع أفراد الجماعة . فالمراهق لا يكفيه مجرد مشاركة الجماعة - بل تكون لديه حساسية شديدة وميل واضح لتحليل مشاعر الجماعة نحوه - إما مشاعر التقبل أو مشاعر النبذ - والواقع أن المراهق يميل للاستسلام كلية لاتجاهات الجماعة ومشاركتها نشاطها وفنائه فيها - خصوصاً أن ما يربطه بالمنزل ليس قوياً كما كان من قبل .

ثانيا - زيادة الوعى بالجماعة :

تفتقر جماعات الرفاق في الطفولة كثيراً إلى التماسك والشعور بفكرة الجماعة ووحدتها وهذه الصفات نفسها هى التى تميز جماعات المراهقين فهى ضرورية للمراهق حيث يستطيع من خلالها اشباع كثير من حاجاته النفسية .

ثالثا - التنظيم الواضح في الجماعات :

جماعات المراهقين أقوى تنظيما من جماعات الأطفال ؛ ان المراهق أكثر وعيا للفوارق الاجتماعية وللفروق بين الطبقات - ومن هنا تدخل مثل هذه العوامل المختلفة في الحكم على تقبل الفرد لجماعة ما وانضمامه لها أو عدمه . وغالبا ما تجد جماعة المراهقين من طبقة واحدة .

رابعاً - موقف المراهقين ليس موقفاً عدائياً من الجنس الآخر :

كما كان في الطفولة المتأخرة - بل نجد اتجاهات لمشاركة الجنس الآخر ألوان النشاط المختلفة . ويظهر ذلك مبكراً لدى البنت قبل الولد نظرا لنضجها المبكر .

مسئولية الكبار ودورهم بالنسبة لجماعات الرفاق :

يختلف الدور الذى يقوم به الكبار من اباء ومدرسين من جماعة لأخرى

باختلاف الظروف والأحوال ـ ولكن قد يكون هذا الدور ايجابى ـ فيقوم الكبار عادة بإعطاء التوجيهات والإرشاد كما هو الحال مثلا بالنسبة لجماعات الشباب والنوادى المدرسية التى يشرف عليها المربون والأخصائيون . وقد يكون هذا الاشراف معدوم كما في الجماعات الصغيرة غير المنظمة التى تتألف عادة من رفاق الشارع بقصد اللعب .

والاشراف في الجماعات المنظمة يتطلب من المربي نواحي هامة :

١ ـ أن يكون على علم بأوجه النشاط المختلفة التى يقوم بها المراهقون في اجتماعاتهم وألوان النشاط التى يفضلونها وتوجيههم الوجهة الصحيحة . وهذا يتطلب من المربى دراية كافية بهذه الألوان المختلفة ومعرفة مضارها وفوائدها .

٢ ـ يجب على المربى أن يقدر أهمية الجماعة بالنسبة للمراهقين والدور الذى تلعبه الجماعة في نموه النفسى والاجتماعى وبذلك يستطيع ان يقدر مدى النفع ومدى الضرر الواقع على الفرد نتيجة اندماجه في الجماعة .

٣ ـ ان وضع الجماعة تحت اشراف المربى أو الموجه قد يساعد على ابعاد كثير من ألوان النشاط غير المرغوب فيه ـ وتوجيه المراهق نحو ألوان النشاط التى تخلق منه شخصية اجتماعية متكاملة .

٤ ـ في الحالات التي يبدو فيها عدم توافق المراهق مع الجماعة أو التي يكون فيها المراهق منعزلاً عن الجماعة لا يقتصر دور المشرف على الكشف عن نواحى سوء التوافق بل يجب العمل على مساعدة المراهق على احداث التكيف مع الجماعة التى ينتمى اليها ذلك أن الشخص غير المتوافق اجتماعيا لا يشعر بالسعادة .

المراهق والمجتمع الخارجى

مع المراهقة يتسع المحيط الاجتماعى للفرد بما فيه من أشخاص وجماعات خارج جدران المنزل والمدرسة والجيران . ويمكن أن نتبين اتساع نطاق العلاقات

الاجتماعية للفرد من الشكل التالى :
ويكون تأثير الأسرة خلال السنوات الأولى من حياة الطفل - أما في مرحلة المراهقة فمعظم التأثيرات تصدر عن جماعة الرفاق والشلة ومع استمرار النمو ودخول الفرد في مرحلة المراهقة يظهر تأثير المجتمع الخارجى - وتأثير الجماعات الثانوية والأنماط الثقافية المختلفة الصادرة عن المجتمع الكبير .

والجمــاعات نوعان : -

١ - جماعات أولية - وأوضح صورة لها - الأسرة والعلاقات بينها قوية .
٢ - جماعات ثانوية - كالمدرسة والنادى - وهى علاقات غير شخصية .

وباتساع محيط الفرد يكتسب المراهق معرفة مباشرة بالأوضاع الاجتماعية القائمة ، وبالفرق بين الطبقات وبين المهن . ومعرفة القيم والتقاليد القائمة . يجب أن نلاحظ ان اتساع العلاقات الاجتماعية يربط الفرد اجتماعيا ويكسبه خبرة اجتماعية وهو نتيجة لعدة عوامل مثل :

أ - زيادة النضج الجسمى والمظهر الخارجى للمراهق .
ب - تحرره من سلطان المنزل .

وكلها أمور تزيد من نشاطه الخارجى - فيصبح أكثر حرية في الدخول للبيت في وقت متأخر نسبيا كما يصبح أكثر حرية في المشاركة في ألوان النشاط الاجتماعى الخارجى وفي تكوين الصداقات خارج نطاق الأسرة فيمكن الذهاب في الرحلات مع زملائه والاعتماد على نفسه عندما يقرر الإلتحاق بالمدرسة الثانوية في مكان بعيد - ولا شك أن جانب الحرية الذى يحصل عليه المراهق يوسع علاقاته الاجتماعية مع المجتمع الخارجى .

وازدياد الوعى الاجتماعى للمراهق يصبح أساسا موضوعيا جديدا للقيام بعملية تقدير لدور المنزل والوالدين ومقارنة النظم والقيم والمعايير الاجتماعية القائمة ، وسرعان ما تتعدل نظرة المراهق حيال والديه والأسرة ؛ إذ يتبين أن

هؤلاء لا يمثلون إلا جانبا واحدا بسيطا من جوانب الثقافة الاجتماعية فيبدأ في في نقدهما نتيجة للخبرات الجديدة التى اكتسبها من اتصاله بالمجتمع الخارجى - ويصاحب زيادة الوعى بالمجتمع الخارجى ونظمه - زيادة مماثلة في الاهتمام بالأحداث الجارية وبالشئون السياسية والحركات الاجتماعية المختلفة ۰ ويتضح ذلك من مشاركتهم في شتى المشكلات الاجتماعية المختلفة وميلهم الى التعبير عن النزعة الانسانية كالمشاركة في أسبوع معونة الشتاء أو السن أو الخدمة العامة ۰ وعلى العموم فبداية المراهقة يصاحبها اتجاه المراهق نحو المجتمع الخارجى ، وازدياد رغبة المراهق في بلوغ مستويات الكبار ۰ غير أن الحياة الحديثة والمجتمعات الحديثة تحول دون هذه الرغبة مما يترتب عليه حدوث مشكلات،فالمجتمع لا يعترف بالمراهق كشخص كبير ولا يعتبره عضوا عاملا من أعضاء المجتمع الكبير - وهذه المشكلة لا تظهر بوضوح في المجتمعات البدائية إذ أنه سرعان ما يدخل في جماعات الكبار بعد فترة وجيزة - ويتم الاعتراف به كشخص كبير وأحيانا يتم ذلك في محافل تقيمها الأسرة ۰ أما في المجتمع الحديث فالبلوغ الجسمى ليس كافيا - اذ لا يزال المراهق يشعر أن المجتمع لا يساوى بينه وبين الكبار ۰ وربما كان عدم اعتراف الكبار بالمراهق كشخص كبير - هو الذى يدفعه دفعا للارتباط برفاق المدرسة أو بالزملاء ۰

والاستجابة الطبيعية لعدم اعتراف المجتمع بالمراهق كشخص كبير هو التمرد والخروج على السلطة واستهانة المراهقين بالقيم الموضوعة ۰ ومحاولتهم أن يفرضوا أنفسهم على مجتمع الكبار فرضا - ثم امعانا منهم في التمرد نجدهم يجدون لذة في اتخاذ معايير سلوكية تستثير مشاعر الكبار ۰ لكن على الرغم من هذا التمرد فإن المراهق يطمع في تقبل المجتمع الخارجى له واعترافه به كفرد كبير ۰ ولعل هذا ما يفسر لنا ناحية التناقض الوجدانى في شعور المراهق نحو المجتمع الكبير - فبينما نجد استهانة وعدم مبالاة بالقيم والعادات نجد ميلا واتجاها نحو هذا المجتمع ۰

المراهق في المدرسة

اذا كان للمنزل والولدين تأثيرا واضحا في كيان المراهقين فإن للمدرسة

والمدرسين دورا لا يقل أهمية عن دور المنزل والوالدين . فمشكلات الفشل الدراسي وسوء العلاقة بين المدرسة والتلميذ ، وعدم التكيف الناجح مع الجو المدرسى كثير ما يكون لها صدى في توافق المراهق مع نفسه ومع المجتمع الخارجى . وللمدرسة آثار واضحة على المراهقين كما أن لها وظائف مختلفة أهمها :

(١) نقل الحقائق العلمية للتلميذ وتنمية عقولهم باعتبارها مؤسسة تربوية مثقفة ـ فالهدف الأول للمدرسة هو نقل الثقافة واستمرارها وتحسينها . وكل ثقافة تقوم ضمنيا على مجموعة من القيم ذات الأهمية بالنسبة للسلوك وتبادل العلاقات والتنظيم الاجتماعى فإذا أريد لثقافة ما أن تنقل هذه القيم خلال سنوات الدراسة قبل أن يصبح الفرد مشغولاً بأمور الحياة .

(٢) تنمية شخصية المراهق : فعن طريق ما تقدمه المدرسة من تسهيلات في اتصال المراهق بالكبار المحيطون به فانها تعمل على تنمية شخصيته وتكوينها ـ ولكى يمكنها أن تقوم بذلك الدور يجب أن يكون عملها ايجابيا بنائيا . فوظيفة المدرسة بالمعنى الواسع هو تنمية شخصية الفرد ـ ومن الخطأ أن نهتم بجانب واحد من جوانب الشخصية ونهمل الباقى مثل ما يحدث في بعض المدارس التقليدية التى تهتم بالجانب العقلى والتحصيلى على حساب الجوانب الاجتماعية أو نواحى النمو الانفعالى لدى المراهقين ـ ولاشك ان هذه الوظيفة وهى تنمية شخصية المراهق ككل يقع عبؤها الأكبر على المدرسة خاصة وان مجال المدرسة أوسع بكثير من الفرص المتاحة في المنزل أو أى مؤسسة اجتماعية أخـرى .

(٣) الى جانب الوظائف السابقة فالمدرسة تلعب دوراً هاماً غير مباشر وبصورة ضمنية وهى تحرير المراهق واستقلاله نسبيا عن الوالدين ، كما أن لها أثرا واسعا وواضحا في اكتساب المراهق خبرات واسعة في تعامله مع الكبار المحيطين به خارج نطاق الأسرة .

ويمكننا أن نوضح نمط العلاقات القائمة في المدرسة والتفاعل المتبادل بين التلميذ وبين السلطة المدرسية بالالمام بالجوانب التالية :ـ

١ ـ فكرة المدرس عن تلاميذه :

مما يبعث على الدهشة أن نعرف أن المام المدرسيين بميول التلاميذ واتجاهاتهم ودوافع سلوكهم وشخصاياتهم ومشاعرهم المام بسيط ، وحتى في المدرسة الابتدائية التي يسير فيها نظام الفصل نجد المام المدرس بالسمات الشخصية لتلاميذه المام ضعيف . وليس العد ان نتلمس أسباب ذلك فقد يرجع ذلك الى كثرة عدد التلاميذ في الفصل وكثرة أعباء المدرس نفسه وبمعنى آخر فان الروابط التى تربط المراهق بمصادر السلطة في المدرسة خلال هذه الفترة روابط ليست متينة .

فالمراهق خلال هذه الفترة يشتد ميله للنقد واتخاذ الاتجاهات العدوانية نحو الكبار . كذلك فإن تقدير المدرس لنواحى شخصية تلاميذه يتوقف الى حد بعيد على مدى تحصيلهم المدرسى . فالتلميذ الجيد التحصيل في نظر المدرس كثير التوافق وهناك حقيقة يجب الاشارة اليها ـ وهى إنه اذا كان المدرس لا يمكنه ادراك ميول واتجاهات وأهداف ومستويات طموح تلاميذه فمن الطبيعى ألا يكون في موقف يمكنه من توجيههم الوجهة المعقولة أو أحداث تكيف ناجح في الجو المدرسى . كذلك فان المدرس الذى يفتقر الى الفهم الصحيح لسلوك المراهق لا يمكنه أن يفسر مظاهر السلوك الشاذ ـ وبالتالى لا يمكنه أن يستجيب لهذه الأحوال . كل ذلك يدعو الى ضرورة الاهتمام بهذا الجانب من سمات الشخصية الى جانب اهتمامنا بالتحصيل .

٢ ـ فكرة التلميذ عن مدرسه :

نظرة التلميذ للمدرس والدور الذى يقوم به تحدد نوع العلاقات المتبادلة بين المدرس وبين التلاميذ ؛ أى العلاقات التى تقوم داخل الفصل والتى يمكن أن تنعكس في علاقات التلميذ بالمجتمع الخارجى . ومن الواضح أن التلميذ يستجيب للمدرس من حيث هو انسان أو شخص وليس فقط من حيث هو مصدر المعلومات أو مصدر المعرفة وربما كانت أحد الأساليب الهامة المتبعة في الكشف عن نظرة التلميذ لمدرسه ـ هى دراسة أوجه النقد التى يوجهها التلميذ للمدرسين من ناحية ، ومن ناحية أخرى تقديره للمدرسين من حيث المدرس المحبوب أكثر أو

المكروه أكثر الى نفس التلاميذ . ومعظم الدلائل تشير الى أن أهم النواحى اعتبارا أو دخولا في تقدير التلميذ لمدرسه هو « شخصية المدرس » واهتمامه بهم » وعدم تحيزه للبعض دون البعض » وضبطه للفصل بصورة تيسر العملية التعليمية » « والذى يعينهم على فهم الدرس » والفهم لهم » . أما المدرس غير المحبوب كثيرا ما يوصف بأنه ضعيف الشخصية وأنه لا يساعد تلميذه في الفصل وان شرحه غير واضح أو أنه متعالى أو سريع الانفعال أو المدرس الجامد جدا . وعلى العموم يميل معظم المراهقين في هذه الناحية الى الرباط بين مهارة المدرس في التدريس وبين تقدير مميزاته الشخصية . ومما لاشك فيه ان ادراك التلميذ لمدرسه يعكس دون شك الصورة التى يكونها عن مصادر السلطة التى تتضح في اتجاهه نحو المدرسة والدراسة بوجه عام ـ وفي علاقاته بمصادر السلطة التعليمية عامة .

٢ ـ العلاقة القائمة بين المراهق ومصادر السلطة في المدرسة :

في معظم المدارس الثانوية تظل العلاقة بين التلميذ والمدرس علاقة خضوع وسيطرة وهذه العلاقة ما هى إلا امتداد للعلاقة القائمة بين المدرس والتلميذ في المدرسة الابتدائية والحضانة . والحقيقة أنه ابتداء من وقت دخول الطفل المدرسة حتى مرحلة الجامعة ـ تستمر هذه العلاقة علاقة خضوع وسيطرة ـ ومن هنا نجد أن استجابة المراهق لمثل هذه العلاقات القائمة على السيطرة غالبا ما تكون كثرة الشكوى من السلطة ومن الضغط الواقع عليه . أو صورة تمرد على السلطة . وقد يصل الأمر بالبعض تحت تأثير الضغط الشديد الى ترك المدرسة . وتدل الدراسات التجريبية التى أجريت لمعرفة أثر السيطرة الزائدة على جماعات التلاميذ الى أن القيادة المتزمتة المسيطرة كثيرا ما تترك آثارا ونتائج غير مرغوب فيهما بالنسبة للتلميذ .

ففى المواقف التعليمية التى يسودها الحكم الاتوقراطى من جهة المدرس كان سلوك الأفراد أميل للعدوان الموجه نحو الذات أو نحو أفراد في الجماعة أكثر من اتجاه هذا العدوان نحو مصادر السلطة المتزمتة . بل أن سلوكهم نحوها عادة ما يكون سلوكا يتسم بالخضوع والضعف بالإضافة الى أن السلطة المتزمته تضعف روح الجماعة على القيام بعمل بناء . والنظام في مثل هذه الحالة يكون نابعا

عادة من السلطة وليس من ذات المراهقين ، ومثل هذا النوع من السياسة الضاغطة يضعف شخصية التلاميذ ٠

وقد ظهر اتجاه آخر معارض يمثل الطرف الآخر ـ حيث تتبع سياسة الحرية المطلقة الخالية من كل ضغط (تدع الطفل يعمل ما يشاء) لكن من الواضح ان اتباع مثل هذه السياسة لن يعلم الطالب المطالب الأساسية للمجتمع ـ وكيف يتعامل بنجاح مع الكبار المحيطين به وكيف يحد من نزعاته التى تتعارض أحيانا مع مطالب الآخرين ٠

ـ أما الاتجاه الثالث وهو الاتجاه الديمقراطي في معاملة التلاميذ ـ حيث يقوم على مشاركة التلميذ في نواحي نشاط المدرسة ونظام المدرسة وأحيانا تنظيم البرامج الدراسية ٠ هذا الاتجاه يحاول أن ينمي شخصية التلاميذ ويعودهم الاستقلال والحرية والتفكير في العمل وتحمل المسئولية، وهذا لا يعني انتفاء أي سلطة والغائها بل يراعي حاجة المراهق الى السلطة الضابطة كما يراعي حاجته الى الحرية والاستقلال ٠

والواقع ان أهم ما يجب أن يراعيه المدرس نحو نفسه ونحو تلاميذه ـ المعاملة القائمة على احترام المراهق ومشاعره كفرد وكانسان وتجنب الاتجاهات القائمة على الاذلال والتحقير من شأن الفرد ٠

٤ ـ مشكلات المراهقين في المدرسة :

من المعروف لنا جميعاً أن المشكلة التعليمية لها أثر بالغ في حياة المراهقين ، فالفشل في الدراسة أو في استذكار الدروس أو في علاقة المدرس بالتلاميذ تظهر بوضوح خلال المرحلة الثانوية ـ ومن أسباب التخلف الهامة :

- عدم رضى التلميذ عن العمل المدرسي ٠
- ضعف صلة المواد الدراسية بالحياة ٠
- سوء العلاقة بين المدرسة والمنزل أو بين التلميذ والسلطة المدرسية ٠
- عدم ايمان بعض التلاميذ بجدوى المواد التي يحصلونها في المدرسة ٠

ففي البيئات الفقيرة مثلاً ـ يحس التلميذ في قرارة نفسه بأن المدرسة بوضعها الحالى غير مرتبطة بالحياة وانها لا تخدم الواقع في شئ ـ وان من المفيد أن يخرج الى الحياة الخارجية ليكسب أكثر مما يحتمل أن يحصل عليه بعد اتمام الدراسة ٠

ومن الممكن تقسيم مشكلات التلاميذ الى ثلاثة أقسام :
أ ـ مشكلات تتصل بالمدرسة ذاتها ـ أي تنشأ في المدرسة وتتصل بالمواقف المدرسية ، كاختيار نوع الدراسة واختيار الوان النشاط خارج المنهج « الهوايات » ومشكلات المواد الدراسية المختلفة ـ مشكلات العلاقة بين التلميذ وزملاءه في المدرسة ٠
ب ـ مشكلات تتصل بحياة التلميذ خارج المدرسة ـ حياته في الأسرة والمستوى الاقتصادي للاسرة والمشكلات الصحية وعلاقاته بأصدقاؤه خارج المدرسة
جـ ـ مشكلات تتصل بحياة التلميذ بعد ترك المدرسة ٠ مثل مشكلة اختيار المهنة أو الوظيفة أو المعهد التعليمي بعد المرحلة الثانوية ٠

خصائص المراهقة

لقد اهتم المربون وعلماء النفس والاجتماع منذ مدة طويلة بأهمية الجوانب الجسمية والاجتماعية والنفسية من المراهقة ٠ وكان الدافع الى هذا الاهتمام الواسع بمرحلة المراهقة هو ضرورة فهمها ٠ وما يزال هناك ما يشير إلى أننا لم نفهم هذه الفئة من الأعمار فهماً جيداً حتى الآن ، وخاصة أولئك الناس الذين يعدون مسئولين عن مساعدة المراهقين كالآباء والمدرسين والمرشدين ٠ وكثيراً ما يكتشف الكبار خلال تفاعلهم مع المراهقين والمراهقات أنه ينقصهم الوعي والمعرفة السليمة بطبيعة الحاجات الجسمية والنفسية وطبيعة التغيرات التي تحدث للمراهقين ومحاولات التكيف لطبيعة هذه التغيرات ٠

لقد جمع ستانلى هول الملقب بأبو دراسة الطفل في أمريكا كثيراً من الحقائق وكتب الكثير من الأوصاف للسلوك المراهق ٠ وتؤكد نظرته الى المراهقة على الفروق بين السلوك في المراهقة والسلوك السابق والتالى لها ٠ ويعتقد ستانلى هول وعلماء

النفس الأوائل أن مرحلة المراهقة هي مرحلة تحول في حياة الفرد . كما وضعت ميك Meek سنة ١٩٣٠ وصفاً تفصيلياً للمراهق من وجهة نظر الكبار ، وكان من التغيرات التي وصفت حدوثها في فترة التحول من الطفولة الى المراهقة ما يلي :

١ - التحول من خطوط الجسم قليلة الشبه بالكبار الى خطوط الجسم والقوام المشابه للكبار .

٢ - التحول من فترة تتميز بكثرة الميول المتغيرة الى ميول مستقرة قليلة العدد ولكنها ذات معنى كبير بالنسبة للفرد .

٣ - التحول من فترة يقل فيها الاهتمام بمعايير الرفاق ومكانته بينهم الى فترة تتميز بالاهتمام الكبير بالرفاق ومعاييرهم وبالمكانة التي يطمح فيها بينهم .

٤ - التحول من فترة يندمج فيها في أي نشاط للنشاط ذاته الى فترة يتحول فيها السلوك ويقترب من سلوك البالغين .

٥ - التحول من فترة يكون فيها كل النشاط الاجتماعي بصورة غير رسمية ولا يخضع لآداب السلوك الى فترة يكون فيها النشاط الاجتماعي اختياري وخاضع للعرف وآداب السلوك .

٦ - التحول من فترة تتسم بالصداقات المؤقتة قصيرة الأمد الى فترة تتسم بصداقات مستمرة وقوية .

وربما كانت أكثر خصائص المراهقة لفتاً للنظر هو وجود حالات من التناقض المزمن في سلوك المرّاهقين . فالمراهق غير منتج ، وفي نفس الوقت مبدعاً وخصباً لا نفع منه وغير مسئول ويركز كل اهتماماته حول نفسه ، ومع ذلك يتمتع بقدرة غير محدودة على أن يضحي بنفسه في سبيل المثل والمبادئ . كما يتميز المراهق بالايثار والأنانية ، مخلص وغير مخلص ، اجتماعي وغير اجتماعي ، يخضع خضوعاً أعمى لقائد ما ، وينحرف عن السلطة ، مثالى وساخر ، احساسي وقاسي القلب ، زاهد وفاسق ، متفائل ومتشائم ، متحمس ولا مبالى .

وتتفق كثير من الهيئات العلمية على الصفات الآتية للمراهقين :

- المراهقة فترة تحول من الطفولة الى الرشد ، وهي تعني تلك الخصائص الفسيولوجية والنفسية البارزة منذ البلوغ وحتى النضج . وان استخدام العمر الزمني للدلالة على بداية ونهاية هذه المرحلة أمر لا فائدة منه لأن بداية البلوغ تختلف كثيراً من فرد لآخر كما يختلف الباحثون على الموعد الصحيح لنهايتها ولكن مداها يقع بين سن ١٢ ـ ٢٠ من العمر .

٢ - ان النضج الجسمي والجنسي كمايتضح لنا من الخصائص الأولية والثانوية للنمو الجنسي يؤدي الى تغير في اتجاهات الفرد نحو الدور الجنسي الذكري أو الأنثوي الملائم . وتتضمن هذه الفترة من النمو تقبل الذات الجسمية ووظائفها التناسلية .

٣ - تتضمن المراهقة أيضاً البحث عن الاستقلال الوجداني والاجتماعي والاقتصادي فهي الوقت الذي يستخدم فيه الفرد امكاناته بصورة أكثر نضجاً وعلى مستوى أكثر تعقيداً ليعطي كما يأخذ ، وأن يقيم علاقات مع الآخرين وأن يثق فيهم وان يتعلم ما ينفعه وما يضره .

ان آراء الكبار في المراهقين عادة ماتكون مصبوغة بأحكامهم القيمية التي تميل الى ابراز الصفات السلبية فقط ، لذا فمن السهل عليهم أن يغفلوا الجوانب الايجابية في المراهقين . وربما يؤدي الوصف التالى الى تقليل تحامل الكبار الى أدنى حد والى ابراز العناصر الايجابية في هذه المجموعة من الناس . فالمراهق فرد يمكن أن نقول أنه نصف طفل ونصف راشد ـ وتشير البحوث أنه يتميز بما يلى من صفات :

١ - ان المراهق في سن تتميز بالتمزق ، وعلى الأخص في نظر الكبار . فالكبار دائماً يركزون على عوامل مثل مقاومة السلطة العائلية ـ النقد الزائد الموجه للآباء وغيرهم من الكبار ـ الحساسية الزائدة لآراء الكبار فيما يختص بنواحي مثل موعد الذهاب الى النوم والاصدقاء والاستفادة من الوقت الخ .

وأهم معالم التمزق هي الأنانية الطفلية في استخدام خصوصيات الأسرة كالراديو والتليفون والتليفزيون والحمام . ويشعر الكبار بالانزعاج خاصة

من الدافع الذي يجبر المراهق على التأنق الزائد والكلام والملبس تشبها بأقرانه ، وولائه القوي في المحافظة والدفاع عن أصدقائه .

٢ - وبالمقارنة بتلك الخصائص السابقة وما فيها من ارتداد (نكوص) وعدوان - كثيراً ما يبدو على المراهق حب استطلاع متزايد نحو نفسه ونحو بيئته . ويتضح ذلك فيما يقوم به من تجارب ليكشف بها أين تكمن قدراته الخاصة ونواحي قوته وقدرته على التحمل . ومن خلال محاولاته وضع نفسه في أدوار تخيلية ، ومن خلال استفساراته ومحاولته التوفيق بين الواقع وبين المثالية التي يجدها فيما يتعلمه . ومن خلال محاولاته النجاح بتبرير المواقف التي يشعر أنها غير ملائمة . ومن خلال مشاعر التفوق والتخلف غير المستقرة . ومن خلال التطرف في استجاباته لمواقف النجاح والفشل .

٣ - ويهتم المراهق بالتكيف لتغيرات جسمه السريعة بطرق متعددة ، فيتخذ وضعاً جسمياً معيناً . ليخفي ما يعتقد أنه عيب فيه ، ويفرط في الأكل ليعوض النقص في الوزن الناتج عن النمو السريع ، أو عن طريق رد الفعل الانفعالى للارتباك الناتج عن التغيرات الجسمية المفاجئة غير المتناسبة ويظهر هذا الاهتمام أيضاً في محاولاته المستمرة لاشباع شهيته المفتوحة ، وفي مشاعره الغريبة نحو الجنس الآخر الذي لا يفهمه ولا يعرف كيفية التعامل السليم معه .

٤ - يسعى المراهق لتحقيق استقلاله وفي نفس الوقت يعمل على تحقيق أمنه ، ويظهر ذلك من اهتمامه بالنواحي المهنية ورغبته في العمل والاستقلال المالي وأصراره على أن يدبر شئونه بنفسه دون تدخل من الوالدين ويبدو ذلك من خلال رغبته في أن يختار ملابسه وأصدقاءه ومشاريعه بنفسه ، ومن خلال حبه غير المعلن لوالديه . ومن خلال اهتمامه بكل ما يرمز الى الراشدين كالتدخين والسب والتبجح .

٥ - يعيد المراهق النظر في قيمه الشخصية التي أمتصها في طفولته واعادة النظر في معتقداته الأساسية ويعني ذلك اهتماماً بالبحث عن قيم جديدة

واختبار دقيق لمثله القديمة والجديدة . وكثيراً ما يتضح بحثه عن الجديد من خلال التنكر والتغير السريع للشخص الذي كان محور اعجابه في وقت ما مع تناقض في شعوره بالاخلاص نحوه . واشتغال المراهق بالمعتقدات الأساسية يظهر في اهتمامه العميق بما هو صحيح وما هو خاطئ ، كما يظهر في دفاعه الصلب عن أساليب السلوك التي تقبلها جماعة الرفاق ، وفي اعتقاده الساذج في تكوين التنظيمات ورموزها وشعائرها وفي تحديه السافر للكبار عندما لا تتفق المثاليات التي يتحدثون عنها مع السلوك الفعلى للكبار .

٦ - يبدأ المراهق في معرفة أن الاستقلال الذي ينشده يجب أن يدعمه اكتساب المهارات والمعارف . فيبدي رغبة قوية في الحصول على فهم أفضل لقدارته ومهاراته وميوله ومعلوماته . ويزعجه كثيراً أن يجد نفسه شديد الاختلاف عن الجماعة . ولذلك كثيراً ما يرفض أن يستفيد من الأنشطة التي تزوده بالمعلومات والمهارات اللازمة لا لشئ الا أن هذه الأنشطة ستكشف عن عيوبه . وقد يقبل بحماس على فرص أخرى ليستعرض قدراته الخاصة في وقت لا يكون قد تمكن منها بالدرجة الكافية فتكون الكارثة .

الخصائص السابقة تمثل وجهة نظر الآباء الذين لا يعبرون الا عن أنواع السلوك السلبي في المراهق . ولا ننسى أن أغلب أنواع السلوك السابقة انما تعكس مبالغة في السلوك الذي يرغبه الكبار والجهود التي تبذل للسيطرة الذاتية ، أضف الى ذلك ما ينظر اليه على أنه سلوك سيء - كلها تشير الى ما يسعى الآباء الى تعليمه للأبناء من فترة مبكرة .

اهتمـــامات المراهقـين

وصف الباحثون مشكلات المراهقين والأمور التي يهتمون بها ، كما يعبر عنها المراهقون أنفسهم . فقد درس بل Bell (١٩٣٨) وستولز Stolz (١٩٤٤) مشاعر المراهقين واتجاهاتهم ومشاكلهم وظهر من هذه الدراسات ان اهتمامات الأولاد تدور حول الأمور التالية :

قصر القامة ـ السمنه ـ ضعف البنية ـ ضعف القوة الجسمية ـ الشكل غير الطبيعي للوجه ـ النمو غير الطبيعي في منطقة الحلمات ـ حب الشباب ـ نمش الوجه والجلد · وتدور اهتمامات البنات حول ما يلى :

الطول الزائد والسمنة كأخطر مشاكلهن الى جانب شكل الوجه ـ المظهر الجسمي العام ـ النحافة ـ صغر الثديين ـ حب الشباب ـ الشعر ـ وضخامة الفخذين ·

كما وجد الياس Elias (١٩٤٩) ان من أهم مشكلات تلاميذ المدارس الثانوية التعاسة في مجال التكيف الاجتماعي والعلاقة الاسرية والاستفادة من الوقت والتخطيط للعمل ·

وعندما سأل سترايرStrayer (١٩٤٩) تلاميذ المدارس الاعدادية والثانوية أن يحددوا المشاكل التي يواجهونها ولا يجدون فيها المساعدة المناسبة من مدراسهم ، وجد أن في قمة المشاكل التي عبروا عنها المشاكل الاجتماعية والوجدانية ومشاكل محددة مثل الصداقات وعلاقة الأولاد بالبنات ، العلاقة بالآباء وبالاشقاء ، كما توجد مشكلات تعليمية مثل كيفية تجنب الفشل الدراسي وتجنب التقديرات المنخفضة وكيفية اقامة علاقات سليمة مع المدرسين وتنظيم الوقت واختيار المواد الدراسية وقد حدد ريمرز وهاكيت Remmers & Hackett (١٩٥٣) من دراسة لهما قائمة الاهتمامات التالية للمراهقين :

١ - اهتمامات خاصة بالجسم ـ مثل الاهتمام بانقاص الوزن أو زيادته · والقلق على بناء الجسم أو شكل الجسم · الانزعاج بسبب حب الشباب وصعوبة القيام بحركات جسمية ماهرة ·

٢ - اهتمامات خاصة بالعمل المدرسي ـ الرغبة في معرفة كيف يذاكر دروسه صعوبة التركيز على موضوع الدرس ـ صعوبة في التعبير الشفوي ـ صعوبة الاستعداد للامتحان ·

٣ - اهتمامات خاصة بالمشاكل الاجتماعية ـ كأن يكون صداقات جديدة · وان يجعل الناس تزداد حبالهم ـ وان تزداد ثقته بنفسه ·

٤ - صعوبات شخصية تؤلم المراهقين ـ القيام بأفعال معينة والندم عليها ـ صعوبة الاحتفاظ بهدوئهم الانفعالى ـ الاحساس بأن مشاعره تجرح بسهولة من الشعور بالذنب .

وقد درس وزي Withey (١٩٥٤) أنشطة ومشاكل واهتمامات ١٠٠٠ من الأولاد في سن ١٤ ـ ١٦ من العمر عن طريق المقابلة وكانت النتائج كما يلى :

١ - الرغبة في تكوين صداقات جديدة .
٢ - الرغبة في معرفة نوع العمل المناسب لهم .
٣ - الرغبة في أن يحبهم الناس .
٤ - الرغبة في وجود وسائل للترفيه .
٥ - الرغبة في معرفة ميولهم الحقيقية .
٦ - الرغبة في معرفة حدود قدراتهم .
٧ - الرغبة في زيادة ثقتهم بأنفسهم .

وفي دراسة قام بها سترينج Stange (١٩٥٧) على المراهقين وصل الى مجموعة من الاهتمامات التي وصل إليها « وزي » لخصها فيما يلى :

١ - الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية مع الجنس الآخر .
٢ - الاهتمام بالاستقلال وتوجيه الذات .
٣ - الاهتمام بمهنة المستقبل .
٤ - الاهتمام بالعلاقات الاجتماعية .
٥ - الاهتمام بالزواج وتكوين الاسرة .
٦ - الوعي بالمسئوليات المتزايدة .
٧ - الاهتمام بالعقيدة الدينية وبالاخلاق .
٨ - الاهتمام بالنجاح الدراسي والدرجات المدرسية .
٩ - الاهتمام بالعلاقات بالأشقاء .
١٠ - عدم الرضا عن الخبرات المدرسية .

وعندما أجرى هاريس Harris (١٩٣٥ ، ١٩٥٧) دراسة مقارنة لمعرفة مدى التغير الذي يحدث في اهتمامات الشباب بفاصل زمني قدره ٢٢ سنة تقريباً (جيل تقريباً) كانت النتائج كما هو مبين في الجدول التالى :

ترتيب اهتمامات ومشكلات تلاميذ المدارس الثانوية في سنة ١٩٥٣ وفي ١٩٥٧ م

المجـــال	ذكـور		اناث	
	عام ٥٣	عام ٥٧	عام ٣٥	عام ٥٧
الصحـة	٢	١٢	٢	١٢,٥
الحب والزواج	١٥	١٣,٥	١٥	١٠
الأمـــن	٨,٥	١٣,٥	١٢	١٤,٥
المـال	١	٢	٣	٢
الصحة النفسية	١٣	٨	٩,٥	٣,٥
دراسات العادات	٣	١	٦	١
الترفيه	٨,٥	١٥	١١	١٤,٥
الصفات الشخصية والخلقية	٤	٣	٤	٥
العلاقات المنزلية والعائلية	٧	١٠	٩,٥	٦
السلوك الحسن	١١,٥	٥	٦	١١
الجاذبية الشخصية	٦	٦	١	٣,٥
الاهتمامات الحضارية	١١,٥	٧	١٣	٩
سهولة الحياة مع الناس	١٠	١١	٨	٨
فلسفة الحياة	٥	٤	٦	٨

وكما يلاحظ من هذا الجدول فقد حدث قليل من التغير في ترتيب المشكلات من سنة ١٩٢٥ إلى عام ١٩٥٧ ولكن يلاحظ أن الأمن والصحة قد رتبتا في عام ١٩٥٧ أقل من ترتيبهما في عام ١٩٢٥ ٠

ويمكننا أن نلخص اهتمامات المراهقين والشباب بالقول بأن هذه الاهتمامات هي نتيجة لعدم الشعور بالأمن المترتب على تغيرات النمو الجسمي والعلاقات الشخصية . والانشطة المدرسية والوضع الاسرى والعلاقة بين الجنس الآخر . وينشأ القلق من مواقف عدم الأمن التي قد تؤدي الى انحراف في الحالة المزاجية وتقلب شديد في السلوك والنشاط الزائد والانطواء والوحدة والأوهام .

الاستقلال عند المراهقين

ويكون المراهق في توحده مشغولاً برغبات مثل : أريد أن أحب نفسي ، وأريد أن يحبني الآخرون ، أريد أن أحب الآخرين ، أريد أن أحقق ذاتي .

ويهتم المراهق الى توجيه الذات والاستقلال عن الوالدين وغيرهم من الكبار وربما لا يتحقق للمراهق ما يسعى اليه من توحد الا كنتيجة لذلك الصراع الدائم من أجل الاستقلال . ومن المؤكد أن المراهق يحاول ابراز فرديته . لكن ادراكه لأهدافه ، وادراكه لمعنى النضج ومعنى الرشد يكون ادراكاً خاطئاً أحياناً . والكبير في نظر المراهق شخص حر الارادة يمكنه أن يفعل ما يشاء متى يشاء ، يمكنه أن يتأخر خارج المنزل كما يحب ولا أحد ينقده بسبب الدرجات المدرسية أو بسبب عدم تعليقه ملابسه في مكانها ، أو بسبب عدم تبجيله لمن هو أكبر منه أو لعدم اغلاق باب الثلاجة .

لكن أهم معيار للانسان الناضج هو الاحساس العميق بالمسئولية نحو نفسه ونحو أسرته ونحو المجتمع . ولكي يصبح الاستقلال بنائياً يحتاج للنضج والى المسئولية . فالمراهق يجب أن يسأل نفسه : لماذا يريد الحرية ؟ عندما سأل دوفان وادلسون Douvan & Adelson (١٩٦٦) المراهقين عن أسباب الخلافات التي تقوم بينهم وبين آبائهم حصل على اجابات تختلف باختلاف العمر ، وعلى سبيل المثال ؛ ذكرت البنت المراهقة في بداية المراهقة أن الخلاف يتعلق بأمور خاصة بمظهرها الشخصي كالملبس وأحمر الشفاه ، أما بنت منتصف المراهقة فقد ذكرت موضوعات تتعلق بالنشاط الاجتماعي كالارتباط بمواعيد خارج المنزل واختيار الأصدقاء . أما أسباب الصراع في المراهقة المتأخرة فكانت حول موضوعات تتعلق بالمعتقدات وبالاتجاهات .

ومما لا شك فيه أن جزءاً من أسباب الصراع بين الوالدين والطفل خلال المراهقة يكمن في أن الوالدين يمثلان بالنسبة للمراهق مجتمع الكبار وسلطة الكبار ، ونفس هذه السلطة هي التي تمنعه من تنظيم حياته بالطريقة التي يراها مناسبة . الى جانب ما سبق فان المراهقون يشعرون بان البالغين يقللون من قيمة المراهقين . ففى دراسة قام بها هيس وجولدبلات Hess & Goldblatt (١٩٥٧) سئل المراهقون أن يرتبوا « المراهقين من وجهة نظر الكبار » . وكانت توقعات المراهقين أن يصفهم الكبار على أنهم : مندفعون ، متبرمون ، متقلبون ، فاسدون ، طائشون ، غير قادرين على تحمل المسئولية ، متطرفون ، ومن الطريف أن الكبار قد وصفوا المراهقين بنفس الصفات . وقد نقول أن المراهق عندما يعمل لا شعورياً على الحياة بالطريقة التي يتصور أن الكبار يتوقعونها منه انما يضر بنفسه الى حد كبير .

ان أهم ما تتميز به المراهقة هو ذلك التقلب بين الأعتماد على الكبار والاعتماد على النفس . فأحياناً ينشد الصلة الوثيقة بوالديه . وفي بعض الأحيان يسئ الوالدان فهم حاجة المراهق الى الاستقلال فيحرمونه من حبهم . وقد لا يتخلى الطفل كلية عن حاجته لتقبل الوالدين له « تأمينهما له ـ مما يقوي من الرباط الوجداني الهام الذي يربطه بهما .

وينتقل الارتباط الوجداني بالاسرة ومشاركته في شئونها الى جماعة الرفاق بالتدريج ويحل الأمتثال لمطالب جماعة الرفاق محل الأمتثال لمطالب الوالدين .

دوافع المراهق وحاجاتـه

ان أسباب السلوك الانساني ترجع الى مجموعتين من العوامل تتعلق الأولى ببنائه البيولوجي ، والأخرى بما يتعلمه أثناء عملية التنشئة الاجتماعية في ظل ثقافة معينة ، فالطفل حديث الولادة لديه مجموعة محددة من الاستجابات ذات أساس فطري تظهر في صورة توترات فسيولوجيه تنمو وتتطور بمرور الوقت . فعندما يكون جائعاً أو شاعراً بالبرودة أو متألماً فانه يستيقظ ويصبح قلقاً وربما

يصرخ . وعندما يكون في حالة ارتياح جسمى وتحققت مطالبه نام أو ظل هادئاً .

وكلما نمى الطفل أتسمت الجهود التي يبذلها لاشباع حاجاته بالدقة والاقتصاد والكفاية . كما تنمو الحاجات الاجتماعية مما يتعلمه أثناء التفاعل المستمر مع بيئته المادية والاجتماعية يوماً بعد يوم ، حتى اذا ما وصل الى مرحلة الرشد أو نهاية المراهقة أصبحت هذه الدوافع غاية في التعقيد .

دوافـع المراهقـين :

تبين الدراسات العديدة أن رغبات المراهقين تعكس دوافعهم . فعندما سئل المراهقون أن يسجلوا رغباتهم الرئيسية مع الاشارة الى رغباتهم ـ تلك الرغبات التي يعارضوها أو يعتقدون أن الآخرين يعارضونها ، تبين أن هناك فروقاً في الجنس والعمر تشير الى أنه كلما تقدم الفرد في العمر تناقصت الرغبة في الامتلاك والمغامرة وازدادت الرغبة في النجاح والاتجاه نحو الآخرين .

وفي دراسة أخرى أجريت على طلاب المدارس الثانوية استخدم فيها ملاحظة السلوك الخارجي والظاهر لهؤلاء الطلاب ـ تبين أنه يمكن تصنيف أهدافهم الى :

أ ـ أهداف بعيدة .
ب ـ أهداف قريبة .

وتبين القائمة التالية أهداف المراهقين طبقاً لتكرار حدوثها :

الهـــدف	العـــدد بنين	بنات	المجموع الكلى
١ - الالتحاق بمهنة معينة	٢٦	٤٤	٧٠
٢ - الزواج	٨	٢٩	٣٧
٣ - المشاركة في النشاط المدرسي	١٨	١٤	٣٢
٤ - الاستقلال الاقتصادي	١٤	٨	٢٢
٥ - الالتحاق بوظيفة مع عدم وجود فكرة	١٥	٦	٢١
٦ - الحصول على مكانة مرموقة	١٣	٣	١٦
٧ - الحصول على التقدير نتيجة للانجاز	٩	٣	١٢
٨ - الحصول على احترام كقائد	٩	٣	١٢
٩ - تحسين الوضع الاجتماعي الحالي عن طريق تقبله للوضع الاجتماعي للجماعة	٤	٦	١٠
١٠ - الالتحاق بالكلية من أجل الوصول الى التقدير الاجتماعي	٢	٧	٩
١١ - التفكير في طريقة لقضاء وقت الفراغ	٧	١	٨
١٢ - الحصول على تأمين اقتصادي مالى	٣	٤	٧
١٣ - تحسين الظروف العائلية	٣	٣	٦
١٤ - الانسجام الاسري	٦	صفر	٦
١٥ - الالتحاق بالكلية لتحقيق التوافق الاسري	١	٣	٤
١٦ - تحسين الحالة الجسمية أو البدنية	٤	صفر	٤
١٧ - الحصول على استقلال اقتصادي حتى سن الزواج	صفر	٢	٢
١٨ - اختبار أفضل الأصدقاء من نفس الجنس	صفر	٢	٢
١٩ - اختيار أفضل الصديقات من الجنس الآخر	صفر	٢	٢
	١٤٤	١٤٣	٢٨٧

ويلاحظ من هذه القائمة أن غالبية الأهداف تتعلق بنواحي اقتصادية ومهنية وعلاقات أسرية واجتماعية . أما فيما يتعلق بأهداف معينة مثل الجنس والدين فلم يتعرض لها الملاحظون بصورة قاطعة لأنه يبدو أن معلوماتهم عنها لم تكن كافية .

الحاجات التي تميز المراهقين :

هناك مجموعة من الحاجات التي تعد أكثر أهمية في فترة المراهقة والتي تعد دوافع هامة للسلوك مثل الحاجة للمكانة الاجتماعية والبحث عن الأهداف المهنية والمادية ، والرغبة في الاستقلال الشخصي . والدوافع التي تنشأ من الحاجات البيولوجية . والدافع أو الحاجة انما هو وجود نفسي معقد ، فأي مظهر من مظاهر السلوك لا يتحدد عن طريق دافع فردي ولكن عن طريق موقف دافعي كلى تتفاعل فيه عوامل الشخص مع عوامل الموقف بصورة معينة تبعث سلوكاً معيناً من شأنه أن يحقق الهدف .

وتعزز بعض الدوافع بعضها البعض وتدعمه ، وقد تتعارض وتتصارع بعضها مع البعض الآخر ، وأن ما يشكل دافعاً هاماً بالنسبة لفرد معين قد لا يكون ذا أهمية بالنسبة لشخص آخر واذا وضعنا في الاعتبار ما سبق ـ فان عملية تصنيف الحاجات الضرورية للمراهقين بوضعها في قوائم سوف يقدم لنا اطارا نعالج من خلاله عملية التكيف عند المراهقين كما يمثل مصدراً لمعرفة الدوافع الخاصة بأفراد معينين .

الحاجات النفسـية :

الحاجة الى التقدير والتقبل والمكانة الاجتماعية :

قد لا تكون هناك حاجة نفسية يمكن أن تؤدي الى الانحراف مثل التقبل الاجتماعي ، فالذين يوضعون في المكان الملائم ، ويرتادون الاماكن المناسبة لهم ، وتبرز اسماؤهم في صفحة الاجتماعيات وينالون الابتسامة والاستحسان من الآباء والمدرسين انما يتحقق لهم الاحترام والرضا عن مكانتهم . وتمثل الحاجة للتقدير

والتقبل الحاجة السائدة المتمثلة في وضع الفرد وشعوره بالانتماء الى أسرته والى وضعه الاجتماعي المرغوب فيه . ومثل هذا الشعور الذي يبعث على الأمن يتوقف على وجود علاقات حب وحنان وثقة واحترام متبادل ، وتحرر من التهديد والكبت . وينشأ الاضطراب العاطفي والاجتماعي نتيجة لانعدام التقدير ، كما أن سوء التكيف الاجتماعي لدى الفرد يرجع الى افتقاره الى الأمن النفسي في الطفولة .

والحاجة الى التقدير والتقبل الاجتماعي تمثل مظهراً عاماً بين المراهقين كما تصبح الحاجة للتقدير واضحة بين الجنسين وبعضهما ، وبينهما وبين الراشدين .

وتفسر الحاجة الى المكانة الاجتماعية كثيراً من نشاط الأفراد في الجمعيات والنقابات كما تفسر بعض أعمال البطولة والنشاط العدواني . بل أن بعض الأشخاص قد يتخذون من الاجرام والعدوان على المجتمع وسائل لإرضاء حاجتهم الى التقدير والاهمية .

وتشير بعض الدراسات المصرية أن تلاميذ المدارس الاعدادية يولون النجاح في النواحي البدنية والألعاب الخشنة الأهمية الأولى من الاعتبار عند اختيارهم للاصدقاء والأقران ، ثم يتطور هذا الأهتمام في المدرسة الثانوية الى أن يصبح النجاح في المجالات الاجتماعية واتقان المرح والفكاهة وكذلك اناقة المظهر الخارجي أهم الأسس لاختيار الأصدقاء .. ومثل هذه الملاحظات تعين المربي على تفهم وجهات نظر الصغار فيتوجه الى ما ينبغي عمله لمساعدة طفل منزوي أو طفل غير مرغوب فيه من الزملاء والاقران .

واحساس الفرد بتقدير الآخرين له يؤدي الى ارتفاع تقديره لنفسه وبالتالى الى الاحساس بالأمن والطمأنينة النفسية . وعلى العكس عندما يحرم الطفل أو المراهق من التقدير في المنزل أو المدرسة فربما يغريه ذلك بالالتجاء الى الجماعات المنحرفة والى أنواع النشاط التخريبي أو العدواني لاشباع حاجته الى التقدير عن طريقها .. أما الاسراف في التقدير فله خطره أيضاً حيث يؤدي بالفرد الى الغرور والى تكوينه صورة غير صادقة عن نفسه . وقد يصاب بخيبة أمل شديدة عندما ينكشف له ما في هذه الصورة من تمويه وتزييف .

الحاجة للنجاح والانجـاز :

الفرد في كل فترة عمرية بحاجة الى أن يحقق لنفسه قدراً معقولاً من النجاح والانجاز وتحقيق الذات في مجالات الحياة المختلفة ويمكن أن نقدر قيمة الانجاز والتحقيق في حياة الفرد اذا تصورنا حالة الشخص الفاشل لاسيما اذا كان فشله في أكثر من جانب من جوانب حياته . فلو تصورنا شخصاً فشل في الدراسة وفشل أيضاً في احراز تقدم في عمله وفشل في جمع المال وفشل في الحب والزواج الى غير ذلك من الميادين ـ فليس من الصعب أن ندرك مدى ما يمكن أن يصل اليه هذا الشخص من سوء مآل ، واختلال تام لاتزانه النفسي وقد يؤدي به الى المرض النفسي أو ما هو أسوأ من المرض .

لذا ينصحنا رجال الصحة النفسية بأن نحاول مع بدايات الحياة أن نؤكد لدى الطفل مشاعر النجاح والقدرة والثقة بالنفس وأن نجنبه قدر الامكان شتى الظروف والمواقف التي لا تتناسب مع قدراته وامكانياته .

ولذلك قامت الدراسات المتخصصة في التوجيه التربوي التي تستهدف توجيه كل طالب الى الدراسات الثانوية الأكاديمية أو الفنية التي تتناسب مع قدراته العقلية واستعداداته وميوله حتى يقدر له النجاح والانجاز والتقدم في العمل. ويمكن الاستفادة من فنيات التوجيه المهني في ارشاد الفرد الى نوع الحرفة أو المهنة التي يمكن أن يحقق فيها نجاحاً وانجازاً أكثر مما يستطيع أن يحققه لو التحق بحرف أو مهن أخرى وبذلك نجنبه احساسات الفشل وفقد الثقة بالنفس نتيجة الاشتغال بعمل لا تهيؤه له استعداداته وامكانياته ، كما أن وضع الفرد المناسب في المكان المناسب يحقق فوائد جمة للفرد والمجتمع .

الحاجة للمغامرة وكسب خبرات جديدة :

يسعى الفرد على مدى الحياة الى كسب خبرات جديدة وفي سبيل ذلك يقدم على أنواع شتى من المخاطرة والمغامرة البدنية والذهنية والاجتماعية . ونحن لا نتقن مهارة ما أو أن نكتسب خبرة جديدة دون أن نقبل في سبيل ذلك على نوع

من المخاطرة أو المحاولة والخطأ ـ وهكذا نتعلم ركوب الخيل وركوب الدراجة وقيادة السيارة ولعب التنس وغيرها واقامة الصداقات والعلاقات الاجتماعية ومحاولة التفكير في مشكلة علمية ، ولو لا الاقدام والتجربة لا يتاح لنا أن نصل الى مستويات أعلى من المهارة والمعرفة ·

وكل مغامرة ـ رغم ما يحيط بها من مخاطر واجتهادات وتجارب تؤدي في النهاية الى تعميق الاحساس بالأمن ـ والى اكتساب مهارة أو خبرة جديدة تفيد في تحقيق الحاجة للنمو والتقدم نحو الأفضل والأكمل · والحاجة الى المغامرة والبحث عن الجديد تقف وراء الاكتشافات العلمية والتطور التكنولوجي والتقدم الأنساني بوجه عام ·

الحاجة الى تفسير خبرات الحياة والربط بينها :

يرتبط بالحاجة الى اكتساب المهارة والمعرفة الحاجة الى الاستبصار بما يمر على الانسان من خبرات متغيرة والى البحث عن قواعد وقوانين عامة تفسر هذه الخبرات وتربطها وتوضح للانسان علاقته بالظواهر المحيطة به · فالانسان يسعى دائماً الى الوضوح والفهم ويفكر في كل شئ يرتبط بحياته باحثاً عن علله وأسبابه · فنجد المراهق يتساءل في أمور الدين والفلسفة وينزع عادة الى البحث بنفسه عن تفسير لدنياه وعلاقته بها · وتشتد هذه النزعة عند بعض الأشخاص فيكون من بينهم في المستقبل العلماء والفلاسفة والكتاب والبحاث في الفروع المختلفة للمعرفة ·

وهذه الحاجة « التي يصح أن نطلق عليها الحاجة الى التجريد » تميز الانسان عن سائر الحيوان · وهي أحد الجذور الأصلية للاتجاهات الدينية والفلسفية والفنية والعلمية أو بعبارة أخرى للثقافة التي تميز مجتمعنا الأنساني ·

الحـاجة للانتمـاء :

الانسان كائن اجتماعي ، وهو في سائر أطوار حياته بحاجة الى أن ينتمي دائماً الى جماعة أو أكثر يشعر معها بالتجانس والتوحد ويلتمس فيها التقبل

والتقدير والاعتبار وهذه الحاجة تشبع في مبدأ الأمر عن طريق الأسرة (التي تستمر حاجة الفرد اليها مدى العمر) ثم يحتاج الفرد باطراد نموه الى توسيع دائرة علاقاته الاجتماعية لتشمل رفاق اللعب والجيرة . وشلة الاصدقاء وجماعة الفصل الدراسي ، وجماعة العمل والنادي والنقابة الخ .. كذلك يبدي الفرد الولاء لمهنته وديانته وجنسه ووطنه .

وللدافع الى الانتماء من القوة ما جعل بعض علماء النفس يطلق عليه الجوع الاجتماعي اشارة الى اننا لا نستطيع أن نستغنى عن الانتماء الى جماعة أو أكثر من الناس ولا نستطيع أن نتحمل طويلاً الوحدة والانعزال .

ان هذا الجوع الاجتماعي قد أمكن استغلاله في اصلاح وتهذيب السلوك المنحرف وذلك بالحاق الأشخاص المنحرفين والجانحين بجماعة صحية تبدي نحوهم التقبل والحب ، فإن حرص الفرد على السند الوجداني الذي يجده في الانتماء ، يدفعه الى محاولة كسب المزيد من قبول الجماعة وتقديرها والى المحاولات المستمرة لتهذيب أنانيته والتخلي عن نزواته الشخصية وتعديل قيمه وأهدافه لتتلائم مع قيم الجماعة وأهدافها . هذه العملية ـ التي هي في الواقع عملية تطبيع اجتماعي ، تعتمد عليها النوادي والمدارس ومؤسسات الأحداث وما اليها في تصحيح الاتجاهات العدوانية والمنحرفة ، وفي اضفاء طابع الجماعة الخاص على أعضائها وربطهم معاً برباط الأهداف المشتركة والقيم الواحدة .

والحاجة للانتماء هي بذاتها التي تدفع بعض الأفراد الى الانتماء الى العصابات أو الجماعات الهدامه المنحرفة اذا لم يتوافر لهم الاسرة الصحية والجماعات السوية الأخرى ذلك أن الأنتماء لابد منه لتوفير السند الوجداني ولاشباع كثير من الحاجات النفسية الأخرى .

الحاجة الى الاستقلال :

لا يعني القول بأن الانسان اجتماعي بطبعه أنه لا يتمتع بفرديته . فالفرد يحتاج لقدر من الحرية ـ حرية العمل وحرية اتخاذ القرارات وحرية الحركة

وحرية المبدأ وحرية الارادة وهذه الحاجة تبدو واضحة لدى الأطفال والمراهقين والراشدين . فهي تمثل بين المراهقين واحداً من الدوافع الهامة . ويتأتى الصراع في مرحلة المراهقة نتيجة رفض الآباء أن يعاملوا المراهقين كراشدين واشباع حاجتهم للاستقلال ونتيجة فشل المجتمع أيضاً في توفير مكانة للشباب بين الراشدين في ميدان الحياة الاقتصادية .

ويشعر كثير من الأطفال بالفخر عند وصولهم الى السن التي يمكنهم فيها التمتع بدرجة متزايدة من الاستقلال عن الوالدين وعن الكبار .

الحاجة الى المسئولية آزاء الآخرين :

ان العلاقات الاجتماعية كطرق المرور ذات الاتجاهين « الذهاب والاياب » ولذلك فان الجمعيات والنوادي الناجحة هي تلك التي يضطلع فيها كل عضو بمهمة واضحة ومحددة من المهام المخصصة في الجماعة كأن يسهم في نشاط لجنة الرحلات أو في اعداد الحفلات أو في ترتيب المحاضرات والمناظرات أو في استقبال الأعضاء الجدد وغير ذلك.. فهذه المسئولية من قبل الجماعة تزيد من احساس الفرد بالانتماء الى الجماعة كما تزيد من احساسه بقيمته واهميته للجماعة . أما الجمعيات والجماعات التي تنحصر المسئولية فيها بين نفر قليل دون سائر الأعضاء فانها سرعان ما يصيبها الانحلال والتفكك لأنها لا تتجاوب مع الحاجة النفسية لأفرادها ؛ إلى الاحساس بالمسئولية والرغبة في خدمة الآخرين .

والطفل السعيد الحظ هو الطفل الذي يتاح له منذ الصغر أن يسهم في شئون البيت وفي المسئوليات الأسرية بحسب ما تسمح به سنه (مثل الاشتراك في تنسيق البيت والترحيب بالضيوف واعداد المائدة ، واشراف كل طفل في الاسرة على بعض شئونه وممتلكاته الخاصة واشراك كبار الأبناء في مناقشة المشكلات والمسئوليات الأسرية المختلفة) وذلك كله يزيد من احساس الطفل بالانتماء الى اسرته والولاء لها ، ويدربه كذلك على تحمل المسئولية وعلى ولائه للمجموعات الخارجية .

وقد لوحظ أن الأطفال الذين يشاركون في المسئوليات الاسرية في صغرهم يسهل عليهم أكثر من غيرهم ـ مواجهة الخطر والمواقف المشكلة الصعبة في مستقبل حياتهم . كما لوحظ في الدراسات التي أجريت على الجيش في عدد من البلاد أن الروح المعنوية ترتفع بين الجنود الذين تميزت طفولتهم باشباع حاجتهم الى المسئولية والتقدير والأمن . كذلك اتضح من نتائج تجارب عديدة أن كثيراً من الأحداث المنحرفين والمرضى النفسيين قد أنصلح شأنهم واستوت نظرتهم الى الحياة والى أنفسهم عندما عهد اليهم بالقيام بأعمال تتسم بالمسئولية نحو الآخرين أو بخدمة الآخرين .

الحاجـة الى الأمـن :

يتحقق الأمن النفسي للطفل اذا اتيح له جو الأسرة الحاني العطوف واذا وجد التقدير والقبول في المجال الاجتماعي واذا تحقق له أن ينجح ويتقدم وينمو في المعرفة والمهارة ـ وباختصار اذا تحقق له الارضاء والاشباع المناسب لحاجاته النفسية المنوعة . كذلك يتطلب تحقيق أمن الطفل والبالغ أيضاً ـ أن يشعر بأن الظروف المحيطة به ظروف مستقرة وثابته الى حد ما لا تتهددها المفاجآت غير المتوقعة والتبدلات الكثيرة ، وأن يشعر أيضاً بأن هناك قوانين أو مباديء عامة يمكن أن يركن اليها الفرد وان يستعين بها في تيسير دفة حياته وفي تفسير سلوك الآخرين والتنبؤ بما يمكن أن يصدر عنهم من تصرفات .

وهذا يعني أن احساس الطفل بالأمن يتطلب فيما يتطلب ـ وجود سياسة ثابتة وموحدة من الوالدين في معاملة الطفل ، وعدم وجود تفرقة أو تمييز بين الأخوة،ووفاء الوالدين بما يعدون به أو يهددون به من وعد أو وعيد ، ومناقشة الطفل لايضاح ما يبدو منه من أخطاء ، وعموما أن تتجه أساليب معاملة الوالدين الى هدف مساعدة الطفل على تكوين أحكام ثابتة والتوصل الى قواعد ومبادئ يستطيع أن يهتدي بها في سلوكه وتصرفاته .

اما أن يعامل الطفل معاملة صارمة مع الأب ثم يعامل من الأم معاملة فيها لين وهوادة ، أو أن يثاب الطفل مرة لعمل ما ويعاقب عليه في مرة أخرى ، أو أن

يشعر الطفل أحياناً بالقسوة المعنوية دون أن يفهم المبرر لها ، الى غير ذلك من اختلالات المعاملة الوالدية ـ فان النتيجة الحتمية لذلك أن يتزعزع تقدير الطفل للأمور وتختل أحكامه المعرفية والاخلاقية والاجتماعية .

فاذا تحدثنا عن المراهقة والشباب فان الأمن النفسي في هاتين المرحلتين يرتبط بصفة خاصة بتأمين الشباب والمراهقين بآزاء أمرين هامين ـ أولهما المستقبل الدراسي والمهني ، والثاني العلاقة بالجنس الآخر وانشاء اسرة المستقبل . ولقد أفردت كثير من المدارس والمؤسسات في الخارج لهذين الموضوعين (اللذان يحتلان جل اهتمام المراهق) دروساً وندوات وبرامج خاصة ، تهدف الى توضيح الفرص والامكانيات القائمة في البيئة المحلية من حيث أنواع المهن والحرف والدراسات العليا ومتطلبات كل منها وكذلك الى تنور المراهقين حول موضوع الحياة في الأسرة ومتطلبات الزواج والثقافة الجنسية الأساسية . ولعل حاجتنا الى ادخال هذه البرامج التوجيهية في مدارسنا ومؤسساتنا الاجتماعية بالصورة التي تتفق بطبيعة الحال مع تقاليدنا واطارنا الاجتماعي والثقافي تعد من الحاجات الملحة .

وفي بحث أجراه المعهد القومي للبحوث الأجتماعية والجنائية عام ١٩٦٧ على عينة من ١٦٢٢٢ طالبا (يمثلون ١٠٪ من مجموع طلاب المدارس الثانوية بأنواعها المختلفة في المحافظات المختلفة في الجمهورية) . شكا ٥٩٪ من الطلاب الى الافتقار الى برامج للثقافة الجنسية ، كما شكا ٤٨٪ منهم من عدم السماح بمناقشة الأمور الجنسية مع الوالدين وشكا ٤١٪ من التخوف من عدم الألتحاق بالدراسة المرغوبة في المستقبل وشكا ٤٠٪ من عدم وجود من يتحدث اليه الطالب في مشكلاته .

ولم تكن هذه سوى بعض من مشكلات عديدة يعاني منها الطلاب ، ويشير معظمها الى الحاجة الماسة الى البرامج التوجيهية فيما يتصل بتأمين شبابنا ومراهقينا آزاء المستقبل الدراسي والمهني من جهة وآزاء موضوع الزواج وانشاء اسرة المستقبل من جهة أخرى .

أما فيما يتعلق بالأمن النفسي لأفراد المجتمع بوجه عام فلا شك أن يتوقف

في الجانب الأكبر منه على ما يهيؤه هذا المجتمع لأفراده من ضمانات اقتصادية واجتماعية (كالتأمين ضد المرض والعجز والشيخوخة والبطالة وما اليها) وعلى مدى الحرية والتيسيرات التي تتاح لأفراد المجتمع في التعبير عن أنفسهم وممارسة حقوقهم واستخدام الايجابي منها لطاقاتهم وامكانياتهم . ويرتبط الأمن النفسي لأفراد المجتمع أيضاً بمدى توافر الأندية والمؤسسات الخاصة التي تعنى بمواجهة حاجات الأفراد في كل عمر من أطفال وفتية ومراهقين وشبان وعجائز . كذلك توفر المجتمعات المتقدمة أنواع الخدمة النفسية المتعددة لمن يحتاجها عن طريق عيادات الإرشاد النفسي وأجهزة التوجيه التعليمي والتوجيه المهني والتوجيه الأسري والوسائل المختلفة لنشر الثقافة النفسية . وتستهدف تلك المجتمعات من خلال تلك الأجهزة دعم الأمن النفسي لكافة أفراد المجتمع بتحقيق مستويات أعلى للصحة النفسية .

الدوافع المهنية :

ان تحقيق الاستقلال يعتمد بدرجة كبيرة على أن يصبح المراهق قادراً على الأعتماد على نفسه اقتصادياً ، لذلك تأخذ الميول المهنية في التبلور والظهور في أواخر الطفولة وبداية المراهقة وتمر هذه الميول في تكوينها بثلاث مراحل :

أ ـ مرحلة الخيال الجامح .

ب ـ مرحلة الاستكشاف .

جـ ـ مرحلة التجربة واتخاذ القرار .

وتظهر الأهداف المهنية في سن مبكرة وتتحكم في تفكير الفرد وعمله ـ وتشغل الانجازات المهنية والاقتصادية قدراً كبيراً من تفكير المراهقين وطلاب الجامعات . وتبدو أهمية الدوافع المهنية من نوع الاستجابات الناتجة عن الفشل في تحقيقها ؛ فالطالب في سلاح الطيران يحلم باليوم الذي يصبح فيه قائداً لطائرة ويكون الحرمان من الطيران كارثة بالنسبة له موجهة لشخصه،والطالب الذي قرر أن يكون محامياً ، فان عدم قدرته على الالتحاق بكلية الحقوق يشكل ضربة قاضية لآماله وأحلامه .

والدوافع المهنية أكثر تعقيداً ـ فقد تتضمن الرغبة المطلقة في السيطرة أو

التفوق كما في حالة الأخصائي في الرياضيات الذي يجد متعة في حل مسائل معقدة لما يناله من اثارة نتيجة لقيامه بهذا العمل . وقد يختار الفرد مهنة معينة لأنها تعود عليه بفوائد مادية ـ حيث تتركز دوافعه على الأستحواذ على الممتلكات المادية . ان الأهداف المهنية قد تدفع الأفراد الى حب نوع معين من النشاط لأسباب مختلفة . فأحد الأفراد يحب مهنة معينة للنفوذ الاجتماعي والشهرة المرتبطة بها ، وآخر يحبها لما يحصل عليها من دخل مميز ، وثالث يحبها لما تتيحه له من علاقات اجتماعية طيبة الخ ان أكثر مشكلات المراهقين والراشدين ترجع الى عدم قدرتهم على اكتشاف أهداف مهنية ملائمة لهم من وقت مبكر حتى يتسنى لهم الأعداد السليم لها بما يحقق هذه الأهداف .

المبـادئ والمثـل :

كثيراً ما يتحكم في أساليب السلوك الشخصي مبدأ « الصواب والخطأ » فالشخص الذي يتجه نحو الخير يشعر بالرضا عن نفسه ، بينما يتعرض الفرد الذي ينحرف عن كل ما يمليه عليه ضميره لعقاب الضمير والشعور بالذنب .

ويتشرب الفرد المعايير والمستويات الثقافية تدريجياً ، ويعمل الفرد من جهته على التكيف لحاجات مجتمعه . ويأتي وقت تصبح الحاجة للتكيف مع حاجات المجتمع حاجة شخصية ويصبح نمط السلوك السائد في المنزل والجماعة جزءاً من المثل والمعايير الخاصة بالفرد لدرجة أن هذه المثل وتلك المعايير ترتبط لديه برباط وجداني مثل : المعايير الخلقية كالأمانة والاخلاص للجماعة واحترام مثل الجماعة والفضيلة ، والحياة المثالية والقيم الدينية والاعجاب أو الكراهية أو العطف على جماعات معينة . وتسهم هذه القيم التي لا يمكن حصرها بسهولة في تكوين الاتجاهات التي تشكل في الغالب نظاماً قيمياً يلعب دوراً هاماً وواضحاً في التكوين الدافعي للفرد . أما في فترة المراهقة ـ فان الوسائل وأساليب السلوك والاتجاهات البسيطة التي تعود عليها خلال مرحلة الطفولة قد لا تكون ملائمة للتوافق مع الجماعة الجديدة التي يسعى المراهق للانتماء اليها . وغالباً ما يواجه تناقضات ثقافية ومشاكل خاصة متمثلة في عملية اعادة التوافق مع المثل وأساليب السلوك الجديدة .

الحاجة للفهم وبلوغ الكمال :

ان الانسان مخلوق ذكي ويتمتع بمجموعة من الحاجات النفسية التي يعمل دائماً على اشباعها . كما أنه قادر على التفكير المجرد ، والبحث فيما وراء الحقائق ويسعى لأن يتعلم أشياء جديدة . ان لديه حاجة للفهم وبلوغ الكمال والتخطيط للأهداف . وهذه الحاجات تميز مرحلة المراهقة دون غيرها من المراحل التي تسبقها . فهناك درجة معينة من النضج العقلى تسمح بالتساؤل الجاد والتصور الواسع لأشياء سبق أن مرت بخبرته .

الحاجات البيولوجية :

هناك حاجات تنبع من الطبيعة البيولوجية للكائن الحي مثل الحاجة للاكسيجين والماء والطعام والاخراج والجنس والراحة والتهوية والتحرر من الأحوال المتطرفة كالحرارة والبرودة والمثيرات الأخرى المؤلمة ، هذه الحاجات تكون واضحة جلية في المراحل الأولى من العمر ـ وتميل لان تكون مستمرة تحت مظهر من العادات الثقافية ، وتخف اثرها كدوافع للسلوك بعد أن يتم اشباعها . وذلك مع التقدم في العمر .

وتمثل الحاجة الجنسية قوة دافعية قوية لفترة محدودة . وتمر هذه الحاجة في نموها بعدة مراحل أهمها مرحلة الكمون الجنسي في نهاية المرحلة الابتدائية التي تمثل فترة استعداد داخلي للنضج الجنسي الذي سيظهر بوضوح في مرحلة المراهقة . ويرى البعض أن للجنس أهمية كبيرة لدى المراهقين ويظهر لديهم في صورة رغبة في وجود رفيقة حياة والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية المختلفة كالحفلات والسباق والرياضة وغيرها ، وعلى الرغم من أن المجتمع العربي لا يحبذ ولا يسمح بالاشباع الجنسي خارج حدود الزواج الا أن هناك أساليب منحرفة تتراوح ما بين الاشباع المباشر عن طريق ممارسة الاشباع الجنسي الذاتي أو الجماع غير المشروع أو بالاشباع الجزئي عن طريق العناق والتقبيل والاتصالات الجسمية بالآخرين . وتمثل الأمور الجنسية الجزء الأكبر من أحلام اليقظة اليومية لدى المراهقين ، ورغم أن الجنس لا يشكل الدافع الرئيسي في الحياة الا أنه

كغيره من الدوافع الأخرى ما لم يتم اشباعه فانه يشكل ضغطا على السلوك العام للانسان .

العادات :

ان هناك امكانيات ذاتية لا حصر لها ذات طبيعة فردية تتفاوت من فرد لآخر ومنها عادات الفرد في التفكير والاحساس والعمل . فالكائن الحي من الناحية البيولوجية يتميز بتكوين يساعده على المحافظة على بيئته الداخلية دون تغير جذري . فدرجة حرارة الجسم على سبيل المثال منتظمة بطريقة تدل على العناية الفائقة لدرجة أن أي انحراف بسيط عن الدرجة المثلى يعد كاف كدليل على وجود علة أو اضطراب . ومن الناحية النفسية فإن هناك اتجاه لدى الأفراد نحو المحافظة على البيئة الخارجية ثابتة ونمط ثابت للسلوك فهم يميلون الى الاحتفاظ بطرقهم الخاصة في الحياة ليقوموا بعمل الاشياء التي تعودوا عليها وليبحثوا عن نوع الاصدقاء الذي يفضلونه في أي مكان جديد ، حيث تميل العادة أو مجموعة العادات الخاصة بالفرد الى تدعيم قوتها الدافعية .

الدوافع اللاشعورية :

لا يعي الفرد في كثير من الأحيان أن بعضا من سلوكه ينتج مباشرة من الكبت الذي يمارسه والذي سبق أن مارسه لقمع الرغبات المحرمة أو التي عجز عن تحقيقها لأي سبب من الأسباب . فدوافع السلوك أما أن تكون شعورية أي يكون الفرد على وعي بها أو لا شعورية بمعنى أن الشخص لا يدرك الأسباب ألتي من أجلها يفعل ما يفعله ؛ أي لا يدرك الدوافع التي تؤثر في حياته . وقد تكون الدوافع الظاهرية ناتجة عن دوافع داخلية لا شعورية فالخوف وعدم الاستقرار في الشيخوخة ربما يكون ناتجا عن مشاعر القلق وعدم الاستقرار في الطفولة ، وقد يكون الدافع للسيطرة أو التفوق الدراسي نتيجة لمشاعر النقص الملحوظ المرتبط بالمواقف الاجتماعية .

كما أن الحرمان من الحنان في الطفولة قد يؤثر على اختيار الفرد لاصدقائه

وعلى علاقاته بهم وقد يؤدي العدوان المكبوت تجاه الاب الى عدوان موجه نحو الكبار من الذكور عامة . كما يرتبط القلق والمخاوف سواء كانت خاصة أو عامة بقوة دافعية كبيرة تنشأ عن بعض الخبرات غير السارة المكبوتة . فالتعبير عن الجنس أو مجرد الاشارة اليه من ناحية الطفل كثيرا ما يكون مصدر عقاب من الوالدين مما يضطر الطفل الى كبت هذه الرغبات وكل ما يرتبط بها الى الدرجة التي يظهر عندها الشعور بالذنب ونتيجة لذلك تصبح هذه الخلفية مصدرا للقلق والاضطراب لدى كثير من الأفراد .

القـــيم :

تتضمن الثقافة التي يعمل الوالدان كوسيط في نقلها للاطفال مجموعة من القيم كثير منها واضح ، ونادرا ما يعبر الكبار عنها لفظيا . فهي تنتقل الى الصغار بطرق خفية وعامة . ويهتم الآباء عادة ببعض القيم التي تتضمنها الثقافة دون غيرها مثل : الفردية مقابل التوحد مع الآخرين والطاعة مقابل الاستقلال . ومهما كانت القيم التي ينقلها الكبار فعلى الصغار قبولها دون تساؤل ، أما في المراهقة التي يبحث الفرد فيها عن التوحد ـ فان الشخص يعمل على أن يكون لنفسه نظاما شخصيا من القيم . ويذكر دوفان وادلسون Douvan & Adelson (١٩٦٦) ان المراهقة تعد فترة حاسمة بالنسبة للبناء الخلقي للشخص . ففيها يعمل المراهق على تحقيق أمرين جوهريين :

الأول : أن يدعم قدرته على ضبط نفسه وأن يتجه نحو اكتساب قيم جديدة . وأن يتعلم أن يواجه وأن يعيش في ظل دوافع قوية وأن يحدث توازنا بين رغباته وبين كبح جماح هذه الرغبات .

الثاني : على المراهق أن يبني لنفسه فلسفة خلقية ـ أي يتبنى نظاما من القيم والسلوك الخلقي يكون موجها لسلوكه وتقييماته طبقا للظروف المحيطه به

وهناك عدة أسباب تدعو المراهق لان يكتسب اطارا من القيم الشخصية الملائمة :

فتزايد استقلال المراهق عن الوالدين يجعله أقل تقبلا لقيمهم التي فرضت عليه ، كما لم تعد الاسباب والتفسيرات التي كانت كافية لاقناعه سابقا مقنعة له الآن وكثيرا ما يكتشف المراهق أن والديه لا يقولان دائما الحقيقة وتؤدي الاتجاهات المثالية للمراهق أن ينظر بامتعاض وتألم إلى أولئك الأفراد الذين يحكم سلوكهم النفعية وليست المبادىء ؛ كما يتخلى عن تمجيد أبطاله السابقين ويبدأ في السخرية منهم بصورة أو بأخرى ، كما أن ملاحظاته الدقيقة للبالغين (آباء ومدرسين وقادة المجتمع) تكشف عن تصدع لم يكن يراه قبل ذلك . وربما يرجع جزء من السعادة التي تعترى المراهق في بعض الأحيان اكتشافه أن الناس الذين يجلهم ليسوا معصومين من الخطأ بل أن لهم خطايا وأن الآباء مثلهم مثل المراهقين ليسوا معصومين من الخطأ ، هذه الفكرة تؤدي الى نوع من التوازن فيما يحيط به من حقائق ، منها أن الوصول الى نفس مكانة الآباء ليس أمرا صعب المنال ، وأن المسافة التي تفصله عن البالغين لم تعد واسعة . ولسوء الحظ أنه كلما كان التناقض كبيرا بين ايمان ومعتقدات البالغين وبين سلوكهم الفعلي كلما أدى ذلك بالمراهق الى نبذ كل معايير الكبار التي يتظاهرون بها . وعندما تزداد الهوة اتساعا بين ما يؤمن به الآباء وبين سلوكهم الفعلي كلما شعر المراهق بأنهم قد خدعوه .

ويتضمن تحقيق المراهق لاستقلاله قدرا معينا من الاحتكاك بينه وبين الوالدين الذي يتركز بعضه حول الاتجاهات والقيم . ولكن هذا لا يعني أن علاقة المراهق بالوالدين مشحونة بالخلافات في هذه الموضوعات . فهناك أمور هامة يجب وضعها في الاعتبار منها :ـ

أولا : اعتماد المراهق لفترة طويلة على الوالدين ، وبالتالي يتأخر البحث عن القيم الشخصية ، فنجد أن طالب الكلية غير مطالب بالاستقلال واعالة نفسه كما كان يفعل الفرد في سن ١٧ منذ ثلاثين عاما .

ثانيا : هناك فروق جنسية هامة بالنسبة للضوابط الداخلية فالتكوين الخلقي يبدأ عند البنات من التقبل الطفلي السلبي لسلطة الوالدين متجها نحو التوحد مع وجهات نظر هذه السلطة ، وان الاتجاه نحو الاختلاف عن الوالدين يبدو أنه

من خصائص المراهقين الذكور وليس الإناث . كما يجبر الأولاد أكثر من البنات على ضبط نزواتهم وخاصة فيما يتعلق بمجال الجنس والعدوان . وكنتيجة لذلك نجد ان التكامل الخلقي يعد من الموضوعات البارزة بالنسبة للاولاد أكثر من البنات ، كما أن الأولاد عادة ماينحرفون عن القواعد والحدود التي يضعها الآباء عن البنات .

وعندما يضعف تأثير هذه القواعد يبدأ المراهق في وضع قواعد وضوابط وموجهات لنفسه .

ومما يساعد على تشكيل إطار القيم والمعتقدات لدى المراهق ازدياد نموه العقلي الذي يتيح له التعامل مع الأمور المجردة مثل الحقيقة والجمال والخلود والعدالة والمساواة . كما تصبح له نظرة فاحصة متأملة ـ فنجده مثلا ينظر الى بعض قواعد السلوك على أنها من صنع الانسان وبالتالي يمكن تغييرها وانها سبق أن تغيرت بالفعل لتتلاءم مع المواقف والازمنة الجديدة . كما أن قدراته العقلية تتيح له أن يفحص أسس المعتقدات والاتجاهات وأن يفحص حالته المتغيرة في علاقته بالكبار .

ومن النادر أن يتبنى مجموعة جديدة تماما من المعتقدات ولكنه يضع لنفسه تصورا عقليا مختلفا للمعتقدات القديمة ، وأحيانا ما يجد نفسه مدفوعا نحو مناقشة قوانين الكبار ثم يتخذ قراره بعد ذلك . وعندما يرفض الكبار تساؤلاته فانهم في الواقع يعوقونه عن الوصول الى التوحد والنضج .

كما تلعب الخبرات التي ازدادت اتساعا في النواحي الاجتماعية والعقلية دورا هاما في فحص مجموعة القيم التي يتبناها ، ويؤدي تعرض المراهق لقيم ومعتقدات مختلفة وأحيانا متعارضة مع تلك التي تعلمها بالمنزل الى اجراء مقارنة وتقييم لها .

كما أن التفاعل والنقاش مع زملائه الذين يختلفون عنه في السلالة أو العقيدة

أو الطبقة الاجتماعية يدفعه الى مزيد من الاستفسار عن أمور لا يجد من الكبار اجابة لها . وقد يجد فيما يقرأ أفكارا جديدة ووجهات نظر جديدة قد تساعد على وضع أسس سليمة ومعقولة لمعتقداته .

القيم الدينية والخلقية :

من أهم القيم التي تفرض على الصغار من قبل الكبار هي العقيدة الدينية ويرى ستانلي هول ١٨٨٢ وتلاميذه أن الاهتداء الديني يعد جانبا هاما في المراهقة ويؤيد هذا الرأي ما قام به من فحص لسجلات المبشرين المتجولين التي كشفت عن كثرة حالات الاهتداء الديني في المراهقة . فالمراهقة فترة تساؤل واهتمام عميقين حول المعتقدات الدينية العديدة ، حيث يشك كثير من المراهقين في الكثير من المعتقدات الدينية (Landis ١٩٦٠ ، Middleton & Putney ١٩٦٢) وبوصول الطفل الى المراهقة يزداد رفضه لشكل العقيدة وفي نفس الوقت يبدأ في الاهتمام بمضمون العقيدة ـ متجها نحو بناء أسلوب من الحياة يتسم بالانسانية والرقة . وحيث أن كثيرا من المعتقدات الدينية النظرية بما تحتويه من أفكار عن الطيب وعن الخبيث تصدم أولئك المتعصبين الذين تنقصهم المعاني الانسانية ، وحيث أن بعض من يترددون على دور العبادة يقومون بذلك لاسباب اجتماعية بينما هم في حقيقتهم متحيزون ضيقو الأفق تسلطيون فان مثالية المراهقين تأبى عليهم ان يندمجوا مع هؤلاء في أداء الشعائر الرسمية للدين .

ومما يدعو الى السخرية حقا أن يقل التردد على دور العبادة بدرجة ملحوظة في الوقت الذي يكون المراهق فيه مشغولا بالبحث عن أجابات شافية لاستفساراته حول الأمور الدينية والفلسفية ، وأن تكون الاستجابة لاسئلتهم تكرارا لما يتردد على أسماعهم دائما حيث لا يجدون فيه الا الجمود النظري الذي يختلف مع الواقع الفعلي . وهذا التناقض يعد ذو أهمية بالنسبة للمراهق .

فعندما يواجه المراهق مشكلة تحديد أي القيم الدينية التي يدخلها في نسيج القيم الخاص به من بين القيم الدينية القائمة في المجتمع ـ نجده ينبذ تلك العناصر الدينية الضيقة ولكنه يدمج في بنائه القيمي تلك العناصر التي تتصف

بالتسامح والانسانية .

ويبدو أن غالبية المراهقين في أيامنا هذه يتطابقون تماما مع السلوك العلني في ثقافتنا هذه أكثر من تطابقهم مع القيم التي تعد أساسية في ثقافتنا ولكنها تتناقض مع السلوك القائم . حيث يلمس المراهقون اختلافا بين ما يطالبهم به الكبار وبين السلوك الفعلي لهؤلاء الكبار . فالمراهقون في أواخر سنوات المراهقة اخذوا القيم التعبيرية بجدية وكشفوا بوضوح عن التناقضات القائمة بين قيم الكبار وبين سلوكهم الفعلي ولذلك كثيرا ما نلاحظ تمرد الطلاب الذين يعتقدون اننا يجب أن نعيش طبقا للقيم الانسانية الموجودة في ثقافتنا .

ويصف روكيش Rokeach (١٩٦٨) التنظيم القيمي على أنه ترتيب هرمي لمجموعة من القيم طبقا لاهميتها . وكل فرد يضع بطريقة شعورية أولا شعورية أولويات بالنسبة لأنواع السلوك والاتجاهات والأهداف ذات الأهمية والمغزى لديه . وقد ميز روكيش بين القيم الغائية Terminal والقيم الوسيلية wstrume فالقيم الغائية تتضمن مثاليات نسعى اليها أما القيم الوسيلية فهي وسائل تحقيق هذه المثاليات . ولمعرفة التغير الذي يحدث عبر الزمن في التنظيم القيمي لصغار الناس طبق اختبار استطلاع القيم Rokeach Value Survey على عدد كبير من طلاب الصفوف ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١١ (الصف الخامس الابتدائي والأول والثالث الاعدادي والثاني الثانوي) عام ١٩٧٤ (حيث طلب من التلاميذ أن يرتبوا قائمتين تتكون الأولى من ١٨ قيمة من القيم الغائية والثانية تتكون من ١٨ قيمة وسيلية وكانت النتائج كما يلي :

وهناك عدة ملاحظات على ترتيب الأفراد لنوعي القيم .

أولا : وجود درجة معقولة من الثبات خلال السنوات التي استخدمت في البحث خاصة بالنسبة للذكور في القيم الأربعة الغائية التي رتبت على أنها السلام - الحرية - تأمين الأسرة - المساواة) ، وكذلك بالنسبة للقيمتين الغائيتين اللتين رتبتا على أنها أقل أهمية وهما « الخلاص من الذنوب » و « الشهرة الاجتماعية » .

أما بالنسبة للقيم الوسيلية فهناك قيمتان رتبتا دائما على أنهما أكثر أهمية

بين جميع أفراد البحث وهما « الأمانة » و « الحب » حيث كان ترتيبهما بين الأول والثاني على التوالي . أما القيمتان الوسيليتان اللتان رتبتا على أنهما أقل أهمية منها هما « المنطق والتأمل » .

أما البنات فقد رتبت « عالم كله سلام » على أنه أكثر أهمية في كل الأعمار بينما « الخلاص من الذنوب » فرتبت كأقل أهمية .

ثانيا - بصرف النظر عن ذلك الثبات في ترتيب القيم فهناك بعض التغيرات الواضحة في بعض القيم .

١ - بالنسبة للاولاد :
كانت هناك سبعة قيم ازدادت أهميتها وثمانية قيم انخفضت أهميتها ابتداء من الصف السابع الى الحادي عشر حيث كانت :

أ) القيم الغائية التي زادت أهميتها هي : الاحساس بالنجاح والانجاز واحترام الذات والحكمة ، أما القيم الوسيلية التي زادت أهميتها فهي : الطموح وسعة الأفق والتفكير والتأمل والمسئولية .

ب) أما القيم التي قلت أهميتها فكانت : عالم يعمه السلام وعالم يعمه الجمال . والصداقة الحقيقية - والمرح ، النظافة ، التسامح ، المساعدة ، الطاعة .

الترتيب التدريجي للقيم (الغائية)

القيم	الصف الخامس		الصف السابع		الصف التاسع		الصف ١١	
	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث
الحياة المريحة	٨	٧	٧	٨	٦	١٠	٧,٥	١٤
الحياة المثيرة	١٢	٨	١٠	١٣	١٢	١٦	١٣	١٥
الاحساس بالنجاح (الانجاز)	١٦	١٥	١٢	١٢	١٣	١٤	١٠	١٠
الحياة في عالم كله سلام	١	١	٢	١	١	١	١	١
الحياة في عالم يتسم بالجمال	٧	٦	١٣	٩	١٤	١٣	١٧	١٣
المساواة	٤	١٠	٥	٤	٤	٣	٣	٢
الطمأنينة الأسرية	٣	٣	١	٢	٣	٤	٤	٧
الحرية	٢	٤	٣	٣	٢	٢	٢	٣
السعادة	٥	٥	٦	٥	٧	٧	٥	٦
الانسجام الذاتي الداخلي	١١	١٣	١٧	١٨	١٦	١١	١١,٥	٩
الحب الناضج	٩	٩	٩	١٦	٩	١٢	٩	١١
الأمن القومي	١٤	١٧,٥	١٥	١٥	١٠	٩	١٥	١٧
السرور	١٥	١١	١١	١١	١٥	١٧	١٤	١٦
الخلاص من الذنوب	١٨	١٧,٥	١٨	٧	١٧	١٨	١٨	١٨
احترام الذات	١٣	١٤	١٤	١٠	١١	٨	١١,٥	٥
الشهرة الاجتماعية	١٧	١٦	١٦	١٤	١٨	١٥	١٦	١٢
الصداقة الحقة	٦	٣	٤	٦	٨	٥	٧,٥	٨
الحكمة	١٠	١٢	٨	٧	٥	٦	٦	٤

الترتيب التدريجي للقيم الوسيلية

القيمة	الصف الخامس		الصف السابع		الصف التاسع		الصف ١١	
	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث
الطموح	١٠	١٠	٣	٧	٣	٥,٥	٣	١
سعة الأفق	١٥	١٦	١٦	١٦	١٦	١٣	٦	٥
الاقتـدار	١١,٥	٨	١٠	٨	١٠	٧	٧	٧
المرح	٤	٣	١٣	٩	١٤	١٥	١٣	١٤
النظافة	٦	٦	١٢	٤	٩	٩	١١,٥	٩
الشجاعة	٩	٧	٧	١٢	٥	٨	٤	٦
التسامح	٥	٥	٥	١٠	٧	٣,٥	١٠	١١
المساعدة	٣	٤	٤	٣	٦	٥,٥	٨	١٠
الأمانة	١	٢	١	١	١	١	١	٢
سعة الخيال	١٨	١٢	١٧	١٤	١٨	١٢	١٦	٨
الاستقلال (الاعتماد علم النفس	١٣	١٢	١٥	١٤	٨	١٢	٩	٨
التفكير والتأمل	١٧	١٧	١٤	١٥	١٢	١٦	١٥	١٢
استخدام المنطق	١٦	١٨	١٨	١٧	١٧	١٧	١٨	١٦
المحبة	٢	١	٢	٢	٢	٢	٢	٣
الطاعة *	١٤	١٥	١١	١٣	٥	١٤	١٧	١٧
التأدب	٨	٩	٩	٦	١١	١٠	١٤	١٣
المسئولية	٧	١١	٦	٥	٤	٣,٥	٥	٤
ضبط النفس	١١,٥	١٣	٨	١١	١٣	١١	١١,٥	١٥

وهناك عدة ملاحظات على ترتيب الأفراد لنوعي القيم :

أولاً : وجود درجة معقولة من الثبات خلال السنوات التي استخدمت في البحث خاصة بالنسبة للذكور في القيم الأربعة الغائية التي رتبت على أنها (السلام ـ الحرية ـ تأمين الأسرة ـ المساواة) ، وكذلك بالنسبة للقيمتين الغائيتين اللتين رتبتا على أنهما أقل أهمية وهما « الخلاص من الذنوب » و « الشهرة الاجتماعية » .

أما بالنسبة للقيم الوسيلية فهناك قيمتان رتبتا دائماً على أنهما أكثر أهمية بين جميع أفراد البحث وهما « الأمانة » و « الحب » حيث كان ترتيبهما بين الأول والثاني على التوالي . أما القيمتان الوسيليتان اللتان رتبتا على أنهما أقل أهمية منها هما « المنطق والتأمل » .

أما البنات فقد رتبت « عالم كله سلام » على أنه أكثر أهمية في كل الأعمار بينما « الخلاص من الذنوب » فرتبت كأقل أهمية .

ثانياً : بصرف النظر عن ذلك الثبات في ترتيب القيم فهناك بعض التغيرات الواضحة في بعض القيم .

١ ـ بالنسبة للأولاد :

كانت هناك سبعة قيم ازدادت أهميتها وثمانية قيم انخفضت أهميتها ابتداء من الصف السابع الى الحادي عشر حيث كانت :

أ) القيم الغائية التي زادت أهميتها هي : الاحساس بالنجاح والانجاز واحترام الذات والحكمة ، أما القيم الوسيلية التي زادت أهميتها فهي : الطموح وسعة الأفق والتفكير والتأمل والمسئولية .

ب) أما القيم التي قلت أهميتها فكانت : عالم يعمه السلام وعالم يعمه الجمال والصداقة الحقيقية ـ والمرح ، النظافة ، التسامح ، المساعدة ، الطاعة .

٢ ـ وبالنسبة للبنات :

كانت هناك ستة قيم غائية وخمسة وسيلية زادت أهميتها وهي :
أ ـ القيم الغائية التي ازدادت أهميتها : الاحساس بالنجاح والانجاز والمساواة والانسجام النفسي واحترام النفس والشهرة الاجتماعية والحكمة .

أما القيم الوسيلية التي ازدادت أهميتها فهي : الطموح وسعة الأفق والاستقلال والمنطق والمسئولية .

ب ـ أما القيم التي انخفضت أهميتها فكانت : الحياة المريحة والحياة المثيرة والحياة في عالم جميل وتأمين الاسرة والمتعة والخلاص من الذنوب والصداقة الحقيقية والمرح والمساعدة والصدق والطاعة والتأدب .

ثالثا ـ رغم وجود اختلافات واضحة فهناك اتفاق معقول بين الأولاد والبنات خاصة في حالة القيم التي رتبت في قمة الترتيب وفي قاعدته . أما القيم التي ظهرت فيها فروق بين الجنسين فتعكس الفروق في التوقعات الاجتماعية للدور الجنسي والنمط الاجتماعي، وعلى سبيل المثال رتب الأولاد في الصف السابع النظافة في الترتيب الثاني عشر بينما رتبتها البنات في الترتيب الرابع .

رابعا : ان تغير قيم معينة بتغير العمر يصاحب تغير مكانة المراهق حيث يوجد تزايد في الاهتمام بالاستقلال والاحساس بالمسئولية والانجاز . ولا شك أن المراهق في نهاية المرحلة ينظر باهتمام الى مكانة مرموقة في عالم الكبار .

ميول المراهقين

أهمية دراسة ميول المراهقين :
ان الدراسة الدقيقة لميول المراهقين ونواحي اهتماماتهم توقفنا على الكثير من نواحي النمو في المراهقة . ففهمنا لسلوك المراهق ـ وقدرتنا على التنبؤ بسلوكه المقبل يكون على شيء من الدقة اذا عرفنا ما يفكر فيه المراهق وما يحبه . واننا

اذا عرفنا الميول المختلفة التي لدى المراهقين ساعدنا ذلك على فهم دوافع سلوك المراهق والأشياء التي تتحكم فيه . وهذه الميول شأنها في ذلك شأن بقية المظاهر الأخرى للشخصية تختلف باختلاف الأفراد،أي أن مجال الفروق الفردية في الميول مجال واسع ومع ذلك فهناك ميول مشتركة سائدة بين الجنسين في سن معينة .

ويوضح الميل بأنه : وسيلة لغاية ذات قيمة بالنسبة للفرد لما لها من قوة دافعة أو قيمة اجتماعية أو مهيئة للفرد .

ويعرف سترونج Strong الميل بأنه : استعداد لدى الفرد يدعو لاستمرار الانتباه نحو أشياء معينة تستأثر وجدان الفرد - ونتيجة لوجود الميل يعطى الفرد أهمية لبعض نواحي البيئة . لكن لا يرجع هذا الاهتمام الى العوامل الموضوعية المعروفة في عملية الانتباه مثل شدة الانتباه ومداه فحسب - بل يرجع أيضا الى العوامل الذاتية من استعداد واتجاه عقلي .

ومن الملاحظ أنه في فترة المراهقة تتسع وتتعدد ميول المراهقين ، وتخضع في ذلك لعملية وقوانين التعلم . فالميول مكتسبة نتيجة للخبرة الناتجة من ايصال الفرد بالاشياء الموجودة في البيئة .

ومن العوامل الهامة التي تؤثر على نمو وتكوين ميول المراهقين :

١ - الخبرة .

٢ - مهنة الآباء .

٣ - العوامل الاقتصادية والاجتماعية .

فبالنسبة لعامل الخبرة - فقد دلت الدراسات العديدة على أن تأثير الخبرة على نمو الميول وتكوينها محدد بمراحل نمو الشخصية - فالخبرة تكون ذات أثر كبير في المراحل الأولى من العمر - في الفترة التي يتشرب فيها الفرد ويتعلم ما يمكنه من الحياة داخل الجماعة - ويظل هذا التأثير قويا حتى فترة المراهقة ففترة المراهقة فترة هامة من فترات نمو وتبلور ميول الفرد واستمرارها . وكما يذكر « سترونج » فان الفرد يكتسب ميولا معينة نتيجة احتكاكه بمواقف خارجية معينة نتج عنها استجابات تقبل سارة .

وبالنسبة لمهن الآباء ـ فقد دلت الدراسات العديدة على أن مهن الأباء التي تتمتع بأكبر تقدير اجتماعي ذات تأثير هام على ميول الابناء . ومما لا شك فيه أن القوى الاجتماعية والاقتصادية التي تعمل تأثيرها على الفرد ممثلة في مستوى الاسرة المادي ـ وتعليم الأبوين واهتماماتهما بمستقبل الأبناء ودفعهما الابناء نحو برامج دراسية معينة ومطالبتهم الابناء بضرورة بلوغ مستويات معينة من النجاح ـ بجانب قدرة الفرد على تحمل الضغوط الاجتماعية كلها عوامل ذات تأثير هام على ميوله ونوعها وطبيعتها .

ومن الممكن أن نعرض لبعض الميول الهامة في مرحلة المراهقة فيما يلي :

أولا : الميول المتصلة بالمظهر الخارجي :

ما أن يصل الطفل الى عتبة المراهقة حتى يبدأ يهتم بمظهره الخارجي فيبدأ في تصفيف شعره والعناية بملبسه وكذلك بالنسبة للبنت ـ فانها تتولى عناية كبيرة للزي والمظهر الخارجي وتهتم بأحدث الموديلات . وهذه أمور لم نكن نلاحظها على أطفال المرحلة السابقة الذين لم يكونوا يهتمون بمظهرهم الخارجي أو حتى بنظافتهم الا بتوجيه من الكبار . وقد تثير المبالغة في زيادة الاهتمام بالمنظر الخارجي صراع بين الآباء والابناء فقد يشعر كثير من الآباء شعور الضيق من الابناء في هذه الفترة .

ثانيا ـ الميول المتصلة بالمدرسة :

وأهمها ـ الميول الى القراءة ومعظم قراءات المراهقين تدور حول الروايات الهزلية والمجلات البوليسية فيجدون فيها إشباعاً لميولهم وحاجاتهم . وتتحول الفتاة نحو الكتب العاطفية والروايات العاطفية في سن مبكرة عن الولد نتيجة للنضوج المبكر في الوقت الذي يكون فيه الولد ما يزال يفضل قراءة قصص المغامرات والقصص الخيالية . أما بالنسبة للكتب المدرسية فيميل الأولاد عامة الى الكتب العلمية كالطبيعة والكمياء ميل بسيط ـ ولكن تظهر ميولهم نحو الكتب التي تعالج المشكلات الانسانية والتي تهتم بمظاهر الحياة الاجتماعية التي تذخر بها النوادي ومكتباتها .

ولمعرفة الميول أهمية كبيرة - ومن الواجب على المشتغلين بشئون الشباب والمراهقين الكشف عما لديهم من الميول والاتجاهات والعمل على تنمية السليم منها . ويمكن الكشف عن ميول الطلاب في المدرسة بأن نضع مثلا مجموعة من الهوايات بحيث نتيح الفرصة أمام كل فرد لان يمارس الهواية التي تتفق وميوله . ثم ذلك تنمي هذه الميول بما يعود على الفرد نفسه بالمصلحة وما يفيده في شغل وقت فراغه . وهناك نواحي عديدة في المدرسة كالتمثيل والخطابة والموسيقى والتصوير والرقص الايقاعي وجمعية الصناعات . والمدرس الناجح هو الذي يمكنه ان يكشف عن ميول تلاميذه التي تتكشف له من اتصاله بهم في الفصل كنقطة بدائية في تعليمهم مواد مختلفة . فالمدرس الذي يكتشف الميول الأدبية لدى تلاميذه يمكنه أن يستغل هذه النواحي في توجيه التلاميذ الوجهة التي تظهر هذه الميول وتنميها الى أقصى حد ممكن .

ثالثا - الميول نحو السينما والتليفزيون والراديو :

لا شك أن هناك تأثير هام للتليفزيون على الشباب والمراهقين - وأهم هذه الآثار هي الاستجابات الانفعالية الناتجة عن الاستثارة التي تحدثها الرسوم المتحركة وبعض المناظر المثيرة . ولا شك أن سلوك المراهق يتأثر بالافلام التي يراها في نواحي كالزي وتصفيف الشعر عند البنات وطريقة الحديث . ولكن وان كان لهذه الافلام بعض الاثار الضارة إلا أن فوائدها الترويحية التثقيفية لا تتكرر - وان ما يتأثر به المراهقون انما يرجع الى استعدادهم - فان كان هناك طفل يتأثر بأساليب السرقة التي رآها في أحد الأفلام . فهناك آلاف آخرون رأوا نفس الفيلم، ولم يتأثروا به من هذه الزاوية .

وبالنسبة للراديو يميل المراهقون الى سماع برامج أوائل الطلبة وعلى الناصية وجرب حظك والروايات المسلسلة - أما المحاضرات والتعليقات الاذاعية فقلما تحظي بنصيب واضح من ميول المراهقين . ومع تقدم السن بالمراهق وظهور ميول خاصة كالميل نحو الاداب أو العلوم يبدأ المراهق في تخير بعض البرامج الادبية أو العلمية - ومن الملاحظ أنه مع تقدم السن بالمراهق واهتمامه بالنواحي الاجتماعية في الحياة العامة تبدأ بعض البرامج السياسية وتعليقات الاذاعة تحظى بنصيب من اهتمام المراهقين .

طرق دراسة الميول :

ومن الممكن دراسة الميول دراسة عملية عن طريق اختبارات تكشف عما لدى المراهقين من ميول واهم هذه الاختبارات :

(١) اختبار كودر وقد اعده للعربية الدكتور أحمد زكي صالح تحت اسم اختبار الميول المهنية ويقيس هذا الاختبار ميول التلاميذ من سن ٩ - ١٩ سنة . ويقيس الميول في نواحي متعددة في ميدان النشاط الخارجي والنشاط الميكانيكي والميل للحساب . والميل للعلوم والميل للفن والميل للادب والموسيقى والخدمات العامة والنشاط الديني .

وفي الاختبار توجد الاسئلة (٥٠٤ سؤال) في مجموعات كل منها مكون من ثلاثة اسئلة على الشخص أن يقرأ كل مجموعة بدقة - ويبحث عن أي هذه الأمور يفضلها أكثر من غيرها - ويؤشر أمامه في الخانة المناسبة في ورقة الاجابة . وقد يجد الفرد نفسه أمام ثلاثة أمور يفضلها جميعا - ولكن عليه أن يرتبها بطريقة ما بحيث يحدد أكثرها تفضيلا وأقلها تفضيلا . وفيما يلي مثال أسئلة للاختبار :

١ - تهتم بملاحظة الناس عند ما تكون مسافرا .
٢ - تهتم بملاحظة المحاصيل الزراعية عندما تكون مسافرا .
٣ - تهتم بملاحظة المناظر الطبيعية عندما تكون مسافرا .

(ب) اختبار ستورنج للميول المهنية :

ويعتبر هذا المقياس من أحسن المقاييس المستخدمة في قياس الميول - ويقوم على أساس أن الافراد في المهنة الواحدة تكون لهم نفس الميول وبالتالي يختلفون في ميولهم عن الأفراد الذين ينتمون لمهنة أخرى . ويتكون من ٤٠٠ سؤال تمثل أوجه النشاط المختلفة وعلى الطالب أن يجيب على كل سؤال منها بأن يحدد اذا كان يحبه أولا يحبه أو لا يهتم به - والاختبار من صورتين أحدهما للرجال والأخرى للنساء وقد قام الدكتور عطية محمود هنا باعداد الصورة الخاصة

بالرجال تحت اسم اختبار الميول المهنية للرجال . والاختبار مقسم إلى ثمانية أقسام : الأول خاص بالمهن والثاني خاص بالمواد الدراسية والثالث خاص بأنواع التسلية - والرابع خاص بأنواع النشاط - والخامس خاص بمعرفة رأي الفرد في الأشخاص الذين يذكرهم له الاختبار - والسادس خاص بالمفاضلة بين أنواع النشاط - والسابع خاص بالمقارنة بين الميل الى عملين - والثامن خاص بتقدير القدرات والصفات الشخصية .

ج- اختبار القيم لالبورت وفرنون ولندزي :

يقيس هذا الاختبار ستة انماط من الميول والقيم هي :

القيمة النظرية - القيمة الاقتصادية - القيمة الجمالية - القيمة الاجتماعية - القيمة السياسية - القيمة الدينية - والقيمة هنا تعني ميل - وقد ذهب سبرانجر . الى أنه يمكن معرفة ميول الأفراد بالتعرف على القيم الذاتية التي يؤمنون بها ويندمجون في النشاط المتصل بها .

ويقصد بالقيمة النظرية :

اهتمام الفرد وميله الى اكتشاف الحقائق والموازنة بين الأشياء المختلفة والوصول الى القوانين بصرف النظر عن قيمة الأشياء من الناحية العملية أو قيمتها الجمالية والأشخاص الذين يتصفون بهذه القيمة - يتميزون بنظرة موضوعية نقدية - وغالبا ما يكون منهم العلماء المشتغلون بالعلم .

أما القيمة الجمالية :

فيقصد بها - اهتمام الفرد بكل ما هو جميل سواء من حيث الشكل أو التوافق والانسجام بين أجزاء الشيء - والأفراد الذين تعلو عندهم هذه القيمة أقرب الى تذوق الجمال في الأشياء وهم أقرب إلى الفنانين .

أما بالنسبة للقيمة الاجتماعية :

فيقصد بها - اهتمام الفرد وميله الى غيره من الناس ويجد لذة في اشباع

هذه الناحية والأفراد الذين تكون عندهم هذه القيمة في مستوى أعلى من غيرها يتميزون بالعطف على الناس وخدمة الغير ومنهم الاجتماعيون .

أما القيمة السياسية :

فيقصد بها اهتمام الفرد وميله للحصول على القوة والميل الى السيطرة والتحكم في الأشخاص والأفراد الذين يتميزون بهذه القيمة لهم القدرة على قيادة الغير .

أما القيمة الدينية :

فيقصد بها الاهتمام والميل الى ادراك ومعرفة ما وراء عالم الظواهر (رجال الدين) وادراك حقيقة العالم والاتصال بالخالق (المتصوفون) والذين يتميزون بهذا الميل هم غالبا من الزهاد ورجال الدين .

ولا يعني التقسيم السابق ان الافراد يتوزعون عليه ـ ولكن يعني أن هذه القيم جميعها في كل فرد غير أنها تختلف في ترتيبها من فرد لآخر قوة وضعفاً ـ واختبار القيم كما وضعه البورت وفرنون يتكون من جزئين : ـ

الأول ـ وفيه يختار الفرد بين احابتين على كل سؤال تبعا لميوله ... مثل :

اذا قمت بزيارة احدى المعارض هل تهتم برؤية :

أ ـ المنتجات الصناعية الحديثة ..... أم

ب ـ الأجهزة العلمية .

الثاني ـ توجد مجموعات من الاجابات كل مجموعة تتكون من أربع مفردات يقوم الفرد بترتيبها تنازليا حسب أهميتها بالنسبة له ... مثل :

يحسن أن يقضى الشخص الذي يشتغل طوال الاسبوع يوم عطلته الاسبوعية :

أ ـ في تثقيف نفسه بقراءة الكتب الحديثة .

ب ـ السباحة والالعاب الرياضية .

ج ـ في حضور حفلات موسيقية .

د ـ في الاستماع الى خطبة دينية .

التربية الجنسية

تعد المشكلة الجنسية من أهم المشاكل التي تصادفنا في حياتنا منذ الطفولة حتى المراهقة وما بعدها ، وربما تكون هذه المشكلة من المشكلات التي تلقى من المجتمع ومن الأسرة تزمتا وضيقا في التفكير في معالجة شئونها . ولقد كان القدماء من آباء ومربين يتركون الابناء يحلون مشاكلهم بأنفسهم دون تقديم أي معرفة منظمة أما في الوقت الحاضر فقد تغيرت نظرة الأباء والمدرسين والمربين لهذه المشكلة وأصبحوا يدركون أهمية التربية الجنسية . والحديث مع الابناء في كل ما يتصل بالجنس بقصد توجيه الأبناء توجيها سليما .

والحقيقة أن الآباء والمدرسين والمربين قد بدأوا يدركون أهمية المعلومات التي يحصل عليها المراهق في تكوين اتجاهات سليمة نحو كل ما يتصل بأمور الحياة والاسرة والتكاثر الجنسي .

المقصود بالتربية الجنسية :

يقصد بالتربية الجنسية ، تزويد الطفل بالخبرة الصالحة والمعلومات التي تؤهله لحسن التكيف مع المواقف في مستقبل حياته . ويترتب على ذلك أن يكتسب الطفل اتجاها عقليا سليما ازاء مسائل الجنس . ولعل الهدف من تدريس هذا الموضوع ، ان نغير من نظرة المراهق الى أمور الجنس بحيث ينظر اليها نظرة موضوعية . أما الاتجاه الى التخويف بالوسائل المختلفة والالتجاء إلى بث الفضائل في نفسه قد لا يوصلنا الى الهدف الذي نرمي اليه .

والمشكلة في التربية الجنسية هي من الذي يقوم بها هل يقوم بها الوالدان أم المدرسون أم المرشدون في المدرسة أم الاطباء يذهب البعض الى أن الدور الذي يلعبه الاباء في هذا الأمر دورا أساسيا وبخاصة وان التربية الجنسية لا تبدأ مع المراهق انما تبدأ منذ الطفولة ، ومن الممكن أن نعتبر العلاقات القائمة بين الطفل وبين الأم في المراحل الأولى وخاصة ما يتصل بتكوين عادات الاخراج وغيرها نوع من

التربية الجنسية . غير أن البعض يذهب الى أن الاباء ليست لديهم الامكانيات الكافية للقيام بهذه الوظيفة ، فبعضهم تعوزه الشجاعة والمعلومات في التحدث مع أبناءه في مثل هذه الأمور . يضاف الى ذلك أن الابناء انفسهم يفضلون الحديث مع الآخرين (خاصة المدرسين) في الأمور الجنسية بدلا من الوالدين .

ويذهب البعض الى أنه في استطاعة طبيب العائلة أن يقوم بمثل هذا الدور في التربية الجنسية نظرا للمعلومات التي لديه ، لكن انصار هذا الرأي قليلون ويخشى أن تتحول المعلومات التي يقدمها الطبيب إلى معلومات عن وظائف الاعضاء بدلا من التربية الجنسية .

ولذلك فإن عبء التربية الجنسية يقع على المدرسين والمربين ، والصعوبة التي تواجههم في ذلك هي مسألة الألفاظ اللغوية المستخدمة حين التعرض للاحاديث الجنسية ، حيث يجب الا تكون سوقية مبتذلة والا تجرح السامع أو المتحدث . كما يجب أن يكون المربى صريحا في التعبير عن انطباعاته وأحاديثه بأنواع الألفاظ التي يسمعها من المراهقين . تلك اللغة التي لا يقبلها الذوق السليم ويبين لهم أن مثل هذه الألفاظ غير مقبولة اجتماعيا وقد تسبب الحرج للسامعين أو المتحدث نفسه . فوظيفة المربى اذا أن يزود الطفل والمراهق بالألفاظ التي يمكنه أن يستخدمها والتي يقبلها المجتمع.غير أنه من الملاحظ على بعض المربين أنهم يشعرون بالضيق والحرج في الحديث في مثل هذه الشئون ، والواقع أن الشعور بالحرج ينعكس بالتالي على التلاميذ وقد يسبب لبعضهم الشعور بالخطيئة أو أن يتحدث في أمور ما كان يصح أن يتحدث فيها مع المدرس .

المخاوف والأوهام المرتبطة بالجنس :

تمتلىء نفس المراهق بكثير من المخاوف والأوهام المتصلة بالجنس ، ومن الممكن أن نتتبع تطور المراحل الجنسية التي يمر بها الطفل وما يرتبط بها من أوهام ومخاوف وقلق ، كما وضعها « فرويد » .
تمر الغريزة الجنسية كما وصفها « فرويد » بمراحل تتلخص في المراحل الخمس التالية :

المرحلة الأولى ـ المرحلة الفمية :

وفيها يشتق الرضيع لذة في عامه الأول يحصل عليها من الفم . فعن طريق عملية الرضاعة ومص الأصابع يجد الطفل لذة ويصبح الفم بعد ذلك وخاصة بعد ظهور الأسنان مصدر لذة أخرى بالنسبة للطفل حيث يجرب عملية قضم الأشياء ، وقد يلجأ الطفل في بعض الأحيان الى عض الثدي غير أنه يقابل في مثل هذه الحالة برد فعل من جانب الأم ، يتمثل في سحب الثدي أو توقيع العقاب عليه . وقد يشعر الطفل في مثل هذه الأحوال بمشاعر الكراهية نحو الأم حيث يلقى العقاب دون سبب ظاهر في نظره خاصة عندما يتناول الطعام المحبب له . وقد تصبح فترة تناول الطعام مرتبطة بتوقيع العقاب عليه مما يجعلها غير محببه له .

المرحلة الثانية : المرحلة الشرجية :

طبيعي ان البيئة أو الأسرة تعطى أهمية كبيرة للعادات الاخراجية التي يتعلمها الطفل وحول هذه العملية ينسج خيال الطفل كثيرا من الأوهام . فبعض الأطفال يكتشف مثلا اضطراب الأم حين يمسك عن الاخراج فترة طويلة ـ ومن هنا كما يذهب فرويد ـ نجد أن بعض الأطفال يستغل هذه الوظيفة الاخراجية في عقاب الأم .

المرحلة الثالثة : المرحلة الأمامية :

ومع تطور الغريزة تتحول مراكز التركيز الى المناطق الأمامية من جسم الطفل وفي هذه المرحلة يبدأ ظهور بعض الصعوبات في التطور الجنسي عند الأطفال وأهمها في نظر فرويد هي العقد الجنسية ـ وأشهرها عقدة أوديب وعقدة الكترا وتشير عقدة أوديب الى أن الولد الذكر يحب الأم ويكره الأب في اللاشعور . أما الكترا ـ فالبنت تحب أباها وتكره الأم في اللاشعور . وقد تتركز في ذهن الطفل بعض المخاوف والأوهام المتصلة بهذه العقد والتي تدور حول الصراع بين الطفل وبين الوالد من نفس الجنس ومن أمثلة ذلك « عقدة الاخصاء » .

المرحلة الرابعة : مرحلة الكمون :

وتتميز هذه المرحلة بخمود الغريزة الجنسية .

المرحلة الخامسة : الاتجاه نحو الجنس الآخر :

وهي المرحلة الأخيرة من مراحل نمو وتطور الغريزة الجنسية ـ حيث يتجه الطفل نحو الجنس الآخر وتتضح المخاوف والاوهام سابقة الذكر ـ في مرحلة المراهقة . حين تتضح العلاقة بين الجنسين ـ وتحتل المكان الأول في عقله وانفعالاته وقد يكون لهذه المخاوف تأثير في مشاعر المراهق وخصوصا إذا كانت شديدة فقد تؤدى الى ارتداد أو تردد مستمر فيما يتصل بالجنس ـ أو تحقير الجنس كوسيلة من وسائل الدفاع عن الذات ـ أو هروب من مواجهة الجنس الآخر . وعلى العموم فالمخاوف المتصلة بالجنس يكون لها تأثير واضح في الطفولة والمراهقة .

بعض المشكلات الجنسية التي تواجه الوالدين

أولا ـ العادة السرية عند الأطفال :

الحقيقة أن هذا النوع من العادات أقرب الى اللعب أو استكشاف حقائق الجسم منه للعادة السرية بالمعنى الدقيق ـ فكما يهتم الطفل باليدين والرجلين يهتم كذلك باستكشاف بقية الأعضاء الجسمية . ومن هذه الأعضاء أعضاء التناسل . ولانتهاء هذه الأعضاء بنهايات أعضاء الجنس قد يجد الطفل لذة كبيرة في اللعب بها .

ولكن هناك حالات واضحة في الطفولة لا يكون اللعب فيها مجرد استكشاف ولعب بهذه الأعضاء بل أنها تأخذ صورة واضحة اشبه بالصورة التي تحدث بالنسبة للمراهقين ـ ومن هنا جاءت التسمية بالعادة السرية عند الأطفال .

والملاحظات العديدة التي أجريت بهذا الصدد تشير الى أن الأطفال الذين يلجأون عادة الى العادة السرية هم أطفال غالبا ما يشعرون بالحرمان أو الاهمال

أو عدم السعادة ـ أو عدم اتاحة الفرصة الكافية للعب أمامهم . وتشير معظم الملاحظات الى أن التجاء الطفل الى هذه العادة السرية انما هو من قبيل الاشباع ـ لما يشعر به من نواحي الحرمان ، لذلك اذا تصادف ان وجد في الاسرة طفل ـ فلا بد من الكشف عن الأسباب التي تدفعه الى ذلك ـ واشباع النواحي التي غالبا ما تؤدي إلى مزاولته للعادة السرية . وغالبا ما يؤدى وجود اللعب المختلفة أمام الطفل الى انهماك الطفل باللعب وعدم الالتجاء الى العادة السرية .

ثانياً ـ أسئلة الطفل :

الطفل بطبيعته يميل لكثرة الاسئلة عن كل ما يستلفت نظره من أمور ـ ومن الاسئلة التقليدية هي من أين أتى ؟ وقد يلقى الطفل سؤال وينصرف الى حال سبيله دون انتظار الاجابة ـ وغالبا ما يلجأ الأباء الى الاجابات التي تبدو في عين الطفل غير صحيحة لذلك كثيرا ما يلجأ الى الخدم أو الأطفال الآخرين لمعرفة اجابة الاسئلة التي القاها على الوالدين .

وقد ينظر بعض الأباء الى هذه الأسئلة على أنها أسئلة قبيحة وناتجة عن دهاء ومكر الطفل ـ واتجاه مبكر نحو الجنس ، ولذلك قد يكون موقف الآباء موقف شاذ من هذه الأسئلة . والواقع أنه يجب أن ننظر لمثل هذه الأسئلة على أنها أسئلة استكشاف العالم المحيط بالطفل . وغالبا ما تتكرر هذه الأسئلة عندما تكون الأم بصدد استقبال طفل جديد ـ وملاحظة التغير الجسمي الذي يطرأ على الأم ـ فقد يدعو الطفل الى التساؤل ـ وقد تثار بعض المخاوف والأوهام بالنسبة للطفل من أن الطفل الجديد سيحتل مركزه في الأسرة ـ وواجب الأن في هذه الحالة أن تعطى للطفل بعض العناية والاهتمام وأن تجعله يفهم أن الطفل الجديد صديق أو أخ له .

ثالثا ـ مشكلة الحيض عند الفتاة :

من الملاحظ بالنسبة لثقافتنا ـ كثيرا ما تحجم الأم عن التحدث في مثل هذه الأمور مع البنت؛ فالبنت التي وصلت الى سن معينة مع بداية البلوغ ـ تكون على استعداد لاستقبال كثير من الحقائق عن الجنس والنسل . وبعض الفتيات يرتبط الحيض في أذهانهم بأشياء غير صحيحة « شيء قذر مثلا » وقد يكون لهذه الأفكار

تأثير في نفس الفتاة . وللأم دور هام في هذه الناحية ـ اذ يجب أن تساعد البنت على تفهم التطور الطبيعي للانثى . ويذهب البعض الى أن المظاهر النفسية التي تصاحب الحيض كالصداع وأوجاع الرأس ـ انما هو من قبيل عدم شعور الفتاة بالرضى والارتياح للانتقال من الطفولة للأنوثة الكاملة .

التربية الجنسية في مناهج الدراسة :

قد يعترض قيام الأباء بالتربية الجنسية بالمعنى الدقيق بعض الصعوبات نظرا لجهل معظم الأباء بالتربية الجنسية وحقائق الجنس ولعدم رغبتهم ولحرجهم في التحدث في هذه الأمور مع الابناء ولذلك تعتبر المدرسة لحد معين مسئولة عن تزويد الابناء بالمعلومات المتصلة بالجنس .

غير أن هناك بعض المشكلات وهي : هل تدرس التربية الجنسية في المدرسة كمادة قائمة بذاتها في المنهج ـ أم تدخل في مختلف المواد الأخرى ، قد يعترض البعض على جعلها مادة مستقلة لأنها تزيد العبء في المدرسة فتجعل المنهج مكدسا مثقلا ـ كما يخشى أن تحفظ هذه المادة للامتحان وبذلك يكون مصيرها مصير كثير من المواد الأخرى وهو النسيان بعد أداء الامتحان . لذلك يفضل الكثيرون ان تدخل هذه المواد في ثنايا المواد الأخرى ويقوم بها المدرسون المختلفون .

التربية الجنسية في مدارس الحضانة :

ليس هناك ما يدعو لتعليم جنس منظم في هذه المرحلة ـ ويمكن أن يتم ذلك عن طريق مشاهدة الدواجن بما يتيح للطفل معرفة بعض الحقائق ـ وقد يكون في اختلاط الجنس الآخر ـ البنين والبنات في هذه الفترة ـ ولعبهم مع بعض ما يخفف عندهم الرغبة في التطلع الى جسم الجنس الآخر . حقا أن هناك ميل الى الاستطلاع لكنه يصبح ميلا عاديا في هذه المرحلة . وللصلة الوثيقة بين المنزل والمدرسة ـ ويمكن للمدرسة أن تقوم بدور واضح في تعليم الأطفال أهمية الوظائف البيولوجية المختلفة كوظيفة الاخراج مثلا ـ بصورة لا تثير في الأطفال الشعور بالتقزز والقذارة .

التربية الجنسية في مرحلة الابتدائي :

جولات مشاهد الطبيعة تهيء للطفل هذه المرحلة الفرصة لان يدرك الكثير من الحقائق عن الجنس ـ وليس من الضروري أن نشير الى الجنس بصورة صريحة ولكن هذه المشاهدات تسمح في حد ذاتها باعطاء الطفل فكرة عامة عن الجنس ـ ومن الجدير بالذكر أن الأطفال في الريف لديهم الكثير من الأفكار عن هذه الناحية أكثر مما لدى أبناء المدن نظرا للفرص الكثيرة التي تسنح لهم كمشاهدة الطيور والحيوانات وغيرها .

التربية الجنسية في مرحلة الاعدادي والثانوي :

تتاح الفرصة في هذه المراحل أمام المربى كي يقوم بالتربية الجنسية على نطاق أوسع وأحسن ـ فالتلميذ تكون لديه القدرة على هضم الكثير من الحقائق والمعلومات التي تقدم لديه، ومن الممكن اثناء دراسة بعض المواد كعلم الاحياء مثلا ان يزود المدرس التلاميذ بكثير من الحقائق المنظمة عن التناسل ـ والواقع أيضا أن بعض المواد انسب من غيرها في ذلك ـ فالاحياء تعد من انسب العلوم في ذلك وليس ثمة صعوبة أمام مدرس الأحياء لتزويد التلاميذ بحقائق الجنس ـ ولذلك نتيجة قيامه بتشريح بعض الحيوانات أمام التلاميذ واعطائهم معلومات عن التكاثر والتناسل ومن الممكن أثناء ذلك أن يشير بصورة غير مباشرة الى حقائق الموضوعات الجنسية عند الإنسان . غير أن بعض المدرسين قد يشعر بالحرج في التحدث في مثل هذه الموضوعات، وقد تبدو عليه مظاهر الاضطراب وقد يصبح هذا الحرج أو الاضطراب عقبة في قيامه بعمله على خير وجه .

أما بالنسبة لمدارس البنات فمن الممكم ان تتاح الفرصة بصورة واضحة عن طريق تدريس علم التدبير المنزلى ـ فلا يجب ان تقتصر الدراسة فيه على الخدمة المنزلية بل يجب ان يعالج أيضاً المشاكل المتعلقة بالجنس والتناسل ورعاية الأطفال واعداد الاسرة الصالحة والعلاقات بين الزوجين وتكوين اتجاهات طيبة نحو الجنس الآخر . وكل ذلك يهدف الى اعداد الفتاة لدور الأمومة الصالحة في المستقبل . ويمكن أيضاً ان يزود مدرس التربية البدنية أو يقوم بتقديم

المعلومات الكثيرة للمراهقين وخاصة وان هناك روابط قوية تربطه بهم .

ورغم ما سبق فهناك بعض المشكلات التى تواجه المربين في المدرسة واهمها :

المذكرات الجنسية :

فيميل بعض المراهقين الى تداول موضوعات أو مذكرات جنسية تكتب أحياناً بالفاظ غير مهذبة وقد دلت التجارب على انه كلما بكرنا بتعليم الطفل والمراهق حقائق الجنس كلما قل تداول هذه المذكرات بين التلاميذ . وقد تصبح هذه المذكرات موضع تندر بين المربين انفسهم ـ والواجب انه اذا تبين للمدرس خطأ هذه المذكرات وتداولها بين التلاميذ . ان يوضح الخطأ في المعلومات التى بها ـ وان يزود الطفل بالمعلومات الصحيحة وان يتخلص منها امامهم ـ فيكون موقفه موقف المربى .

الكتب السوقية :

التى تعالج الجنس لمجرد الاثارة يجب أن يكون موقفنا منها صريحا وان ندعو لمصادرتها .

الرسوم الجنسية :

وهي مشكلة تكاد تكون عامة بين التلاميذ ـ كالرسم على الحائط وفي دورات المياه والواقع ان مثل هذه الأماكن ليست صالحة للرسم . كما انها قد تربط الجنس بأفكار أو روابط غير سليمة لذلك يحسن أن تكون حوائط دورات المياه من القيشاني كما انه اذا مالمسنا في الطفل ميلا الى رسم الصور العارية يمكن للمدرس أن يوجهه بحكمة الى الوجهة التى تجعل الطفل يتذوق الناحية الفنية والجمالية في الرسم بدلاً من ان يصبح الرسم نفسه وسيلة في نظر الطفل للاستثارة الجنسية .

العادة السرية :

كثيراً ما يلجأ الأولاد في بداية المراهقة الى التعرض بصورة أو بأخرى مباشرة أو غير مباشرة لموضوع العادة السرية . وهو الموضوع الذي يشغل بالهم

فترة طويلة من المراهقة . وهذه الناحية عولجت في كثير من الكتب . فهناك البعض الذى يحاول ان يبث في نفس الفتيان ان العادة السرية تؤدي الى التهلكة . وقد تصيب الفرد بالامراض التناسلية المختلفة .. وقد يصل الأمر الى الجنون وحين تسأل هؤلاء عن الحكمة في هذا الرأي نجد الأجابة ان تخويف الأولاد يمكن

ان يعد اكبر رادع ضد ممارسة هذه العادات ـ والحقيقة ان معظم الأطفال يبدون اهتماما بالأعضاء التناسلية قبل سن البلوغ بفترة طويلة ـ وقد تمر هذه الناحية بفترة كمون لتأخذ في الظهور بشكل واضح في فترة المراهقة ،ويستبد القلق بالمراهقين نتيجة ما يسمونه من احاديث ضارة أو ما يهددهم من امراض مختلفة . والواقع ان مشكلة العادة السرية ليست بالخطورة التى يتصورها الكثيرون ما لم يفرق المراهق في ممارستها .. فالافراط في أي شئ ضار خاصة وان المراهق يكون في فترة نمو سريع واحياناً لا يعطى عناية كبيرة بناحية التغذية ..

وهنا ناحية هامة تتصل بهذا الأمر ـ وهى مشكلة الصراع النفسى بين الرغبة في القيام بهذه العملية وبين الشعور بالذنب أو الخطيئة والخوف ـ وقد يتأصل الشعور بالذنب في نفس المراهق ـ وقد يصل الأمر فيصبح حالة مرضية ـ ـ ويذهب البعض في علاج هذه النواحي الى وسائل الابدال والاعلاء ـ فالمشرف ينصح التلاميذ بتوجيه طاقاتهم نحو الوان من الالعاب التى تتطلب مجهود جسمي عنيف ككرة القدم مثلا ـ وينصح الاخصائيون الاجتماعيون بالتحاق المراهق باندية الشباب .

ونحن لو بعثنا الثقة في نفس المراهق وجعلناه ينظر الى الأمر نظرة طبيعية موضوعية خالية من الاحاسيس بالذنب والخطيئة ـ فقد نجنب المراهق الكثير من المشكلات النفسية ونغير اتجاهه نحو هذه المشكلة . بل ومن الممكن ان نتخذ من اعلاء الدوافع الجنسية وسيلة لبناء الخلق وتهذيب النفس .

التوجيه التعليمي

في المجتمع ـ تقدم الدولة كثيراً من الخدمات التى تهدف منها الى خلق المواطن الصالح واعداده اعداداً سليماً لتحمل مسئولياته المختلفة والمحصلة

النهائية لهذه الخدمات هو تدعيم الكيان والبناء الاجتماعي للدولة وتطويرها ورفع مستوى معيشة افرادها وتحقيق سعادتهم فيها .

ومن أهم الخدمات التي تقدم في هذا الشأن - الخدمات التعليمية التى يحصل عليها جميع افراد الأمة .. ولكي تحقق الدولة القصى غاياتها بأقل جهد ووقت وطاقة ممكنة - كان عليها ان تضع الفرد المناسب في المكان المناسب - والتربية هى وسيلتها الى ذلك - فعن طريق التربية يلائم المجتمع بين امكانياته وبين امكانيات افراده - بين حاجاته وحاجات افراده - والتربية تنبع أساساً من حاجات المجتمع الرئيسية ويجب أن نهدف الى اشباع حاجات النشئ واعدادهم اعداداً معيناً ومساعدتهم على التوافق والتكيف مع ظروف المجتمع المتطور بأقل مجهود ممكن وبأحسن طريقة ممكنة لتحقيق اكبر نجاح ممكن .

ومن أهم الفترات التى يمكن أن يتم فيها ذلك هي مرحلة المراهقة - تلك المرحلة التى تتضح فيها قدرات الفرد وميوله بشكل يمكننا من توجيهه الى انواع التعليم التى تتفق معهما - وكما نعلم فمرحلة المراهقة تقابل مرحلة تعليمية هامة هي مرحلة التعليم الاعدادى الثانوي بانواعه المختلفة - حيث ينقسم التعليم الثانوي الى : تعليم ثانوي عام يؤدى الى التعليم الجامعي - وتعليم ثانوي فنى ((صناعي وتجاري وزراعي)) وهو يعد أفراده للحياة . والملاحظ ان الآباء والمسئولين عن نظام التعليم يهتمون بالنوع الأول دون الثاني - ولكن في العصر الذي نعيش فيه يتطلب تطورنا الاقتصادي نوعاً من التنظيم في توجيه الناشئة والا يقتصر الأمر على تحقيق رغبة الآباء التى غالبا ما تقوم على أسس غير سليمة من النواحي النفسية .

معنى التوجيه التعليمي :

يقصد بالتوجيه التعليمي - عملية ارشاد للناشئين - بناء على أسس علمية سليمة ، الهدف منها توجيه كل فرد نحو نوع التعليم الذي يتفق وقدرته العامة واستعداداته وميوله واذا ما تحقق ذلك - كان نجاحه أمراً مؤكدا - وبالتالى يمكنه ان يقدم خدماته للمجتمع في هذا الميدان بشكل أفضل وأحسن فتحقق سعادته من جهة ويفيد مجتمعه من جهة أخرى . والتوجيه التعليمي بهذا المعنى

- يهدف الى الارشاد - ويقوم على تحديد الفروق الفردية في الذكاء والاستعدادات الخاصة والميول المهنية .

أهمية التوجيه التعليمي :

سبق أن ذكرنا ان عملية التربية والتعليم هي عملية الهدف منها اعداد الفرد لكي يشارك في تقدم المجتمع الذي يتمتع بعضويته ، ووظيفة التوجيه التعليمي في هذا الصدد ارشاد الفرد نحو انواع الدراسة التى تتفق مع الاطار العام لشخصيته - وبالتالى يتجه نحو المهنة التى تتفق مع تكوينه النفسي العام وبذلك يتحقق توافقه النفسي مع المجتمع فالتوجيه يتيح له فرصة العمل في المجال الذي ينتج فيه انتاجا طيبا .

ولا شك ان النجاح في العمل يتوقف على سعادة الفرد في ادائه لهذا العمل وحبه له ، ولا يتحقق ذلك الا اذا وجه الفرد الى هذا العمل الذي يتفق مع طبيعته وتكوينه النفسي العام - وما دور التربية والتعليم الا لتنمية قدرات الفرد واتجاهاته العامة وميوله حتى تتبلور حول مهنة معينة .

والتوجيه التعليمي يهدف من جهة اخرى الى الاقتصاد فيما تنفقه الدولة من مصاريف على نوع معين من التعليم لا يعد الافراد اعداداً سليماً - أو على افراد لا يحتمل نجاحهم في المهنة التى يعدون لها لان قدراتهم لا تسمح لهم بمسايرة الدراسة اللازمة وأداء الأعمال التى تتطلبها المهنة مستقبلا . وأمثال هؤلاء الأفراد لن يشعروا بالسعادة في أعمالهم أو دراستهم - ولا يجدون منفذ لنشاطهم الا الاستهتار والسخط وعدم الانتاج وما شابه ذلك مما نشاهده كثيراً في حياتنا العامة .

ولذلك فمن أهم واجبات الدولة نحو نفسها ونحو الفرد ان تهيئ برامج سليمة للتوجيه المهني وان توجه الفرد نحو نوع من التعليم والمستوى التعليمي الذى يتفق مع اطاره النفسى العام . حفظا لأموال الشعب ومستقبل ابنائه .

أسس التوجيه التعليمي :

لاشك أنه في الفصل الواحد توجد مستويات عديدة من حيث الذكاء

والاستعدادات والميول . فالبعض يتميز بتفوق في نواحي معينة والبعض متفوق في نواحي أخرى ثم انهم يختلفون في ميولهم فالبعض يود أن يكون طبيباً والآخر مهندساً والثالث بحاراً أو ضابطا .

وهذه الفروق بين الطلاب في قدرتهم العامة ـ وفي استعداداتهم الخاصة وفي ميولهم المهنية هي الأسس الأولية لعملية التوجيه التعليمي :

أولا ـ القدرة العامة (الذكاء)

سبق ان ذكرنا ان التعليم الثانوي العام يعد الفرد للجامعة والتعليم الثانوي الفني يعد الأفراد للحياة. والجامعة من جهة أخرى تعد الأفراد الى مهمة عقلية عليا ـ ولذلك فان انواع التعليم الثانوي المختلفة من عام وفني تتطلب مستويات معينة من الذكاء. وتستخدم الاختبارات التى تقيس القدرة العقلية في تحديد مستويات الذكاء لدى التلاميذ ـ ومن الضروري ان يتم ذلك في المرحلة الاعدادية وقبل دخولهم المدرسة الثانوية كما يلي :

١ ـ تمكننا الاختبارات العقلية من التفرقة بين التلاميذ من حيث قدرتهم العقلية العامة فيمكننا ان نتيح له انواع من التعليم تتفق مع استعداداته ـ كما يمكننا الكشف عن الاذكياء ومتوسطى الذكاء والاغبياء وتوجيههم وجهة صالحة الى انواع خاصة من التعليم .

٢ ـ لا تتأثر الاختبارات العقلية بالنواحي الاجتماعية بل انها تفرق لنا بين مستويات الذكاء المختلفة بطريقة موضوعية .

٣ ـ الاختبارات العقلية تنبؤنا بمدى النجاح المتوقع من المراهق في دراساته فهي تشخص لنا الواقع وتنبؤنا بالمستقبل فتؤدى بذلك خدمة جليلة اقتصادية للدولة .

٤ ـ الاختبارات العقلية أفضل من التقديرات الشخصية للمدرس والتى قد تتأثر بنواحي ذاتية .

٥ ـ يمكن اجراء اختبارات الذكاء بطريقة جماعية فتوفر الكثير من الوقت والجهد للتلاميذ والمصححين .

٦ ـ تمكننا اختبارات الذكاء من مقارنة الافراد مقارنة دقيقة في الأعمار الزمنية المختلفة ·

ثانياً ـ الاستعدادات الخاصة :

يقصد بالاستعدادات الخاصة القدرات الخاصة كالقدرة اللغوية والقدرة الموسيقية والقدرة الرياضية والميكانيكية والمكانة وهذه القدرات تظل كامنة في الفرد غير ظاهرة حتى تتيح لها الظروف الخارجية وخاصة عوامل التربية فرصة الظهور ، ويرى أغلب علماء النفس أنه لايمكن قياس هذه الاستعدادات في وقت مبكر بدقة كافية الا في حوالى سن ١٣ تقريباً · وقد دلت آخر البحوث على ان تميز القدرات العقلية ووضوحها يتم في سن ١٥ سنة · ولاشك أن الدور الذي تلعبه الاستعدادات الخاصة في التوجيه التعليمي كبير وهام جداً في توجيه الافراد نحو انواع التعليم الملائمة لهم ·

ثالثا ـ الميول المهنية :

تعتبر الميول المهنية من أهم جوانب الشخصية التى اهتمت بها الدراسات التى تدور حول التوجيه التعليمي والمهني · ويرجع ذلك الى مالاحظه المربون من أن معظم التلاميذ ميلا لعملهم في المدرسة هم اكثرهم ميلا لدراستهم ولأوجه النشاط المختلفة التى تتطلبها هذه الدراسات حيث يشعرون بان هناك صلة وثيقة بين مايدرسون أو ما يعملون وبين أوجه النشاط التى يفضلونها ويميلون اليها ·

وأهم ما يميز الميل المهني تعدد دلائله وثباته وارتباطه بدوافع عملية فالميل المهني هو المجموع الكلى للصفات الشخصية التى تبشر بنجاح مهني معين ، حيث يتضمن الاستجابات الانفعالية والعادات السائدة عند الفرد ، ومدة ثباته الانفعالي وصفاته المزاجية كالانطواء والانبساط وصفاته الشخصية والاجتماعية كالمبادأة أو القدرة على القيادة واحترام الغير وحب العمل داخل الحجرات أو في الخلاء والانتظام والمثابرة ، وضبط النفس والصبر والقدرة على تحمل المسئوليات ·

ويمكن حصر الميول المهنية الرئيسية في الميول الآتية :

الميل المهني للعمل في الخلاء ، الميل المهني للعمل الميكانيكي ، الميل للعمل

الحسابي ، الميل للعمل الذي يحتاج لاقناع الآخرين ، الميل للعمل الفني ، الميل للعمل الادبي والميل للعمل الموسيقي والميل للعمل في الخدمة الاجتماعية . وهذه الميول يمكن ان تتداخل فيما بينها فيكون لدينا الميل الخلوي الميكانيكي والميل الخلوى الحسابي والميل الخلوى العلمي . وهكذا في جميع الميول الرئيسية التى ذكرت .

والواقع ان اختبارات الميول المهنية بجانب اختبارات الذكاء والاستعدادات الخاصة ، يمكن أن تعطي صورة واضحة عن الصورة العامة للشخص المختبر وبالتالى يمكن توجيه الافراد طبقاً لذلك .

ودور المدرسة ان تعمل على الكشف عن هذه الميول المهنية من خلال السجلات المدرسية التي تسجل فيها ميول الطفل الرئيسية عاما بعد آخر . وانواع النشاط التى يهتم بها ومدى مشاركته الفعلية فيها . وبذلك يمكن ان نضع الخطوط الرئيسية لهذه الميول في سن ١٣ ، ١٤ بمساعدة اختبارات الميول المهنية واتجاهها العام وتوجيهه طبقا لها .

شخصية المراهـق

حين نتحدث عن شخصية المراهق لا نعني «ذات» متميزة منفصلة عن تلك التى تكونت في الطفولة المبكرة أو المتأخرة . فمن المعروف ان عملية النمو عملية متصلة الحلقات ، وليس معنى التقسيم الى شخصية الطفل وشخصية المراهق الا من أجل التوضيح . واذا كانت العوامل التى تتدخل في تحديد شخصية المراهق كثيرة ومعقدة فان ما تخلفه الطفولة من آثار يؤثر بوضوح في المراهقة .. فخبرات الطفولة لا يمكن ان نغفلها أو نتغاضى عنها في دراستنا لشخصية المراهقين .

فالمراهق الذي يشعر بانه منبوذ من الجماعة قد يتأثر سلوكه بالخبرات التى مر بها في طفولته المبكرة؛ فان كانت هذه الخبرات من النوع الذى مكن في نفسه الشعور بالنقص ، أصبح الشعور بالنقص أساساً يقوى ما يشعر به حالياً من نبذ من الجماعة .. أما اذا كانت خبرات الطفولة التى مر بها الفرد من النوع الذي يؤكد أهمية الفرد وقيمته ، فقد يؤدى ذلك الى تعديل نظرته للمواقف الراهنة على ضوء الخبرات السابقة وشعوره بقيمة نفسه .

مقارنة بين شخصية المراهق وشخصية الطفل :

فترة الطفولة هي بالضرورة فترة اعتماد على الغير من أجل اشباع حاجات الطفل البيولوجية والشخصية والاجتماعية . وذلك نظرا لما يكون عليه الطفل من عجز نسبي عن القيام بألوان المهارات المختلفة الحركية والعقلية والاجتماعية . ومن الواضح ان الطفل يعامل في هذه الفترة بكثير من التدليل والعطف من جانب الوالدين . فلا يفرضان عليه المطالب ولا يحملانه الكثير من المسئوليات . وهذا القول صادق الى حد بعيد على مختلف الثقافات والبيئات اللهم الا اذا كان هناك اسباب شخصية أو انفعالية خاصة تدعو الى نبذ الطفل وتكوين اتجاهات معينة نحوه . ولكن على الرغم من كون فترة الطفولة فترة عجز نسبي الا ان الطفل يميل في كثير من الاحيان الى فرض نفسه على البيئة والآخرين بمعنى ان يستغل ضعفه لتسخير الكبار واخضاعهم لرغباته .

وربما كان في هذا المظهر بداية لظهور الارادة عند الطفل ، ولكن اذا كان الطفل قادراً على ادراك مظاهر سلوك الكبار،الا أنه عادة نتيجة نقص خبراته ومعرفته يكون عاجزاً عن فهم الدوافع الخفية الكامنة وراء سلوك الكبار ـ لذلك كثيراً ما يقع في الخطأ في تفسير رضوخ أو خضوع الوالدين لرغباته . اذ قد يفسر ذلك نتيجة لضعفهما وقوته هو ـ بل قد يصل الأمر بالنسبة لبعض الأطفال الى المبالغة في تقدير قوته على تصريف اموره الخاصة بنفسه ويرفض تدخل الكبار في شئونه وفي أفعاله . ومع تقدم السن بالطفل ونمو المستوى الادراكى والعقلى له يصبح اكثر قدرة على تفهم توجيهات الكبار له والاستجابة لهم . ويبدأ الوالدان عادة من اجل عملية التطبيع الاجتماعي وتكوين العادات المختلفة عند الطفل في فرض بعض المطالب والقيود التى يدرك الطفل انها تساعده على تكوين شخصيته ـ ومن هنا يحدث ان يتقبل الطفل توجيهات الكبار أو الآباء .

وتتشابه مطالب النمو في المراهقة وتتداخل مع مطالب النمو في الطفولة المبكرة .. فمن الملاحظ ان الطفل الذي يكون على عتبة المراهقة يتذبذب بين الحاجات المتناقضة كالحاجة الى الاعتماد على الغير ـ والحاجة الى الاعتماد على النفس ـ وبين الاتجاه نحو تأكيد الذات والشعور بالخضوع للكبار ـ وهو في

تذبذبه هذا يشبه الطفل في اتجاهه نحو فرض نفسه على البيئة من ناحية والشعور بالحاجة للكبار والاعتماد عليهم من جهة اخرى . لكن لا يعني ذلك ان المراهق قد ارتد الى نفس الصورة التى كان عليها في الطفولة بل الواقع ان وراء هذا التغيير نمو ملحوظ في شخصية المراهق وفي قواه الادراكية ـ وفي قدراته على تنفيذ أعماله وقدرته على تحمل الضغوط الاجتماعية التى تفرضها عليه البيئة . ويعطى الكثير من الباحثين اهمية كبيرة للتغيير الذي يطرأ على المراهق من الاعتماد على الغير ـ الى الاعتماد على النفس ومن الشعور بالعجز الى الشعور بقدر من الاستقلال النسبي . ومع ذلك فمن الواجب أن ننظر الى هذا الانتقال باعتباره أحد المكونات المتداخلة في نضج الشخصية للمراهق ولكن نضج الشخصية يعتمد الى جانب هذه الناحية على عوامل ومكونات اخرى ـ كمستويات طموح الفرد ـ وزيادة تقدير المراهق لنفسه .

وهناك وجه شبه آخر بين المراهق وبين الطفل ـ ذلك ان المراهق يحاول ان يخضع دافع بيولوجي هو الدافع الجنسي ـ لنواحي التهذيب الاجتماعي . وهذه الظاهرة هي في الحقيقة مظهر من مظاهر نضج شخصية المراهق . فيقارن نضج المراهق بمقدار تحكمه في هذه الدوافع الملحة التى تظهر في فترة المراهقة .

ونمط الشخصية في حالة الكبار من المراهقين يمتاز بقدر من الثبات ـ والواقع ان أساس الشخصية يوضع في المرحلة الأولى من حياة الطفل ـ ويطرأ عليه بعض التغيرات في سنوات النمو المختلفة ويصبح اكثر ثباتا في المراهقة المتأخرة . والواقع ان الدراسات المختلفة التى اجريت وتجرى لقياس سمات الشخصية لطلاب الجامعة ـ ومقارنتها بما يتذكره هؤلاء الطلاب من سمات شخصياتهم في مراحل الطفولة المختلفة تكشف عن قدر من الثبات والاستقرار . فالطلاب الذين يتذكرون ان طفولتهم الأولى لم تكن سعيدة مثلا ـ هم اكثر الطلاب ميلا الى الاستثارة الانفعالية في المراهقة . والمراهق الذي يفتقر الى القدرة على ضبط نفسه أو الثقة بالنفس غالباً ما كان ذلك في طفولته المبكرة والمتأخرة ويعطي كثير من الباحثين أهمية كبرى للسنوات الأولى من حياة الطفل باعتبارها الأساس الذي توضع فيه الأسس الأولى لبناء الشخصية والواقع ان اغفال الاحداث الراهنة ليس صحيحا ـ حقيقة ان الاحداث السابقة تؤثر ـ ولكن تأثيرها

يتوقف على الظروف الراهنة التى يعيشها المراهق فبعض الظروف يسمح بالكشف عن الأسس السابقة في حين يؤدى البعض الآخر الى تعديل واضح في سلوك الفرد .

الخصائص العامة المميزة لشخصية المراهق :

١ ـ المظاهر الوجدانية المتعارضة : تتميز شخصية المراهق بالاتي :
فأهم ما يميز النواحي الانفعالية في المراهقة هو وجود صور متعارضة ـ فمن حيث الشدة تكون انفعالات المراهق شديدة ـ ومن حيث التغير والتقلب فيلاحظ ان المراهق تطرأ على انفعالاته كثير من التقلب والتغير .

وقد تحدث «ستانلى هول» عن اهمية الانفعالات في حياة الانسان وخاصة في مرحلة المراهقة ـ فيقول : ان الشاب أو المراهق يميل الى الحالات الانفعالية الشديدة أو الاستثارة القوية . كما نجد عنده تعبير واضح عن وجود حالات من التناقض التى تتضح في ميله الى التراخي والكسل من ناحية ـ وحيوية زائدة من ناحية أخرى ـ وكثيراً ما تتناوب حالات اللذة والألم والدموع والضحك عند المراهق اذ ينتقل المراهق من سرور لحزن ـ ومن البكاء الى الضحك ومن الانبساط الى الاكتئاب . هذا بالاضافة الى ان المراهق يبدو عليه الميل نحو التمركز حول الذات في بعض الأوقات ـ والاتصال بالآخرين في أوقات اخرى ـ أو أناني في بعض الأحيان ويؤثر الغير في أحيان أخرى . يميل الى المحافظة والى التمرد في أوقات أخرى كل ذلك يشير الى التقلب المزاجي عند المراهق .

وحين تكثر خبرات المراهق ـ تأخذ صور التقلب في الثبات وتصبح شخصية المراهق اكثر وضوحاً وتميزاً وكثيراً ما يوصف المراهق بالرعونة وعدم الاستقرار ـ فعمله في المدرسة واساليب نشاطه خارج الفصل متغيرة متقلبة .

٢ ـ عدم الثبات : يتميز المراهق بالاندفاع وسرعة القابلية للاستثارة (الانفعال بسرعة) يميل للحديث بصوت عالى ويميل للاختلاط بالناس . ولكن هناك بعض الحالات ممن لم يصلوا لمستوى كاف من النضج الانفعالي يميلون للانطواء . وعدم الثبات الانفعالي في المراهقة يظهر خصوصاً عند الشخصيات

المتقلبة ـ أو من لديهم مشكلات سلوكية أو جنوح .وتعد هذه الفترة فترة قلق مميزة وخاصة لأن الكبار من حولهم يتطلبون منهم أساليب من التكيف

والتوافق لم يصل المراهق بعد الى المستوى الكافي من النضج الذي يسمح له بمثل هذه الاساليب ـ هذا بالاضافة الى أن نظرة الكبار للمراهق غير ثابتة ـ فاحياناً ينظرون اليه على انه اصبح رجلا ـ واحياناً ينظرون اليه على انه ما زال طفلا ـ فان اراد اللعب قيل له انه تخطى مرحلة الطفولة ـ وفي الوقت نفسه اذا حاول تقديم نصائح متصلة بأمور الحياة أو المنزل لا يقدر الكبار نصائح المراهق على اساس انه لا يزال صغيرا .

ويمكن أن نشير الى بعض الاسباب التى تؤدى الى عدم الثبات والتقلب في شخصية المراهق خلال فترة المراهقة :

أ ـ مشكلات الأسرة ـ والنزاع المستمر في المنزل بين الوالدين من ناحية ـ وبينهم وبين المراهق من ناحية اخرى .

ب ـ الشعور باليأس ـ وان الأمور لا تسير سيرها الطبيعي .

ج ـ الأخطاء الخلقية ـ وأخطاء الجنس وما يتصل بها من شعور بالذنب .

د ـ الحرمان ـ وعدم اتاحة الفرص الاجتماعية أمام المراهق ـ ودوام تفكير المراهق في المستقبل .

هـ ـ ايذاء مشاعر المراهق ـ وتأنيبه وعدم تقديره .

و ـ مشكلات الشخصية والشعور بالنقص والعيوب الجسمية والافتقار الى القدرة والامكانيات المختلفة .

العوامل التي تساعد أو تعوق نضج شخصية المراهقــين

يمكن تقسيم هذه العوامل إلى قسمين كبيرين :

١ ـ عوامل متصلة بالعلاقات العائلية وعلاقات المراهق بوالديه .

٢ ـ عوامل ثقافية وبيئية تنتج عن اكتساب المراهق لمركز معين في المجتمع .

أولاً ـ العوامل الأسرية أو العائلية :

من الواضح أن اتجاهات الآباء في معاملة الأبناء تختلف من أسرة لأخرى ـ وبالتالي تختلف استجابات الأبناء . ويتوقف نمو شخصية المراهق في علاقته بالوالدين على درجة الرعاية والوقاية وعلى مقدار السيطرة المفروضة عليه وعلى ما يناله من تقدير في الأسرة.واتجاهات الوالدين تؤثر في نمو شخصية المراهق تأثيرات متعددة ـ فبعض الاتجاهات تزيد من قدر الحرية الممنوحة للمراهق ـ والبعض يقلل من هذا القدر . بعض الاتجاهات تسمح بتنمية الشعور بالأمن والكفاية نتيجة للاختلاط بالآخرين والبعض الآخر لا يسمح بالشعور بالأمن . بعض الاتجاهات يساعد على التفكير المستقل في حل المشكلات ورسم الأهداف ـ وإتاحة الفرصة لتنفيذ هذه الأهداف ـ البعض الآخر يحرم المراهق من فرصة التفكير في المستقبل . وعلى العموم لتنمية شخصية المراهق في الأسرة فإنه يحتاج لقدر من الحرية للبحث والمحاولة والخطأ ولتكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين ـ ويمكن أن نرسم صورة لشخصية المراهق الناضجة بأنها :

أ ـ تلك الشخصية التي تقدر على تحمل نواحي الاحباط دون أن يؤدي ذلك إلى زعزعة مستويات طموح الفرد أو تقديره لذاته أو اعتماده على نفسه أو كفايته من ناحية العمل .

ب ـ تلك الشخصية التي تقدر على رسم الأهداف وتطمع في القيام بدور إيجابي في الحياة .

جـ - تلك الشخصية التي تقدر على اكتساب الوصول إلى مركز اجتماعي يتناسب مع مستويات طموحها وقدراتها وتكون قادرة على القيام بالأعمال التي يتطلبها هذا المركز .

د - تلك الشخصية التي تكون مطالبها من الآخرين مطالب معقولة ومشروعة . وعلى العموم يمكن القول بأن تحقيق هذه الأهداف إنما يعتمد إلى حد كبير على مواجهة الفرد لنواحي الإحباط في البيئة وهذا بالتالي يتطلب تقبل المراهق للقيود المفروضة عليه والصادرة من المجتمع .

ثانياً - العوامل الثقافية والبيئية :

مما لا شك فيه أن المستويات الثقافية والبيئية لها تأثير واضح في نمو شخصية المراهق وفي تحديد نوع المشكلات التي يواجهها . ولعل معظم المشكلات التي يواجهها المراهق في المجتمع الحديث ترجع إلى أن المراهق لا يلقي التقدير الاجتماعي أو الاعتراف به كشخص كبير له قدرة بين المحيطين به . وقد سبق الإشارة إلى أن دخول المراهق في المجتمعات البدائية حيث المستوى الثقافي بسيط يكون مبكراً - وأن فترة الانتقال من الطفولة إلى الرجولة فترة قصيرة بعكس المجتمعات الحديثة التي تطول فيها فترة الانتقال وتتطلب كثيراً من التخصص والتعليم نتيجة لتعقد الثقافة .

والثقافة التي يعيش فيها المراهق تخلق لديه مستويات من الطموح تختلف باختلاف الأفراد وباختلاف مستويات الجماعة التي يعيش فيها . فما تتوقعه البيئة من الفرد يؤثر دون شك في الصورة التي يرسمها لنفسه . كما تكون بمثابة دوافع تدفع الفرد لتحقيق مستويات الطموح التي تتوقع منه . وعلى العموم فثقافة الجماعة التي يعيش فيها المراهق ذات تأثير معوق أو منشط في نمو شخصية الفرد .

التكيف في المراهقة

المراهقة فترة ينتقل عبرها الطفل من مرحلة اللامبالاة والاعتماد على الغير

إلى مرحلة المسئولية وتوجيه الذات . لذا فإن فهم المراهقة يكمن في فهم تلك العمليات التي يتم بها التكيف أي فهم للدوافع والرغبات المميزة للمراهقين ، وفهم الظروف والمعوقات التي تحول بينهم وبين إشباع رغباتهم . كذلك فهم أنماط الاستجابات وردود الأفعال التي تشكل السمات العامة للمراهقين .

طبيعـة التكيـف :

يتميز الإنسان بمجموعة من الحاجات الجسمية والنفسية التي تتطلب درجة معينة من الإشباع . والعمليات التي نتغلب بها على كل ما يعوق إشباع تلك الحاجات تسمى بعملية التكيف أو التوافق.وبواسطة عملية التكيف هذه يمكن للإنسان أن يقيم علاقات سليمة ومرضية مع العالم المادي المحيط به ومع أفراد المجتمع وثقافته بصفة عامة .

إعاقـة الإشباع :

يعرض الدافع لعملية إثارة قبل أن يتم احباطه وقبل أن تبدأ عملية التكيف . والطفل الذي لا يتعرض للاضطراب نادراً ما يتعرض لعملية احباط وبالتالي لا تكون هناك ضرورة تحتم عملية تكيف ، فوسيلة إشباع حاجاته المستثارة في متناول يديه . وكما توجد مثيرات للدوافع قد توجد عوامل إحباط لمحاولات الفرد إشباع حاجاته .

ويؤدى بنا الحديث عن إثارة الدوافع وعن إحباط الإشباع إلى عملية أخرى هي (الكبت) Repression (والكبت هو إبعاد الدوافع والأفكار المؤلمة أو المخزية أو المخيفة المؤدية إلى القلق من حيز الشعور إلى حيز اللاشعور حتى تنسى) . والأفراد يختلفون في هذه العملية . فقد يبذل الشخص مزيداً من الجهود مستخدماً نفس وسائله القديمة لمواجهة الموقف الجديد ، وقد ينوع من وسائل المواجهة حتى يصل إلى هدفه ، وربما تؤدي كل جهوده إلى تأكيد عجزه عن تحقيق الهدف فيقوم بوضع أهداف جديدة .

وقد يكون هناك اتجاه انفعالي قوي نحو عامل الكبت ، أو نحو حماية الذات ضد كل ما يهددها ويضعها في موضع غير لائق في نظر الآخرين وفي نظر نفسه . وقد يلجأ الفرد إلى الخيال للهروب جسمياً ونفسياً من المواقف المشكلة . وقد يكون نمطاً استجابياً لمواجهة عملية الإحباط ويتبنى هذا النمط عندما يصل إلى مرحلة النضج ويعتبره نمطاً نموذجياً لرد فعل الإحباط بصفة عامة .

ويهدف السلوك عادة إلى إشباع حاجات معينة أو إلى نوع من الإنسجام يهدف إلى خفض حدة التوتر . والتكيف هو تلك العملية التي تهدف إلى تحقيق الإشباع وخفض التوتر والتخلص من عوامل القلق . وهو محصلة لعملية تعلم ـ فعدم الثبات والنشاط الزائد الذي يقوم به الفرد عقب عملية الإحباط الأولى تشبه حالة القلق ، والمحاولات العديدة التي يقوم بها الطفل الجائع عندما يوضع في متاهة . فعلى الرغم من أن الطفل يستطيع الخروج من المتاهة بعد عدة محاولات إلا أنه إذا وضع ثانية فيها فإنه سوف يحذف بالتدريج بعض الاستجابات الفاشلة إلى أن يصل إلى السلوك الصحيح المشبع أي السلوك الذي يخرجه من المتاهة ويوصله إلى الطعام .

اضطرابات المراهقة

ينظر عادة إلى مرحلة المراهقة على أنها مليئة بالاضطرابات وتتصف بعدم الاستقرار ولكن ليست هذه هي القاعدة . فالأطفال الذين نشأوا خلال طفولتهم في ظل ظروف معقولة يمرون بمراهقتهم وهم أصحاء سعداء دون اضطرابات أو عدم استقرار كالتسنين الذي لا يؤدي إلا إلى ظهور الأسنان فقط . كذلك فمراهقتهم لن تؤدي إلا إلى نمو . ولكن تظل الحقيقة قائمة وهي أن المراهقة هي الوقت الذي تكثر فيه احتمالات حدوث الاضطراب أكثر من أي مرحلة أخرى . وهناك أسباب كثيرة لذلك ، بعض هذه الأسباب فسيولوجي (يتعلق بوظائف الأعضاء) وبعضها نفسي .

هناك بالدرجة الأولى تغيرات سريعة تحدث في الجوانب الفسيولوجية العضوية للمراهق والتي قد تؤدي إلى نقص في إفرازات الغدد الصماء محدثة ما يمكن أن

نسميه بعدم الاستقرار المزاجي . والمزاج هو تأثير الحالات الفسيولوجية للكائن على النواحي العقلية والانفعالية وتسمى الحالات المتطرفة من التقلب المزاجي بفصام الشخصية وهناك حالات عديدة من الاضطرابات البسيطة كزيادة سرعة النمو الجسمي بينما يبطؤ النمو العقلي مما يسبب نوعاً من عدم الاستقرار .

وهناك أسباب أخرى ترجع إلى النواحي النفسية . ويلاحظ في هذه الفترة النمو السريع للدوافع الأساسية المتصلة بالعدوان والجنس مما يؤدي إلى فقده لسيطرته عليها . وهناك العديد من العوامل التي تقلل قدرة المراهق على السيطرة والضبط النفسي منها :

١ ـ التغيرات الفسيولوجية السريعة التي سبق ذكرها .

٢ ـ أن المراهق لم يسبق له أن تعلم الانضباط الذاتي .

وقد يرجع ذلك أحياناً إلى التدليل السابق وأنه لم يخضع لعملية تهذيب صحيحة أو لأن الآباء لم يقدموا له نموذجاً طيباً لضبط النفس . وهناك مثل شائع يقول أن التهذيب في الصغر يصلح حال الإنسان في الكبر ـ وهو مثل صحيح إلى حد معقول . ولكن يجب ألا نفترض أن نقص التهذيب هو السبب الوحيد لاضطرابات المراهقة بل على العكس قد يؤدي التهذيب القاسي إلى الاضطراب أيضاً ، وأنه عندما يحقق المراهق قدراً كبيراً من الحرية فإنه يثور ويتخلى عن كل ما تعلمه .

كذلك لو كان الآباء يعملون دائماً على إخضاع الطفل لارادتهم ـ ويتخذون القرارات التي تخصه بأنفسهم ـ ويطالبونه بالطاعة التامة ـ فلن تنمو لديه القدرة على اتخاذ قراراته بنفسه . فإذا ما خرج للحياة ـ للدراسة أو للعمل ـ فإنه سيشعر بالضياع حيث يكون مجرداً من الإرادة ومن الشخصية ، وعندما تتوفر له حريته فإنه سوف لا يحسن التصرف وكثيراً ما تكون نتائج أفعاله غير سارة . وكما كان آباؤه يتخذون له القرارات فإنه سيخضع لإرادة الآخرين .

وهناك سبب آخر وهام لاضطرابات المراهق يتلخص في أن العقد التي تكونت في الطفولة المبكرة وما بعدها تميل للظهور في هذا الوقت ، فالنزعات المختلفة

تقوى في المراهقة بينما تضعف المخاوف والتهديدات التي كبتت هذه النزعات فيما سبق . فإذا ما تم التخلص من المخاوف القديمة قد تظهر المكبوتات القديمة على السطح من جديد . أن بعض الأفكار التسلطية المبكرة قد تختفي مع الوقت وتشفى . وإذا ما كانت الغرائز العدوانية والجنسية للطفل قد كبتت منذ فترة مبكرة من الطفولة فقد يصبح الطفل طيباً ومطيعاً بلا خوف ، وقد لا يحدث أي شيء لعدة سنوات ، لكن بدخوله مرحلة المراهقة تنبعث نزعاته وصراعاته القديمة من جديد وتنفجر كالبركان ويصبح الولد الهادىء مراهقاً من الصعب السيطرة عليه من قبل الوالدين .

وقد يتخذ الصراع شكل قلق عصابي وهو عبارة عن عملية تنشيط الخوف من نزعاته الدقيقة . فالمراهق ليست لديه فكرة عن سبب قلقه ـ فيربط بين قلقه وبين كل الأشياء الموجودة حالياً حوله . فيخاف من ترك المنزل ويخاف من السكاكين . ويخاف من أشياء أخرى وهو ما نطلق عليه المخاوف المرضية
وهي في حقيقتها خوف من دوافعه العدوانية .

وبالمثل تصبح البنت واعية بنزعاتها الجنسية الممنوعة التي استيقظت فتبدأ في الشعور بالذنب والمبالغة في حيوية الضمير . أو القيام بكل أنواع الأفعال القهرية الاستعطافية مثل عد النوافذ في كل غرف المنزل والمبالغة في غسيل اليدين والمبالغة في ترتيب وتنظيم المنزل والإكثار من الصلاة . ولو كانت في طفولتها تواقة للحب ولكن هذه الرغبة كبتت ـ فإنها قد تظهر في صورة ألم أو مرض هستيري ، وهي اضطرابات شائعة في المراهقة وغالباً ما يتغلب عليها الفرد ، إذا ما حظي بقدر أكبر من الثقة وتم التخلص من مخاوف الطفولة ولكنها تصر على الاستمرار في بعض الأحيان وتحتاج للعلاج على أيدي أخصائيين .

ومما يحدث أكبر قدر من الاضطراب في المراهقة تلك الظروف التي تتصف بالمنع والقهر ، كنقص فرص التنفيس عن الطاقة الطبيعية ، وعندما يتم إحباط البواعث الطبيعية فإنها تتخذ صوراً وأشكالاً شاذة .

وهناك اضطرابات أخرى تتعلق باتجاهات الآباء . فمن الضروري أن يقتنع

الآباء بأن المراهق في حالة نمو من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس والاستقلال . وأنه يريد أن يشق طريقه بنفسه وأن يضع قراراته بنفسه وأن ينظم حياته بنفسه فإذا ما حاول الآباء الاستمرار في السيطرة عليه والتدخل في نموه الطبيعي بوضع القيود والقوانين فإنه سيقاومها ويخرج عليها . فلا فائدة من الاستمرار في إخضاع الإبن أو الإبنة في هذه المرحلة باستمرار كما كان يحدث منذ فترة طويلة مضت . أن الطفولة هي الفترة التي يتمكن فيها من أن يتعلم تنظيم الذات والملائمة بين نفسه وبين الحياة ومسئولياتها .

ويصعب على كثير من الآباء أن يروا أبناءهم وقد ابتعدوا عن اطار الحماية الذي فرضوه على الطفل رعاية له (وخاصة الأم) أو خرجوا على سلطتهم (في حالة الأب) ناسين أن وظيفتهم في الحياة هي إعداد الطفل لأن ينمو نحو الاستقلال وتحمل مسئوليات الحياة بنفسه . ومثل هؤلاء الاباء الذين يشجعون نمو الاستقلال عادة ما يحتفظون بحب واخلاص أطفالهم ولذا يستمر تأثيرهم على الطفل فلا تحدث حالات الانحراف والخروج على القانون .

وهناك مشاكل أخرى تنشأ من عدم وجود نصائح ملائمة . فالمراهق مازال ينمو ولم يتم نموه بعد ، ويحتاج للتوجيه . ومن أهم مشاكل العصر الحالي ما يواجهه المراهقون من مشاكل متنوعة تتعلق بعالم العمل والحب ودوافعهم الشخصية ورغباتهم . ويجد الآباء أنفسهم صعوبة في نصحهم وإرشادهم بسبب الآراء المشوشة المضطربة التي يتلقونها حتى من الخبراء . وقد يتمكن كثير من الآباء من تقديم النصح للمراهق إذا طلب منهم ذلك . ولكن كثيراً ما يكون الآباء آخر من يلجأ إليهم المراهقون في هذا الأمر .

وجملة الأمر أن أمور المراهقة إذا ساءت إلى حد خطير ـ فلا فائدة من أن يحاول الآباء أن يتعاملوا مع هذه المشاكل ، ومن الأفضل لهم أن يحولوا الأمر إلى شخص ما يثق فيه المراهق ، وفي الحالات شديدة الخطورة يحول إلى العيادة النفسية ويجب أن نتذكر أن الأخصائي النفسي الذي يتمتع بقدرة على التعامل مع الأطفال من سن ٦ سنوات إلى ١٢ سنة من العمر قد لا يكون هو الأفضل للتعامل مع المراهقين وفي رأينا أن تكون هناك عيادات نفسية خاصة بالمراهقين ـ يكون أعضاؤها ممن لديهم قدرة خاصة في التعامل مع مشاكل هذه المرحلة .

الجنـــاح في المراهقــة

إن الجناح والصفات الشاذة والسلوك السيء كالكذب والسرقة والتهرب من أداء الواجب والقسوة والجبن والغرور والعجرفة والغيرة والتفاهة والتكاسل كلها صفات شائعة في المراهقة عندما يتمتع المراهق بقدر كبير من الاستقلال . وترجع أسباب هذه الظاهرة السلوكية الشاذة إلى مجموعة من الأسباب تتعلق بالفرد نفسه - وهي كثيرة ومنها : الفقر والسكن غير الملائم والتدليل الزائد وقسوة المعاملة . ويمكننا تصنيف هذه الأنواع المختلفة من الجناح في عدة أنماط لكل منها أسبابه ولكل منها طريقته في العلاج .

١ ـ جناح معتدل غير خطر :

كأن يأخذ الولد قلم الحبر من زميله لمجرد مضايقته أو أن يقطع المراهق أشجار الزينة ليلعب بها وهو أمر خاطىء من الناحية الاجتماعية ولكن مثل هؤلاء الجانحون ليسوا ذو طبيعة شريرة وليسوا مخطئين من وجهة نظر الصحة النفسية . وهناك الأطفال الذين يلعبون الكرة في الشوارع مخالفين بذلك القانون ولكنهم ليسوا أطفالاً سيئين . فالأطفال كثيراً ما يخطأون في أشياء لا يعرفون أنها خاطئة . إذا ما عاملناهم بقسوة فإننا سنحولهم إلى مجرمين .

٢ ـ الشذوذ المزاجي :

وهي حالات الجناح ذات المنشأ الفسيولوجي فالنقص العقلي يعد اضطراباً تكوينياً يرجع إلى النمو الفسيولوجي والجانح الذي يتميز بالنقص العقلي لا يفرق بسهولة بين الصحيح والخطأ وسيقوم بأفعال مشينة دون أدنى إحساس بالخجل . وقد تسرق البنت وهي في دورة الطمث أو تهرب من المنزل . والمراهقة أثناء الحيض . قد تصبح محبة للخصام غير مستقرة وغير محتملة . كما أن الإنسان ذو نسبة السكر المنخفضة في الدم أو المصاب بصرع خفيف قد يصبح فجأة عنيفاً ويرتكب جريمة قتل . ولقد وجد كثيراً من الجانحين لهم موجات مخ غير عادية . كما أن الأطفال المجهدون أو الذين لم يحصلوا على قسط كاف من النوم أو الغذاء

سيكونون في حالة مزاجية سيئة ونقص في القدرة على ضبط الذات . فالمزاج صورة لحالتنا العقلية يقررها تكويننا الفسيولوجي ، وقد يكون الطفل في حالة مزاجية حسنة أو سيئة وفي حالة المزاج السيء قد يرتكب بعض الانحرافات وعلاج جميع هذه الحالات يرتبط بعلاج الحالة الفسيولوجية .

٣ ـ الجناح البسيط :

قد يسرق الطفل لنقص لديه في المعايير الخلقية . فإذا لم يكن قد خضع للتهذيب أو تعلم قول الصدق أو لو كان أبوه غير أمين أو الأم شرسة أو المنزل منهار فمن الطبيعي أن يكذب الطفل وأن يسرق وأن يكون شرساً ومغتصباً فهو يسرق ساعة أو نقود لأنه يريدها ولا يرى سبباً لعدم استيلائه عليها طالما لم يعرفه أحد .

ومثل هؤلاء الأولاد يحتاجون لتغيير شخصيتهم . ولا يختص الأخصائي النفسي في العيادات بمثل هؤلاء الأفراد لأنهم ليسوا مرضى ولكنهم مرضى بالنسبة للمدرس والاجتماعي ورجل الدين والقاضي . رغم أنه من المهم عرضهم على الأخصائي لتحديد إذا ما كانت الاضطرابات السلوكية متعلقة بالنواحي الفسيولوجية أو بعقد نفسية . ويحتاج مثل هؤلاء لمعايير خلقية جديدة ومنزل جديد وناد جيد يمكنهم من خلالها اكتساب نظرة جديدة للحياة . وفي المجالات المتطرفة ـ قد يستخدم العقاب عندما تفشل كل الطرق الأخرى في تحويلهم عن طريق الانحراف .

٤ ـ الجناح الاستجابي :

ويعتبر أهم الأنواع لأنه قليلاً ما يفهمه الكبار ولذا فكثيراً ما يخطئون في مواجهته ويؤدي الخطأ في التعامل مع هذا النوع إلى زيادة الحالة سوءاً . وكثيراً ما يخلط الآباء بين هذا النوع والأنواع البسيطة الأخرى .

ومن أمثلته شعور طفل الثالثة بالوحدة وفقد الحب عند وصول طفل جديد له فيدفعه فيعاقب ويعزل في غرفة أخرى . وقد يعود ثانية ويصبح ولداً طيباً وقد

يغير كل اتجاهاته ويقول للكبار : أنه لا يريد حباً من أحد ـ يمكنني أن أعيش دونكم ، ويصبح منحرفاً غير متعاون ويسلك السلوك الضار غير الاجتماعي ـ محدثاً كثيراً من الإزعاج ويصبح ثقيل الظل . كل هذه الأنواع من السلوك ما هي إلا استجابة أو رد فعل لصد الطفل عندما يسعى وراء الحب فيتخذ السلوك اتجاهاً عكسياً . ومن المعروف أن العقاب الذي يستخدم في مثل هذه الأحوال لا يؤدي إلى نتائج طيبة بل يجعل الأمور تزداد سوءاً ويزيد من شعوره بالظلم الواقع عليه . وينتمي كثير من الشباب الذي لم يعد قابلاً للاصلاح إلى هذا النوع ـ وهم أولئك الذين لم يعد العقاب يؤثر عليهم في قليل أو كثير وأصبح من الصعب السيطرة عليهم .

وعلاج مثل هذه الحالات أن تشبع حاجتهم إلى الحب لا أن ننظر إلى سلوكهم الظاهري المنحرف الناتج عن الحرمان من الحب . فقد يبدو الطفل من الناحية الظاهرية مغروراً متعجرفاً ـ أو مختالاً بنفسه ـ لأنه في أعماقه يشعر بالنقص ويؤدي زجره إلى أن تزداد الحالة سوءاً .

٥ ـ جناح العصاب النفسي :

عندما يشفى الجانح في الحالة السابقة باستخدام العقاب ، فإنه في واقع الأمر يقوم بقمع عدوانه خوفاً من نتائجه ويبدو ولداً طيباً . وهنا تشكل النزعات العدوانية المكبوتة مركباً لا شعورياً . وبعد ذلك وخاصة في المراهقة عندما يصبح أكثر استقلالاً وأقل خوفاً ـ فإن هذا المركب اللاشعوري قد يطفو ثانية على السطح في شكل سرقة مثلاً ، ويندهش المدرس عندما يعرف أن تلميذه الذكي جداً والذي يعمل باجتهاد والذي يتميز بضمير حي هو الذي سرق حاجيات زميل له . ولا يفهم لماذا حدث ذلك . مثل هذا التلميذ لا يحتاج فعلاً للأشياء التي سرقها ، وعندما يكتشف أمره نجده مملوءاً بالخجل على ما فعل ويتمنى أن يفعل أي شيء ليكفر عن خطئه ولا يصلح العقاب في مثل هذا الموقف فالعقاب لا يعالج العقدة الموجودة .

ويلاحظ على هؤلاء الأفراد الذين ينتمون لهذه الفئة أنهم يتمتعون بمعايير خلقية لا تقل عن أفضل التلاميذ .

ومثل هذه الأنواع من الجناح يمكن تحديدها لأن سلوك الجانح عادة ما يكون عكس السلوك العادي للفرد . وكثيراً ما تسمع المدرس أو الأم تقول لهذا الطفل « لم أكن أتوقع أبداً أن تفعل ذلك » ، « لا أدري ما الذي اعتراك » وهذا النوع من الحالات يخضع للتحليل النفسي الذي يكشف عن الأسباب الدفينة لهذا الجناح الذي يمثل مقاومة مكبوتة لمرحلة سابقة وهو سهل العلاج لأن لدى هؤلاء الأولاد الرغبة في التعاون مع المعالج . وكثيراً ما يكون هذا الفرد تعيساً . ولو أمكننا كسب ثقته ومنحناه الفرصة ليعبر عن إحساسه بما يشكو منه فستكون استجابته للتحليل طيبة كما ستكون النتائج مرضية وفي الحالات العادية ـ لو أمكن للأم أن تعرف الأسباب الحقيقية لحالة الطفل فستضع حداً لإحساسه بالظلم بمنحه الحب الذي يعد حاجة أساسية لديه ، خاصة لو استمرت في منح الحب عندما تكتشف رفض الطفل للتغيير الجديد الذي حدث في اتجاهاتها نحوه .

ومن الواضح من استعراض هذه الأنواع المختلفة ـ أن أسلوب المعاملة الذي يتصف بالصراحة الزائدة أو الحب الزائد ستكون له نتائج طيبة في بعض الحالات كما ستكون له نتائج خاطئة في أحيان أخرى وقد يكون ضاراً . ولنأخذ مثالاً على ذلك وهو موقف بلل الفراش . فقد يكون سببه فسيولوجياً لارتفاع نسبة حموضة البول وكسل الطفل في القيام لتفريغ المثانة . وقد يكون رد فعل أو محاولة لمضايقة الأم أو إرغامها على توجيه إنتباهها إليه كنتيجة لإحساسه بالظلم . أو قد تكون الحالة « عصاب نفسي » . كما في حالة الطفل الذي يريد لا شعورياً أن يعود طفلاً صغيراً ، وهي حالة شائعة بين الأطفال الذين يتبولون على أنفسهم كثيراً . ومثل هؤلاء الأطفال على عكس النمط الاستجابي لا يمكنهم التحكم في عملية التبول ويخجلون منها .

المراجع العربية

١ - اجاثاه ـ باولى ـ ١٩٥٧ ترجمة وهيب ابراهيم سمعان ؛ النمو الطبيعى للطفل ـ مكتبة الأنجلو المصرية .

٢ ـ أحمد زكى صالح ـ ١٩٦١ ـ علم النفس التربوى ـ الطبعة السابعة ؛ مكتبة النهضة المصرية

٣ ـ آرثر جيتس وآخرون (١٩٦٦) علم النفس التربوى . ترجمة ابراهيم حافظ وآخرون ـ اشراف عبد العزيز القوصى ـ مكتبة النهضة المصرية .

٤ ـ أناستازى وجون فولى (١٩٥٩) ـ ترجمة السيد محمد خيرى ـ سيكلوجية الفروق بين الأفراد والجماعات ـ الشركة العربية للطباعة والنشر ـ القاهرة

٥ ـ حامد عبد السلام زهران (١٩٧٢) علم نفس النمو ـ الطبعة الثانية ـ عالم الكتب ـ

٦ ـ حامد عبد العزيز الفقى (١٩٧١) دراسات في سيكلوجية النمو ـ عالم الكتب ـ القاهرة .

٧ ـ صموئيل مغاريوس (١٩٧٤) الصحة النفسية والعمل المدرسى ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة .

٨ ـ سعد جلال (١٩٧١) المرجع في علم النفس ـ دار المعارف ـ القاهرة .

٩ ـ فؤاد البهي السيد (١٩٦٨) الأسس النفسية للنمو ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة

١٠ ـ مصطفى الديوانى (١٩٦٦) حياة الطفل ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة النهضة المصرية .

١١ ـ مصطفى فهمى (١٩٧٤) سيكلوجية الطفولة والمراهقة ـ الطبعة الرابعة ـ مكتبة مصر .

المراجع الأجنبية

1 – Alexander, I. E., and A.M. Adlerstein, Affective responses to the consept of death in a population of children and early adolescents. J. genet. Psychol., 1958, 93, 167 – 177

2 – Allport, G.W., and Pettigrew, T.F., Cultural influence on the perception of movement : the trapezoidal illusion among Zulus. J. abnorm. soc. Psychol., 1957, 55, 104 – 113.

3 – Anderson, J.E. Personal communication, 1956, University of Minnesota.

4 – Baldwin, Alfred L., The Study of Child behavior and development, Hand Book of Research Methods in child Psychology, New York Wiley, 1960

5 – Bell, J. A comparison of dropouts and nondropouts on participation in school activities, Journal of Educational Research, 1967, 60, 240 – 251

6 – Benedict, Ruth, Patterns of Culture, New York, New American Library of World Literature, 1953

7 – Breckenridge, M. E., and E. L. Vincent : Child development, 5 th Ed., Philadelphia : Saunders, 1965

8 – Charles, Don C. & Looft, William R., Readings in psychological development through life, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1973

9 – Chilman, C.S. : Families in development at mid-stage in the family life-cycle, Family Coordinator, 1968, 17, 297 – 312.

10 – Church, J., L. J. Stone, The early school years, Children, 1960, 7, 113 – 114

11 – Connell, W. F. & Debus, R. L. & Niblett, W. R., Readings in The foundations of Education, London, Routledge & Kegan Paul, 1967

12- Corey, S. M., and V. E. Herrick, The developmental tasks of children and young peaple, In J. M. Seidman (ed.) The child: A Bock of Readings, N. Y.: Holt, 1958

13- Crampton, C. W., Anatomical or physiological age versus chronological, age, in Medinnus, G. E., Child and adolescent psychology John Wiley & sons, N. Y., 1976.

14- Carmichael, L., Manual of child psychology, 3 id. ed., New York, Wiley, 1970

15- Davis, Allinson, and Dollard, J. Children of bondage Washington, D. C.: American counsil on Education, 1940

16- Dean, Dwight G., Dynamic social psychology : Toward appreciation and replication, Random House, New York, 1969

17- De Ceecco, John P., The Psychology of learning and Instruction, Educational Psychology, Prentice-Hall of India Private Limited, New Delhi, 1970.

18- Dennis, W., Scientific models for the investigation of child development, In P. H. Hoch and J, Zubin [eds.]: Psychopatology of childhood, New York : Grune & Stratton, 1955

19- Dink meyer, Don C., Child development, the emerging self, New Delhi : Prentice Hall of India, 1967

20- Douvan, E. & Adelson, J. The adolescent experience . New York,: Wiley, 1966.

21 - Escalona, K.S., The Roots of individuality, Tavistock Publication, 1968.

22- Fawl, C. L., Disturbances experienced by children in their natural habitat, In R. G. Barker [ed.]: The stream of behavior, New York : Appleton-Century-Crofts, 1963.

23- Freeman, Jonathan L. & Carlsmith, J.M. & Sears, David O., Social Psychology, Prentice Hall, New Jersey 1970

24- Garn, S. M., Growth and development, In E. Ginzberg [ed.]: The nations children, Vol. 2. Development and education, New York : Columbia, 1966.

25 – Garrison, K. C. : Growth and development, 2 ed.ed., New York, Longmans, 1959.

26 – Greulich, W. W. & Pyle, S.L., Radiographic atlas of skeletal development of the hand and wrist, 2 Nd.Ed., Stanford Calif. Stanford University Press, 1959.

27 – Hadfield, J. A., Childhood and adolescence, Great Britain, Hazell & Viney, 1974

28 – Hampson, J.L., & Hampson, J.G., The ontogenesis of sexual behavior, In W.C. Young [Ed.]. Sex and internal secrations (3 rd. ed.), Vol. 2, Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1961, Pp. 1401 – 1432

29 – Havighurst, R.J. : Human development and Education, New York, Longmans, 1953

30 – Heilburn, A. G. Conformity to masculinity – femininity Stereotypes and age identity in adolescents. Psychological Reports, 1964, 14, 351 – 357

31 – Helson, Harry and Bevan, William [Editors], Contemporary Approaches to Psychology, Affiliated East-West Press P.V.T., New Delhi, 1964

32 – Hess, R. & Goldblatt, I. The status of adolescents in American society: A problem in social identity, Child Development, 1957, 28, 459 – 468.

33 – Hollingworth, L.S. Children above IQ. 180 New York, World Book, 1942

34 – Hurlock, E. B., Adolescent development, 4 ed., McGraw-Hill B. Co., New York, 1973

35 – Hurlock, E.B., Child development, 5 th ed., McGraw-Hill B. Co., New York, 1972.

36 – Hurlock, E. B., Child growth and development, 4 th ed., McGraw-Hill Bo. Co., New York, 1970

37 – Hurlock, E.B., Developmental psychology, 3 d. ed., Tata McGraw -Hill Publishers Co., Bombay, New Delhi, 1968
38 – Imperato-McGinley, J., Guerrero, L., Gautier, T. & Peterson, R.E., Steroid 5 | deficiency in man; An inherited form of male pseudo-hermaphorditism, In Medinnus, G. E., Child and Adolescent Psychology, John Wiley & sons, New York, 1976
39 – Irwin, O.C., Infant speach : effect of systematic reading of stories, J. speach hear. Res., 1962, 3, 187 – 190.
40 – Kagan, J. Acquisition and significance of sex typing and sex role identity. In M. L. Hoffman & L. W. Hoffman |Eds.|, Review of child development research |1 |, New York : Wiley, 1964.
41 – Kagan, J. Havemann, Psychology : An Introduction, 3id ed., Harcourt Brace Iovanovich, New York, 1976
42 – Kahn, Jack H., Human Growth and the Development of Personality, Pergamon Press, Oxford, 1973
43 – Kiesler, Charles A. & Collins, Barry E., & Miller, Norman, Sexual development, John Willey & Sons, New York, 1969
44 – Kinsey, A. C., Pomeroy, W. B. and Martin, C. E., Sexual behavior in the human male, W. B. Saunders Co., 1948
45 – Knoblock, H., and B. Pasamanick : Seasonal variation in the births of the mentally defficient, Amer. J. publ. Helth., 1958, 48, 1201 – 1208
46 – Kuhlen, Raymond G., The Psychology of Adolescent Development, 2ed Ed., Harper & Row, New York, 1963
47 – Landis, P. H. Adolescence and youth, New York, McGraw-Hill, 1960
48 – Leukel, Francis, Introduction to physiological psychology, The C. V. Mosby Co., Saint Louis, 1968
49 – Lewis, M.M., Infant speech : a study of the beginnings of language New York, Humanities Press, 1951
50 – Lindgren, Henry Clay, Educational Psychology in the Classroom, 3id Ed., John Wiley & Sons, New York, 1967

51 – Lindgren H. C. & Fisk, L. W., Psychology of Personal Development John Wiley & Sons, New York, 1976
52 – Loevinger, J., Intelligence as related to socioeconomic factors, Natt - Soc. Study educ., 39 th
53 – Lorenz, K. On aggression, N. Y., Harcourt Brace Jovanovic, 1922
54 – Lynip, A. W., The use of magnetic devices in the collection and analysis of preverbal utterances of an infant, Genet. Psychol. Monagraph, 1951, 44, 221 – 262
55 – Lynn, D. B., Sex role and parental identification, child development, 1962, 33, 555 – 564
56 – Macferlane, J., Allen, L., and Houzik, M.P., A developmental Study of the behavior problems of normal children between twenty-one months and fourteen years, Berkeley, Clif., Univ. California Press, 1954
57 – Maw, W. H., and Maw, E. W., Nonhomoeostasis experiences as stimuli of children with high curiosity, Calif. J. educ. Res., 1961, 12, – 57 – 61
58 – McCandless, Boyd. R., Children and Adolescents Behavior and developement, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1961
59 – McCarthy, D. A., Language development children, In L. Carmicheal [ed], Manual of child psychology, 2 ed ed., New York - Wiley, 1954
60 – Mead, M. & Calas, N., Primitive heritage, New York, Randon House, 1953
61 – Medinnus, Gene R & Johnson, Ronald C., Child and Adolescent Psychology, 2ed Ed., John Wiley & Sons, New York, 1976
62 – Middleton, R., & Putney, S. Religion, normative Standards, and behavior, Sociometry, 1962, 25, 144 – 152
63 – Money, J. & Ehrhardt, A. A. Man and Women, Boy and girl; the differentiatien and dimorphism of geneler identity from conception to maturity, Baltimore, John Hopkins U. Press, 1972

64 – Montagu, A. : Prenatal influences, Springfield, Ill. : Charles Thomas, N. Y. m 1962

65 – Moreno, J. L. Who Shall survive. ? Washington, D. C.: Nervous and Mental Diseases Publishing, 1934.

66 – Morgan, Clifford T., Introduction to psychology, 2 ed. Ed., New York, Mc Graw-Hill Book Co., 1961.

67 – Mouley, George J., Psychdogy for Effective Teaching, 3 id. Ed., Holt, Rinehart and Winston, New York, 1973.

68 – Musa, K. & Roach, M., Adolescent apperence and self concept, Adolescence, 1973, 8, 385 – 394.

69 – Neugarten, B.L., Continuities and discontinuities of psychological issues into adult life, Hum. Developm., 1969, 12, 121 – 130

70 – Norbeck, Edward & Price, Williams & Douglass & McGord, William M., (Editors), The Study of Personality : An Inter discep-linary Appraisal, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1968

71 – Olson, W.C., Child development - Boston : Heath, 1949

72 – Page, J.D., Abnormal Psychology, MaGraw-Hill Bo. Co., New York, 1947

73 – Parker, E. : The seven ages of woman, Baltimore : Johns Hopkins, 1960

74 – Partin, M. An analysis of social participation, Leaderships, and other factors in pre-school play groups. Doctoral dissertation, University of Minnesota, 1929.

75 – Rokeach, M. A theory of organization and change within value-attitude system, Journal of social issues, 1968, 24, 13 – 33

76 – Ruch, Floyd L. and Zimbardo, Philip G., Psychology and life, 8 th Ed., Scott, Foresman and Company, London, 1971.

77 – Sandstrom, C.I., The Psychology of Childhood and Adolescence, Penguin Books, Great Britain, 1973.

78 – Sartain, A. Quinn & North, Alvin John & Strange, Jack Roy, Psy-chology : Understanding Human Behavior, McGraw-Hill Book Co., New York, 1973

79 – Shaefer, E.S., and N. Bayley : Consistancy of maternal Behavior From infancy, to preadolescence. J. ahnorm. Eoc. Psychol. 1950, 61, 1 – 6

80 – Scheinfeld, A., Twins and supertwins, Philadelphia, lippincolt, 1976

81 – Schramm, W., J. Lyle, and E. B. Parker : Patterns in children's reading of newspapers, Journalism Quart., 1960, 37, 35 – 40

82 – Scott J. P., The process of primary socialization in canine and human infants, Monogr. Soc. Res. Child Develpm. 1963, 28, No 1

83 – Sears, R. R., Maccoby, Eleanor E., and Levin, H., Patterns of child rearing, Evanson, Ill. : Row, Peterson and Co. – 1957

84 – Sears, R. R., Pintler, M.H., & Sears, P. S., Effects of father separation on preschool children's Doll play aggression. Child Development, 1946, 17, 219 – 243.

85 – Seidman, Jerome M., The Adolescent a Book of Readings, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1960

86 – Seigman, A. W., Father absence during early childhood and antisocial behavior, Journal of Abnormal Psycho., 1966, 7, 71 – 74.

87 – Shertzer, Bruce & Stone, Shelley C., Fundamentals of Guidance, Houghton Mifflin Co., New York, 1966

88 – Sills, David L., International Encyclopedia of The Social Sciences, Vo. 1, The Macmillan Co. & Free Press, New York, 1972.

89 – Smith, M. Brewster, Social Psychology and Human Values, Publishing Co., Chicago, 1969

90 – Sontag, L.W., Some psychosomatic aspects of childhood. Nerv. Child, 1946, 5, 296 – 304

91 – Spock, Benjamin, Baby and Child Care, Pocket & Books, New York, 1975

92 – Stoly, L. M. etal. , Father relations of war-born children, stanford Stanford University Press, 1954

93 – Stone, L. J., and J. Church, Childhood and adolescence, ed. ed., New York, Random Houre, 1968

94 – Stott, Leland H., The Psychology of Human Development, Holt,

Rinehart and Winston, INC., New York, 1974
95 – Strong, E.K., Vocational interests of men and women, Stanford : Stanford University Press, 1943.
96 – Symonds, P. M., The dynamics of parent-child relationships, New York, Appleton-Century-Crofts, 1949.
97 – Tryon, C. M. Evalution of adolescent personality by adolescents Monographs of the society for Research in child Development, 1939, 4, No. 4.
98 – Wallace, John, Psychology : Social Science, W. B. Saunders Co., London, 1971
99 – Wertham, F., The scientific study of mass media effects, Amer. J. Psychiat., 1962, 119, 306 – 311.
100 – Whiting, J.W.M., and Whiting : Contributions of anthropology to the methodes of studying child rearing, In P.H. Mussen (ed.) handbook of research methods in child development, New York Wiley, 1960
101 – Williams, Phillip, (Ed.), Behavior Problems in School, University of London Press, 1974.
102 – Wrench, David F. & Wrench, Chris, Psychology a Social Approach, 2 ed.Ed., MaGraw-Hill Book Co., New York, 1973

الفهـــــرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة